

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية  
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

كلية أصول الدين والشريعة والحضارة الإسلامية  
قسم العقيدة و مقارنة الأديان

جامعة الأمير عبد القادر  
للعلوم الإسلامية  
قسنطينة

الرقم الترتيبي 2001/.....  
رقم تسجيل الطالب(ة).....

عنوان البحث:

## منهج ابن تيمية في الرد على النصارى

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في العقيدة و مقارنة الأديان  
شعبة مقارنة الأديان

من الطالبة : كريمة بن جاب الله.

الجامعة الأصلية	الرتبة	الاسم و اللقب	أمام اللجنة :
جامعة الأمير عبد القادر	أستاذ محاضر	د/مولود سعادة	الرئيس
جامعة الأمير عبد القادر	أستاذ مكلف بالدروس	د/بشير بوجنانة	المقرر
جامعة الأمير عبد القادر	أستاذ مساعد	د/ محمد بو الروايح	عضو
جامعة الأمير عبد القادر	أستاذ مساعد مكلف بالدروس	أ/سعيد عليوان	عضو
جامعة الأمير عبد القادر	أستاذ مساعد مكلف بالدروس	أ/عبد القادر بخوش	عضو

نوقشت يوم: .....

الموسم الدراسي: 2004-2005م

## الإهداء

- إلى اللذين غرسا في حبّ العلم وهياً لي أسباب التعلم ، وكانا لي الصدر الحنون والعون المديد: والدي الكريمين .

- إلى روح الشيخ "ابن تيمية" أتقدم بهذا العمل آملة أن أكون قد وفقت إلى معالجة الموضوع بما يستحقه من بحث وعرض وتحليل ، وأن أكون قد وفيتة حقه .

- إلى من تحمل أعباء هذه الدراسة بالإشراف والتوجيه أستاذي المشرف : بشير بوجنّانة .

- إلى الذي كان يحثّ خطاي كلما رأى مني وهنا : زوجي "أبو زكرياء"

- إلى كل الذين كانوا ينتظرون ثمرة جهد سنوات عديدة : أساتذتي ، أفراد أسرتي وزميلاتي في الدراسة.

- إلى أولئك الذين عصفت بهم ريح الفتنة ففقدوا بسمة الأمل: أبناء وطني الجريح.

إلى كل هؤلاء أهدي ثمرة هذا الجهد المتواضع راجية من المولى السداد والتوفيق،  
وأسجد له شاكرة على منه أن وفقني لإكمال هذا العمل الذي أتمنى أن يكون خالصاً  
لوجهه الكريم .

## شكر وتقدير

نتوجه بالشكر الجزيل إلى كل من ساهم في إخراج هذا البحث ومدّ يد العون لنا من قريب أو بعيد ونخص بالذكر منهم أستاذنا المشرف: بشير بوجناتة الذي ساهم في إنجاز هذا العمل فلم يبخل علينا بتوجيهاته .

ولا ننسى أن نسجل ما نحن مدينون به لكل الأساتذة الذين أمدونا ببعض المراجع الهامة للبحث، كما نتقدم بشكرنا لعمال مكتبة الجامعة على جهدهم في إمدادنا بالكتب اللازمة والتسهيل علينا في اقتنائها.

# المقدمة

جامعة الأمير عبد القادر القادر  
الإسلامية

## المقدمة

الرد على النصارى تعبير دقيق يمثل مواقف المسلمين إزاء دين النصارى عقيدة وشريعة. كما يتناول الدفاع عن الإسلام والرد على الشبهات التي تثار للطعن فيه.

هذا الموقف من المسلمين كان نتيجة طبيعية لعامل الجوار والإحتكاك مع النصارى ولطبيعة الإسلام الدعوية.

ارتبطت مواقف المسلمين في الرد بادي الأمر بنصوص القرآن الكريم الذي شكل المادة الأساسية لتسليح المسلم وإعداده نفسياً وفكرياً، بهدف أداء وظيفته في الدعوة للإسلام، وذلك بالكشف عن حقيقة دين النصارى، كما دعاه لضرورة توفير الأسباب الموضوعية في قوله تعالى: ﴿وجادلهم

بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾.

لكن الأمر لم يتوقف عند نطاق الاستدلال بالنص النقلى في دحض دعاوي النصارى، بل إن جهود علماء الإسلام كشفت عن جدارتهم في هذا الميدان، إذ طوروا مسالك الاستدلال ونوعوا في أدواته التحليلية، وقد استفادوا في ذلك من علوم شتى، كعلم الكلام، والفلسفة، والمنطق وغيرها، وكان نتيجة هذه الجهود تأصيل فن الجدل الديني فأصبح بعدها علماً قائماً بذاته.

كان التوق لمعرفة مدى نجاح العلماء المسلمين في الدفاع عن الإسلام والاطلاع على التطرق والمناهج التي سلكوها في الرد على النصارى دافعاً لتوجيه اهتمامنا بهذا المجال، ونظراً لأهمية الدراسات المتعلقة بابن تيمية فقد وقع اختيارنا على رده ووضعنا له عنواناً هو: منهج ابن تيمية في الرد على النصارى.

هذه الدراسة أكدت أن ابن تيمية لم يجد عن منهجه العام في كل ما كتب باعتماده على النقلى والنقلى والعقلي شرط تقيدها بالصحة، وتقديم الدليل النقلى على الدليل العقلي وقد أوضحنا ذلك في الفصل الثاني.

والملفت للنظر أن ابن تيمية بالرغم من نقده للمنطق وتحذيره من الخوض فيه لقلته فائدته وكثرة الحشو فيه، إلا أنه لا ينكر وجود ما يستفيد ببعضه ممن كان في كفر وظلال كالنصارى واليهود والرافضة<sup>(1)</sup>، وذلك بعد النظر في صحة المادة والأدلة التي تؤسسه، وقد استطاع بفضل جهوده أن يضع منهاجاً عقلياً مناسباً لجميع الأمم، لأن مبادئ أدلته فطرية مشتركة.

وعلى هذا يكون ابن تيمية قد جوز توظيف هذا المسلك في مخاطبة أهل الكفر والشرك من العلم بالمطلوب متوقفاً عليه (أي الدليل العقلي)، وإنما لمناسبة عادة المخاطب والظاهر أن ذلك كان دافعاً لابن تيمية في إيراد الأدلة العقلية في الرد على النصارى. ثم إردافها بالأدلة النقلية.

(1) ابن تيمية تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم: مجموع الفتاوى (كتاب المنطق) تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، د. 1411هـ.

تدرس كتب الفلسفة، ونصوص القرآن الكريم في كل مسانة نفسها، وهذا المنهج بجده مانلاً دعوى في كتابه (الجواب الصحيح لمن بدل في دين المسيح) وهي نفس الطريقة التي اعتمدها في إيصال مباحث هذه الدراسة.

وابن تيمية لم يحد عن منهجه، فهو بجانب تأكيد على تقديم الدليل النقلى على الدليل العقلى لا يلغى للعقل دوره ويقر أن أدلة العقل التي يعلم بها صحة السمع من المعقولات الصحيحة. وهذا التقديم للدليل العقلى عند مناقشة النصارى لا ينقص على النقل حجته وربته لأن التحل اقتضى ذلك، فالنصارى لا تقر بنصوص القرآن فكانت مخاطبتهم بالأسلوب الذي اعتادوه أقرب لإقناعهم.

وبناء على ذلك يمكن القول أن هذه الدراسة تمثل بحق منهج ابن تيمية في جانبه النقلى والعقلى، وهي رد على دعوى أن ابن تيمية لا يخرج عن مجال الإستدلال بالكتاب والسنة في الرد على النصارى.

ولتوضيح مضمون البحث وجوانبه المنهجية كان لزاماً علينا الحديث عن بعض الإجراءات الخاصة بالدراسة في النقاط التالية:

## 1- عنوان البحث:

من الثابت أن البحث العلمي يركز أساساً على تحديد المصطلحات الموظفة لارتباطها بالدراسة من حيث المنهج والموضوع، ونقصد بذلك المصطلحات المعنونة للبحث وهي على التوالي:

### 1- المنهج:

المنهج لغة من نهج الطريق الواضح أي استبان الطريق وصار، نهجا واضحا<sup>(1)</sup> وبذلك فهو بدل على منهج ابن تيمية وطريقته في الرد على النصارى، أما اصطلاحاً فهو مجموعة العمليات الذهنية التي يحاول من خلالها بلوغ الحقائق المتوخاة، مع إمكانية تبيانها والتأكيد على صحتها<sup>(2)</sup>.

وبناء على هذا التعريف يمكننا أن نلاحظ ثلاثة عناصر أساسية لرد ابن تيمية وهي:

- 1- المعرفة الموضوعية، وبها يفصل في القضايا المختلف فيها بين طرفي النزاع دون تحيز.
- 2- ضبط الأسس المنهجية، والتي تعمل على تحديد موضوع البحث وإجراءاته المنهجية، مما يوضع أمامنا صورة للإطار العام الذي يتحرك من خلاله الرد في جانبه النظري.

(1) إسماعيل بن حماد الجوهري: الصحاح، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار (بيروت ك دار العلم للملايين، سنة 1403 هـ 1984م) مادة: نهج، ج 1 ص 346.

(2) IADLINE GRAWITZ: Méthodes des sciences sociales (France : DALLOZ 1981) p 347.

3- بيان مواقف ابن تيمية الردية والتأكيد على صحتها بالكشف عن الأدلة المستعان بها.

## 2- الرد:

عرف الجوهري كلمة رد فقال: رد عليه الشيء إذا لم يقبله وكذلك إذا خطأه، فهو ما رده المسلمون على النصارى وخالفوهم فيه<sup>(1)</sup>، ومصطلح "الرد" يوظف لاعتماد المواقف السلبية في الموضوع المدروس وهو ما يحصر البحث في المواقف التي تمثل محل نزاع بين طرفين. خلافاً لمصطلح "النقد" الذي هو عملية تقويمية للمسائل المطروحة، فهو يهتم بالإيجابيات والسلبيات على السواء<sup>(2)</sup>.

وهذا يعني أن الدراسة المنهجية المتوخاة في تناولنا للنصرانية تنحصر ضمن مدلول "الرد"، لأنها تهتم بما رده المسلمون على النصارى وخالفوهم فيه، إلا أنه من الملاحظ أن الأغراض التي تتعلق بمبحث البعد الدعوي لمنهج الرد عند ابن تيمية تمثل جانباً إيجابياً، فقد أثبتنا باعتبارها مباحث هامة في أسس الرد على النصارى وهي تمثل أهداف الرد وأبعاده الدعوية.

## 3- النصارى:

هم من اتخذوا النصرانية ديناً لهم، وقد افرقوا على اثنين وسبعين فرقة، وكبار فرقهم ثلاثة وهي: الملكانية، النسطورية واليعقوبية نسبة إلى الأفراد الذين علمهم بولس دين النصارى المحرف فقاموا بنشره وهم (ملكا ونسطور ويعقوب) كان ذلك بعد وفاة المسيح بحوالي إحدى وثلاثين سنة، وقد اجتمعوا على دين التثليث باعتقادهم لثلاثة أقانيم في اللاهوت تعرف بالأب والابن وروح القدس<sup>(3)</sup>، لذلك كانت هذه الفرق الثلاثة محل اهتمام المسلمين في ردودهم دون غيرها من الفرق الثانوية.

## 2- موضوع الدراسة:

(1) إسماعيل ابن حماد الجوهري: الصحاح، مادة رد (رد)، ج2، ص 473.

(2) مقدمة كتاب عبد المجيد الشرفي: الفكر الإسلامي في الرد على النصارى (الدار التونسية للنشر 1986).

(3) أبي بكر محمد ابن الطيب الباقلائي: تمهيد الأوائل في تخلص الدلائل، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، ط 1 (لبنان: مؤسسة الكتاب الثقافية 1407هـ - 1987 م)، هامش ص 93 - 94، وبطرس البستاني دائرة المعارف، دط، (لبنان: دار

المعرفة)، مادة (ثالوث)، ج 6 ص 305.

بناء على ما تقدم من تحديد المصطلحات الخاصة بالبحث يمكننا أن نفهم أن موضوع الدراسة لمنهج ابن تيمية في الرد على النصارى هو: بيان الطريقة الواضحة لابن تيمية في الرد على النصارى فيما خالفهم فيه، ومدى صدق موافقه النقدية.

وهذا التعريف يضع بين أيدينا العناصر الأساسية التي يدرسها هذا الموضوع والتي نبينها في النقاط التالية:

1. الإطار العام الذي يؤسس منهج الرد على ابن تيمية، وهو عموماً ما يمثل الرد في جانبه النظري.
2. أهم الأغراض الجدلية، وهي تطبيقات ابن تيمية لمواقفه الرديئة التي خالف فيها النصارى.
3. الكشف عن مدى صدق مواقف ابن تيمية في دعوى التحريف على النصارى وذلك بتفحص الأدلة التي وظفها للتأكد على موافقه.
4. بيان مجهودات ابن تيمية في الرد على النصارى والدفاع عن الإسلام.

### 3. إشكالية البحث:

كان اهتمامنا بطريقة الرد على النصارى، سعياً للكشف عن المناهج المستخدمة لدى ابن تيمية في موافقه النقدية للعقائد النصرانية ومدى نجاحها في الدفاع عن الإسلام إشكالية طرحت من خلالها تساؤلات كثيرة أهمها:

1. ما هي جهود ابن تيمية في الرد على النصارى؟ وما هي تطبيقاته لمنهجه الفكري؟ وما هي النتائج التي انتهى إليها؟ وهل نجح في صياغة منهج علمي متطور في أدواته التحليلية وآلياته الإستدلالية بحيث يصلح أن يكون نموذجاً للتطبيق في الدراسات الخاصة بعلم الأديان؟.
  2. ما مدى صلاحية منهج ابن تيمية في الرد على التحديات المعاصرة ومواجهة حركات التصير.
  3. هل يمكن وضع الإسلام والنصرانية تحت الدراسة المقارنة بناءً على دعوى النصارى التوحيد- أم أن المقومات الموضوعية التي تفرد بها القرآن في مجال الوحي والتي يعدم أن يوازيه فيها أي كتاب سماوي آخر تحيل دون ذلك؟.
- كل هذه التساؤلات سنجد الإجابة عنها مبيوثة في مباحث الدراسة.

### 4. أسباب اختيار الموضوع:

يعود اختيارنا لهذا الموضوع لأسباب نوجزها فيما يلي:



1. ندره الدراسات التي عنيت بالكشف عن جهود ابن تيمية في الرد على النصارى، باستثناء بعض الكتابات التي اهتمت بنقل بعض آرائه ومواقفه دون الإهتمام بالكشف عن أسس منهجه وطرق تحليله<sup>(1)</sup>، فاخترنا هذا البحث بهدف تحليل منهجه تحليلًا مفصلاً يسمح بالكشف عن مناهجه الموظفة.
2. أن رد ابن تيمية يعد من الردود المعتبرة الممثلة لفن الجدل الديني، على اعتبار أنه جاء في فترة تاريخية اكتملت فيها معالم الجدل الإسلامي والمسيحي وتطورت أساليبه وتعمقت في طرق الاستدلال و التحليل.
3. انتشار حركات التنصير في العالم الإسلامي.
4. خدمة تراثنا العلمي، فبالرغم من كثرة المؤلفات الإسلامية في هذا الفن إلا أنها لم تحظ باهتمام كبير من طرف الباحثين للكشف عن مضامين الردود وعرضها عرضاً تحليلياً إلا النادر منها<sup>(2)</sup>، وهذا يجزنا للحديث عن أهم الدراسات فيما يلي.

## 5- الدراسات السابقة:

حرصنا كل الحرص على الاستفادة من الدراسات السابقة التي لها صلة بالموضوع، وقد قضينا وقتاً في البحث عن ذلك لأنه لم يكن هدف هذا العمل مجرد جمع المعلومات ونقل النصوص الخاصة بابن تيمية في الرد على النصارى وإدراجها ضمن مباحثها، بل إن الهدف الأساسي لذلك يرمي لتحليل مضامين النصوص والكشف عن مواقف ابن تيمية ووسائله الموظفة في الرد، لمعرفة أسس منهجه وهل يصلح أن يكون نموذجاً للتطبيق في دراسة الأديان والرد عليها؟. فكان من أهم المصادر التي انتخبناها لهذا المجال والتي أثبتناها في قائمة المصادر والمراجع دراستين وهما:

(1) - BOUAMAMA Ali: La littérature polémique musulmane contre le christianisme depuis ses origines au XIIIe Siècle, (Alger : entreprise nationale du livre, 1984) p. 118-120 et p. 179-180 .  
 Masson, D. Monothéisme coranique et Monothéisme biblique, (préface de Jean Gros Jean et Dasclée de B:ouwer, 2ème éd. 1976) p. 106.

وانظر: أشرف يحي عبد الحميد : منهج ابن تيمية في الرد على النصارى يتسم بالسمو والاستقلالية والبعد عن التقليد (جريدة العند الإسلامي ليوم 1 مارس 1998) ص 12 الدراسات التالية: دراسة دي ماتيو المستشرق الإيطالي والتي عرضها كمقدمة لدراسه الإيطالية لكتاب الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح.

دراسة قدمت بعنوان : قضية الألوهية عند ابن تيمية وموقفه من تثليث النصارى وهذه الدراسة: تدرج موضوع النصرانية ضمن مبحث الألوهية كجزء بسيط لم يتناول إلا أحد مسائلها العامة دون تحليل لمنهج ابن تيمية:

دراسة بعنوان : ابن تيمية ونقده للنصرانية، وقد اتسمت بنقل ردود ابن تيمية وقد خلى البحث من أي تحليل لمنهج ابن تيمية والاكتفاء بالقول أنه منهج يعتمد على الكتاب والسنة.

(2) أنظر مثلاً : - الشرفي عبد المجيد : الفكر الإسلامي في الرد على النصارى (الدار التونسية للنشر 1986)

■ دراسة عبد المجيد الشرفي بعنوان: الفكر الإسلامي في الرد على النصارى (دراسة مقدمة لنيل درجة دكتوراه دولة (كلية الآداب والفلسفة)، وهي مطبوعة وقد اهتم فيها صاحبها بالردود التي عرفت في القرن الرابع الهجري فدرس من بين ذلك رد علي بن ربن الطبري، والجاحظ، والناشئ الأكبر، والقاضي عبد الجبار وغيرهم، أما ابن تيمية فقد أشار إليه دون الإهتمام بدراسته كونه جاء بعد القرن الرابع الهجري، فكان ذلك من بين الأسباب التي وجهت اهتمامنا بهذا الموضوع.

■ دراسة عبد الحكيم فرحات بعنوان منهج القاضي عبد الجبار في الرد على النصارى (دراسة مقدمة لنيل درجة الماجستير، معهد أصول الدين، شعبة مقارنة الأديان).

و حفاظا على الأمانة العلمية فقد استفدنا من هذين الدراستين استفادة كبيرة، خاصة في منهج الدراسة وطريقة عرض النصوص و تحليلها، كما استفدنا في ثبوت مواضيع فصول الرسالة ومباحثها وقد أنتج ذلك تشابها في شكل الرسالة مع الدراستين اللتين أشرنا إليهما، ونحصر بالذكر الفصل الذي عنوانه بالإطار العام لمنهج ابن تيمية في الرد على النصارى، فقد استعنا بدراسة القاضي عبد الجبار في فصلها الثاني الخاص بأسس منهج عبد الجبار في الرد على النصارى، إضافة لبعض الاقتباسات التي سيجدها القارئ مثبتة بهامش الرسالة، ولاشك أن الدارس سيجد تشابها في شكل الرسالة مع الدراستين اللتين أشرنا إليهما، وذلك راجع لأسباب هي:

■ اشترك هذه الدراسة مع الرسالتين في نفس الموضوع وهو الرد على النصارى، وهذا يبرر تطرقنا للأغراض الخاصة بالنصرانية وهي جملة: مصادر النصارى، عقيدة النصارى (التثليث، التجسد، الصلب، الفداء).

■ أننا اعتمدنا نفس المنهج في عرض النصوص وتحليلها للكشف عن منهج ابن تيمية في الرد على النصارى، وهو المنهج الأمثل في هذا الميدان والذي اخترناه من بين مجموع الدراسات الأخرى.

■ أن الردود تشترك في كثير من الأغراض، كما تتفق في أسسها وأهدافها ونتائجها باعتبار أن العنق حلقة متصلة يستفيد فيها اللاحق من السابق، وقد أكد ذلك الدكتور الشرفي في كتابه الفكر الإسلامي في الرد على النصارى، وهي النتيجة التي توصل إليها بعد مقارنته لعدد من هذه الدراسات<sup>(1)</sup>.

إلا أن الاختلاف يبقى قائما باعتبار تناولنا لشخصية ابن تيمية، فمنهجه يختلف عن سواه، كما أن النصوص المثبتة خاصة بابن تيمية لا بغيره، وهي مأخوذة من كتابه الجواب الصحيح فكانت الأحكام والنتائج التي توصلنا إليها مبنية على أقواله، هذا بالإضافة للاختلاف بين الدراستين، ونلمس ذلك بتصفحنا لجزئيات الرسالة، ولنقارن مثلا بين المبحثين الخاصين بالمنطقات الأساسية لرسالة القاضي عبد الجبار (وهي: التوحيد، العدل، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) والمنطقات المشتركة للدراسة الخاصة بابن تيمية، فالأول وضع كمنطلق أساسي لعملية الردود وهو يمثل

(1) عبد المجيد الشرفي: الفكر الإسلامي في الرد على النصارى، ص 101.

الأصول الخمسة للمعتزلة، والثاني وظف للدلالة على الإشتراك بين الطرفين: الإسلامي والمسيحي، بنذا أن هذا الإتفاق لا يعدو أن يكون شكلا في المصطلحات فقط، إذ المقارنة تؤكد على بعد نظرة الطرفين لهذه الأسس التي يبني عليها أصل الدين، وهي (التوحيد والوحي والنبوة)، هذا على سبيل المثال لا الحصر، وسيجد الدارس الفارق بين الدراستين عند تفحص جزئيات هذا البحث.

## 6- أهداف الدراسة :

كان اختيار هذا الموضوع يرمي لتحقيق عدد من الأهداف أهمها:

1. استجلاء مدى نجاح الرد في إبطال عقائد النصارى، والكشف عن طرق الإستدلال في الجدل الديني وإبراز الأغراض الضمنية والأبعاد المنهجية التي تميز بها هذا الفن.
2. بيان جهود الفكر الإسلامي في الحفاظ على دين الإسلام والدفاع عنه ، وذلك من خلال تحليلنا للمنهج التيمي في الرد على النصارى.
3. وضع نسق فكري متطور في مناهجه وأدواته التحليلية يصلح أن يكون نموذجا للتطبيق في الدراسات الخاصة بالأديان، بحيث يكون حافظا لفتح آفاق واسعة للاهتمام بعلم الجدل الديني، خاصة والعالم الإسلامي يشهد حملات مسعورة من طرف حركات التصير.
4. الكشف عن البعد الفكري للتأثير المسيحي على عقائد المسلمين من خلال مناقشة ابن تيمية لفكرة الطول والاتحاد.
5. نقض دعوى النصارى اشتراكهم مع المسلمين في أسس الدين وبيان الفوارق الموضوعية بين الإسلام والنصرانية.
6. الكشف عن مظاهر التبديل لعقيدة النصارى ومصادرهم من خلال عرض المواقف النقدية لابن تيمية.

## 7- مناهج الدراسة :

تعتمد هذه الدراسة على توظيف عدد من المناهج نذكرها فيما يلي:

1. **المنهج التحليلي:** اعتمدنا فيه على عرض النصوص ثم تحليلها على أساس يكشف عن مواقف ابن تيمية إزاء العقائد النصرانية، وقد غلب هذا المنهج على دراستنا للموضوع سيرا مع تحليل مضمون النصوص.
2. **المنهج التاريخي:** وظفنا هذا المنهج بشكل خاص في جانبين:
  - **الأول:** تتبع الأحداث التاريخية لتطور العقائد النصرانية، وكيف انحرفت عن مسارها السماوي من دين التوحيد إلى دين التثليث.

▪ **الثاني:** تفحص الوثائق النصرانية، إذ ساعدنا هذا المنهج في دراسة مصادر دين النصارى والتمثّل في الكتب المقدسة، وقد أثبتنا من خلال ذلك تعرض النصوص للتبديل والتحريف، وذلك بسّضاع الإنجيل الأصل واختفائه.

3. **المنهج المقارن:** وظفنا هذا المنهج عند إصدار الأحكام على دين النصارى، فالمقارنة تضع المسائل المختلف فيها تحت الدراسة الموضوعية دون تحيز، مما يؤكد صدق النتائج المتوصل إليها، وأن المعالجة الموضوعية لأهم المسائل التي يدور حولها موضوع الدين، ونذكر على وجه الخصوص: التوحيد، الوحي، النبوة تضع الفكر الإسلامي والفكر المسيحي على طرفي نقيض بالرغم من أن كل منهما يؤمن بهذه القضايا ويراهما أساس للدين، بيذا أن هذه المصطلحات لا تعدو أن تكون مجرد اشتراك في الأسماء مع اختلاف كلي في طريقة المعالجة. كما وظفناه لبيان مواقف ابن تيمية الردية وذلك بمقارنتها مع أصحاب الردود بالإحالة إليها، إما لتقرير رأيه أو لبيان اختلافه مع غيره، كما نجد هذا المنهج في جزيئات الرسالة كلما دعت الضرورة لذلك.

## 8- صعوبات البحث:

صادف هذا البحث صعوبات كثيرة، وقد عملنا على تذليلها بكل جهد لغاية إنجاز هذا العمل، ويمكن أن نعدد بعضاً منها في النقاط التالية:

1. أول ما اعترض طريقنا في بداية البحث هو صعوبة العثور على المصدر الأساس الذي تعتمد عليه الدراسة، وهو رد ابن تيمية المسمى بـ "الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح" إذ هو ليس من الكتب المتداولة بكثرة عندنا بحيث يسهل العثور عليها في المكتبات، وقد تطلب ذلك وقتاً طويلاً قضيناه في سبيل الحصول على نسخة من هذا الكتاب.
2. أن موضوع الدراسة كان واسعاً وقد تطلب ذلك الجهد والوقت للإحاطة بأهم جوانبه، كما أن تنوع أغراضه فرض علينا الرجوع إلى كتب في شتى المجالات، نحو كتب مصطلح علم الحديث، واللغة، وعلم الكلام والجدل، والفلسفة والتاريخ، مما وسّع دائرة البحث.
3. صعوبة بعض المصطلحات التي تتصل بفن الجدل الديني، وعلم اللاهوت المسيحي، مما استدعى الرجوع إلى معاجم وكتب خاصة بهذا الفن وقد استغرق ذلك الوقت والجهد.
4. أن رد ابن تيمية وردت أغراضه غير مرتبة، إذ يتناول في المبحث الواحد مسائل عديدة كالتثليث والمسيحولوجيا والشرائع النصرانية، وهذا يضع الباحث أمام صعوبة تصنيف الأفكار وإدراجها ضمن مباحثها الخاصة بها.

5. صعوبة توثيق بعض الجزئيات الخاصة بالبحث والتي ترتبط على وجه الخصوص بالنصرانية، كذكر ابن تيمية لبعض الأشخاص والفرق التي لم نعثر عليها. أضف إلى ذلك الصعوبة الكبيرة التي واجهتنا في توثيق النصوص الكتابية -على كثرتها- إذ أن الترجمة الحديثة تختلف عن النسخة المعتمدة من طرف ابن تيمية.

## 9- مباحث الدراسة:

تتضمن دراستنا لمنهج ابن تيمية: مقدّمة وخمسة فصول وخاتمة، ويمكن الحديث عن ذلك فيما يلي:

### الفصل الأول:

خصناه للحديث عن شخصية ابن تيمية وبيئته الاجتماعية والسياسية والعلمية، والتي كونت فكره واتجاهه، كما تناولنا فيه آثاره ومصادر فكره في دراسته للنصرانية وقد كشف ذلك عن اطلاعه على المصادر الأصلية للنصرانية، سواء كانت كتابات للفكر المسيحي أو نسخ مختلفة للكتاب المقدس، كما حرصنا على بيان مؤلفاته في النصرانية وهي تصب في قالب واحد إذ تناولت كلها أهم المسائل الخاصة بهذا الدين إلا أنها تتفاوت إيجازاً وتفصيلاً فكان "كتاب الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح" هو أضخم عمل أنجزه ابن تيمية في هذا المجال. وقد قسمنا هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث:

-المبحث الأول: عصر ابن تيمية

-المبحث الثاني: حياة ابن تيمية وشخصيته الفكرية.

-المبحث الثالث: آثاره ومصادر فكره في دراسته للنصرانية.

### الفصل الثاني:

يتناول الحديث عن الإطار العام لمنهج ابن تيمية في الرد على النصارى، وقد حاولنا فيه بيان منهج ابن تيمية في جانبه النظري كمجموعة من القواعد والأسس التي تتميز بعدد من الخصائص المنهجية. ويشتمل هذا الفصل على ثلاثة مباحث:

-المبحث الأول: التكامل المعرفي لمنهج ابن تيمية.

-المبحث الثاني: القواعد الأساسية لمنهج ابن تيمية.

-المبحث الثالث: منهج الاستدلال عند ابن تيمية.

- **المبحث الأول:** كشفنا فيه عن قواعد المناهج التي اتبعها ابن تيمية ودارت عليها دراسته للنصرانية، والتي يمكن أن تكون معياراً منهجياً في حقل الجدل الديني مع النصارى خاصة ومع أهل الكتاب والملل المخالفة عامة. ويكمن ذلك في أصول المنهج التيمي في جانبه المعرفي، والذي اعتبره طريقاً لتأسيس اليقين في المعرفة ومقدمة ضرورية لبناء أصول الاعتقاد.

- **المبحث الثاني:** عملنا فيه على التأكيد أن القرآن كان المنطلق الذي فتح للفكر الإسلامي دراساته للنصرانية، وكان أهم ما تناولناه في هذا الموضوع:

- الإسلام دين الرسل وهو الأصل المرجعي الموثق لغيره من الأديان.
- عبودية المسيح.

- النصرانية تحريف لدين المسيح، ويتمثل ذلك في تغيير الأناجيل مصدر عقيدة النصارى. كما عرضنا في هذا المبحث لبعض المسائل المشتركة بين الطرفين الإسلامي والمسيحي وأوضحنا اختلاف النظرتين لأهم الجوانب المتعلقة بالدين، كالتوحيد والوحي والنبوة، على أننا حرصنا على بيان بعض الأغراض التي تعتبر من الإيجابيات المثارة في عملية الرد، كالإعجاز والبشارة بمحمد "ص"، وهي تجسد دور ابن تيمية في مجال الدعوة لدين الإسلام، فكان ذلك من بين الأهداف التي يعمل الرد على تحقيقها.

**المبحث الثالث:** قمنا في هذا المبحث بالكشف عن خصائص منهج ابن تيمية ومجموعة السمات التي ميزت دراسته للنصرانية، وقد كشفنا عن عدة جوانب منهجية تكسب الرد قيمة علمية لا تقل أهمية عن مناهج الدراسة العلمية الحديثة، مما تطلب توظيف عدد من المناهج والعلوم التي أكدت على نتائج الدراسة أهمها: التاريخية، الكلامية، المقارنة، اللغوية. وحتى العلوم الأخرى لم يدخر ابن تيمية جهداً في توظيفها في سبيل التدليل على نتائجه وتحليلاته، فكان علم الطبيعيات كالفيزياء والرياضيات من الأدوات المستعان بها في هذا الجانب. وقد بينا ذلك عند تحليلنا للأغراض الجدلية.

## الفصل الثالث:

درسنا فيه منهج ابن تيمية في الرد على مصادر النصارى، حيث كشفنا فيه عن الملاحظات التاريخية التي كان لها الأثر البالغ في تبديل دين المسيح وتحريفه. وكان من مظاهر التحريف التي عرض لها ابن تيمية تأكيده على تحريف الإنجيل، وذلك من خلال طعنه في توثيق النصوص وتأويلها وترجمتها. وقد ضم هذا الفصل مبحثين:

- **المبحث الأول:** كشفنا فيه عن قواعد المناهج التي اتبعها ابن تيمية ودارت عليها دراسته للنصرانية، والتي يمكن أن تكون معياراً منهجياً في حقل الجدل الديني مع النصارى خاصة ومع أهل الكتاب والملل المخالفة عامة. ويكمن ذلك في أصول المنهج التيمي في جانبه المعرفي، والذي اعتبره طريقاً لتأسيس اليقين في المعرفة ومقدمة ضرورية لبناء أصول الاعتقاد.

- **المبحث الثاني:** عملنا فيه على التأكيد أن القرآن كان المنطلق الذي فتح للفكر الإسلامي دراساته للنصرانية، وكان أهم ما تناولناه في هذا الموضوع:

- الإسلام دين الرسل وهو الأصل المرجعي الموثق لغيره من الأديان.
- عبودية المسيح.

- النصرانية تحريف لدين المسيح، ويتمثل ذلك في تغيير الأناجيل مصدر عقيدة النصارى. كما عرضنا في هذا المبحث لبعض المسائل المشتركة بين الطرفين الإسلامي والمسيحي وأوضحنا اختلاف النظرتين لأهم الجوانب المتعلقة بالدين، كالتوحيد والوحي والنبوة، على أننا حرصنا على بيان بعض الأغراض التي تعتبر من الإيجابيات المثارة في عملية الرد، كالإعجاز والبشارة بمحمد "ص"، وهي تجسد دور ابن تيمية في مجال الدعوة لدين الإسلام، فكان ذلك من بين الأهداف التي يعمل الرد على تحقيقها.

**المبحث الثالث:** قمنا في هذا المبحث بالكشف عن خصائص منهج ابن تيمية ومجموعة السمات التي ميزت دراسته للنصرانية، وقد كشفنا عن عدة جوانب منهجية تكسب الرد قيمة علمية لا تقل أهمية عن مناهج الدراسة العلمية الحديثة، مما تطلب توظيف عدد من المناهج والعلوم التي أكدت على نتائج الدراسة أهمها: التاريخية، الكلامية، المقارنة، اللغوية. وحتى العلوم الأخرى لم يدخر ابن تيمية جهداً في توظيفها في سبيل التدليل على نتائجها وتحليلاته، فكان علم الطبيعيات كالفيزياء والرياضيات من الأدوات المستعان بها في هذا الجانب. وقد بينا ذلك عند تحليلنا للأغراض الجدلية.

## الفصل الثالث:

درسنا فيه منهج ابن تيمية في الرد على مصادر النصارى، حيث كشفنا فيه عن الملابس التاريخية التي كان لها الأثر البالغ في تبديل دين المسيح وتحريفه. وكان من مظاهر التحريف التي عرض لها ابن تيمية تأكيده على تحريف الإنجيل، وذلك من خلال طعنه في توثيق النصوص وتأويلها وترجمتها. وقد ضم هذا الفصل مبحثين:

## الفصل الأول

الإمام ابن تيمية ، شخصيته

ومصادر فكره.



تعتبر دراسة تراجم العلماء، من المباحث التي جرت عادة الباحثين التعرض لها ، لذا خصص هذا الفصل لمعرفة حياة ابن تيمية وشخصيته الفكرية ، وقبل ذلك وجب الحديث عن العصر الذي عاش فيه، وذلك لأهمية البيئة في تكوين شخصيته الفذة ، وقد قسمنا هذا الفصل إلى المباحث الآتية :

المبحث الأول: عصر ابن تيمية.

المبحث الثاني: حياة ابن تيمية وشخصيته العلمية.

المبحث الثالث: آثاره ومصادره في دراسته للنصرانية.

## المبحث الأول: عصر ابن تيمية.

نشأ ابن تيمية في عصر يوسم بالقساوة وغلظ المعيشة ، ولعل هذه الأسباب هي من كونت فيه قوة شخصيته وإقدامه على المهام الصعاب، فكان يصدع بكلمة الحق دون خشية أحد بالرغم من تسبب ذلك في سجنه مرات عديدة، إلا أن عزيمته لم تفتقر يوماً.

وأهم ما ميز الفترة التي عاش فيها ابن تيمية (ما بين عامي 661هـ - 778هـ) الاضطراب الاجتماعي والاختلاف السياسي بسبب صراع الأيوبيين والعباسيين على الحكم، وقد انتهى هذا الصراع بانقسام الدولة الإسلامية إلى دويلات صغيرة، كالفاطمية بمصر، والحمدانية بالجزيرة، والسامانية فيما وراء النهر، والبويهية، والخوارزمية، والسلجوقية، فضلاً عن الدول التي ظهرت بالمغرب. وكان لذلك أثره القوي في مركز الخلافة وضعف نفوذ الخلفاء ، فانعكس ذلك سلباً على شتى نواحي الحياة الإجتماعية والفكرية، ونرى ذلك فيما يلي :

## المطلب الأول: الحياة السياسية.

كانت الحروب والمناوشات السياسية، الطابع العام الذي ميز الحياة السياسية للعالم الإسلامي في القرون الأولى حتى القرن السابع- عصر ابن تيمية- في كل من الشام ومصر، فالفتوحات الإسلامية التي مكنت لدين الإسلام ألبت على العالم الإسلامي أعداءه خاصة النصارى، وأهم الأحداث التي كان لها أبلغ الأثر في هذه الفترة التي عاش فيها ابن تيمية حدثان<sup>(1)</sup> نذكرهما فيما يلي:

### ■ الغزو الصليبي:

## أولاً: الصليبيون [490- 690 هـ].

أقضت الجيوش الإسلامية- في صدر الإسلام- وفي العصرين الأموي والعباسي مضاجع حكام

(1) محمد يوسف موسى: ابن تيمية، ص : 24-16.

الرومان، وذلك عندما تولى المسلمون زعامة الشرق ورأت الدولة البيزنطية ذلك خطرا يهدد وجودها. خاصة عندما استولى المسلمون على الأندلس وحاصروا عاصمتهم "القسطنطينية" وتوغلت جيوشهم الجرارة داخل أوروبا. وخشيت الدولة البيزنطية أن تقع القسطنطينية في أيديهم ، فاستجدت باللاتين من دولة روما وفرنسا وسائر ربوع أوروبا، ووجد أولئك اللاتين فرصة سانحة لاحتلالهم، وذلك رغبة في ضم الكنيسة التي تمردت عليهم وهي كنيسة "القسطنطينية" إلى كنيستهم، وجعل بيت المقدس تحت سلطانهم لأنه مهد المسيحية الأولى، وفيه ناسوت المسيح.(1)

وبالتالي التقى الدافع السياسي مع الدافع الديني ، لهذا كان للقساوسة ورجال الدين دور في دعوة العامة والخاصة للمساندة في هذه الحرب ، وهذا يبرر نسبة هذه الحروب إلى بطرس الراهب(2)، فكانت بين هؤلاء اللاتين والمسلمين جولات في الأندلس والبحر الأبيض المتوسط ، ويذكر ذلك ابن الأثير مشيرا إلى ابتداء الحرب فيقول : "كانت ابتداء ظهور الفرنج وخروجهم إلى بلاد الإسلام واستيلائهم على بعضها سنة ثمانين وسبعين وأربعمائة، فملكوا مدينة طليطلة وغيرها من بلاد الأندلس، ثم قصدوا سنة أربعة وثمانين وأربعمائة جزيرة "صقلية" وملكوها، وتطرفوا إلى أطراف إفريقية فملكوا منها شيئا وأخذ منهم ، ثم ملكوا غيرها، فلما كانت سنة تسعين وأربعمائة خرجوا إلى بلاد الشام".(3)

كانت غارات الفرنج متوالية على الشام ومصر، فينصرون فيها مرة وينهزمون مرة، وظلت الحرب سجالاتا بين الطرفين نحو قرنين من الزمان أبلى فيهما السلاجقة، ثم الأيوبيون بلاء حسنا، حتى انتهى الأمر بطردهم نهائيا، على يد الملك الأشرف خليل بن المنصور قلاوون(4). سنة 690 هـ.(5)

(1) أبو زهرة محمد : ابن تيمية ، حياته وعصره وآراؤه وفقهه. د. ط (دار الفكر العربي) ص 126 - 127.

(2) هو بطرس الناسك وهو رئيس الحركة الصليبية الأولى ، ولد من عائلة معتبرة في أبرشية إيمان من فرنسا نحو : سنة القرن 11 وتوفي في دير بالقرب من هوي سنة 1115 وبعد أن مارس عدة مهن صار ناسكا ، ونحو سنة 1093 ذهب إلى القدس وقام بتبليغ العالم المسيحي للقيام بحرب لإستفاد القبر المقدس -حسب زعمهم- فكان أول جيش صليبي تحت قيادته. انظر نيسبي بطرس : دائرة المعارف ، د. ط (بيروت : دار المعرفة) مادة بطرس ، ج5، ص 475.

(3) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج 10 ، ص 94.

(4) هو خليل بن منصور بن قلاوون ، إستفتح ملكه بالجهاد ، قصد البلاد الشامية وقاتل الفرنج واسترد منهم مدينة "عكا" في معركة إشتراك فيها ابن تيمية وكثير من العلماء والفقهاء ، واستطاعوا إسترداد " صور" و "صيدا" و "بيروت" و "قلعة الروم" وبيسان ، جميع الساحل ، وقد كان السلطان الأشرف شجاعا مهيبا ، قتله بعض المماليك غدرا بمصر سنة 623 هـ . أنظر الكتبي محمد بن شكر : فوات الوفيات ، تحقيق : إحسان عباس ، د. ط ، (بيروت : دار الثقافة) ، ج 1 ، ص 406 . وانظر أبو الفداء الحافظ بن كثير : البداية والنهاية، ط 6 (بيروت : مكتبة المعارف 1406 هـ ) ج 13 ، ص 334 . والزركلي خير السدين : الأعلام . ط (الرياض: مكتبة الطالب) ، ج 2 ، ص 369 .

\* - محمد يوسف موسى: ابن تيمية، ص :24.

(5) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج 13 ، ص 319 والمقريري : السلوك لمعرفة دول الملوك ، ط (القاهرة : مطبعة لجنة ) . والترجمة والنشر (1957م) ، ج 1 ، ص 763.

في هذه الحرب الضروس<sup>(1)</sup> التي التقى فيها المسلمون بالمسيحيين، كان تحت سلطان المسلمين النصارى. وكانت قلوب هؤلاء بلا شك مع إخوانهم إن لم يكونوا عيوناً تتجسس على المسلمين. وكان هذا السبب كافياً لإثارة الظنة بهم ، وموجبا للإحتياط منهم ، فيذكر صاحب الكامل من ذلك ما قام به أمير إنطاكية عند أول لقاء بين الصليبيين والمسلمين حيث أخرج النصارى الموجودين بانطاكية لخوفه منهم وقال لهم: إنطاكية لكم تهبونها لي حتى يكون منا ومن الفرنج . فلما تم النصر أعادهم إليها.<sup>(2)</sup> وهذا يبين لنا العلاقة القائمة بين المسلمين والنصارى ، إذ لم يخل الأمر من شك المسلمين فيهم مما استدعى الإحتياط والحذر منهم، على أن ذلك لم يمنع المسلمين من عقد الذمة لهم . وهذا الوضع يبرر ما أشار إليه ابن تيمية من إلزام أهل الذمة أن تكون لهم شارة يعرفون بها.<sup>(3)</sup> وإذا كان النصارى الشرقيون يشكلون خطرا على الأمة الإسلامية، فهناك من الفرق من شكلت عاملا داخليا أخطر من هؤلاء، ومن ذلك ما كان سنة 523هـ من الإسماعيلية<sup>(4)</sup> الذين استولوا على عدة حصون من الجبال، إذ كان بواد التيم من أعمال بعلبك أصحاب مذاهب مختلفة من النصيرية<sup>(5)</sup> والدرزية<sup>(6)</sup> ومنهم

(1) وقد أشار ابن تيمية لأسباب هذه الحرب والوضع المزري الذي آلت إليه الأمة الإسلامية فقال في رسالة "الفرقان" (فلس ضير النفاق والبذع والفجور المخالف لدين الرسول سلطت عليهم الأعداء ، فخرجت الروم النصارى إلى الشام والجزيرة مرة بعد مرة ، وأخذوا الثغور الشامية شيئا بعد شيء ، إلى أن أخذوا بيت المقدس في أواخر المائة الرابعة ، وبعد هذا بمدة حاصروا دمشق ، فسار أهل الشام بأسوء حال بين الكفار النصارى والمنافقين الملاحدة) ، ابن تيمية ، رسالة الفرقان بين الحق والباطل (ضمن محله من الفتاوى) ، جمع وترتيب : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم (الرباط : مكتبة المعارف ، د ت) ، ج 13 ، ص 178.

(2) انظر عن ذلك بالتفصيل : ابن الأثير الكامل ، ج 10 ، ص 95.

(3) أبو زهرة محمد : ابن تيمية ، ص 130.

(4) نسبة إلى إسماعيل بن جعفر الصادق ، وهي فرقة من فرق الشيعة ظهرت بعد موت الإمام جعفر الصادق ، وهي تقوم على فكرة الإمامة بالنص وقد كانت تلتف حول إسماعيل أكبر أولاد جعفر الصادق الذي أحبه أبوه حبا شديدا وقد أعده للإمامة . حسن على ذلك ولكنه مات في حياة أبيه فانتقلت الإمامة إلى غيره ، ولكن أتباعه لم يصدقوا بموته وجعلوه مهديا منتظرا ، نظر : الشهرستاني أبي الفتح محمد بن عبد الكريم ، الملل والنحل ، ط2 (بيروت : دار الكتب العلمية ، 1413 هـ - 1992 م) ، ج 1 ، ص 192 ، والبغدادي عبد القاهر بن طاهر ، الفرق بين الفرق ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، د. طبعة ، (بيروت : المكتبة العصرية ، 1411 هـ - 1990 م) ، ص 62.

(5) النصيرية : فرقة من غلاة الشيعة ، أحدثها محمد بن نصير النميري ، وهذه الفرقة تذهب إلى أن الله حل في علي ، وقد اتفق النميري أن الله حل فيه ، وادعى النبوة ، ثم ادعى الربوبية انظر : الشهرستاني أبي الفتح محمد بن عبد الكريم : الملل والنحل ، ج 1 ، ص 192.

(6) الدرزي : فرقة إسماعيلية اتسمت بطابع الباطنية ، حيث أخفوا عقيدتهم كغيرهم من الفرق الإسلامية ، وقد اختلف المؤرخون في لفظه درزي ، ذلك أن هناك شخصين ارتبط كل منهما بالدروز سلبا وإيجابا، فهناك محمد بن إسماعيل الدرزي ، وهو أحد أتباعه لتأليه الحاكم بأمر الله الخليفة الفاطمي ، وكانت له ميول يهودية مجوسية ، وهناك آخر اسمه أبو منصور أنوشكين الدرزي . من أحد قواد الحاكم بأمر الله ، ويقال إن الطائفة تنتسب إلى هذا الأخير دون الأول ، انظر : الشكعة مصطفى : إسلام بلا مذاهب . دة (القاهرة : الدار المصرية اللبنانية ، 1411 هـ - 1991 م) ، ص 259-260.

بعض المجوس<sup>(1)</sup> وغيرهم ، وقد آلت الرياسة فيهم إلى رجل اسمه المزدقان ، وقد قام بمراسلة الفرنج واتفق معهم على تسليم مدينة دمشق مقابل تسلمه مدينة صور ، وبلغ الخبر تاج الملوك صاحب دمشق ، فاستدعاه وعندما حضر قتله ونادى بقتل الباطنية<sup>(2)</sup> . ولما سمع الفرنج بمصير صديقهم هاجموا المدينة مجتمعين لكنهم باءوا بالفشل وألحق بهم المسلمون هزيمة نكراء<sup>(3)</sup> . وهذا يبين موالاته هؤلاء الغلاة للأعداء ، إلى أن قضى عليهم تحت قيادة ابن تيمية عقب إجلاء التتار عن دمشق ، فأزال سلطانهم من تلك الجبال وأخضعهم ، وجمع منهم الزكاة ، وفرض عليهم الأحكام السلطانية .

من أجل ذلك كان عدم الإستقرار في مصر والشام هو طابع ذلك العصر بسبب هؤلاء الصليبيين الذين انضم إليهم التتار ، وقد ظهروا على الميدان في النصف الثاني من القرن السابع الهجري ، وكان لشيخ الإسلام وأمثاله من العلماء دور في شحن عزائم المسلمين للجهاد . توطدت أقدام الصليبيين بالشام لمدة طويلة استولوا فيها على أكثر حصونها وقلاعها ومدنها ، وملكوا بيت المقدس وقتلوا بالمسجد الأقصى ما يزيد على سبعين ألفاً ، منهم كثير من أئمة المسلمين وعلمائهم وزهادهم وعبادهم ، وذلك فضلاً عما سبوه من الحرير والأولاد<sup>(4)</sup> . وتناولت أيديهم للأراضي المقدسة فعبثوا بمقدسات المسلمين حتى أحوالوا المسجد الأقصى أولى القبلتين كنيسة ، وتمكن بعدها النصارى صلاح الدين الأيوبي<sup>(5)</sup> من تحرير الأراضي . ونشير إلى أن الفرقة قد دبت بين ملوك بني أيوب بعد وفاة أبيهم السلطان صلاح الدين حتى صاروا أحزاباً وفرقاً ، فقويت نفوس الفرنج بكثرتهم فطلبوا من المسلمين

(1) المجوس هم عبدة النيران وهم الذين يثبتون أصلين النور والظلمة ولهم في ذلك تفصيل ، ومذهب ومسائل المجوس خبيث ، على قاعدتين ، إحداهما بيان سبب امتزاج النور بالظلمة ، والثانية سبب خلاص النور من الظلمة وجعلوا الإمتزاج مبدأ والحلاص معاذ ، انظر : الشهرستاني : الملل والنحل ، ج 2 ، ص 257

(2) الباطنية: لزمهم هذا اللقب لحكمهم بأن لكل ظاهر باطن، ولكل تنزيل تأويل ، ولهم أقاب كثيرة تختلف باختلاف ألسنة القائلين . فيسمون بالباطنية والقرامطة والمزدكية وغيرها ، وقد خلطوا كلامهم ببعض كلام الفلاسفة والملاحدة والمجوس واليهود ، وذهب في التوحيد إلى القول بالهين قديمين العقل والنفس ، والباري لا يوصف بموجب ولا بمعدوم ولا هو بمعلوم ولا بمجهول إلى حيز الصفات ، انظر الشهرستاني: الملل والنحل، ج 1، ص 201 وانظر كذلك البغدادي عبد القاهر: الفرق بين الفرق، ص 281 وما بعدها .

(3) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 10 ، ص 224 . المقرئ تقي الدين ابن العباس: السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق : محمد مصطفى زياد ، ط 2 (بيروت: المكتب الإسلامي 1405-1984) ، والزركلي خير الدين: الأعلام ، ط 2 (الرياض: مكتبة الطالب) .

(4) المصدر نفسه ، ج 10 ، ص 98 .

(5) هو أبو المظفر يوسف بن أيوب بن شاذي، الملقب بالملك الناصر صلاح الدين الأيوبي الكردي، ولد سنة 532 هـ ، احترق من الغزو وكسر الفرنج مرات، شديد الهيبة محبا للأمة، جم المناقب، ولي السلطة عشرين عاماً، وتوفي بقلعة دمشق في 1193 هـ . أنظر ابن خلكان: وفيات الأعيان ، ج 7 ، ص 139 . وانظر ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ، د . طبعة (بيروت: دار صادر الجديدة) ، ج 4 . ص 298 وابن خلكان: وفيات الأعيان، د . طبعة (بيروت : دار صادر) ، ج 7 ، ص 139 .

أن يردوا إليهم ما كان صلاح الدين حرره من أيديهم، وتم الصلح على أن يرد إليهم بيت المقدس وحده فتسلموه وكان هذا سنة 626، ثم استرده المسلمون منهم بحمد الله سنة 636<sup>(1)</sup>.  
فالأحداث التاريخية تشير إلى تأزم الوضع في هذا العصر وهي إشارة للحروب الصليبية التي قارب عصرها عصر ابن تيمية ورأى آثارها وعابن الخراب الذي تركته.

## ثانيا - ظهور التتار :

إذا كان العالم الإسلامي قد مني بتلك الحملات الصليبية -على بلاد الشام- في أواخر القرن الخامس الهجري (490 هـ) ، فإن هذه الحروب لم تكد تنتهي وتلتئم جروح المسلمين منها حتى فجع العالم الإسلامي بمصيبة أخرى أشد وأعظم من سابقتها. فقد اكتسح التتار أراضي المسلمين من الشرق، فدخلوا إليها وهم يقتلون ويأسرون ويحرقون ويدمرون بطريقة همجية لم يشهد لها التاريخ مثيلا، فينقل ابن الأثير الإعتداءات التي مورست من طرف التتار خلال القرن السابع فيقول: " لقد بقيت عدة سنين معرضا عن ذكر هذه الحادثة استعظاما لها، كارها لذكرها ، فأنا أقدم إليه رجلا ، وأؤخر أخرى ، فمن الذي يسهل عليه أن يكتب نعي الإسلام والمسلمين.... لعل الخلق لا يرون مثل هذه الحادثة إلى أن ينقرض العالم ...، وهؤلاء لم يبقوا على أحد ، بل قتلوا النساء والرجال والأطفال ، وشقوا حناجر الحوامل وقتلوا الأجنة . فإننا لله وإنا إليه راجعون ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم لهذه الحادثة التي استطار شررها وعمّ ضررها ، وسارت في البلاد كالسحاب استدبرته الريح"<sup>(2)</sup> ويذكر ابن الأثير عن ديانتهم وبعض عاداتهم وتقاليدهم أنهم قوم يسجدون للشمس عند طلوعها، ولا يحرمون شيئا.<sup>(3)</sup>  
وكان أول مقصدهم بلاد "تركستان" ثم خرجوا إلى بلاد ما وراء النهر حتى وصلوا إلى العراق وكان كل ذلك في سنة واحدة<sup>(4)</sup>. ولم يزل خطر هؤلاء التتار يزداد يوما بعد يوم ، وخطرهم يستحل على البلاد الإسلامية وتسقط في أيديهم المدن الواحدة تلو الأخرى ، حتى استولوا على عاصمة

(1) هو أبو المظفر يوسف بن أيوب بن شاذي ، الملقب بالملك الناصر صلاح الدين الأيوبي الكردي ، ولد سنة 532 هـ . انظر من الغزو وكسر الفرنج مرات، شديد الهيبة محبا للأمة ، جم المناقب، ولي السلطة عشرين عاما، وتوفي بقلعة دمشق في 589 هـ .  
أنظر ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج 7 ، ص 139. وانظر ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ، د. طبعة (بيروت : دار الإفك الجديدة)، ج 4 ، ص 298 وابن خلكان : وفيات الأعيان ، د. طبعة (بيروت : دار صادر) ، ج 7 ، ص 139.  
(2) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج 12 ، ص 26-27 ، وانظر كذلك ابن كثير : البداية والنهاية ج 13 ، ص 123.  
(3) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج 12 ، ص 137-138 وانظر كذلك عن هذه الحادثة ابن كثير : البداية والنهاية ج 13 ، ص 86 وما بعدها .

(4) المصدر نفسه ، ج 12 ، ص 138. محمد يوسف موسى: ابن تيمية، ص 17.

(5) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج 1 ، ص 138.

الخلافة "بغداد" سنة 656 هـ، وقتلوا الخليفة المستعصم<sup>(1)</sup>. وقد كان للنزاع الداخلي سببا في سقوطها ودخول التتار إليها بمعاونة العقمي<sup>(2)</sup> وزير المستعصم، فقد عمل على إضعاف الجند ثم أطلع التتار وكشف لهم الحال، ولما دخل التتار حسن للخليفة المستعصم مصالحتهم فلما ذهب للتفاوض مع هولاء قتلته بتدبير من العقمي وبذلك سقطت مدينة الخلافة في يد التتار بمعاونة الشيعة<sup>(3)</sup> فكان لهذا الحدث السياسي أبلغ الأثر في تاريخ الدولة الإسلامية، كما ترك أثرا بالغة على الحياة الاجتماعية، وهذا ابن كثير يصف حالة بغداد بعد سقوطها في يد التتار فيقول: "تقيت بغداد خاوية على عروشها... والقنلى في الطرقات كأنها التلول، وقد سقط عليهم المطر فتغيرت صورهم وأنتنت من جيفهم البلد، وتغير الهواء فحصل بسببه الوباء الشديد، حتى تعدى شرقا في الهواء إلى بلاد الشام، فمات خلق كثير... فإنا لله وإنا إليه راجعون<sup>(4)</sup>". لم يتوقف الأمر عند هذا الحال بل إن التتار اجتأحوا أراضي الشام، فعبرت جيوشه الفرات واستحذوا على حلب ثم دمشق ووصلوا إلى غزة في طريقهم إلى مصر، كان ذلك بتيسير من ملك العراق وخرسان حين ساروا إلى بلاد الشرق إلى "هولاءكو"<sup>(5)</sup> للصلح وذلك سنة 658<sup>(6)</sup>.

هذه الأحداث السياسية المحترمة لم يكن النصارى بمعزل عنها، بل إن التاريخ يؤكد على خيانتهم للمسلمين رغم أنهم كانوا ينعمون بالأمان تحت لوائهم، إذ نصبوا أنفسهم عملاء للتتار وسهلوا عملية دخولهم إلى البلاد الإسلامية لذلك قربهم "هولاءكو" وأصدر لهم "قرمان" يقر لهم فيه بالأمان.<sup>(7)</sup> قال ابن كثير: "دخلوا من باب توما، ومعهم صليب منصوب يحملونه على رؤوس الناس، وهم يسألون بشعارهم،

(1) هو أمير المؤمنين المستعصم بالله، وهو آخر خلفاء بني العباس ببغداد، كان فيه لين وعدم تيقظ، قليل المعرفة بتدبير من حوله، الحكم، قتله التتار بأمر من هولاءكو سنة 656 هـ، انظر ابن كثير البداية والنهاية، ج13، ص160، وانظر الأتابكي: شخصه الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق: إبراهيم علي طرخان، د. طبعة (دار الكتب المصرية) ج7، ص63-64.

(2) مؤيد الدين محمد بن أحمد بن العقمي، كان وزيرا للمستعصم وكان رافضيا خبيث، مالا التتار ليقيم دولة رافضية في بغداد. فلم يتحقق له ما أراد، ولقي خزيا وإهانة من التتار فهلك في نفس العام 656 هـ، انظر ابن كثير: البداية والنهاية ج13، ص212، وانظر ابن العماد: شذرات الذهب، ج5، ص272.

(3) الشيعة هم الذين شايعوا عليا-رضي الله عنه- وهم يثبتون عصمة الأئمة وهم خمس فرق: كيسانية، وزيدية وإمامية، غلاة، وإسماعيلية، وبعضهم يميل في الأصول إلى الاعتزال وبعضهم إلى السنة، وبعضهم إلى التشبيهي. انظر الشهرستاني: الملل والنحل، ج1، ص144-145، والشكعة مصطفى: إسلام بلا مذاهب، ص171.

(4) ابن كثير: البداية والنهاية، ج13، ص203.

(5) (6) هو ابن جنكيز خان، قائد التتار، تم على يده احتلال الإسماعيلية وأذربيجان والروم والعراق والجزيرة، والشام... كان ذا سطوة ومهابة، ت664 هـ، انظر ابن العماد: شذرات الذهب، ج5، ص316.

(6) عن هذه الأحداث أنظر محمد يوسف موسى: ابن تيمية، ص18-19.

(7) كان لهولاءكو زوجة مسيحية، وكان لها دور في الصلات بين التتار والنصارى، وقد اشترك عدد كبير من النصارى في السيطرة على جيش هولاءكو حين هاجم بغداد، ولم يكونوا أقل قسوة ووحشية من التتار أنفسهم.

ويقولون : ظهر الدين الصحيح ، دين المسيح ، ويذمون دين الإسلام وأهله ، ومعهم أكواب فيينا خمر لا يمرون على باب مسجد إلا رشوا عنده خمرًا ، وقماقم ملانة خمرًا يرشون منها على رؤوس الناس وثيابهم ، ويأمرون لكل من يجتازون به في الأزقة والأسواق أن يقوم لصليبهم... فتكاثر عليهم المسلمون فردوهم إلى سوق كنيسة مريم ، فوقف خطيبهم فمدح دين النصارى وذم دين الإسلام وأهله ، فإننا لله وإنا إليه راجعون".<sup>(1)</sup>

لم تتوقف مطاعم التتار باستلائهم الشام، بل تناولوا على مصر وأرسل قائدهم "هولاكو" كتابًا إلى الملك المظفر "قطز"<sup>(2)</sup> يهدده فيه ويؤكد على دخولهم لمصر، فأعد الملك المظفر عدته وبادرهم بالهجوم، فانتهى به إلى الشام حيث التقى الجمعان على "عين جالوت" وكان قتال شديد انتهى بنصر الإسلام، حيث ألحق المسلمون بجيوش التتار خسارة فادحة على يد الملك بيبرس<sup>(3)</sup> الذي خلف الملك المظفر، وبذلك احتضنت مصر الخلافة.<sup>(4)</sup>

هذه جملة من حوادث التتار التي وقعت قبل ميلاد ابن تيمية ، وواقعة "عين جالوت" كانت قبل ميلاده بنحو ثلاث سنين ، أي في أواخر رمضان سنة 658 ، وميلاده كان في ربيع الأول سنة 661 هـ، ولما حاصر التتار دمشق ، خرج شيخ الإسلام في جماعة من أعيانها لمقابلة قائد التتار "غازان"<sup>(5)</sup> لكي يأخذوا منه الأمان لأهلها ، وقد تولى الكلام معه ابن تيمية في ذلك فأغلظ له في القول ، حتى أيقن من كان معه من القضاة والفقهاء بأنه مقتول لا محالة.<sup>(6)</sup>

وفي سنة سبعمئة من الهجرة طلب إليه نائب دمشق وأمرؤها أن يركب على البريد إلى مسصر ليستحث السلطان "الناصر" على الخروج لقتال التتار، فكلمه ابن تيمية في ذلك كلامًا قويًا ، وما زال به حتى أمر بتجريد العساكر إلى الشام.<sup>(7)</sup> وقد خاض ابن تيمية بعض الغزوات ، وباشر القتال بنفسه.

- 
- (1) ابن كثير : البداية والنهاية ج13 ، ص219 ، و انظر الأتابكي : النجوم الزاهرة ج7 ، ص76 .  
(2) هو الملك المظفر سيف الدين قطز بن عبد الله المعزي ، يقال : أنه بن أخت خوارزم شاه ، جلال الدين آخر ملوك الهندسة الخوارزمية الذين قاوموا التتار في المشرق ، قتل الملك المظفر بعد واقعة عين جالوت في 16 ذو القعدة سنة 658 هـ . أنظر الذهبي شمس الدين بن عثمان : سير أعلام النبلاء ، ط 1 (بيروت : مؤسسة الرسالة 1405 هـ - 1985 م) ج23 ، ص200 ، والأتابكي : النجوم الزاهرة ، ج7 ، ص72 .  
(3) هو الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري ، صاحب الديار المصرية ، والشامية ، والحلبية ، وغير ذلك ، توفي سنة 676 هـ ، انظر ابن كثير : البداية والنهاية ج13 ، ص289 ، وابن العماد : شذرات الذهب ج5 ، ص349 - 350 .  
(4) أنظر عن هذه الواقعة الفاصلة ابن كثير : البداية والنهاية ج13 ، ص220 وما بعدها والمقريزي : السلوك ، ج1 قس 2 ص427 وما بعدها ، والأتابكي : النجوم الزاهرة ج7 ، ص78-79 .  
محمد يوسف موسى : ابن تيمية ، ص20 .  
(5) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج14 ، ص8 .  
(6) المصدر نفسه ج14 ، ص15 .  
(7) انظر عن هذه الواقعة بالتفصيل ، ابن كثير : البداية والنهاية ، ج14 ، ص23-27 .

وكان يقوي من معه من المسلمين بتشجيعهم وتبشيرهم بالنصر، ومن هذه الغزوات التي خاضها  
وقعة "شقحب" (1).

وهكذا نجد أن حياة المسلمين السياسية في ذلك العصر كانت مليئة بالشدائد الجسام ، تركت على  
إثرها هزائم وخيانات لا تحى من ذاكرة الأمة الإسلامية ، وما ذلك إلا بسبب الفرقة والبعد عن تعاليم  
الإسلام ، فأصبحت الفرصة سانحة للدعوة لإحياء دين الله ، فكان لابن تيمية في ذلك دور كبير .

## المطلب الثاني: الحياة الاجتماعية.

أهم ما ميز البيئة الاجتماعية التي نشأ فيها ابن تيمية هو اختلاط المجتمع وتباين أجناسه، وقد كان  
للحروب الصليبية أبلغ الأثر لالتقاء الشرق بالغرب، فامتزجت حضارات وديانات و عادات وأفكار  
أفرزت اختلافات كبيرة نقضت على هذا المجتمع وحدته الاجتماعية وأهدافه المشتركة ، فكان مضطرب  
العادات والمنازع ، ليس فيه قرار ولا سكون (2).

وهذا الوضع أفرز في المجتمع الذي عاش فيه ابن تيمية نظاما طبقيا متمائزا في النفوذ والسلطان،  
فقد كان للأسرى من الفرنجة والترك والتتار شأن في بعض النظم الاجتماعية ، إذ منهم تكوّن جيش  
المماليك في عصر الأيوبيين ثم آل إليهم الحكم فكان فيهم الوزراء والأمراء والقواد ، وفي هذا الشأن  
يصور المقرئزي في تاريخه أثر التتار على وجه الخصوص في كل من مصر والشام فيقول : قلما  
كثرت وقائع التتار في بلاد المشرق والشمال وبلاد "القبجاق" ، وأسروا كثيرا منهم وباعوهم ، وتقلوا  
في الأقطار، واشترى الملك الصالح نجم الدين بن أيوب (3) جماعة منهم سماهم "البحرية" ومنهم من سلك  
ديار مصر وأولهم المعز بن أيوب، ثم كانت لقطز معهم الموقعة المشهورة على عين جالوت ، وهزم  
التتار وأسروا منهم خلقا كثيرا ساروا بمصر والشام .

ثم كثرت الوافدية في أيام الملك الظاهر بيبرس وملئوا مصر والشام، فانتشرت عاداتهم وطرائقهم،  
وكانوا إنما ربّوا بدار الإسلام ، ولقّنوا القرآن وأحكام الملة المحمدية ، فجمعوا بين الحقّ والباطل .

(1) غازان (أو قازان) هو صاحب الشرق القان محمود غازان بن القان أرغون بن ابغا بن هولكو المغولي بن تولي خن -  
جنكزخان ، تولى الحكم سنة 693 هـ ، واسلم في سنة 694 ، فكان ذلك سببا في إسلام العديد من ممالك التتار ، توفي سنة  
703 هـ ، انظر ابن كثير : البداية والنهاية ، ج 14 ، ص 29 ، وانظر الأتابكي : النجوم الزاهرة ، ج 8 ، ص 212-213 و ابن  
العماد : شذرات الذهب ، ج 6 ، ص 9 .

(2) أبو زهرة : ابن تيمية ، حياته وعصره ، آراؤه وفقهه ، ص 148 و محمد يوسف موسى: ابن تيمية، ص 29-30.

(3) نجم الدين بن أيوب : هو أيوب بن محمد بن أبي بكر بن أيوب ، أبو الفتوح نجم الدين ، من كبار الملوك الأيوبيين لمصر . ولد  
بالقاهرة سنة 603 هـ - ولي بعد خلع أخيه (العادل) سنة 637 هـ ، وضبط الدولة بحزم ، وكان شجاعا مهيبا ، مات بمصر  
ناحية المنصورة سنة 647 هـ ، ونقل إلى القاهرة ، من آثاره قلعة الروضة بالقاهرة . انظر المقرئزي تقي الدين : الخطط ، ص 2  
القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية ، 1987 ، ج 2 ، ص 236، والزركلي : الأعلام ، ج 2 ، ص 382.



وفوضوا إلى قاضي القضاة كل ما يتعلق بالأمور الدينية، وناطوا به أمر الأوقاف والأيام، وجعلوا إليه النظر في الأقضية الشرعية كتداعي الزوجين وأرباب الديون ونحو ذلك، واحتاجوا في ذات أنفسهم إلى الرجوع لعهد جنكزخان<sup>(1)</sup> والإقتداء بحكم "الياسة"<sup>(2)</sup> لذلك نصبوا الحاجب ليقضي بينهم فيما اختلفوا فيه من عواندهم"<sup>(3)</sup>.

وبعد هذا لنا أن نقول أن المجتمع كان يعيش في نظام طبقي ، طبقة هؤلاء الوافدية ومعهم أفراد الممالك وذوو السلطان ، ويليهم في الاعتبار طبقة علماء الدين ، الذين كانت لهم منزلة خاصة ولهم الطاعة في شؤون الدين ، ولا تتعرض سلطتهم للمخالفة إلا عندما يقفون أمام السلطان أو ضرائبه كما فعل الظاهر مع النووي<sup>(4)</sup> ، أما الطبقة الثالثة فتشمل العامة من الناس من تجار بسطاء وصناع وزراع<sup>(5)</sup> وكان المجتمع الذي تربى فيه ابن تيمية كثير الأديان والعقائد ، كثير النحل والمذاهب في الدين الواحد، وكان هذا من بواعث الفتنة والاضطراب ، ومن العوامل التي يسرت للفرنج والنتار دخول البلاد الإسلامية والعيش فيها فترة طويلة من الزمن .

فبلاد المسلمين جمعت أهل البلاد وهم الكثرة الغالبة، وكان بجانبهم أهل الذمة من اليهود والنصارى، وكان المسلمون فرقا مختلفة من ناحية العقائد الدينية وقد نشط ذلك المناقشات الكلامية التي ميّزت تلك الفترة. ولا شك أن النصارى كان لهم دور في التبشير بديانتهم والعالم الإسلامي على ذلك الوضع، خاصة وقد وجدوا من ينصرهم من ملوك التتار، فكان نشاطهم على الصعيد الخارجي وكان يتمثل في شنّ الحروب الصليبية، والذآلي ويتمثل في نشر تعاليم دينهم ، كإصدارهم للرسائل والكتب، ومن يطلع على ما كتبه شيخ الإسلام ابن تيمية في الردّ على النصارى، وبيان تحريفهم وكذبهم يدرك أن تأثير النصارى على المسلمين كان محل خطر يشعر به ذوو الغيرة على هذا الدين.<sup>(6)</sup>

(1) هو ملك التتار ، وسلطانهم الأول الذي خرب البلاد ، وأفنى العباد ، واستولى على الممالك ، توفي سنة 634 هـ . انظر الحافظ الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج22، ص 243- 244

(2) وهو كتاب للحكم الذي صنعه لهم جنكزخان، وينقل ابن كثير عن الجويني قوله أن هذا الكتاب مخالف لما جاءت به كتب السماوية، وأحكامه فيها قسوة وشدّة، وفيها يهدر الدم لجرائم دون القتل فينقل لنا من ذلك نصا من الياسة، انظر في ذلك ابن كثير: البداية والنهاية، ج13 ، ص 118-119.

(3) المقرئزي تقي الدين ابن العباس : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، ج2 ، ص 221.

(4) أنظر عن مواقف النووي مع الظاهر بيبرس السيوطي جلال الدين : حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ، د. ضعة (مصر : مطبعة الموسوعات) ، ص 75 وما بعدها .

(5) أبو زهرة : ابن تيمية ، ص 151 و محمد يوسف موسى: ابن تيمية، ص 29- 30.

(6) نقصد بذلك كتاب "الجواب الصحيح" ويقع في أربع مجلدات ضخام ، وقد صنفه ابن تيمية ردا على رسالة صدرت في قبرص من راهب مسيحي ينصر فيها دين المسيحية وينشر بها تعاليم عقيدتهم.

وكان إلى جانب ذلك الإسماعيلية وغيرهم من الشيعة الروافض<sup>(1)</sup> الذين عرفوا بكيدهم وعدائهم للإسلام خاصة ما كان منهم في الشام ، لهذا أوقع بهم صلاح الدين الأيوبي ، وهاجمهم ولم يرجع عنهم إلا بشفاعة شهاب الدين الحارمي خاله وصاحب حماه.<sup>(2)</sup>

كما كان هناك من طوائف النصيرية<sup>(3)</sup> والدروز والشيعة وأصحاب العقائد الفاسدة ، وكانوا مستقرين بجبل الكسروان ، وفي سنة 704 ذهب إليهم شيخ الإسلام ابن تيمية ومعه نقيب الأشراف زين الدين بن عدنان وألزمهم شرائع الإسلام ، واستتابوا خلقا منهم ، كما ذهب إليهم مرة أخرى للإلزامهم بالطاعة فرفضوا ، فأخذ ابن تيمية ونائب دمشق في الاستعداد لحربهم ، فأبادوا منهم خلقا كثيرا ونصرهم الله نصرا ميينا.<sup>(4)</sup> وقد كان لشيخ الإسلام دورا كبيرا في إخضاعهم ، فقد أفتى بجواز قتالهم وشرح حالهم والحكم عليهم.<sup>(5)</sup>

كما أن المجتمع الإسلامي لم يخل من النزاعات المذهبية ، وأكثرها حدة مدار من نقاش في مسألة كلام الله وقدمه وأزليته بين الحنابلة والأشاعرة.

أما على المستوى العام فقد سرت بين الناس الطرق الصوفية وانتشر بينهم تعظيم القبور والسير لزيارتها ، كما شاع عندها تعظيم بعض الأماكن التي تنسب كذبا إلى نبي أو ولي. ففي دمشق كانت هناك صخرة عند مسجد التاريخ يعظمها الناس ، ويزعمون أن فيها أثر قدم النبي -صلى الله عليه وسلم- كما كان هناك عند الباب الصغير العمود المخلوق يتبرك به الناس ، وقد هدمها ابن تيمية -رحمه الله تعالى.<sup>(6)</sup>

ولم يقتصر التصوف على هذه الأمور ، بل كان تصوفاً يؤول في الغالب إلى الغلو والحلول والابتعاد والوقوع في الشرك بأنواعه ، وهكذا تلتقي كل من النصاري والرافضة والتصوف في هذا الإنحراف

(1) الروافض ، أو الرافضة : صنف من أصناف الشيعة ، وهم عدة فرق وإنما سموا رافضة لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر ، مجمعون على أن النبي -صلى الله عليه وسلم- نص على استخلاف علي بن أبي طالب باسمه ، وأظهر ذلك وأعلنه ، وإن أكثر الصحابة ضلوا بتركهم الإقتداء به بعد وفاة الرسول -صلى الله عليه وسلم- ... إلى غير ذلك من الأباطيل ، أنظر : البغدادي عند القاهرة : الفرق بين الفرق ، ص 21 ، وانظر كذلك المقرئزي : الخطط ، ج 2 ، ص 352.

(2) أنظر : المقرئزي : الخطط ، ج 2 ، ص 351 .

(3) لابن تيمية رحمه الله فتوى مشهورة في النصيرية وحقيقة مذهبهم وخطرهم وتعاونهم مع النصاري والتكابر ، والحكم عليهم وواجب ولاية المسلمين نحوهم ، أنظر ابن تيمية : مجموع الفتاوى ، جمع وترتيب : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ، د. ضبعة ، (المغرب : مكتبة المعارف) ، ج 35 ، ص 145-160 ،

(4) ابن كثير : البداية والنهاية ج 14 ، ص 35.

(5) أنظر نص الفتوى في : مجموع الفتاوى ، ج 28 ، ص 468-501 . وقد اعتبرهم أكثر من اليهود والنصارى وقال : "ليس هذا مختصا بغالية الرافضة ، بل من غلا بأحد من المشايخ ، وقال إنه يرزقه ويسقط عنه الصلاة ... وكل هؤلاء كفار يجب قتلهم بإجماع المسلمين".

(6) أنظر ابن كثير : البداية والنهاية ، ج 14 ، ص 34 ، والمقرئزي : السلوك ، ج 2 ، ص 8-9.

الخطير في أنواع الشرك بالله،<sup>(1)</sup> وقد واجه ابن تيمية هؤلاء وكان له وقفات ومناقشات فضح فيها أصحابها، وبين مداخل الكفر والشرك في عقائدها ، ووضع أصولاً أثبت بها دين الحق. كانت هذه الملامح التي ميّزت مجتمع القرن السابع من العوامل القويّة التي دعت إلى ظهور كثير من صور الإنحلال والفساد وشيوع المنكرات ، فكان هذا من الدواعي التي حفّزت العلماء ومنهم ابن تيمية لمكافحة ذلك كله .

ويذكر المقرئزي أن السلطان الظاهر بيبرس إشتدّ إنكاره للمنكر فمّنع الحانات وعمل على تطهير مملكته<sup>(2)</sup> ، فقام سنة 667 بإصدار مرسوم لإزالة الخمر وإبطال المفاصد وغلق الحانات التي كانت موضع إجتماع أهل الفساد<sup>(3)</sup> ، وتكرر منه هذا الموقف مرات كثيرة أثناء مدة حكمه كما يذكر ذلك المقرئزي. وإلى جانب هذا الإنحلال كانت ظواهر الزندقة وآراء أهل الحلول من سمات هذا العصر، فيذكر من ذلك ابن كثير أنه في سنة 701 قتل الفتح أحمد بن التقي<sup>(4)</sup> بمصر بحكم القاضي زين الدين بن مخلوف المالكي<sup>(5)</sup> وذلك بما ثبت عنه من حطّه للشريعة واستهزائه بالآيات القرآنية ، وتحليله للمحرمات من اللواط والخمر وغير ذلك<sup>(6)</sup>، كما نفذ حكم القتل في ناصر بن أبي الفضل الهيتي<sup>(7)</sup>. وسبب هذه الظواهر الغريبة عن المجتمع الإسلامي يعود أساساً لاختلاط المسلمين بغيرهم من الفرنج والترك من أصحاب أهل الديانات الفاسدة .

### المطلب الثالث: الحياة الفكرية والعلمية:

شهد العصر الذي عاش فيه ابن تيمية نهضة علمية كبيرة، رغم ما أحاط به من أحداث واضطرابات، فكان لتلك النهضة إنتاج فكري ضخم في جميع العلوم الإسلامية أصولها وفروعها إلى جانب سائر العلوم

(1) أنظر ابن تيمية : مجموع الفتاوى ، ج 27 ، ص 167 ، و 460-461.

(2) المقرئزي : السلوك ، ج 2 ، ص 553.

(3) المصدر نفسه ، ص 578.

(4) هو فتح الدين أحمد بن التقي : قتل سنة 701 بعد أن قامت عليه بيعة بالتقويض للقرآن الكريم والرسول -صلى الله عليه وسلم- وتحليل المحرمات والإستهانة بالعقائد، انظر ابن العماد : شذرات الذهب ، ج 6 ، ص 2.

(5) علي بن مخلوف بن ناهض بن مسلم التويري المالكي قاضي القضاة ، ولد سنة 634 هـ وتوفي سنة 708 هـ ، انظر ابن كثير : البداية والنهاية ، ج 14 ، ص 90.

(6) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج 14 ، ص 18 ، وانظر كذلك ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ، ج 6 ، ص 2.

(7) ضربت عنقه لثبوت زندقته على قاضي القضاة شرف الدين المالكي زين الدين عمر وكان ذلك سنة 726 ، انظر ابن العماد : شذرات الذهب ، ج 6 ، ص 74 وزين الدين عمر بن الوردى: تنمة المختصر في أخبار البشر، تحقيق: أحمد رفعت البدر ، ص 1 ، هذا (بيروت: دار المعرفة ، 1970م) ج 2، ص 327.

والفنون. وكان جهد العلماء مقصوراً على تحصيل العلوم والعكوف على تلقنها وحفظها وشرح المؤلفات أو اختصارها دون مقابلة بين صحيح الآراء وسقيمها، مما أضفى على الحياة الفكرية طابع التحيز الفكري والتعصب الذهني ، ففي الفروع الفقهية كان التقليد المذهبي سائداً ومن الصعب الخروج عنه، أو الإجتهد برأي يخالف مذهباً من المذاهب الأربعة، وكان هذا التقليد منشأ لخلاف كبير بين الفقهاء، خاصة بين الشافعية والحنفية بداية من القرن الرابع الهجري، ثم انتقل ذلك إلى الأجيال مدوناً في بطون الكتب، وقد سرى ذلك إلى المعاصرين لابن تيمية فكان ذلك محل جدل شديد بينه وبينهم.<sup>(1)</sup>

وإلى جانب هذا التقليد المذهبي في الفروع جمد رجال الدين على المذهب الأشعري، أتباع الإمام أبي الحسن الأشعري<sup>(2)</sup>، فيذكر المقرئزي كيف نصره بشدة السلطان صلاح الدين الأيوبي وأولاده الملوك من بعده في مصر والشام، ثم في أيام مواليتهم الملوك الأتراك الذين عاش في عهدهم ابن تيمية، فيقول في خطبه: "وحفظ صلاح الدين في صباه عقيدة ألقها له قطب الدين أبو المعالي مسعود بن محمد بن مسعود النيسابوري<sup>(3)</sup>، وصار يحفظها صغار أولاده، فلذلك عقدوا الخناصر وشدوا البنان على مذهب الأشعري ، وحملوا في دولتهم كافة الناس على التزامه، فتمادى الحال على ذلك جميع أيام الملوك من بني أيوب، ثم في أيام مواليتهم الملوك من الأتراك".<sup>(4)</sup>

ونراه في ذكر حقيقة هذا المذهب يلمح إلى تعصب أتباعه فيقول: "فهذه جملة من أصول عقيدته التي عليها الآن جماهير أهل الأمصار الإسلامية والتي من جهر بخلافها أريق دمه".<sup>(5)</sup> وكذلك كان في هذا العصر قوة نفوذ التصوف، وقد كان للغزالي<sup>(6)</sup> أثر كبير في الإشادة به حتى جعله

(1) أبو زهرة : ابن تيمية ، ص 156.

(2) هو أبو الحسن علي بن اسماعيل بن أبي بشر الأشعري اليماني البصري ، إمام المتكلمين ولد سنة 260 هـ ، وقيل سنة 270 هـ ، كان عجب في الذكاء وقوة الفهم ، ولما برع في معرفة الاعتزال كرهه وتبرأ منه وتاب إلى الله تعالى ، فكان معظم ما كتبه رداً على المعتزلة ، من مصنفاته كتاب "الإبانة عن أصول الديانة" وكتاب "مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين" وغيره ، توفي سنة 324 وقيل غير ذلك ، انظر الذهبي شمس الدين بن عثمان : سير أعلام النبلاء ، ج 15 ، ص 85-90 ، وابن العماد : شذرات الذهب ، ج 2 ، ص 303-305 .

(3) هو أبو المعالي مسعود بن محمد بن مسعود بن طاهر النيسابوري الطريشيتي "الفقيه الشافعي ، الملقب قطب الدين" درس الفقه والحديث على علماء نيسبور ومرو وقرأ القرآن والأدب على والده ، ورأى الأستاذ أبا نصر القشري ، ودرس بالمدرسة النظامية ، متواضعاً قليل التصنع ، ولد سنة 505 هـ ، وتوفي سنة 578 هـ بدمشق ، صنف كتاب "الهادي" في الفقه ، انظر ابن حنكس : وفيات الأعيان ، ج 5 ، ص 196-197 .

(4) المقرئزي : الخطط ، ج 2 ، ص 358-359 .

(5) المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 358-359 .

(6) هو محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي ، أبو حامد ، فيلسوف ، متصوف ، ولد سنة 450 هـ ، وكان والد أبي علي الصوف ويبيعه في حانوته ، من مصنفاته : كتاب "جواهر القرآن" و "إحياء علوم الدين" و "معيان العلم" وغيرها كثير ، توفي سنة 505 هـ ، انظر ابن خلكان : وفيات الأعيان ج 4 ، ص 216-219 ، وابن العماد : شذرات الذهب ، ج 4 ، ص 10-13 .

جعله الطريق الصحيح الموصل إلى الله تعالى وذلك في كتابيه إحياء علوم الدين، والمنقذ من الضلال، كما نذكر ما كان في هذا العصر من عدا للفسفة والمشتغلين بها، وحسبنا هنا أن نشير إلى حادث قتل شهاب الدين السهروردي<sup>(1)</sup> وذلك بسبب رميه بالتفلسف والإلحاد، فقتل بأمر من السلطان وكان ذلك بحلب سنة 587 عن ستة وثلاثين عاما.<sup>(2)</sup>

ومع ذلك فإن هذا العصر خرّج مجموعة من العلماء الأجلاء ، ممّن تركوا مجموعة من المؤلفات في مختلف الفنون أمثال: أبي الحجاج المزّي<sup>(3)</sup>، ومحي الدين النووي<sup>(4)</sup>، وابن دقيق العيد<sup>(5)</sup>، والعز بن عبد السلام<sup>(6)</sup>، وذرّة العقد الإمام ابن تيمية.

وقد كان لملاح هذا العصر الذي نشأ فيه الشيخ أثر قوي في توجيه فكره ، فقد كان حربا على المقلدين بغير علم من الفقهاء ، وعلى الجامدين المتعصبين في علم الكلام ، وعلى التصوف الذي دخله كثير من مقالات غير المسلمين وآرائهم ، كما كان لذلك شديد الثورة على الفلسفة ورجالها الذين إعتقوا كثيرا من نظريات الفلاسفة اليونان وأمثالهم.

وقد كان لانتشار المراكز العلمية في كل من مصر والشام دور في تكوين جيل العلماء في عصر ابن تيمية وبعده ، وذلك بعد زوال الخلافة من بغداد سنة 656 هـ وقيامها بعد ذلك في القاهرة ، فقد كان هذا سببا لهجرة العلماء من بغداد إلى القاهرة ودمشق وغيرهما من مدائن مصر والشام.

وكان أشهر ما بني في القديم المدرسة النظامية ببغداد ، وتنسب إلى ابن علي الحسين

(1) هو شهاب الدين يحيى بن حبش بن أميرك ، كان رأسا في معرفة علم الأوائل ، بارعا في علم الكلام ، بارعا في أصول الفقه مفرط الذكاء ، متزهدا ، رقيق الدين ، ظهر للعلماء منه زندقة وانحلال فعملوا محضرا بكفره فقتل. له عدة تصانيف منها : "التفريحات" في أصول الفقه ، و "التلويحات" و "الهالك" وغير ذلك. انظر ابن العماد : شذرات الذهب ، ج 4 ، ص 290-292.

(2) انظر ابن العماد : شذرات الذهب ، ج 4 ، ص 290 وما بعدها .

(3) هو يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف أبو الحجاج المزّي ، شيخ المحسنين ، من مصنّفاته : تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، و"تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف" ، وغيرهما. توفي سنة 742 هـ ، انظر في ابن كثير : البداية والنهاية ، ج 14 ، ص 191-192. وابن العماد : شذرات الذهب ج 6 ، ص 136-137.

(4) هو يحيى بن شرف النووي المحدث، كبير الفقهاء في زمانه، من مؤلفاته: "التبيان في آداب جملة القرآن"، و"شرح صحيح مسلم وغيرهما. توفي سنة 676 هـ انظر ابن كثير: البداية والنهاية ج 13، ص 278، وابن العماد: شذرات الذهب، ج 5، ص 354.

(5) هو محمد بن علي بن وهب تقي الدين بن دقيق العيد برع في علوم كثيرة لاسيما في علوم الحديث ، من مؤلفاته : "الإمام في الحديث" ، و"شرح عمدة الأحكام للحافظ عبد الغني" ، وغيرهما ، توفي في صفر سنة 703 هـ ، وقيل غير ذلك . انظر لشمس محمد ابن أحمد بن عثمان : المعجم المختص بالمحدثين ، ت : محمد الحبيب الهيلا ، ط 1 (الطائف : مكتبة الصديق) ، ص 250-251، وابن العماد : شذرات الذهب ، ج 6 ، ص 5.

(6) هو عز الدين أبو محمد عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القسم بن الحسن السلمي الدمشقي ثم المصري الشافعي ، ولد سنة 577 أو 578 برع في الفقه والأصول والعربية وبلغ رتبة الإجتهد له العديد من التصانيف ، توفي سنة 660 ، انظر ابن العماد : شذرات الذهب ، ج 5 ، ص 301-302.

الطوسي<sup>(1)</sup> وكان وزيراً في عهد السلاجقة، وقد تمّ بناؤها عام 459 هـ، ودرّس بها أبو إسحاق الشيرازي<sup>(2)</sup>، وأبو حامد الغزالي وغيرهما من الأعلام. ثم تولى النظام السلجوقي افتتاح العديد من المدارس ببغداد، والبصرة، والموصل ونيسبور، وهرو، وهراة، وحشد لها عمالقة العلماء والمفكرين، وأوقفوا لها من الأموال ما يكفي لسد حاجات الطلاب والعلماء.

وعندما تولى صلاح الدين الأيوبي الحكم سار على نهج الملوك والأمراء السابقين له من الإهتمام بالحركة التعليمية، فوسّع في إنشاء المدارس بمصر والشام ووضع لها النظم والقواعد، وكان ذلك بداية لانتشار المدارس في الأمصار الإسلامية فيذكر ذلك المقرئ فيقول: ثم اقتدى بالسلطان صلاح الدين في بناء المدارس بالقاهرة ومصر وغيرهما من أعمال مصر، وبالبلاد الشامية والجزيرة، أو لاده وأمرأه، ثم حذا حذوهم من ملك مصر بعدهم من ملوك الترك وأمرائهم وأتباعهم.<sup>(3)</sup>

وكان يوقف على كل منها ما يكفيها من المال كما كانت تخصص لكل مدرسة مكتبة بجوارها، ومن ذلك المدرسة السيوفية، والمدرسة الفاضلية، والمدرسة الصالحية وغيرها من المدارس.<sup>(4)</sup>

وكذلك الحال في بلاد الشام، وكان الفضل في ذلك للسلطان صلاح الدين ولأبنائه الملوك من بعده، ثم للأمراء ومن إليهم من ذوي الجاه والفضل، ثم تتابع الأمر أيام دولة المماليك الذين عاش في أيامهم ابن تيمية، فكانت مدائن الشام في القرنين السادس والسابع وما بعدهما زاخرة بالمعاهد العلمية التي كانت مثابة للطلاب والشيوخ.<sup>(5)</sup> وقد شكّلت كل من دمشق وحلب أهم المراكز العلمية كما كان لغيرها من الأمصار حظ من ذلك كالقدس وحماه وحران وحمص وغيرها من بلاد الشام.<sup>(6)</sup> ولا شك أن ابن تيمية قد تغذى من هذه المدارس غذاء كاملاً، فقد تهيأ له أن يتلقّى الحديث على أكبر شيوخه، وأن يتلقّى علوم العقل على ذوي المهارات فيها، فدرس المنطق دراسة فاحص ناقد، ودرس علوم اللغة كلها

(1) الحسن بن علي بن إسحاق بن العباس الطوسي، أبو علي، ولد سنة 408 هـ وقتل سنة 575 هـ، انظر السبكي: طبقات شيوخ الكبرى، تحقيق: محمود الطنحاني، وعبد الفتاح الحلو، ط 1 (مطبعة عيسى البابي الحلبي 1383 هـ) ج 4، ص 309-328.

(2) هو إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي، شيخ الإسلام علما وعملا، ورعا، زاهدا ولد بفيروزآباد، وهي قرية من قرى شيراز في سنة 393 وقيل في سنة خمس وقيل ست، ونشأ بها، وانتقل إلى شيراز ثم إلى البصرة لأخذ العلوم. وهو أول من بنى بنظامية بغداد له من التصانيف: "المهذب" و"التبهي" و"اللمع" و"النكت في الخلاف" و"المعونة في الجدل". توفي يوم الأحد 11 جمادى الآخرة وقيل الأول، سنة 476. انظر الحافظ الذهبي: العبر في خبر من عبر، تحقيق: محمد السعيد بن بسونني زغلول، ط 1 (بيروت: دار الكتب العلمية 1985م)، ج 2، ص 334، وانظر الأسنوي عبد الرحيم: طبقات الشافعية، ط 1 (بيروت: دار الكتب العلمية 1987)، ج 2، ص 7-9، وابن العماد شذرات الذهب، ج 3، ص 349-351.

(3) المقرئ: الخطط، ج 2، ص 363.

(4) المصدر نفسه، ج 2، ص 365-366.

(5) انظر المصدر نفسه، ج 2، ص 367 وما بعدها. وانظر محمد أبو زهرة: ابن تيمية، ص 156 وما بعدها، و محمد يوسف موسى: ابن تيمية، ط 2 (بيروت: العصر الحديث للنشر والتوزيع، 1408 هـ - 1988 م)، ص 58-62.

(6) محمد يوسف موسى: ابن تيمية، ص 62 وما بعدها.

على شيوخها حتى ساغ له أن ينقد إمام النحاة سيبويه<sup>(1)</sup>، إمام كبير النحاة في عصره وهو أبو حيان<sup>(2)</sup>، كما استبحر في الفقه رادا له إلى أصوله من الكتاب والسنة وآراء السلف الصالح<sup>(3)</sup>.

ولم تكن المدارس فقط هي التي سهّلت لابن تيمية البحث والدراسة بل إنّ فتق ذهنه على الحقائق العلمية وأعانته على التدقيق والتمحيص في أفكار العلماء ، تلك الموسوعات التي جمعت أشنات العلوم ، فإنه لم يأت عصر ابن تيمية إلاّ وكانت جلّ المعارف الإسلامية وعلوم اليونان والفرس قد هيأت بالكامل ووضعت في مجلدات ضخمة وبوّبت ونسّقت<sup>(4)</sup>.

كما تيسر له قراءة كتب الفلسفة والمنطق وتعمق فيهما وكتب الديانات كموسوعة ابن حزم (الفصل في الملل والنحل) كما تيسر له الإطلاع على كتب النصارى ، وأهل الديانات الأخرى. ويبدو ذلك من خلال كتابه "الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح" والذي يعتبر من أهم الموسوعات الضخمة التي ألّفت في الرد على النصارى ، وقد ضمّنها الشيخ ثمره ما أفاد من تلك العلوم مجتمعة ، فراه يوظف فيه علم اللغة والفلسفة ، والمنطق ، والرياضيات ، والتاريخ ، وهذا ما سنراه أثناء تعرّضنا لجزئيات هذا البحث.

ولا شك أنّ هذه الموسوعات المدونة والمكتبات المنتشرة قد ساهمت في تثقيف ابن تيمية ، وأفاد منها آراء العلماء، فحصلها كلّها ، فتكوّنت له ملكة قوية فتحت له باب الإجتهد في الفقه والعقائد وله في ذلك حجة قوية وهو كتاب الله وسنة رسوله.

ولكي نعرف المزيد عن مآثر هذه الشخصية الفذة التي خلدها التاريخ، نتعرض بشيء من التفصيل لحياة شيخ الإسلام ابن تيمية وما ميزها من صراع وكفاح وجهاد وذلك فيما يلي :

## المبحث الثاني: حياة ابن تيمية وشخصيته العلمية.

شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- من العلماء البارزين الذين حضوا بتراجم عديدة مفردة وغير مفردة، كما أنّ كتبه ورسائله وردوده على المخالفين صارت مجالا خصبا للتأليف والدراسة والنشر

(1) سيبويه : عمرو بن عثمان بن قنبر مولى بني الحارث بن كعب ومعنى سيبويه راحة التفاح وهي كلمة فارسية ، ولد سنة 148هـ إمام النحاة ، وأعلم الناس بالنحو بعد الخليل كما قال البيهقي ، ألف كتابه في النحو فكان فريدا في باب توفى -رحمه الله- بالأهواز ، وقيل بشيراز سنة 180 هـ . انظر ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج 3 ، ص 463-465 ، وانظر الأتابكي : نخبة الزاهرة ، ج 2 ، ص 99-100 ، والزركلي : الأعلام ، ج 5 ، ص 252.

(2) هو محمد بن يوسف بن علي بن حيان الأندلسي الغرناطي ، النحوي ، اللغوي ، المفسر ، الأديب ولد سنة 654 هـ من مائة من "البحر المحيط" في التفسير ، وكتاب "إتحاف الأريب بما في القرآن من الغريب" وغيرهما ، توفي سنة 745 هـ ، انظر : الأندلسي : النجوم الزاهرة ، ج 10 ، ص 11 ، وابن العماد : شذرات الذهب ، ج 6 ، ص 145-147 ، والزركلي : الأعلام ، ج 8 ، ص 26.

(3) أبو زهرة : ابن تيمية ، ص 158.

(4) من أهم الموسوعات التي ألّفت أنظر محمد أبو زهرة : ابن تيمية ، ص 159 وما بعدها.

والتحقيق، إضافة إلى البحوث والرسائل الجامعية التي عنيت بدراسة فكره ومنهجه. وقد أفردنا هذا المبحث للحديث عن حياته وشخصيته العلمية وذلك في النقاط التالية:

- 1- ابن تيمية مولده ونشأته.
- 2- توليه التدريس.
- 3- صفاته ومقوماته.
- 4- محنه ووفاته.
- 5- شيوخه وتلاميذه.

## المطلب الأول: ابن تيمية مولده ونشأته.

### أولا - نسبه ومولده :

هو شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن الشيخ المفتي شهاب الدين أبي المحاسن عبد الحلیم ابن الشيخ الإمام مجد الدين أبي البركات عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم محمد بن الخضر بن محمد بن الخضر بن علي بن عبد الله بن تيمية الحراني ثم الدمشقي<sup>(1)</sup>.

ولد شيخ الإسلام أحمد بن تيمية<sup>(2)</sup> بحرّان<sup>(3)</sup> يوم الإثنين عاشر-أو ثاني عشر- ربيع الأول سنة إحدى وستين وستمائة (661 هـ)<sup>(4)</sup>، فنشأ النشأة الأولى بها، ثم هاجر مع أهله إلى دمشق وكان ذلك سنة 667 هـ بسبب استيلاء التتار عليها وكان عمر ابن تيمية إذ ذاك سبع سنين تقريبا.<sup>(5)</sup>

(1) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج13 ، ص 241 ، وانظر عن ترجمته : السيوطي جلال الدين عبد الرحمن : طبقات الحنابلة ، تحقيق : علي محمد عمر ، ط 2 (القاهرة : مكتبة وهبة 1994م) ، ص 516 ، وابن عبد الهادي أبي عبد الله محمد بن أحمد : العقود الذرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية تحقيق: محمد حامد الفقي ، د. ط (القاهرة: مطبعة حجازي، 1356 هـ - 1938م)، ص2 ، والحافظ الذهبي : ذبول العبر ، ص 84 والذهبي: تذكرة الحفاظ ، د.ط ، (بيروت : دار الكتب العلمية) ، ج4، ص1496 ، وابن الوردي : تمة المختصر ، ج2 ، ص 406 ، وابن شاکر الکتبي : فوات الوفيات ، ج1 ، ص 74 ، وابن رجب: ذیل طبقات الحنابلة ، ج2 ، ص 387 ، والأتابكي : النجوم الزاهرة ج9 ، ص 271 ، وابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ، ج6، ص80 ، والزرکلي : الأعلام ، ج1 ، ص 140 ، إضافة إلى الكتب المعاصرة ومن ذلك : أبو زهرة محمد : ابن تيمية حياته وعصره ، رتبه وفقهه ، ومحمد يوسف موسى : ابن تيمية ، وغيرها من الكتب.

(2) تعرف أسرة تقي الدين بلقب ابن تيمية ، ويقال في علة هذه التسمية أن جده محمد بن الخضر حج على درب تيماء فرأى هناك جارية اسمها تيمية ، فلما رجع وجد زوجته قد ولدت بنتا فسمها تيمية ، وقيل إن جده محمد كانت زوجته اسمها تيمية وكانت واعظة فنسبت الأسرة إليها. انظر : ابن عبد الهادي : العقود الذرية ، ص2 ، والذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج22 ، ص 289.

(3) حرّان : بتشديد الراء بلدة في الجزيرة بين الشام والعراق ، وحرّان مدينة قديمة بين الرها والرقّة وهذه هي التي ينسب إليها ابن تيمية ، وهناك حرّان من قرى حلب ، وحرّان قرية بخوطة دمشق - وأخطأ من نسبه إليها . انظر السمعاني أبي سعد عبد الكريم : معجم البلدان ، ط 1 (بيروت : دار الجنان 1407 هـ - 1988 م) ، ج2 ، ص 195 ، والسمعاني عبد الكريم : الأنساب، تشديد ، عبد الله عمر البارودي ، ط 1 (بيروت : دار الجنان ، 1408 هـ - 1988 م) ، ج2 ، ص 196.

(4) ابن عبد الهادي : العقود الذرية ، ص 4 ، وابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ، ج2 ، ص387.

(5) الکتبي ابن شاکر : فوات الوفيات ، ج1 ، ص26.



## ثانيا : نشأته وطلبه للعلم .

نشأ ابن تيمية وسط أسرة كريمة اشتغل أبناؤها بالعلم وكلهم برز فيه، فجده مجد الدين عبد السلام ابن عبد الله من العلماء الأعلام، قال عنه الذهبي "كان إماما كاملا ، معدوم النظر في زمانه، رأسا في الفقه وأصوله بارعا في الحديث ومعانيه ، وله اليد الطولى في معرفة القراءات والتفسير".<sup>(1)</sup> ولد المجد سنة 590 هـ، وتوفي سنة 652 هـ .

أما والده تقي الدين فهو شهاب الدين عبد الحلیم بن عبد السلام، ولد سنة 627 هـ، وتوفي سنة 682 هـ، وهو عالم جليل ذو فنون كثيرة، صار شيخ حرّان وحاكما وخطيبها بعد موت والده.<sup>(2)</sup> كما أنّ هناك من سائر أفراد أسرته -غير أبيه وجده- من برز في ميدان العلم، فقد كسان للشيخ ثلاثة من الإخوة اشتهروا بالعلم والفضل، فأخوه لأمه بدر الدين أبو القاسم محمد بن خالد الحراني، ولد سنة 650 هـ تقريبا ، وتوفي سنة 770 هـ، كان عالما فقيها إماما ، تولى التدريس عن أخيه تقي الدين<sup>(3)</sup>، وشقيقه زين الدين عبد الرحمن بن عبد الحلیم، ولد سنة 663 هـ، وتوفي سنة 717 هـ، كان زاهدا، عابدا، وكان تاجرا، حبس نفسه مع أخيه تقي الدين في الإسكندرية ودمشق لخدمته.<sup>(4)</sup>

أما شقيقه شرف الدين عبد الله بن عبد الحلیم، فقد ولد سنة 666 هـ وتوفي سنة 727 هـ، ونسب كان تقي الدين مسجوناً في القلعة، قام بدوره كعالم متبحر، فقد ذهب مع أخيه إلى مصر وناظر خصمه وحده فاننصر عليهم.<sup>(5)</sup> كما كان من نساء آل تيمية من عنيت بالعلم ، فقد كانت جدة ابن تيمية من رواة الحديث ، وأم جده محمد كانت واعظة جليلة. في هذا البيت الورع النقي نشأ ابن تيمية، فأشرب العلم والدين، ونهج كآله علما وتدينا، وبذلك يشهد له الحافظ الذهبي.<sup>(6)</sup>

ثم توجه اهتمام ابن تيمية إلى توسيع معارفه والإقبال على تحصيل العلوم في جميع التخصصات فيذكر ذلك ابن عبد الهادي فيقول: "وعني بالحديث وقرأ ونسخ، وتعلم الخط والحساب في المكتب، وحفظ القرآن، وأقبل على الفقه، وقرأ العربية على ابن عبد القوي<sup>(7)</sup>، ثم فهمها، وأخذ يتأمل كتاب سيبويه حتى فهم في النحو، وأقبل على التفسير إقبالا كلياً، حتى حاز فيه قصب السبق، وأحكم أصول الفقه وغير ذلك، هذا كله وهو ابن بضع عشرة سنة، فانبهر أهل دمشق من فرط ذكائه، وسيلان ذهنه، وقوة حافظته،

(1) ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ، ج 2 ، ص 249-254.

(2) الحافظ الذهبي : العبر ، ج 3 ، ص 349-350.

(3) ابن رجب : ذيل طبقات الحنابلة ، ج 2 ، ص 370 ، وابن العماد : شذرات الذهب ، ج 6 ، ص 45.

(4) ابن كثير: البداية والنهاية ، ج 14 ، ص 220 ، وابن العماد : شذرات الذهب ، ج 6 ، ص 152.

(5) انظر عن ترجمة ابن رجب : ذيل طبقات الحنابلة ج 2 ، ص 382-384 ، وابن العماد : شذرات الذهب ج 6 ، ص 76.

(6) ابن عبد الهادي : العقود الذرية ، ص 5.

(7) سنائي ترجمته ضمن شيوخ ابن تيمية.

وسرعة إدراكه".<sup>(1)</sup> وكان يحضر المدارس والمحافل في صغره، وينظر ويفهم الكبار، ويأتي بما يتحير منه أعيان البلد في العلم، فأفتى وله تسع عشرة سنة.<sup>(2)</sup> وكان يسير في هذه الدراسة وهو ملازم لأبيه، يوجهه لينهل من كل ينابيع العلم ويدارس العلماء. كل ذلك كان في دمشق معدن العلم، وموطن العلماء في عهد ابن تيمية.

## المطلب الثاني: توليه التدريس.

بلغ من نبوغ ابن تيمية أنه تهيأ للتدريس والفتوى، وهو في صدر شبابه قبل أن يتم العشرين من عمره، وإن كان مثله من الشباب في ميعة الصبا. فتقدم ليغذي النفوس بعد أن اغترف من مختلف المعارف وعبق من أريجها، وقد كان المكان له مهيناً، فقد مات والده في سنة 682، وترك كرسيه في الجامع الكبير شاغراً، كما خلف من ورائه مشيخة الحديث في بعض مدارس دمشق، وأحمد يومها في الحادية والعشرين من عمره، فحل محل أبيه وقام بوظائفه العلمية بعد وفاته بسنة، وعلى ذلك يكون قد تولى التدريس وهو في الثانية والعشرين من عمره، فجلس نظيراً لأئمة الحديث الممتازين كابن دقيق العيد وغيرهم من أئمة ذلك العصر الذين كانوا يدرسون في تلك المدارس، وفي الجامع الكبير بدمشق.<sup>(3)</sup>

توجه ابن تيمية لإلقاء دروسه وهو يحمل علماً غزيراً، وفكراً مستقيماً كان قد أسس مبادئه على الاستدلال وطرق البحث السليم، وكان همه الكبير في نهج هذا الطريق هو إحياء ما كان عليه الصحابة، وتلقين مستمعيه أصول الإسلام وفروعه غظاً طرياً كما تلقاه الصدر الأول لا تشوبه أفكار غريبة، أو نحل بائدة أراد أن يحييها أصحابها متسترة بستار الإسلام.

تقدم ابن تيمية بهذا المنهج الذي نهجه في دروسه فاتجهت إليه الأنظار، فكثر تلاميذه وكثر التحدث باسمه في المجالس العلمية، حتى أثار إعجاب كبار العلماء، فقد رآه ابن دقيق العيد وقد كان حجة العصر في الحديث وعلومه فقال فيه: "رأيت رجلاً سائر العلوم بين عينيه، يأخذ ما شاء منها ويترك ما شاء".<sup>(4)</sup>

ومما يذكر أن ابن تيمية في تجديده للفكر، ومحاربه للبدع والضلالات أثار عنق الكثيرين من العلماء المقلدين وأصحاب المذاهب، كما استهوى إعجاب الكثيرين، قال الذهبي كلمته في ذلك يذكر فيها إن الناس في تلقي كلامه انقسموا إلى ثلاثة أقسام، فريق شايعه وناصره، وفريق قاومه ونازله ومنهم من

(1) ابن عبد الهادي العقود الذرية، ص 4-5. وانظر: ابن الوردي: تنمة المختصر، ج 2، ص 408 وما بعدها، ومحمد أبي زهرة: ابن تيمية، ص 23.

(2) ابن عبد الهادي: العقود الذرية، ص 5، و ابن الوردي: تنمة المختصر، ج 2، ص 408.

(3) أنظر ابن كثير: البداية والنهاية، ج 13، ص 303 وانظر محمد أبو زهرة: ابن تيمية، ص 29.

(4) ابن العماد: شذرات الذهب، ج 6، ص 83.

كفره، وفريق خالفه.(1)

وإذا كان الذهبي يرجع سبب إثارة الخلاف ضد ابن تيمية إلى حدة خلقه، وصدمه للخصوم، فإن غيره ممن ترجم لابن تيمية يرى أن السبب يكمن في طبيعة المجتمع الذي عاصره، وما كان عليه من شيوع الشعوذة في الصوفية، وتأويلاتهم الكثيرة، والتقليد المطلق في العقائد والأحكام والتخريج عليها، فكانت منازل ابن تيمية لهؤلاء ومجادلته لهم، حرباً على هؤلاء وأمثالهم، كشف بها مستورهم، وبيّن خطأهم وبعدهم عن الإسلام الذي يتسترون باسمه، فكانت المخاصمة له دفاعاً عن فرقهم ومذاهبهم.(2)

وعلى الرغم من وجود هذا الخصام الذي أثير ضد ابن تيمية من طرف بعض العلماء فإن شيخ الإسلام قد نبأ مكانة عظيمة بين علماء عصره، ومن ذلك ما ذكره ابن عبد الهادي -نقلاً عن علم الدين البرزلي- حيث قال: "الشيخ تقي الدين أبو العباس، الإمام المجمع على فضله ونبله ودينه، قرأ القرآن وبرع فيه، والعربية والأصول، ومهر في علمي التفسير والحديث، وكان إماماً لا يلحق غباره في كل شيء، وبلغ رتبة الإجتهد، واجتمعت فيه شروط المجتهدين، وكان إذا ذكر التفسير بهت الناس من كثرة محفوظه، وحسن إيراده، وإعطائه كل قول ما يستحقه من الترجيح والتضعيف والإبطال، وخوضه في كل علم كان الحاضرون يقضون منه العجب".(3)

كما اتسعت معارفه وتنوعت في كل فن ونذكر هنا شهادة المؤرخين له نبوغه في علم العقيدة وإحاطته بمذاهب الملل والنحل فيقول فيه ابن عبد الهادي -نقلاً عن الذهبي-: "وأما معرفته بتأمل والنحل والأصول والكلام فلا أعلم له فيه نظيراً".(4)

وبذلك يشهد أبو الفتح اليعمري -يعني ابن سيد الناس- للشيخ فينقل عنه الذهبي أنه كان "حاضر النحل والملل لم ير أوسع من نحلته، ولا أرفع من درايته، برز في كل فن على أبناء جنسه، ونهت عين من رآه مثله، ولا رأت عينه مثل نفسه".(5) وقد تسنى ذلك لابن تيمية بعد إجتهاده في طلب نعمة، فعكف على دراسة المنطق اليوناني والفلسفة، وأصول الديانات القديمة، وكتب اليهودية والنصرانية، دراسة المحقق المدقق والفاحص الناقد، فنازل الخصوم بسلاحهم وفنذ آراءهم، وهدى الله على يديه رجالاً من أهل الملل والنحل وكتبه في الرد على المخالفين تشهد له بذلك.

ولم تكن إفادة ابن تيمية للناس والعلماء موقوفة على دروسه، بل كان مقصداً للفتوى في المسائل الصعبة التي تعرض للعامة والخاصة، فيجيب عليها بالكلام أو كتابة، فتدبج الفتوى وتنتشر بين الناس.

(1) أبو زهرة : ابن تيمية ، ص 31.

(2) المصدر نفسه ، ص 32.

(3) ابن عبد الهادي : العقود الذرية ، ص 10-11.

(4) المصدر نفسه ، ص 18-19.

(5) ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ، ج 2 ، ص 390-391 . انظر ابن عبد الهادي : العقود الذرية ، ص 9.

كما كان النساخ حريصين على تناقل كل ما يصدر عن الشيخ من رسائل أو كتب، وقد داوم على نشاطه هذا حتى في السجن .

## المطلب الثالث: صفاته ومقوماته الشخصية.

تهيأ لابن تيمية شخصية قد استكملت عناصرها التي بوأته مكانة علمية فذة . وفيما يلي نقف على أبرز هذه العناصر ونرى مكانة كل منها وأثر ذلك في تكوين فكره وتوجيهه.

### 1- صفاته الجسمية:

اجتمع لابن تيمية صفات جسمية حسنة وبنية قوية خالية من العاهات التي قد تعوق طريقه في طلب العلم وإفادة المريدين، فقد رحل وهو في السابعة من عمره من حران إلى دمشق، وتقل بين دمشق والقاهرة والإسكندرية مرات عديدة لأغراض علمية وسياسية، كما شارك في جهاد المغول بالسيف وقد وصفه تلميذه الذهبي في جسمه ونفسه فقال: " كان أبيض أسود الرأس واللحية شعره إلى شحمة أذنيه، كأن عينيه لسانان ناطقان، ربعة من الرجال، بعيد ما بين المنكبين، جهوري الصوت، فصيحاً سريع القراءة، تعتريه حدة، لكن يقهرها بالحلم. ولم أر مثله في ابتهالاته واستعانته بالله، وكثرة توجهه. تلت صفات جسمية ونفسية فوق ما له من مزايا عقلية، تجعله ذا هيئة خاصة، وقوة تأثير ونفوذ في قلب من يتحدث إليه، لا يلبث أن يلقي قلبه ومشاعره بين يديه".<sup>(1)</sup> وهذا يدل على أهمية هذا العنصر في بناء مقومات الشخصية وكيف ساهم في تكوين فكر ابن تيمية.

### 2- مداركه العقلية :

ظهر ابن تيمية في عصر كثرت فيه مناهل العلم وتتنوعت معارفها ، فأفاد منها إفادة كبيرة . وقد ساعده على ذلك الهبات الكبيرة التي منحها الله له ، فقد آتاه من الأسباب ما يمكنه من فتح مغاليق المعرفة وشق أعماقها وسبر أغوارها ، وأولى هذه الصفات :

#### أ - ذاكرة حادة.

لقد حبا الله شيخ الإسلام بذاكرة حادة منذ صباه، حتى كان حديث الناس في دمشق وما حولها. وقد نقل لنا المؤرخون نبوغ الشيخ بين قرنائه وزملائه منذ كان صبياً، ومن ذلك يذكر صاحب العقود الذرية أن بعض المشايخ حلب قدم إلى دمشق عند سماعه بنبوغ أحمد بن تيمية في صباه، فأراد أن يختبر

(1) ابن شاکر الکتبی : فوات الوفيات ، ج 1 ، ص 75.

ذكاءه، فكتب له عدة أسانيد انتخبها، فلم يزد على أن نظر فيها مرة ثم قرأها عليه عرضاً كأحسن ما يكون ، فقام الشيخ وهو يقول: إن عاش هذا الصبي ليكون له شأن عظيم، فإن هذا لدير مثله، فكان كما قال.(1)

كوتت هذه الصفة مصدراً أساسياً للمادة العلمية التي كان يستخدمها ابن تيمية فيذكر لشيخنا إشادة له لتمييزه بهذه الصفة أنه لما سجن صنف كتب كثيرة ، وذكر فيها الأحاديث والآثار، وأقوال العلماء وأسماء المحدثين والمؤلفين ومؤلفاتهم ، وعزا كل شيء من ذلك إلى ناقله وقائليه ، وذكر أسماء الكتب التي ذكر ذلك فيها ، وفي أي موضع هو منها ، كل ذلك بديهية من حفظه ، لأنه لم يكن عنده حينئذ كتاب يطالعه. وقد تحقق صاحب الكتاب من صحة ذلك فلم يجد فيها خلا ولا تغييراً.(2)

وهذه القصة ليس فيها من المبالغة شيء ، فقد عرفنا عن أئمة أعلاما قد تميزوا بسعة الحفظ والذكاء الحاد والذاكرة القوية، فضلا عن أن ابن تيمية قد ورث ذلك عن أسرته التي عرفت بالعلم، فقد رأينا أن أباه قد امتاز باللقاء دروسه في الجامع الكبير بدمشق غير معتمد على كتاب ، فلا عجب إذا جاء ابن تيمية على شاكلة أبيه.

## ب - حضور البديهية :

لم يكن ابن تيمية حافظ واعيا فقط بل كان حاضر البديهية، وكان يبدو ذلك في درسه ونقاشه، فأرسال المعاني تجيئه عند الحاجة إليها من غير إجهاد، وعند المناظرة يفحم الخصوم بكثرة ما يحفظ، حتى قيل فيه: " قل إن وقعت واقعة وسئل عنها إلا وأجاب فيها بديهية بما بهر واشتهر، وصار ذلك الجواب كالمصنف الذي يحتاج فيه غيره إلى زمان طويل، ومطالعة كتب، وربما لا يقدر مع ذلك على إيراد مثله".(3)

ولعل هذه الصفات هي أهم الأسباب التي كوتت فيه ملكة ذهنية مرهفة وفكرا مستقلا، فكوتت له شخصية علمية فذة أهلتة لينهج طريق الإجتهد والإستنباط والقياس.

## 3- شجاعته:

كان الإمام ابن تيمية بالغ الجرأة عظيم الشجاعة في مناصرة الحق لا يداهن ولا يراني ، حتى لقد ألب عليه من شجاعته وجرأته في قول الحق كثيرا من الخصوم ذوي النفوذ والسلطة في زمنه.

(1) ابن عبد الهادي : العقود الذرية ، ص 20.

(2) أبو زهرة : ابن تيمية ، ص 96 نقلا عن صاحب الكواكب الذرية.

(3) أبو زهرة: ابن تيمية ص 98، نقلا عن صاحب الكواكب الذرية، وهذا القول ينسب لتلميذ الشيخ ابن تيمية أبو حفص النيز

ولم يمنع عكوف ابن تيمية على الدرس والبحث والإرشاد عن قيامه بواجبه تجاه دينه، فيحدثنا التاريخ عن كثير من مواقفه ضد غارات التتار. وقد كان لما عرف عنه من شجاعة وجرأة، مقصد الناس عند المهمات والشدائد، فعندما هاجم التتار بلاد الشام سنة 699 هـ وأصبحوا على مشارف دمشق، اجتمع الناس بابن تيمية لينظروا في شؤون البلاد بعد أن فرّ منها الجند وأعيان الناس ومعهم كبار العلماء ورجال الدين قاصدين مصر خوفا من العدو، وقد اتفقوا على إيفاد وفد على رأسه شيخ الإسلام لمخاطبة ملك التتار في الامتناع عن دخول دمشق، ولما دخل على "قازان" ملك التتار كلمه كلاما أثار دهشة الحاضرين لجرأته وشجاعته، حتى أن قازان نفسه تعجب منه وتساءل: "من يكون هذا الشيخ؟" انى لم أر مثله ولا أثبت قلب منه، ولا أوقع من حديثه في قلبي، ولا رأيتني أعظم انقيادا لأحد منه".<sup>(1)</sup>

وقد عمل ابن تيمية على حثه على العدل وتذكيره بقول الله ورسوله في حدة وشجاعة لم يعرف لها مثل، ومما خاطبه به عن طريق الترجمان: "قل للقازان أنت تزعم أنك مسلم، ومعك قاض وإمام وشيخ ومؤذنون على ما بلغنا، وأبوك وجدك كانا كافرين، وما عملا الذي عملت، عاهدا فوفيا، وانت عاهدت فغدرت، وقلت فما وفيت، وجرت"<sup>(2)</sup> وقد نجح ابن تيمية بهذه المقابلة من أخذ الأمان لأهل دمشق وإيقاف زحفهم.

وفي سنة 700 تسامع الناس أن التتار سيهاجم الشام ثانية، وأنهم عازمون على دخول مصر. فحث الناس يفرون من بلدهم ويتركونها طلبا للنجاة، واستدعى هذا الوضع من شيخنا تدخلا للفصل في الأمر، فأقبل على تحريض الناس على القتال إذ عقد المجالس ليبين حقيقة الجهاد محتجا بالقرآن والسنة، وكتب الكتب ليوضح واجب المسلمين للقيام بالدفاع عن دين الله<sup>(3)</sup>، وخرج إلى جند الشام يحثهم على القتال ويدفعهم إلى الجهاد في سبيل الله، واتجه إلى مصر يطلب من السلطان النصر، وأعد العدة لمجابهة العدو، وقد وجه لسلطان مصر قولة الحق في حدة وغلظة<sup>(4)</sup>، فخرج السلطان بجنده إلى الشام وكان لهم النصر.<sup>(5)</sup>

ولم يكتف ابن تيمية بتحريض الناس على القتال، بل نراه يقف فارسا مغوارا في ميدان القتال يجابه التتار ويذود عن أرض الإسلام، فقد جاء التتار بجموعهم إلى الشام سنة 702 هـ، وساوروا دمشق، فملك الناس الرعب خوفا من بطش المغول، فكان ابن تيمية يثبت القلوب ويعد الناس بالنصر، ويشد من عزيمة الجيش. ووقف في ميدان القتال محاربا، فذهب إلى مرج الصفر قريبا من دمشق حيث

(1) ابن الوردي: تيمية المختصر، ج2، ص287، وابن كثير: البداية والنهاية، ج14، ص7، والمقريري: السلوك، ج1، ص889.

(2) المصدر نفسه، ج2، ص287-288.

(3) أنظر في ذلك ابن عبد الهادي: العقود الذرية، ص120 ففيها رسالة طويلة في الحث على الجهاد.

(4) ابن كثير: البداية والنهاية، ج14، ص15.

(5) المصدر نفسه، ج14 - ص15.

دارت موقعة "شقحب" وكان ذلك في رمضان من السنة المذكورة ، وأفتى الجنود بضرورة الفطر في رمضان حتى يتقوا على ملاقات العدو ، محتجا بقول النبي -صلى الله عليه وسلم- للصحابه في غزوة الفتح " إنكم ملاقو العدو غدا والفطر أقوى لكم"<sup>(1)</sup> ، وكان يدور في جموع العسكر يأكل أمامهم . وعندما اشتد القتال بين الطرفين وقف ابن تيمية موقف الموت برفقة أخيه ، وأبلى بلاء حسنا وانتهت المعركة بنصر المسلمين نصرا مؤزرا، وزال خطر التتار بفضل شجاعة الشيخ وسعيه في جمع جيش مصر مع جيش الشام في الميدان، وذلك كما يذكر ابن كثير.<sup>(2)</sup>

ولم تكن شجاعة ابن تيمية قاصرة على هذا الجانب من حياته، فإن حبه لدينه وتمسكه به قد أثار حافظته الدينية فأعلنها حربا لا هوادة فيها على البدع والمنكرات التي استفحل أمرها، واستشرى خطرها على مجتمعه. وقد أفاضت كتب التاريخ والتراجم في الحديث عن الكثير من مواقف ابن تيمية في هذا الجانب، فينقل لنا من ذلك ابن شاکر الکتبي عن رجل رفع مظلمته للشيخ شكاه فيها قتلوك الكبير وكان رجلا فيه جبروت يأخذ أموال الناس غصبا، فدخل عليه الشيخ في هيبته وتكلم معه فيما جاء به ، فقتل له قتلوك: أنا كنت أريد أن أجيء إليك، لأنك عالم زاهد-يعني الاستهزاء به- فقال له الشيخ: موسى كان خيرا مني وفرعون كان شرا منك، وكان موسى يجيء إلى باب فرعون كل يوم مرات ويعرض عليه الإيمان.<sup>(3)</sup>

وكان الشيخ شديدا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد فطره الله تعالى على الجبرم بالحق لا يخاف فيه لومة لائم، كما تهيأ له إضافة لذلك صفات أخرى قلما تجتمع كلها في رجل واحد، ومن ذلك إخلاصه في طلب الحق، وفصاحته وقدرته البيانية وقوة فراسته ونفاذ بصيرته، وهيبته الشخصية حتى كان مخالفوه يتحاشون لقاءه. وقد اكتفينا بالإشارة لهذا كي لا يتسع علينا الموضوع، ولنبين أن شيخ الإسلام كان ذا شخصية قوية، وكان ذا عزم لا يفتر وهذا لشعوره بالمسؤولية المنقاة على غانقه باعتباره رجل دين، وهذا الموقف لابن تيمية قد ميزه من بين العلماء المبرزين، وشيدت له كتب التراجم بذلك.<sup>(4)</sup>

(1) - أخرجه مسلم في كتب الصيام باب جواز الصوم والفطر في شهر رمضان للمسافر عن أبي سعيد الخدري أن رسا صلى الله عليه وسلم - قال : "إنكم قد دنوتم من عدوكم..." الحديث بلفظ مقارب ، أنظر بن الحجاج مسلم: صحيح مسلم (شرح النووي) د ط (دار الفكر 1403 هـ - 1993 م) ، ج7 ، ص 226 .  
- أخرجه أبو داود في كتاب الصيام باب الصوم في السفر عن أبي سعيد الخدري بلفظ " إنكم قد دنوتم من عدوكم ... " ، أنظر له داود سليمان بن الأشعث : السنن ، ضبط وتعليق محمد محي الدين عبد الحميد ، د. 1 (دار الفكر للطباعة والنشر) ، ج 2 ، ص 317.

(2) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج 14 ، ص 25-26، وانظر عن هذه الأحداث محمد يوسف موسى: ابن تيمية، ص 85.

(3) ابن شاکر الکتبي: فوات الوفيات ، ج 1 ، ص 75.

(4) محمد يوسف موسى ، ابن تيمية ص 88 وما بعدها.

## المطلب الرابع: محنته ووفاته.

تعرض شيخ الإسلام ابن تيمية إلى الأذى والمحن، وما كان ذلك إلا بسبب مواقفه الجريئة في النهي عن المنكر، وحمله على البدع والانحرافات ، فقد حارب الشيعة وأفاد جيشا لقتالهم، وحارب الصوفية وهدم آراء إمامهم وفيلسوفهم محي الدين بن عربي<sup>(1)</sup> وبين حقيقة الفرق والطوائف المختلفة، وكشف عن أصولها المنحرفة وردها إلى أصول أهل الفلسفة والتجهم<sup>(2)</sup> والاعتزال<sup>(3)</sup>، ومناقضتها لأصول ومنهج السلف -رحمهم الله تعالى-، ولم يكن الأشاعرة بمعزل عن هذا الموقف كما كانت له آراء تخالف آراء الفقهاء في العقائد والفروع. وهذه الأسباب جلبت على شيخنا خصومات كثيرة من معاصريه خاصة. وحسبنا أن نتناول هنا بعض المسائل الهامة التي توضح لنا ذلك<sup>(4)</sup>.

ففي سنة 698 هـ كتب المسألة المعروفة بالحموية<sup>(5)</sup>، وكان ذلك في قعدة بين الظهر والعصر، وهي رسالة أجاب بها عن سؤال ورد من حماه في الصفات ، وذكر فيها مذهب السلف، ورجحه على مذهب المتكلمين. فعمد مخالفوه إلى الكلام في العقيدة لكونهم يرجحون مذهب المتكلمين في الصفات والقرآن على مذهب السلف ، واتهم شيخ الإسلام في عقيدته، وادعى خصومه فيه القول بالتجسيم والتشبيه وأثاروا عليه الناس وبعض السلاطين والأمراء، وسعوا بين العلماء والفقهاء يؤلبونهم ضد الشيخ بالكذب عليه، وأن العامة قد فسدت عقائدهم بذلك<sup>(6)</sup>.

يقول ابن كثير أنهم أرادوا إحضاره إلى مجلس القاضي جلال الدين الحنفي ، فلم يحضر فنوي في البلد في العقيدة التي كان قد سأله عنها أهل حماة المسماة بـ "الحموية" فانتصر له الأمير سيف الدين

(1) محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله، الشيخ محي الدين أبو بكر الطائفي الحانمي الأندلسي، المعروف بابن عربي، فيلسوف من أئمة المتكلمين، صاحب القول بوحدة الوجود، ولد سنة 560 بمرسية وتوفي سنة 638، له نحو أربعمئة كتاب، رسالة منها: "الفتوحات المكية" وديوان شعر الكثرة في التصوف، و"فصوص الحكم" و"مفاتيح الغيب" و"التعريفات" وغيرها. انظر ابن كثير الكتبي: فوات الوفيات، ج3، ص 435-440، وابن العماد: شذرات الذهب، ج5، ص 190-202، والزركلي: الاعيان، ج7، ص 170-171.

(2) التجهم: نسبة إلى الجهمية وهم أتباع الجهم بن صفوان الظالم المبتدع تلميذ الجهم بن درهم، وهي فرقة معطلة تنكر أسماء الله وصفاته، وترى أن الإنسان مجبور على أفعاله، وأن الجنة والنار تفنيان، وأن الإيمان هو المعرفة بالقلب فقط، وغير ذلك من الضلالات.

البغدادي عبد القاهر : الفرق بين الفرق ، ص 211 ، الشهرستاني: الملل والنحل ، ج 1 ، ص 90-91 .

(3) الاعتزال: نسبة إلى المعتزلة، وهم فرقة كلامية كبيرة، مؤلفة من عشرين فرقة كما ذكر ذلك عبد القاهر البغدادي، وهذه الفرق تجتمع على القول بالأصول الخمسة "التوحيد، والعدل، والوعد، والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر". انظر: البغدادي عبد القاهر، الفرق بين الفرق، ص 114-201، والشهرستاني: الملل والنحل، ج1، ص 50-90.

(4) محمد يوسف موسى: ابن تيمية، ص 95، 97.

(5) عن الرسالة الحموية انظر : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ، ج 5 ، ص 5-121.

(6) ابن عبد الهادي : العقود الذرية ، ص 198-200، محمد يوسف موسى : ابن تيمية ، ص 97-98.



جاغان<sup>(1)</sup> ، وأرسل يطلب الذين قاموا عنده فاخفى كثير منهم ، وضرب جماعة ممن نادى ببطلان العقيدة ، فسكت الباقون.<sup>(2)</sup>

ولم يقف الأمر عند هذا الحد فقد كانت رغبة الخصوم في النيل من الشيخ بأي سبب يقدح في عقيدته ويطعن في شخصه ، فقد حدث له في سنة 705 هـ نقاش حاد ومناظرات متواصلة بينه وبين العلماء حول "الواسطية" حيث جاء الأمر من مصر بأن يسأل عن معتقده ، فجمع القضاة والعلماء بمجلس نائب دمشق الأفرم<sup>(3)</sup> ، وهذا بعدما ورد على الشيخ كتاب إلى الأمير ركن الدين الجاشنكير<sup>(4)</sup> - أستاذ دار السلطان - يتضمن الطعن في عقيدة ابن تيمية تحريفا وكذبا عليه . وكان مما قاله الشيخ :  
 "أنا أعلم أن أقواما يكذبون عليّ كما قد كذبوا عليّ مرة"<sup>(5)</sup> ، وإن أملت الاعتقاد من حفطي ربما يقولون كتم بعضه ، أو داهن أو دارى ، فأنا أحضر عقيدة مكتوبة من نحو سبع سنين ، قبل مجيء التتر إلى الشام"<sup>(6)</sup> فأحضرت العقيدة الواسطية ، وقرئت وتناقشوا فيها ، وأثبتوا أنها عقيدة سنية سلفية ، فمنهم من قال ذلك طوعا ومنهم من قاله كرها ، وورد بعد ذلك كتاب من السلطان فيه:

قال ذلك طوعا ومنهم من قاله كرها ، وورد بعد ذلك كتاب من السلطان فيه : "إذا كنا سمعنا بعقد مجلس للشيخ تقي الدين ابن تيمية، وقد بلغنا ما عقد له من المجالس وأنه على مذهب السلف، وإنما أردنا بذلك براءة ساحته مما نسب إليه"<sup>(7)</sup>.

على أن الخصومة تجددت ثانيا في السنة نفسها ، أي سنة 705 هـ حيث ورد عليه كتاب جاء فيه طلب التوجه على البريد إلى مصر، حيث عقد له مجلس بالقلعة بتدبير من خصومه، فيذكر ابن رجب في هذا الشأن أن المصريين هم الذين دبروا الحيلة في أمر الشيخ، ورأوا أنه لا يمكن البحث والجدل

(1) سيف الدين جاغان : نائب السلطنة في دمشق . انظر ابن عبد الهادي : العقود الذرية ، ص 134.

(2) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج14 ، ص 4 .

(3) هو جمال الدين أقوش الأفرم.

(4) هو ركن الدين بيبرس البرجي الجاشنكير -الملك المظفر- ، تولى السلطة بعد تنازل الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة 708 هـ ، ثم هرب بعد أن رجع الملك الناصر إلى الملك ، وقتل سنة 709 هـ . كان يعتقد في نصر المنجي ولذلك أدوا ابن تيمية في زمن حكمه. انظر ترجمته في ابن كثير : البداية والنهاية ، ج4 ، ص 50-57 ، والأتابكي : النجوم الزاهرة ، ج8 ، ص 212 ، وابن العماد : شذرات الذهب ، ج6 ، ص 17-18 .

(5) قضية الكذب على ابن تيمية والتزوير عليه أمر مشهور ، حتى قيل أنه رجع إلى عقيدة الأشاعرة وكتب ذلك بخطه . وفي سنة 702 هـ وقع في يد نائب السلطنة كتاب مزور فيه أن ابن تيمية وجماعته يناصرون التتار ويكاتبوهم ، ثم فضح المزور ، وعوقبوا ، أنظر ذلك في ابن كثير : البداية والنهاية ، ج14 ، ص 22.

(6) ابن عبد الهادي: العقود الذرية، ص 204، 208، 209، وعن هذه الحوادث أنظر: محمد يوسف موسى، ص 100 وما بعد.

(7) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج14 ، ص 36-37

معه، فأجمعوا على أن يدعى عليه فيه وتقام عليه الشهادات<sup>(1)</sup>.

وكان القائم على ذلك الشيخ نصر المنبجي<sup>(2)</sup>، الذي ظهر في مصر وشاع أمره وميوله نحو التصوف، فأنكر عليه ابن تيمية ذلك وشنَّ على الصوفية وكشف فساد مذهبهم، فأغرى الشيخ "نصر" القضاة والعلماء في مصر، وسعى إلى السلطان الجاشنكير -الذي كان يعتقد في مذهب الصوفية- بدعوى الطعن في عقيدة ابن تيمية. فكان ذلك سببا في إصدار مرسوم السلطان الذي استدعى فيه شيخ الإسلام للحضور إلى مصر.

توجه ابن تيمية إلى مصر وفي ثاني يوم بعد وصوله إلى القاهرة، عقد له محفل بحضرة القضاة وأكابر الدولة، وكان ذلك بعد صلاة الجمعة في 22 رمضان حيث ادعى عليه القاضي ابن مخلوف المالكي أنه يقول بالاستواء وأنَّ الله يتكلم بحرف وصوت، وأنه يشار إليه الإشارة الحسية، وطلب له التعزير مشيرا بذلك إلى القتل على مذهب الإمام مالك، ومنع الشيخ من الكلام والاحتجاج، وكان بعد هذا أن حبس الشيخ وأخواه شرف الدين عبد الله، وزين الدين عبد الرحمن، وفي ليلة عيد الفطر نقل إلى الحبس المعروف بالجيب، حيث بقي سنة ونصف، ثم خير الشيخ بين سجنه والإفراج عنه بشرط الرجوع عن عقيدته، فأثر حياة السجن، حتى إذا كان شهر ربيع الأول سنة 707 هـ حضر أمير العرب حسد الدين مهنا بن عيسى<sup>(3)</sup> إلى مصر، وكان يقدر الشيخ ويعرف فضله، فأخرج الشيخ بنفسه بعد أن سئل أولي الأمر، وعقد له مجلس حضره أكابر الفقهاء ليجادلوه وامتنع القضاة من الحضور لأنهم لم يرضوا في مناظرتهم ونقاشه بالقدر الذي كان همهم الحكم عليه وسجنه، لكن الشيخ استطاع أن يبرئ ساحة ويقم حجته، فانتهت المحاكمة على خير كما يقول ابن رجب<sup>(4)</sup> وكان هذا أول عهد ابن تيمية بحياة السجن، فما كان يخرج من سجن إلا ليودع في غيره، وما كانت تنتهي محاكمة إلا لتبدأ أخرى. ولم ينل كل ذلك من عزيمة الشيخ بل استمر في نشر دعوته وتصحيح المفاهيم الإسلامية وبيان مذهب السلف.

أقام ابن تيمية -بعد خروجه من السجن- بمصر يلقي الدروس ، ويجتمع عنده الناس للإستفادة من علمه حتى تكلم في الإتحادية ، فانزعج الصوفية من ذلك وخاصة أن السلطان بجانبهم فشكوه إليه . فعقد له مجلس يوم الثلاثاء في شوال سنة 707 هـ ، ويذكر ابن عبد الهادي أنه "ظهر في ذلك المجلس من علم الشيخ وشجاعته ، وقوة قلبه ، وصدق توكله ، وبيان حجته ، ما يتجاوز الوصف ، وكان وقت

(1) ابن رجب : ذيل طبقات الحنابلة ، ج2 ، ص 397 ومحمد يوسف موسى: ابن تيمية ص 102.

(2) هو نصر بن سليمان ، أبو الفتح المنبجي ، توفي سنة 719 هـ ، وكان يغالي في محبة ابن عربي الصوفي، أنشأ له زاوية وصار يتعبد بها ولما مات دفن فيها وكان ذلك سنة 719 هـ ، وعمره بضع وثمانين سنة. انظر في ذلك ابن كثير : البداية ، ج14 ، ص 95 ، وللمقريزي : الخطط ج2 ، ص 432.

(3) حسام الدين مهني بن عيسى توفي سنة 749 ، أنظر ابن الوردي : تيمية المختصر ، ج2 ، ص 500.

(4) انظر ابن عبد الهادي : العقود الذرية ص 124-166 ، وابن كثير : البداية والنهاية ، ج14 ، ص 36-37 ، وابن رجب :

الذيل على طبقات الحنابلة ، ج2 ، ص 39 - 398 و محمد يوسف موسى: ابن تيمية، ص 105.

مشهودا، ومجلسا عظيما".<sup>(1)</sup>

ولما أكثر هؤلاء الشكاية ، أصدرت الدولة أمرا بحبس الشيخ ، بالرغم من أنهم لم يثبتوا عليه شيئا ، فأرسل بعدها إلى مجلس الحاكم بحارة الديلم في ليلة الجمعة تاسع عشر شوال سنة 707 ، ولما أدخل السجن قام بدور كبير في إصلاح المسجونين ، واستمر على عادته من الإفتاء والتعليم ، وقد مكث فيه سنة ونصف سنة ، ثم أخرجته الدولة على البريد إلى الإسكندرية وحبس ببرج منها.<sup>(2)</sup>

وبقي على ذلك مدة سلطنة الملك المظفر بيبرس الجاشينكير ، فلما عاد الملك الناصر محمد بن قلاوون إلى السلطة ، أمر بإحضار الشيخ إلى القاهرة في شوال سنة 709 فأكرمه وتلقاه في مجلس حفل بالفضاء المصريين والشاميين ، وقد استشاره في خصومه فعفا عنهم.<sup>(3)</sup>

أقام ابن تيمية بمصر وكان فيها كعادته يزود عن حمى الإسلام ، فحارب الصوفية الإتحادية<sup>(4)</sup> والتي تقول بالوحدة بين الموجد والموجود ، وهاجم أنصار المذهب وأضعف حركته ، وبذلك كانت رحلته تلك ميمونه وفيها خير كثير ، وإن كانت شاقة ومجهدة.

ثم توجه إلى الشام صحبة للجيش المصري قاصدا الغزاة ، فلما وصل معهم إلى غسقلان توجه إلى بيت المقدس ، ثم توجه إلى دمشق ، ووصلها في مستهل ذي القعدة سنة 712 هـ ، بعد غيابه عاشر أكثر من سبع سنين فخرج لملاقاته خلق كثير.<sup>(5)</sup>

استقر مقام الشيخ بالشام ، ولم يزل ملازما للاشتغال بالعلم والفتوى وتصنيف الكتب ، فخرج للبحث في الفروع بعدما نازل الخصوم في أصول العقيدة، وأعلن آراءه فيها وعرض نفسه لنحو والأذى ، حتى أتم نشرها وكشفها للناس بأدلتها ، فلما تم له ذلك إتجه اهتمامه لتصنيف الكتب في الفروع والإجتihad في الأحكام الشرعية ، وفيها ما وافق فيه أئمة المذاهب الأربعة ، وفي بعضها يفتي بخلافهم.<sup>(6)</sup> وفي يوم 22 رجب سنة 720 هـ عقد مجلس بدار السعادة وتم الحكم فيه على الشيخ بحبس بسبب فتواه في مسألة الحلف بالطلاق ورأيه في الطلاق الثلاث بلفظ واحد أنه لا يقع إلا طلاقة واحدة رجعية . وكان ذلك في القلعة فبقي فيها خمسة أشهر وثمانية عشر يوما ، خرج بعدها بمرسوم من السلطان

(1) ابن عبد الهادي : العقود الذرية ، ص 177 ومحمد يوسف موسى : ابن تيمية ص 107.

(2) المصدر نفسه ، ص 177-178 ، وابن كثير : البداية والنهاية ، ج 14 ، ص 45-46.

(3) ابن رجب : نيل طبقات الحنابلة ، ج 2 ، ص 400 ، وابن كثير : البداية والنهاية ، ج 14 ، ص 47 وما بعدها.

(4) الصوفية الإتحادية هم طائفة متطرفة من غلاة المتصوفة ، وقد أثاروا جمهرة المسلمين عليهم بشططهم في التعبير عن الحقائق الإلهي حتى رموا باعتقاد الحلول والتجسيم ، ويعتبر الحلاج من أبرز شخصيات هذا الإتجاه ، ونظرا لقرب منهجه في البحث عن طرق الوصول والإتحاد من المفهوم المسيحي لفكرة الله وإمكان تجسيم الخالق وحلوله في جسم إنسان فقد حضي باهتمام عدد من المستشرقين من بينهم جولدزيهر وماسينيون . انظر : الشكعة مصطفى ، إسلام بلا مذاهب ، ص 498-499.

(5) ابن عبد الهادي : العقود الذرية ، ص 192 ، ومحمد يوسف موسى : ابن تيمية ، ص 107.

(6) ابن عبد الهادي : العقود الذرية ، ص 212.

يوم عاشوراء سنة 721 هـ ، فعاد إلى الاشتغال بالعلم والتعليم.<sup>(1)</sup> وكانت مناقشته للمخالفين قد خلدت وقد كان خصومه يتحينون له الفرص ، وقد وجدوا ضالتهم التي ينشدونها في فتوى أفتاها مند سبع عشرة سنة في مسألة "شد الرحال" يمنع فيها زيارة القبور ، والسفر لأضرحة الأولياء ، واعتبر ذلك معصية من أشنع المعاصي وقد أقام لذلك أدلة وحججا من الكتاب والسنة.<sup>(2)</sup> فكثر الكلام ، وعظم التشنيع على الشيخ وحرّف عليه ونقل عنه ما لم يقله ، ورفع الأمر إلى السلطان فأمر بجمع القضاة عنده بمصر ، ونظروا في الفتوى من غير حضور صاحبها.

وجاء الأمر إلى دمشق بحبس الشيخ ، فكان ذلك في السابع من شعبان سنة 726 ، وسرّ الشيخ لذلك وقال : أنا كنت منتظرا لذلك وهذا فيه خير كثير ومصلحة كبيرة . فاعتقل بقاعة بالقلعة بدمشق وأقام معه أخوه زين الدين يخدمه بإذن السلطان ، ولكنه منع من الفتوى. ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل أودى تلاميذه وأصحابه ، وعزر جماعة منهم ، بأمر قاضي القضاة الشافعي ، وبعد ذلك اضيق سراحهم سوى تلميذه شمس الدين محمد بن قيم الجوزية<sup>(3)</sup> ، فإنه حبس بالقلعة أيضا.<sup>(4)</sup>

وفي التاسع جمادي الآخرة سنة 728 أخرج كلّ ما عنده من الكتب والأوراق والدواة والنقلد ، بعد الشكوى التي رفعها ابن الإخنائي المالكي<sup>(5)</sup> ضد الشيخ وهذا بعد ما رد عليه واستجله فيما يعرف بـ "الإخنائية" . وبذلك منع من المطالعة والكتابة ولقد اضطر بعدها أن يكتب بعض خواطره بفحصه<sup>(6)</sup> . ولم يمكث شيخنا في هذا الضيق إلا نحو خمسة أشهر ، إذ فاضت روحه الطاهرة إلى بارئها ، من ذلك ليلة الإثنين لعشرين من ذي القعدة سنة 728 هـ ، ومات الرجل في سجنه بعد أن قضى به سبع وثلاثة أشهر ، وكان ذلك عقب مرض لم يمهله أكثر من بضعة وعشرين يوما.<sup>(7)</sup>

وقد كانت جنازة الشيخ مثلا واضحا لقول أحمد بن حنبل: قولوا لأهل البدع بيننا وبينكم شيؤد الجنائز. فقد شهد جنازة ابن تيمية من الخلائق ما لا يحصوه عداء، فيذكر ابن كثير في وصفها وصف

- 
- (1) ابن الوردي : تيمية المختصر ، ج2 ، ص 386 ، وابن كثير : البداية والنهاية ، ج14 ، ص 87 ، وابن رجب : ذيل طبقات الحنابلة ، ج2 ، ص 401 ، ومحمد أبو زهرة : ابن تيمية ، ص 81-82 .
- (2) أنظر عن هذه الفتوى ، ابن تيمية . إقتضاء الصراط المستقيم ، دط (دار الحديث بالأزهر) ج2 ، ص 389 إلى آخر الكتاب .
- (3) ستأتي ترجمته ضمن تلاميذ ابن تيمية .
- (4) ابن عبد الهادي : العقود الذرية ، ص 218 ، وابن كثير : البداية والنهاية ، ج4 ، ص 123 ، وابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ، ج2 ، ص 401 ، محمد يوسف موسى : ابن تيمية ، ص 109 .
- (5) هو محمد بن أبي بكر بن عيسى الإخنائي، كان قاضي القضاة في مصر، مالكي المذهب ولد سنة 608 هـ وتوفي سنة 750 هـ، أنظر ابن كثير : البداية والنهاية ، ج14 ، ص 232 .
- (6) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج14 ، ص 134 ، وانظر ابن عبد الهادي : العقود الذرية ، ص 363-364 ، محمد يوسف موسى : ابن تيمية ، ص 110 .
- (7) الحافظ الذهبي : تذكرة الحفاظ ، ج4 ، ص 1497 .

قائلا: "مع أن الرجل قد مات بالقلعة محبوسا من جهة السلطان وكثير من الفقهاء والصوفية يذكرون عنه للناس أمورا منفرة لأهل الأديان ، فهذا كلامهم فيه وهذه جنازته" . فقد خرج من الرجال والنساء ما يقارب مائتي ألف شخصا على ما يذكر ابن كثير.(1)

والتاريخ لا يغيب عنه شيء مما يدور في أيامه ولياليه ، فإن ابن تيمية قد قيل فيه الكثير، كما قيل في غيره من العلماء ، غير أن ذاكرة التاريخ لا تنسى شيئا ، فهذا تراث ابن تيمية وهذه آراؤه ومناهجه التي لا تزال شاهدا على فكره ومبادئه وتدينه وتقواه ، كما يشهد له أعداؤه بجده واجتهاده وغزارة علمه وشجاعته في إعلاء كلمة الحق غير آبه لكيد خصومه ، فهو العالم الذي أعلاها كلمة مدوية في الافاق تفرع آذان الحساد وتزيد من ثباته وعزيمته فكان يقول : " ما يصنع أعدائي بي أنا جنتي وبستاني في صدري ، أينما رحلت فهي معي ، إن حبسوني فحبسي خلوة، وإن أخرجوني من بلدي فخرجي سياحة، وإن قتلوني فقتلي شهادة في سبيل الله ، إن في صدري كتاب الله ، وسنة رسوله".

رحم الله الشيخ النقي تقي الدين ابن تيمية ، وأجزل ثوابه ، وجعله مع الأنبياء والشهداء والصديقين ، وحسن أولئك رفيقا .

## المطلب الخامس: شيوخه وتلاميذه.

### أولا - شيوخه:

تلقى شيخ الإسلام ابن تيمية العلم عن عدد كبير من شيوخ عصره يفوق المائتي شيخ كما أشار إلى ذلك تلميذه ابن عبد الهادي(2) إلى جانب ما تهيأ له من معارف والتي نبغ فيها أهل بيته . وكان أول موجه له أبوه وقد لازمه ابن تيمية واستفاد من علمه .

ونظرا لمنزلة أبيه في العلم ومكانته بين الفقهاء ورياسة مشيخة الحديث فقد كان بيته مجتمع عنيا خاصا، يسمع فيه إلى أدق المسائل النظرية، ولذلك كان يستفيد من كل العلماء الذين كانوا بمدينة دمشق أو يفدون إليها، وقد اخترنا أبرز شيوخه لنخصهم ببعض الحديث فيما يلي:

1. أحمد بن عبد الدايم بن نعمة المقدسي، أبو العباس، زين الدين، المولود سنة 575 هـ، من شيوخ الحنابلة، عالم بالحديث، وقد كف بصره في آخر عمره توفي سنة 668 هـ(3) وقد استفاد منه ابن تيمية في الحديث.

(1) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج14 ، ص 135-138.

(2) انظر ابن عبد الهادي : العقود الذرية ، ص 4. وابن كثير : البداية والنهاية ، ج14 ، ص 136-137 ، وانظر كذلك ابن حبان : ذيل طبقات الحنابلة ، ج2 ، ص 387.

(3) انظر ترجمته في الكتبي ابن شاکر : فوات الوفيات، ج1، ص 81-82، وابن العماد: شذرات الذهب، ج6، ص 325-326

2. عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي ، الجماعيلي الأصل الصالحي ، الفقيه ، الإمام ، الزاهد الخطيب ، المولود في محرم سنة 597 هـ ، كان كثير الفضائل والمحاسن ، من تصانيفه : كتاب "شرح المقنع" لعمه موفق الدين ، وكتاب "تسهيل المطالب في تحصيل المذاهب" ، وكلاهما في فروع الفقه الحنبلي توفي سنة 682 هـ . وكان شيخا لابن تيمية في الحديث والفقه والأصول. (1)

3. شرف الدين أبو العباس: أحمد بن أحمد بن نعمة المقدسي الشافعي، المولود سنة 622 هـ. سمع الكثير، وبرع في الفقه، والأصول والعربية، وصنف فأجاد وأفاد، ولي القضاء نيابة بدمشق، وأذن في الإفتاء لجماعة من الفضلاء منهم شيخ الإسلام ابن تيمية. من مؤلفاته: كتاب في أصول الفقه، توفي سنة 694 هـ. (2)

4. المنجى بن عثمان بن أسعد بن المنجى بن بركات التتوخي ، دمشقي ، الحنبلي ، زين الدين أبو البركات ، انتهت إليه رئاسة المذهب الحنبلي بالشام في وقته . من تصانيفه : "شرح المقنع" ، و تفسير القرآن الكريم" ، وغيرهما . أخذ عنه ابن تيمية الفقه ولد سنة 631 هـ وتوفي سنة 695 هـ . (3)

5. محمد بن عبد القوي بن بدران المقدسي المرداوي، شمس الدين أبو عبد الله، فقيه، محدث، نحوي، ناظم، كان ابن تيمية ممن قرأ عليه العربية، من مؤلفاته: "كتاب الفروق" ، وغيره ، ولد سنة 603 هـ وتوفي سنة 699 هـ . (4)

6. أحمد بن إبراهيم بن عبد الغني السروجي الحنفي ، شارح الهداية ، كان بارعا في علوم شتى ، له اعتراضات على شيخ الإسلام ابن تيمية في علم الكلام ، وقد رد عليه شيخ الإسلام في مجلدات ، وأبطل حجته ، توفي سنة 710 هـ . (5)

7. علي بن أحمد بن عبد الواحد السعدي المقدسي الصالحي الحنبلي المعروف بـ "ابن البخاري كان شيخا ، عالما ، فقيها ، زاهدا ، عابدا ، مسندا ، مكثرا ، مكرما للطلبة ، حدّث نحواً من ستين سنة .

(1) انظر ابن كثير : البداية والنهاية ، ج13 ، ص 320 ، وابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ، ج2 ، ص 304-310 ، والعماد : شذرات الذهب ج5 ، ص 376-379.

(2) انظر ترجمته في : ابن كثير البداية والنهاية ، ج13 ، ص 341 ، وابن العماد : شذرات الذهب ، ج5 ، ص 424 - 425 .

(3) المصدر نفسه ، ج13 ، ص 345 ، وابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ج2 ، ص 332-333 .

(4) انظر ترجمته في ابن رجب: الذيل على طبقات الحنابلة ج2 ، ص342 ، وابن العماد: شذرات الذهب ج5 ، ص 452- 453 .

(5) انظر ترجمته في ابن كثير : البداية والنهاية ، ج4 ، ص 62.

قال ابن تيمية : " ينشرح صدري إذا أدخلت ابن البخاري بيني وبين النبي -صلى الله عليه وسلم- في حديث" توفي سنة 690 هـ<sup>(1)</sup>. وغير هؤلاء كثيرين ممن اهتم المؤرخون بذكرهم. وإلى جانب العلماء تخرج ابن تيمية عن مجموع الكتب المدونة والتي جمعت جهود العلماء ، فاستفاد منها بعد طول دراسة ودقة فحص وموازنة بين آراء العلماء الذين لم يأخذ عنهم بالسماع ، بل أفاد منهم عن طريق مؤلفاتهم.

## **ثانيا - تلاميذه:**

من الصعب حصر عدد المتخرجين على يد شيخ الإسلام ابن تيمية وذلك لكثرتهم مقارنة مع غيره من العلماء ، ويرجع سبب ذلك لكثرة تنقلاته بين مصر والشام من جهة ، وطول مدة دروسه التي كان يلقيها على مدى ستة وأربعين عاما ، وفيما يلي نذكر البعض من تلاميذه البارزين:

1. محمد بن أحمد بن عبد الهادي بن قدامة شمس الدين المقدسي الحنبلي، الإمام الأوحده، المحدث الحافظ، الفقيه البار، كان مقراء، ونحويا، ولغويا، ذا فنون كثيرة، ولد في رجب سنة 705 هـ. حصل من العلوم ما لم يبلغه الشيوخ الكبار، وتفنن في الحديث والنحو والتصريف والفقاه والتفسير والأصليين والتاريخ والقراءات، عارفا بالجرح والتعديل<sup>(2)</sup>، كان من تلاميذ ابن تيمية الملامين له، ومن مؤلفاته: "العقود الذرية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية"، و"الصارم المنكي في الرد على السبتي"، و"التفسير المسند" ، وغيرها كثير، توفي سنة 744 هـ.<sup>(3)</sup>

2. محمد بن أحمد بن عثمان التركماني الأصل ، الفارقي ثم الدمشقي ، الذهبي ، الشافعي أبه عبد الله شمس الدين "مؤرخ الإسلام" ، ولد سنة 673 هـ كان إماما في القراءات، آية في نقد الرجال، عمدة في الجرح والتعديل. من مؤلفاته : "ميزان الاعتدال في نقد الرجال" ، و"تذكرة الحفاظ" ، و"سير أعلام النبلاء" وغيرها ، توفي سنة 748 هـ .<sup>(4)</sup>

3. شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي، ثم الدمشقي الفقيه الحنبلي، مجتهد، ومفسر، برع في علم النحو والأصول، وقد اشتهر باسم "ابن قيم الجوزية" ولد سنة 691 هـ. من مؤلفاته:

(1) انظر ترجمته في ابن العماد : شذرات الذهب ج5 ، ص 414-417.

(2) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج14 ، ص 210.

(3) المصدر نفسه ، ج14 ، ص 210 وابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ، ج6 ، ص 141.

(4) انظر ترجمته في ابن العماد : شذرات الذهب ، ج6 ، ص 153-157.

"التبيان في أقسام القرآن"، و"إعلام الموقعين"، و"بدائع الفوائد" وغيرها كثير، توفي سنة 751 هـ (1).

4. محمد بن مفلح بن محمد المقدسي، الراميني، الدمشقي، الحنبلي، "شمس الدين أبو عبد الله" تولى نيابة قاضي القضاة جمال الدين بن يوسف الحنبلي. كان بارعا في نقل مذهب أحمد بن حنبل، فقيه، أصولي، محدث. من مصنفاته: كتاب الفروع، توفي سنة 763 هـ (2).

5. شرف الدين أبو العباس، أحمد بن الحسن بن عبد الله بن أبي عمر محمد بن أحمد بن قدامة الحنبلي، شيخ الحنابلة المقدسي الأصل ثم الدمشقي الشهير بـ "ابن قاضي الجبل"، ولد في شعبان سنة 693 هـ، وكان عالما بالحديث وعلله، والنحو واللغة، والمنطق، قرأ على ابن تيمية عدة مصنفات في علوم شتى، وأذن له في الإفتاء. من مصنفاته: "الفائق في فروع الفقه الحنبلي"، توفي سنة 771 هـ (3).

6. إسماعيل بن عمر بن كثير البصري، ثم الدمشقي، أبو الفداء عماد الدين، حافظ مؤرخ، فقيه، مفسر، ولد سنة 701 هـ، أخذ الكثير عن الشيخ تقي الدين ابن تيمية، وأقبل على حفظ المتون ومعرفة الأسانيد، والعلل والرجال، والتاريخ، حتى برع في ذلك وهو شاب، من مؤلفاته: "تفسير القرآن العظيم"، و"كتاب البداية والنهاية"، وغيرهما كثير. توفي سنة 774 هـ (4) وغير هؤلاء كثيرين، فضلا عن تأثر بفكره ومنهجه عن طريق كتبه وأثاره، التي خلدت لهذه الشخصية الموسوعية مآثرها.

## المبحث الثالث: آثاره ومصادر فكره في دراسته للنصرانية:

### المطلب الأول: آثاره.

مؤلفات شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية كثيرة ومتنوعة، ومن الصعوبة عدّها على وجه الدقّة وذلك بسبب ضياع الكثير منها جراء ما أصاب الشيخ من محن، فيذكر ذلك صاحب العقود الذريّة إذ قال: "إنه لما حبس تفرّق أتباعه، وتفرقت كتبه، وخوفوا أصحابه من أن يظهروا كتبه، وذهب كل واحد بما عنده وأخفاه، ولم يظهروا كتبه، فبقي هذا يهرب بما بقي عنده، وهذا يبيعه أو يهبه، وهذا يخفيه ويودعه، حتى

(1) انظر ترجمته في ابن كثير: البداية والنهاية ج14، ص 234-235، وابن العماد: شذرات الذهب، ج6، ص 168-170.

(2) المصدر نفسه، ج14، ص 294، وابن العماد: شذرات الذهب، ج6، ص 199-200.

(3) انظر ترجمته في ابن العماد: شذرات الذهب، ج5، ص 424-425.

(4) المصدر نفسه، ج6، ص 231-232.



إن منهم من تسرق كتبه ، أو تجرد ، فلا يستطيع أن يطلبها ، ولا يقدر على تخليصها<sup>(1)</sup> . ونيزده الأسباب اضطرب المؤرخون في ذكر مصنفاته، فقال الذهبي : " لعلها ثلاثمائة مجلد" وقال فيما نقله عنه ابن عبد الهادي "... وما أبعد أن تصانيفه إلى الآن تبلغ خمسمائة مجلد".<sup>(2)</sup>

ولا غرابة أن تبلغ مؤلفات ابن تيمية هذا المقدار فقد عرف عنه سعة الحفظ، وقوة الإستحضار، وسرعة الكتابة، حتى قال فيه أحد الشيوخ" لو أراد الشيخ تقي الدين -رحمه الله- أو غيره حصرها - يعني مؤلفات الشيخ- لما قدروا، لأنه ما زال يكتب وقد من الله عليه بسرعة الكتابة، ويكتب من حفظه من غير نقل".<sup>(3)</sup>

وقد عني ابن الكتبي بذكر مؤلفاته ، وتصنيفها حسب العلوم المختلفة، فأدرج منها في التفسي، وأصول الدين، وأصول الفقه وغيرها من العلوم المختلفة<sup>(4)</sup> ونحن هنا نقصر الكلام على بعض مؤلفاته التي أفردها في أصول الدين، وذلك فيما يلي:

## أولا - مؤلفات عامة :

على العموم فإن مؤلفات ابن تيمية يصعب ذكرها بأسمائها لكثرتها -كما أشرنا من قبل- ومن أهمها على سبيل التمثيل لا الحصر :

- 1- درء تعارض العقل والنقل.<sup>(5)</sup>
- 2- موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول.<sup>(6)</sup>
- 3- الاستقامة.<sup>(7)</sup>
- 4- الإيمان.<sup>(8)</sup>
- 5- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية.<sup>(9)</sup>

وغير هذه الكتب كثير، فضلا عن الرسائل والفتاوي التي كان يفرد لها بحوثا مستقلة . وقد اهتم

(1) ابن عبد الهادي : العقود الذرية ، ص 48.

(2) المصدر نفسه ، ص 20 ، وانظر ابن العماد : شذرات الذهب ، ج 6 ، ص 84.

(3) المصدر نفسه ، ص 47.

(4) الكتبي ابن شاکر : فوات الوفيات ، ج 1 ، ص 75-80.

(5) طبع في أحد عشر مجلدا ، بتحقيق د. محمد رشاد سالم ونشرته جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

(6) طبع في مجلدين من نسخة خطية بمكتبة المحمودية المدنية ، ط 1 ، بيروت ونشرته دار الكتب العلمية 1405 هـ ، 1985 م .

(7) طبع في مجلدين بتحقيق د. محمد رشاد سالم ونشرته مكتبة ابن تيمية بالقاهرة .

(8) طبع في مجلد ونشرته دار الكتب العلمية ببيروت ، 1416 هـ - 1995 م .

(9) طبع في سبع مجلدات تحقيق د. عبد الرحمن عميرة.

وغير هذه الكتب كثير، فضلا عن الرسائل والفتاوي التي كان يفرد لها بحوثا مستقلة . وقد اهتم العلماء المتأخرون بجمع آراء ابن تيمية وفتاواه في مجلدات ضخمة.(1)

## ثانيا - مؤلفاته في الرد على النصارى :

تناول ابن تيمية مباحث الرد على النصارى في عدد من المؤلفات نذكرها على التوالي :

### 1- " الرد على النصارى" : وقد طبع ضمن مجموع فتاوي ابن تيمية(2) وقد جاء ميثوثا في باب

الحديث عن توحيد الألوهية ، فذكر مذهب المسلمين في ذات الله وصفاته ، وقد تعرض خلال ذلك لمذاهب الفرق الغالية فدرس النصرانية ضمن أصول علم التوحيد الإسلامي. وهذا يبرز لنا تخصيص هذه الدراسة لعقيدة التثليث والاتحاد دون غيرها من الأغراض الجدلية الأخرى ، والتي كانت مجالا خصبا للردود. وقد أبطل شيخ الإسلام مقولات النصارى في ذات الباري وبين فساد ذلك.

### 2- "تخجيل أهل الإنجيل" (3).

### 3- "الرسالة القبرصية":

هذه الرسالة هي عبارة عن خطاب شيخ الإسلام ابن تيمية إلى "سرجواس" ملك قبرص، وكان سبب ذلك وقوع عدد من المسلمين والنصارى أسرى بأيدي القبارصة الصليبيين، فوجه ابن تيمية إلى ملكهم هذا الخطاب يسأله فيه مساعدة هؤلاء الأسرى، والإحسان إليهم، والمعاونة على خلاصهم(4) لما بلغه عن لطف الملك؛ وقد اتخذ ابن تيمية من هذه الرسالة مناسبة سانحة لدعوة الملك لدين الإسلام والكشف عن أصول العلم وحقائق الإيمان، فدعا لعبادة الله وحده لا شريك له كما أمر، وبين له أنه

(1) طبع في مجلدين بتحقيق د. محمد رشاد سالم ونشرته مكتبة ابن تيمية بالقاهرة .

(2) طبع في مجلد ونشرته دار الكتب العلمية ببيروت ، 1416 هـ - 1995 م .

(3) طبع في سبع مجلدات تحقيق د. عبد الرحمن عميرة.

(1) من أهمها مجموع فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية ، طبع في سبع وثلاثون مجلدا ، جمع وترتيب : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ونشرته مكتبة المعارف بالمغرب.

(2) انظر بالخصوص ج1 وعن الصفحات أنظر ملحق الفهارس الخاص بالفرق.

(3) لم نعثر على هذا المرجع وقد ذكره صاحب دائرة المعارف الإسلامية ، مادة : ابن تيمية ترجمة : أحمد الشنتناوي ، ص 114 . زكي خورشير عبد الحميد يونس د. طبعة (لبنان : دار المعرفة) ، ج 1 ، ص 114 .

(4) انظر ذلك في ابن تيمية : الرسالة القبرصية ، تحقيق وتعليق : علاء دمج ط 2 (بيروت ، دار ابن حزم للطباعة والنشر ، 1410 هـ - 1990 م) ، ص 40.

الذين الذي جاء به المسيح وعلمه الحواريين، كما جاء في نص الخطاب<sup>(1)</sup>. وهذه الرسالة على صغر حجمها -والتي تقدر بـ: 52 ص- ضمنها شيخ الإسلام مسانئ جند هامة ومركزة في الجدل الديني مع النصارى، فكشف فيها عن عقائد النصارى ومذاهبهم، وردّ فيها على دعاويهم ودحض باطلهم بالحجة الدامغة ومن ذلك ما رد به على دعوى التثليث في قوله: "وجعلوا الإله الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد قد ولد واتخذ ولدا، وأنه إله حيّ عليه قدير جوهر واحد، ثلاثة أقانيم، وأن الواحد منها أقنوم الكلمة وهي العلم، هي تدرعت الناسوت البشري، مع العلم بأن أحدهما لا يمكن انفصاله عن الآخرين إلا إذا جعلوه ثلاثة آلهة متباينة، وذلك ما لا يقولونه. وتفرقوا في التثليث والإتحاد تفرقا، وتشتتوا تشتتاً لا يقرّ به عاقل، ولم يجيء به نقل، إلا كلمات متشابهات في الإنجيل وما قبله من الكتب، قد بيّنتها كلمات محكمات في الإنجيل وما قبله، كلّها تنطق بعبودية المسيح وعبادته لله وحده ودعائه وتضرّعه"<sup>(2)</sup>.

كما كشف عن تحريف النصارى لشرع المسيح، واستبداله بشرع المشركين، فيذكر من ذلك الصلاة إلى المشرق، وعبادة الصليب، وإدخال الألقان في الصلوات ، وغيرها، فكّلها عبادات لم يشرعها الله، ولم ينزلها على نبي من أنبيائه<sup>(3)</sup>. وقد أتبع ذلك بالحديث عن دين الحق وهو الإسلام، فبيّن محاسنه مقارنة مع دين النصارى، وبيّن صدق دعوى الرسول - صلى الله عليه وسلم - مثبتاً لنبوته<sup>(4)</sup>. وتمتاز هذه الرسالة بأسلوب يجمع بين قوة الحجة ووضوح المطلب، ببيان سمح يخاطب العقل والعاطفة على السواء، دون تجاوز مجال الجدل الديني نطاقه الشرعي، وهو الجدل بالتي هي أحسن.

#### 4- كتاب "الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح": يعتبر بحق -كما قال صاحب-

"فصل الخطاب" إذ إستجمع فيه شيخنا طاقته ودلى بدلوه فأسكت الخصم عن حجّته، ونقض أدلّته عقلاً ونقلاً. وهو من أهمّ الأعمال التي أنجزها ابن تيمية في مجال الجدل الكلامي الذي خصّ به دين النصارى، فأثار في دراسته النقدية أصول عقائدهم وذكر دقيق مذاهبهم، فضلاً عن مناقشته لشرائعه وإبطالها.

كما جمع الكتاب بين المناقشة الخصبة المنتجة والمعلومات العلمية الدقيقة، وإلى جانب ذلك فهو

(1) انظر ذلك في ابن تيمية : الرسالة القبرصية ، تحقيق وتعليق : علاء نمج ط 2 (بيروت ، دار ابن حزم للطباعة والنشر ، 1410 هـ - 1990م)، ص 50.

(2) المصدر نفسه ، ص 27.

(3) المصدر نفسه ، ص 32 وما بعدها.

(4) المصدر نفسه، ص 35 وما بعدها.

يعكس تطور آليات النقاش وسعة الأدلة وتنوعها، فخرج الكتاب على مستوى رفيع وجودة ناذرة.

وهو من ناحية مصدر في باب<sup>(1)</sup>، وموسوعة ضخمة في مقارنة الأديان، إذ يقع في أربع مجلدات. ونحن نخص هذا الكتاب بشيء من التفصيل، لأنه يمثل أثراً قيماً من آثار ابن تيمية، وهو يعكس لنا جانباً من فكره وثقافته المتنوعة، كما يكشف لنا عن منهجه في مجال الجدل الكلامي الخاص بالرد على النصارى والذي هو موضوع دراستنا، وذلك فيما يلي :

## المطلب الثاني: أهمية كتاب الجواب الصحيح.

### أ - إسم الكتاب ونسبته إلى المؤلف :

يعارض ابن تيمية طريقة المتكلمين في حصر مسائلهم على ما يعلم بالعقل عند ردهم على النصارى، كالتثليث وتكذيب محمد -صلى الله عليه وسلم-، فيعيب عليهم حصر بحوثهم على ذلك، دون اهتمامهم بمسائل هي من أصول الدين، كمباحث الرسالة والنبوة، لتعلق الكفر والإيمان بهما، فلو تبين ما خالفوا فيه الأنبياء ظهر كفرهم، وقد نهج القرآن هذا المنهج فدم مخالفي الأنبياء، وبين كفرهم.<sup>(2)</sup>

وقد حرص ابن تيمية على إثراء كتاب الجواب الصحيح، بهذه المسائل، كما ضمنه جميع المسائل المتعلقة بأصول الدين، فيذكر ذلك قائلاً: " وقد ذكرت في الرد على النصارى من مخالفتهم للأنبياء كلهم مع مخالفتهم لصريح العقل ما يظهر به من كفرهم ما يظهر، ولهذا قيل فيه الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، وخطابهم في مقامين :

**أحدهما** : تبديلهم لدين المسيح.

**والثاني**: تكذيبهم لمحمد صلى الله عليه وسلم".<sup>(3)</sup>

كما يذكر ابن تيمية مناقشته لليهود كلما قرن ذكرهم مع النصارى أو كلما أثار مسألة يشترك فيها اليهود والنصارى، كخطابهم في تكذيب من بعد موسى إلى المسيح ثم في تكذيبهم لمحمد صلى الله عليه وسلم.<sup>(4)</sup>

(1) ينقل صاحب الفارق فصلاً كاملاً من كتاب "الجواب الصحيح" في نقض التثليث والرد على النصارى، ويذكر أهمية هذا المرجع في هذا الباب فيقول : " وقد رأيت في الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لشيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- على فصلاً شافياً في هذا الباب ، وكلاماً وافياً بالدلالة على طريقة الصواب ، فأثرت نقله لينتفع به طالب الحق... " ، باجه جي رده عن الرحمن : الفارق بين المخلوق والخالق (وعلى هامشه كتاب : الأجوبة الفاخرة للقرافي وهداية الحيارى لابن قيم الجوزية) -الطبعة (مصر : مطبعة الموسوعات) ، ص 361.

(2) أنظر ابن تيمية : مجموع الفتاوى ، ج 19 ، ص 188.

(3) المصدر نفسه ، ج 19 ، ص 189.

(4) المصدر نفسه ، ج 19 ، ص 189.

ويبدو أن كتاب الجواب الصحيح قد أفرّد للرد على النصارى في الأصل . ويظهر ذلك عند عرضنا لسبب تأليف هذا الكتاب .

## ب- سبب تأليف هذا الكتاب :

السبب الباعث لتأليف هذا الكتاب يقوم على أمرين :

- **أولهما** : رغبة شيخ الإسلام في إعلان الإسلام بين المسيحيين ، لذلك نهج في هذا الكتاب طريقة المقارنة بين الدينين لبيان الحق ، والتأكيد على نبوة المسيح عليه السلام ودعوته ، ويظهر أن الدافع الذي بعث بالشيخ لهذا الموقف هو الإحتكاك الذي كان بين المسلمين والنصارى في دار الإسلام أثناء الحروب، والتحريضات السياسية ضد المسلمين ، وممانئة أهل الذمة للتتار ، بالرغم من العدل الذي نعم به هؤلاء في ظل الحكم الإسلامي. فكان لزاما على الشيخ أن يدلو بدلوه وهو من ناصر الحق وقام على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

- **والثاني** : وهو السبب المباشر أن كتابا ورد من "قبرص" فيه بيان أن دين النصارى هو ما جاء في كتبهم، وفيه الإحتجاج بالأدلة السمعية والعقلية الرائجة عند علمائهم ، فنصّب ابن تيمية نفسه للرد على دعواهم، فقال: " فاقترضى أن نذكر من الجواب ما يحصل به فصل الخطاب ، وبيان الخطأ من الصواب، لينتفع بذلك أولوا الألباب ، ويظهر ما بعث الله به رسله من الميزان والكتاب ، وأنا أذكر ما ذكره بألفاظهم بأعيانها فصلا فصلا ، وأتبع كل فصل بما يناسبه من الجواب فرعا وأصلا ، وعقدا وحلا".<sup>(1)</sup> ، ويضيف ابن تيمية هذه الرسالة إلى "بولص" الراهب أسقف صيدا الأنطاكي<sup>(2)</sup> ، كتبها لى بعض أصدقائه.<sup>(3)</sup>

وقد عني ابن تيمية في كتابه بهدم حجج الخصم في مناقشة هادئة وجدل متأدب بخلق انحران

﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ...﴾<sup>(4)</sup> كما وقف من دعواهم في دين

محمد-صلى الله عليه وسلم- ونبوته موقفا دفاعيا عن أصول الإسلام عقيدة وشريعة.

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح (المقدمة) ص 19 .

(2) بولص الراهب : أسقف صيدا الإنطاكي ، ولد سنة 260 ، وتوفي سنة 272 ، كان من النصارى الملكية من مذهبه القول بنفسى ولادة المسيح وبنوته للرب ، وقال إنما هو ابنه بالتبني انظر :

Revue de la "picke, E: Dictionnaire des Religions (Paul Evêque d'antioche) 1er ed. (Paris: press universitaires de France 1954),

ص 177

(3) تضمنت هذه الرسالة ستة فصول أنظر ابن تيمية : الجواب الصحيح (المقدمة) ، ج 1 ، ص 20 .

(4) سورة العنكبوت: آية 46 .

## ج - محتوى الكتاب :

يتضمن كتاب "الجواب الصحيح" أربعة محاور أساسية نشير إليها بإيجاز فيما يلي:

### المحور الأول:

وفيه رد ابن تيمية على ما جاء في "الرسالة القبرصية" ومضمونها ستة دعاوي :

### الدعوى الأولى:

وهي قول النصارى أن محمدا -صلى الله عليه وسلم- لم يبعث إليهم بل بعث إلى أهل الجاهلية من العرب ، وأن القرآن فيه ما يدل على ذلك وكذلك العقل ، فيرد ابن تيمية حججهم ، ويأخذ مما ساقوه دليلا على عموم الرسالة المحمدية ، كما يثبت ذلك بدلائل كثيرة ، و ينتقد كتبهم التي بأيديهم ويعرج على ذكر شرائعهم ، فيعيب عليهم ما استحدثوه من فروع كاستحلالهم لحم الخنزير ، وامتناعهم عن الختان ، وتقديسهم للصليب ، مؤكدا على صدق محمد صلى الله عليه وسلم وعموم رسالته .

### الدعوى الثانية:

أن محمدا أثنى في القرآن على دينهم-أي النصرانية- الذي هم عليه ومدحه بما أوجب أن يثبتوا عليه، وفي هذا الفصل يبين ابن تيمية حقيقة المسيحية التي زكّأها القرآن، وما اعترأها من تغيير وتبديل، ويثبت دين الحق الذي جاء به المسيح عليه السلام، ثم يعرض لسبب انحرافهم، وتحريفهم الكلم عن مواضعه، وهو في كل هذا يفسر آيات القرآن التي يسوقونها لأنفسهم محتجين بها، فيبين خطاهم في ذلك.

### الدعوى الثالثة:

دعواهم أن كتب الأنبياء المتقدمين -كالتوراة والزيور والإنجيل ، وغير ذلك من الصحف تشهد لما عليه دينهم من التثليث والأقانيم، وأنه يجب التمسك به ، إذ لا يعارضه شرع ولا يدفعه عقل ، وهنا نجد ابن تيمية يتقصى نقولهم نصا نصا ، مبينا سوء فهم النصارى لنصوصهم ، وحملها على معنى التثليث والإتحاد بما لا تدل عليه الألفاظ ، ليثبت فساد تأويلهم محتجا في ذلك بظاهر النصوص ، والتي تقوم مقام المحكم من الآيات الدالة على التوحيد. كما يعرض دراسته على سند النصوص المشكوك في صحتها. وهكذا يهدم مقدمات الدليل الذي يحتجون به ليخلص إلى إبطال عقيدتهم، مستعينا في ذلك ببعض نصوص القرآن، مثل قوله تعالى:

﴿إِنَّ كُلَّ عَيْسَى عِنْدَ اللَّهِ كَكُلِّ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾<sup>(1)</sup>.

### الدعوى الرابعة:

أن ما هم عليه من التثليث والأقانيم واتحاد اللاهوت بالناسوت ثابت بالعقل والشرع ، متفق مع الأصول، وفي رد ابن تيمية على هذه الدعوى يتم ما ذكره في الفصل السابق ، فيبين حقيقة التوحيد الذي جاءت به الديانة، ويخوض في العقليات وما يتعلق بأحكام العقل والبداهة فيفسر الإلهيات تفسير الخبير العارف ، ثم يعرض لمناقشة النصارى فيرد على مقالة أريوس<sup>(2)</sup>، ويتتبع تاريخ النصرانية وكيف شايح قسطنطين ملك الرومان النصرانية ، واضطهاد النصارى أتباع المسيح، ثم كيف بدأ التحريف ينحى بهذا الدين منحاً آخر، ليثبت في موضوعية تامة فساد دين النصارى.

### الدعوى الخامسة:

أنهم موحدون وأن ما عندهم مما يوهم التعدد كألفاظ الأقانيم إنما هي من جنس ما عند المسلمين من النصوص التي يظهر فيها التشبيه والتجسيم ، فيناقش ابن تيمية هذه المسائل ، ويبين بطلان دعوى النصارى في توفيقهم بين التوحيد والتثليث لأن ذلك متناقض ، كما يتعرض بالنقد للتشبهات التي تمثل بها النصارى لبيان علاقة التوحيد بالتثليث كفيضان شعاع الشمس على الأرض ، فيرد ذلك ، كما يبين عقيدة المسلمين وأصولها ، وأن الله ذات واحدة تختص بصفات الكمال التي لا يشركه فيها أحد من غير تشبيه ولا تجسيم ، وأن ذلك لا يشبه في شيء مما تجتمع عليه النصارى من التثليث والأقانيم.<sup>(3)</sup>

### الدعوى السادسة:

دعواهم أن المسيح عليه السلام جاء بعد موسى عليه السلام بغاية الكمال ، فلا حاجة بعده إلى شرع آخر، بل يكون ما بعد ذلك شرعاً آخر غير مقبول ، ويقولون في ذلك إن الشريعة شريعة عدل وفضل ، وأن شريعة الفضل جاء بها موسى عليه السلام ، وفي التوراة تنظيم أحكامها ، فلما استقرت

(1) سورة آل عمران : آية 59.

(2) أريوس : 256 - 336 لاهوتي مسيحي تلقى آراؤه في التثليث إنتقادات كثيرة من طرف الكنيسة وبسبب مخالفته لأستاده اعميس وطرده وجرّد من كهنوته ثم رجع عن المخالفة فأدخله إسكندروس بطرك الإسكندرية إلى الكنيسة وصيّره قسا في حوالي 318 ، سجن مجمع الأساقفة قرّر نفيه وأمر القيصر بقتله فاختم في ثم ظهر بعد ذلك. أنظر :

Richard Picke E. Dictionnaire des religions Arius , p. 26.

Alain R. et d'autres : Ecclesia, Encyclopédie populaire des connaissances Religieuse, (Paris : Librairie Bloud et Co. 1933) p412-413.

(3) أنظر عن ذلك : ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج3 ، ص 130.

واطمان الناس إلى أحكامها ، جاءتهم شريعة الفضل وشريعة الكمال ، فجاء عيسى بهذا التمدد والفضل فلا حاجة بعدها للشريعة<sup>(1)</sup>.

فيرد ابن تيمية في هذا الباب ردا محكما ، ويسير على مقتضى منطقهم فيقول : إن الشرع ثلاثة لا إثنان ، شريعة عدل وشريعة فضل ، وشريعة جمعت بين العدل والفضل ، أي بين التنظيم الاجتماعي في كل صوره وفروعه الجزئية التي تختلف باختلاف العصور والكمال الإنساني والنزوع الروحي ، فالشريعة التي جمعت هذين العنصرين هي أكمل الشرائع ، وهي شريعة الإسلام ، فيحذر تلك ضمن دراسة دقيقة وأزن فيها بين ما جاء في التوراة والقرآن من جهة ، وبين ما في نصوص الإنجيل والقرآن من جهة أخرى .

ونجد هذه الدعاوي والرد عليها مبثوثة في ثلاثة أجزاء من مجموع كتاب "الجواب الصحيح لس بدل دين المسيح" ، والذي طبع في أربع مجلدات ، وقد جاءت هذه الدعاوى الست والرد عليها تباعا في الجزء الأول والثاني والثالث.

## المحور الثاني:

تفسير النصوص القرآنية والنبوية التي استدلت بها في الرد عليهم.

## المحور الثالث:

تصحيح خطأ النصارى في فهم نصوصهم الكتابية، وتفسيرها على وجهها الصحيح الذي يوافق اللغة ويوافق دعوة الأنبياء.

## المحور الرابع:

دراسة مقارنة للنبوات الثلاثة: الإسلام والنصرانية، واليهودية. وضمن هذا المبحث يثبت ابن تيمية البشارات بالشرع المحمدي ، والإشارة إلى الشرع الكامل ، وأن الشرائع التي سبقت تمهيد وهو النهاية ، وطريق وهو الغاية. ويعقب ذلك بالكلام في شخص الرسول -صلى الله عليه وسلم-، وشريعته ومعجزاته، ودلائل ذلك، وقد تناول هذه الأمور ابتداء من نهاية

(1) عن هذه الدعاوي أنظر: ابن تيمية: الجواب الصحيح(المقدمة).



الجزء الثالث إلى الجزء الرابع كله، وهو ما ختم به هذا الكتاب الذي يعتبر من أوسع المصادر وأدقها مما كتب في مقارنة الأديان، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدلّ على عبقرية تقي الدين ابن تيمية. وفكره الواسع.

#### د - منهج المؤلف في كتابه :

يعتبر كتاب "الجواب الصحيح" وثيقة تعكس قوة الجدل ، وريانة الحجة ، وعمق التناول وسعة المعرفة ، فنرى ابن تيمية حين يمهد للكتاب بذكر سبب تأليفه ثم يقسمه إلى فصول رد في كل فصل منه دعوى من دعاوى النصارى ، وسنده في ذلك الإستدلال بالبراهين العقلية ، ثم التدليل على صحة تلك بالنصوص الكتابية التي يراها صحيحة قياسا على نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية ، وكان ذلك هو المنهج الذي سار عليه في جميع فصول الكتاب ، وهذا يبرر عرضنا للأدلة على هذا الترتيب .

وقد التزم شيخ الإسلام ابن تيمية في عرضه لأراء ومذاهب الطرف الآخر التواضع والموضوعية، وأمانة النقل عنهم ، وسوق حججهم غير مبتورة أو مضطربة ، بل نقلها بألفاظها . كما قالها أصحابها وهو يذكر في ذلك بضرورة توفر هذا الجانب في البحث العلمي فيشترط في الحاكم على علم الأديان العلم والعدل<sup>(1)</sup> حتى يكون بحثه موضوعيا مجردا عن كل ذاتية وتحيز . فقد تقيّد في رده على النصارى بترتيب الرسالة القبرصية ، والتي جاء فيها نصرّة دين النصارى ، كما كان في كتابه يحيل دائما إليهم بقوله : " قالوا ... " وأحيانا يحيل إلى واسطة ينقل عنها مذاهب النصارى أثناء حججه معهم ، فيقول في بعض الفصول: "قال الحاكي عنهم" ثم يعقب بعد ذلك بالنقد والحجج والبراهين التي تنتقض أقوالهم وتبطل مذاهبهم، وهو في معظم الفصول يكثر من الإستطراد الهادف، تذكيرا بمسألة كان قد عرضها ثم يناقش مسألة أخرى لها علاقة ببعض جزئياتها ، فيكررها من هذا الباب ، أو لاثاق المسألتين في وجه الدليل أو الحجة، أو لأن النتيجة التي يبني عليها الرد تتطلب ذكر جميع مقدمات الدليل وغيرها، فكان هذا المنهج الذي توخاه يوجب إستطرادا في بعض المواضع، وقد ساعد ذلك على الإسترسال في الأفكار وتيسير الفهم في المسائل الكلامية الدقيقة .

وقد جمع ابن تيمية في منهجه إزدواجية الخطاب فهو يقف موقف المهاجم لعقائد النصارى ومذاهبهم بالحجة والبرهان ، كما نراه مدافعا عن الإسلام في أصوله وشرائعه ولم يفته في ذلك أن يثير

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 1 ، ص 22.

نقاشات حول الشبه التي تثار على الإسلام وهو بريء منها ، فيعرض للمذاهب الغالية فحتمـه ويبحث عن أصولها التاريخية ليثبت نسبتها لقول النصارى ، كرده على القائلين بالتجسد ووحده لوجود غيرها. وقد درس هذه المسائل على وجه مفصل ودقيق ينذر أن نجده في غيره من المراجع التي صنفت في هذا المجال.

ولابد من الإشارة هنا إلى أن كتاب "الجواب الصحيح" قد سلك فيه صاحبه نهجا فريدا في نفسه للعقائد النصرانية ، وذكر رجالها ، ومذاهبها ودقيق آرائها ، وتتبع تاريخها ، وتفحص نصوصها ، وقد أخضع ذلك لدراسة تحليلية وظف فيها مناهج علمية حديثة ومتنوعة ، فكانت الأدلة المدلى بها من طرف ابن تيمية كثيرة ومقنعة ، مما أكسب الرد نفسا طويلا في مناقشة الخصم. والكتاب فوق ذلك جمع الكثير من العلوم والفنون وهذا يكشف لنا عن سعة فكر ابن تيمية وإطلاعه الواسع ، فنراه على اطلاع بوجوه التأويل وطرق التفسير، وعلم الحديث ورجاله ، واللغة ومباحثها النحوية والصرفية والبلاغية وغيرها من العلوم ، إضافة إلى علمه الواسع بالفلسفة والمنطق ، وطرق الجدل ، حتى أن القارى يجد نفسه أمام موسوعة ثرية بالمعلومات والحقائق الراسخة بأقوى الحجج ، وأقنع البراهين ، على مستوى رفيع من اللغة والأسلوب.

وهذا النهج الذي سلكه ابن تيمية في كتابه "الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح" قد ميّز هذا المصنّف من بين ما أفرّد في الرد على النصارى ، مما يعطي للكتاب قيمة علمية رفيعة .

### **المطلب الثالث: مصادر فكر ابن تيمية في دراسته للنصرانية.**

لا شك أن شيخ الإسلام ابن تيمية قد استقى معارفه في دراسته للنصرانية من مصادر متعددة يستر عليه إخراج عمله في موسوعة ضخمة جمعت العديد من جوانب الفكر الإنساني ، وأحاطت بمختلف العلوم والفنون وتناولت على وجه الخصوص الرد على أهل الكتاب .

وقد كان للمكتبات الكثيرة والتي انتشرت في عصره وجمعت العديد من الكتب دور في تكوين فكره في هذا الجانب، فضلا عن ذاتية ابن تيمية وطبيعته المستقلة والتي جعلت منه مبتكرا أكثر منه ناقلا، وقد خصصنا هذه الدراسة لأهم المصادر والتي نتناولها في النقاط التالية:

### **أولا : المصادر الإسلامية :**

#### **1- القرآن :**

يكشف رد ابن تيمية في مناقشته للنصارى عن جملة من الآيات القرآنية التي عالجت حقيقة

المسيحية وناقشت أهم الأغراض النقدية، وهذا يؤكد اعتماده على القرآن الكريم كمصدر أساسي في عرض مسائل الرد<sup>(1)</sup> .

وقد خصص القرآن جزء من تلك النصوص لذكر النصارى على وجه الإشارة فقط وذلك في المرحلة المكية (612-622) ، كما جاء في سورة الفاتحة ، وذكر أشخاص زكرياء ، يحيى ومريم . وذكر مولد عيسى عليه السلام والمحيط الذي نشأ فيه<sup>(2)</sup> .

وكان ذلك بصورة لا تختلف في جوهرها عما يؤمن به النصارى وكما ورد في الأناجيل لا في بعض الجزئيات ، ومن النصوص التي لها علاقة بأغراض الردود ، تعرض القرآن في هذه الفترة لدحض عقيدة بنوة المسيح والتأكيد على أنه عبد مرسل ونبي جاء بالحكمة والبيّنات ودعا للتوحيد . ومن بين ذلك اخترنا النصوص التالية :

1- قوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَكَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ، وَإِنَّ اللَّهَ رَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ، فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾<sup>(3)</sup> .

2- قوله تعالى : ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أُنْمِنَّا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ... وَكَلَّمَا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلَفُونَ فِيهِ ، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴾<sup>(4)</sup> .

3- وقوله تعالى : ﴿ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ، مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾<sup>(5)</sup> .

أما في المرحلة المدنية (622-632م) فقد وردت فيها جل الآيات المتعلقة بالمسيحية وشكك عددا أوفى من الأغراض كان بعضها قد أثير في السور المكية ، وبعضها الآخر يتعرض له ابتداءً . وقد عبر القرآن عن رفضه وإنكاره للعقائد النصرانية مبينا إزاء ذلك جوهر العقيدة الإسلامية التي تعادل دين الله الواحد القائم على التوحيد الذي جاء على ألسنة جميع الرسل ، فقد أكدت العديد من الآيات على الوحدانية المطلقة التي لا تحتمل أن يكون الله ثالث ثلاثة ، وأن يكون هو المسيح ، وأن يكون له ولد ، ومن ذلك :

(1) انظر سورة مريم: آية 1-33، والمؤمنون: آية 50، والأنبياء: آية 89-91، وانظر ابن تيمية الجواب الصحيح، ج1، ص 239.

(2) الشرفي عبد المجيد: الفكر الإسلامي في الرد على النصارى، ص 115-116.

(3) سورة مريم : آية ( 35-37).

(4) سورة الزخرف : آية ( 59،63 ).

(5) سورة الكهف : آية ( 4-5).

(6) الشرفي عبد المجيد : الفكر الإسلامي في الرد على النصارى ، ص 117.

1- قوله عز وجل : ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ، قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ، إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ، وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ، يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ .<sup>(1)</sup>

2- وقوله : ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ .<sup>(2)</sup>

3- وقوله أيضا : ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلَّمْتُهُ فَأَنصَرْتُهُ إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ .<sup>(3)</sup>

و القرآن ينفي العلاقة التي يمكن أن تربط الإنسان بالإله في صفة الحلول والاتحاد ، فأكد من جهته على نفي كون المسيح ابنه في قوله تعالى : ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرُ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِيُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ .<sup>(4)</sup>

كما نفى دعوى أن يكون عيسى دعا الناس إلى اتخاذه وأمه إلهين من دون الله أو أن يكون قد دعاهم لعبادته ، فقال تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ آتَيْتُكَ الْقُلُوبَ اتَّخِذِي مِنَ الْإِيمَانِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ، مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ .<sup>(5)</sup>

(1) سورة المائدة : آية 17 ، وانظر ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 1 ، ص 249 .

(2) سورة المائدة : آية 73 ، وانظر المصدر نفسه .

(3) سورة النساء : آية 171 . وانظر : ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 1 ، ص 234 ، ج 2 ، ص 84 .

(4) سورة التوبة : آية 30 . وانظر : المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 51 .

(5) سورة المائدة : آية 116-117 . وانظر : المصدر نفسه ، ج 1 ، ص 250 .

فما هو إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام<sup>(1)</sup>، وقد أوتي الكتاب والحكم والنبوة<sup>(2)</sup>، وأوحى إليه بالإنجيل<sup>(3)</sup>، وجاء قومه بالآيات<sup>(4)</sup>، وأنه ولد من غير أب<sup>(5)</sup> ومثله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فكان<sup>(6)</sup>.

كما عرض ابن تيمية الآيات التي يعترض فيها الله عز وجل على النصارى اتخاذهم المسيح إليها ويرد عليهم دعواهم التي أسست على ما تشابه عليهم من ألفاظ فسروها على غير مدلولها وهي: "الكلمة" و "الروح" فبين خطأ تقديرهم ، ومن بين النصوص التي تناولت ذلك ما يلي :

قوله تعالى : ﴿ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﴾<sup>(7)</sup> والمراد بالكلمة كلمة التكوين ، وقد دل على ذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾<sup>(8)</sup> أما عن الروح فقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أُنقِذَ إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ﴾<sup>(9)</sup>.

وكما نفى القرآن ألوهية عيسى ، فإنه نفى دعوى اليهود في صلب المسيح فقال : ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ، بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾<sup>(10)</sup> وإلى جانب هذه الآيات المحورية والتي مثلت جانبا تأسيسيا لمواقف الردود الإسلامية في مناقشتهم لعقائد النصارى ، أثار القرآن الكريم أغراضا أخرى تتعلق بموقف النصارى من الوحي وسلوكهم من الناحيتين الدينية والأخلاقية فيصنفهم القرآن صنفين متميزين. يتمثل الصنف الأول منهم

(1) أنظر سورة المائدة : آية 75. وانظر : المصدر نفسه ، ج2، ص279.

(2) أنظر سورة آل عمران : آية 48-49 .

(3) انظر سورة الحديد : آية 27 ، والنساء : 163.

(4) انظر سورة آل عمران : آية 46 ، 49 ، وسورة المائدة : آية 110. وانظر : المصدر نفسه ، ج1، ص255.

(5) انظر سورة آل عمران : آية 47.

(6) انظر سورة آل عمران : آية 59. وانظر : المصدر نفسه ، ج1، ص238. وعن هذه المواضع أنظر: عبد المجيد الشرفي:

الفكر الإسلامي في الرد على النصارى، ص 118.

(7) سورة آل عمران : آية 45. وانظر : ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج1، ص238.

(8) سورة يس : آية 72. وانظر : المصدر نفسه .

(9) سورة النساء: آية 171.

(10) سورة النساء: آية 157-158 .

فيمكن يمكن نعتهم "بالنصارى المسلمين" (1)، وهم الذين... ﴿لَا يَسْكُرُونَ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ، يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ (2)، بينما يمثل الصنف الثاني الكثرة الساحقة وهم من نعتهم القرآن بالكفر والضلال والشرك ، لذلك دعا المسلمين إلى عدم موالاتهم، (3) وكان الدافع لخروجهم عن الدين يكمن في المواقف التي استنكرها عليهم القرآن الكريم (4)،

وبذلك يعتبر القرآن المادة الأولى التي انبنت عليها المواقف الإسلامية إزاء المسيحية ، ولا شك أن السنة النبوية وما يتعلق منها بالمسيحية كان لها دور في ذلك باعتبارها مرجعا تفسيريا ومكملا لكثير من النصوص القرآنية ، وقد ضمن ابن تيمية نسبة كبيرة من الأحاديث المتعلقة بالأغراض المسيحية في رده، هذا إضافة إلى كتب التفسير فقد تناولت تفسير الآيات المتعلقة بالمسيحية ، ومن أهمها تفسير الطبري وتفسير الفخر الرازي ، فقد ألفت قبل عصر الشيخ أو قريبا منه ولا شك أنه قد إطلع عليها وعلى غيرها من كتب التفسير واستفاد منها.

وكل هذه الآيات التي تتعلق بالمسيحية وذكر عقيدة النصارى وكتبهم وأخلاقهم ، عرضها ابن تيمية في رده عليهم ، وكانت هي المصدر الأساسي الذي مهد به في دراسته للنصرانية ، ليؤكد على انتساب دين المسيح لدين الله الذي جاء على أسنة الأنبياء كلهم ، وليبين عمق الاختلاف بين دين التوحيد وعقائد المسيحية المحرفة في آن واحد. (5)

## 2- الردود الإسلامية:

سبق أن رأينا أن عصر ابن تيمية قد شهد نهضة علمية كبيرة ساعدت على انتشار المدارس والمكتبات مما يسر عليه الاطلاع على شتى الكتب والموسوعات التي كانت ميزة هذا العصر، ولاشك أنه أفاد من الكتابات التي سبقت مؤلفه في الرد على النصارى وساعدته على ضبط مسأله، و تحاشي أخطاء من سبقه، فخرج كتابه على شكل قد اكتمل فيه جوانب الجدل الإسلامي المسيحي، وضبط المصطلحات الفلسفية المستخدمة في الإلهيات النصرانية ومعرفة دلالاتها، وتنوع طرائق الاستدلال فيه، فأكسبه ذلك مادة غنية في الجدل الديني، ونستطيع أن نشير إلى بعض مصادره وهي قسمان:

(1) انظر عن ذلك الشرفي : الفكر الإسلامي في الرد على النصارى ، ص 120.

(2) سورة المائدة : آية 82-83. انظر : ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 2، ص 51، 55.

(3) انظر سورة المائدة : آية 51.

(4) انظر مثلا سورة النساء : آية 171 ، وسورة آل عمران : آية 70-71-78-64-80، وسورة البقرة ، الآية 140-176-253،

سورة المائدة : الآية 15-68، وانظر عن بعض تلك المواقف صفحة 89-90 من هذه الرسالة.

(5) انظر ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 2 ، ص 33 وما بعدها و ج 1 ، ص 229 وما بعدها وص 246 وما بعدها.

## أ - مصادر مصرح بها :

يشير ابن تيمية إلى بعض العلماء الذين أخذ عن كتبهم مذاهب النصارى وأقوالهم دون أن يصرّح بأسماء الكتب التي نقل منها مادته، وفي ذلك يقول: "... وهذا الذي نقله عنهم أبو الحسن الزاغوني<sup>(1)</sup>، هو نحو ما نقله عنهم القاضي أبو بكر ابن الطيب<sup>(2)</sup>، والقاضي أبو يعلى<sup>(3)</sup>، وغيرهم، وقال أبو محمد بن حزم<sup>(4)</sup>، النصارى فرق منهم أصحاب آريوس وكان قسيسا بالإسكندرية، ومن قوله التوحيد المجرد..."<sup>(5)</sup> ثم ذكر ابن تيمية فرق النصارى ومذاهبهم في عقيدة التجسد، وهو نفس ما أثبتّه ابن حزم في كتاب الفصل.<sup>(6)</sup>

(1) علي بن عبيد الله بن نصر بن السري، أبو الحسن بن الزاغوني، مؤرخ، فقيه من أعيان الحنابلة له كثير من التصانيف في أصول الدين وفروعها، من بينها: الإقناع والواضح والخلاف الكبير وغرر البيان وله في أصول الدين كتاب: الإيضاح، وله في الشعر ديوان خطب وجزء في عويص المسائل الحسائية، ولد سنة 455 هـ وتوفي سنة 527 هـ. انظر في ذلك ابن رجب: الذيل على طبقات الحنابلة ج1، ص 216 وابن العماد: شذرات الذهب ج4، ص80-81، والزركلي: الأعلام ج5، ص124-125،

(2) هو أبو القاضي أبو بكر محمد بن الطيب، بن محمد بن جعفر بن القاسم الباقلائي، البصري، المتكلم، الفقيه الأصولي، نشأ بالبصرة وسكن ببغداد، توفي سنة 403 هـ، وكان قد أرسله عضد الدولة سفيرا عنه إلى ملك الروم، فجرت له في القسطنطينية مناظرات مع علماء النصارى بين يدي ملكها، فرد على فرقهم وأبطل أقوالهم، من كتبه "تمهيد الدلائل" و"الملل والنحل" و"المقدمات في أصول الديانات"، انظر عن ذلك ابن كثير: البداية والنهاية ج11، ص 350. والأتابكي: النجوم الزاهرة ج4، ص234، وابن العماد: شذرات الذهب ج3، ص 168-170.

(3) هو محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن أحمد بن الفراء، يكنى بأبي يعلى، المعروف بالقاضي الكبير، الفقيه الحنبلي، الأصولي، المحدث، المفسر المفتي، ولد سنة 380 هـ - 930 م، وتوفي سنة 450 هـ - 1045 م، من بين مؤلفاته: "الإيمان" و"أربع مقدمات في أصول الديانات".

أنظر السيوطي: طبقات الحنابلة ج2، ص 193، والذهبي: سير أعلام النبلاء، ج18، ص 89، وابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج3، ص 306-307.

(4) علي بن أحمد بن حزم الظاهري، أبو محمد عالم الأندلس في عصره، ولد بقرطبة، وكانت له ولأبيه من قبله رئاسة الوزارات، وتبديل المملكة، فزهد بها وانصرف إلى العلم والتأليف، فقيها، حافظا، له ما يقرب من 400 مصنف من أشهرها: الفصل في الملل والأهواء والنحل، المحلى، والناسخ والمنسوخ، والأحكام لأصول الأحكام، وإبطال القياس والرأي. ولد سنة 384 هـ - توفي سنة 456 هـ. أنظر عن ذلك ابن العماد: شذرات الذهب، ج3، ص 299-300، و الزركلي: الأعلام ج5، ص 59.

(5) ابن تيمية: الجواب الصحيح، ج2، ص 311.

(6) المصدر نفسه، ج2، ص 312 وقارن ذلك بـ: ابن حزم أبي محمد علي ابن أحمد: الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق: د. محمد إبراهيم نصر، وعبد الرحمن عميرة ط 1 (مكتبة عكاظ 1402 هـ - 1982 م) ج 1، ص 109.

كما ينقل ابن تيمية عن الحسن ابن أيوب<sup>(1)</sup> رسالته إلى أخيه يذكر فيها سبب إسلامه ويذكر الأدلة على بطلان دين النصارى ، وصحة دين الإسلام ، وقد جاء ذلك ضمن الجزء الثاني من كتابه في الرد على النصارى.<sup>(2)</sup>

## ب - مصادر غير مصرح بها :

يمكننا أن نشير إلى بعض المصادر التي اقتبس منها ابن تيمية بعض المعلومات الخاصة بدين النصارى ، والتي لم يرد ذكرها في نص الكتاب ، وإنما اتضح لنا ذلك عن طريق المقارنة بين النصوص ومن بينها :

1- كتاب "الدين والدولة" لابن ربن الطبري<sup>(3)</sup> ، حيث نلاحظ أن جل النصوص الكتابية التي أوردها الطبري للدلالة على البشارة بمحمد -صلى الله عليه وسلم- هي نفسها التي استشهد بها ابن تيمية على اختلاف في بعض الألفاظ، إلى جانب بعض النصوص الإضافية<sup>(4)</sup> ، وهذا يبين لنا أن شيخ الإسلام لم يكن ينقل عنه نقلاً حرفياً، بل كان يرجع إلى المصادر الكتابية ليستقي منها مادته.

---

(1) لا يعرف عن الحسن بن أيوب سوى أنه من المتكلمين وقد صنفه ابن النديم ضمن المعتزلة ممن لا يعرف من أمره غير ذكره، وذكر ابن تيمية أنه كان من علماء النصارى وأسلم على بصيرة بعد الحيرة بكتبتهم ومقالاتهم، كما تبين أنه أسلم عن نعمة وأهل ومستقر، وذلك في رسالته التي كتبها إلى أخيه يذكر فيها سبب إسلامه، ويبطل فيها دين النصارى وصحة دين الإسلام. وقد جاء هذا الرد ضمن كتاب الجواب الصحيح لابن تيمية، ج2، ص312 وما بعدها، توفي نحو 378-388، أنظر ابن النديم: الفهرست، تعليق: إبراهيم رمضان، ط1 (بيروت: دار المعرفة، 1415 هـ - 1994م) ص 214، وابن تيمية، الجواب الصحيح، ج 2، ص 313.

(2) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 2 ، ص 313 إلى نهاية الجزء .

(3) هو أبو الحسن علي بن سهل الطبري ، ويعرف بابن ربن الطبري ولد في حدود 772/157 أي في أواخر أيام المنصور (775/158-754/136) ، وفي أوائل خلافة المهدي (775/158-785/169) في طبرستان من أسرة نصرانية ، أخذ عن والده الطب والفلسفة ، تولى الكتابة لملوك بلاده مدة طويلة وتحول في سن متأخرة إلى عاصمة الخلافة وأسلم في سن السبعين على يد المعتصم وقربه المتوكل وجعله من ندمائه ، له من الكتب في الرد على أهل الأديان ، والرد على النصارى ، و "فردوس الحكمة" وكتاب "الدين والدولة في اثبات نبوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم" وغيرها من الكتب ، انظر ابن النديم : الفهرست ، ص352، وابن ربن الطبري : الدين والدولة ، د. ط (بيروت : مؤسسة نويهض الثقافية 1982) وذلك في مناقشة عادل نويهض لمعطيات ترجمة هذا المؤلف عند تقديمه لهذه الطبعة.

(4) ابن تيمية: الجواب الصحيح، ج3 ص293 وما بعدها - ج4 ص3 وما بعدها، وقارن بالطبري: الدين والدولة، ص185، وما بعدها.



2- كتاب " تثبت دلائل النبوة" للقاضي عبد الجبار<sup>(1)</sup> ، وقد استشهد ابن تيمية بنص منه عند حديثه عن تأثير المجتمع الروماني على الدين النصراني : " ... حتى قال من قال من العلماء : إن النصارى صاروا على مذهب الروم المشركين لا أن الروم صاروا على دين النصارى".<sup>(2)</sup> وهذا النص ينسب للقاضي عبد الجبار.<sup>(3)</sup> مما يؤكد أن ابن تيمية قد اطلع على ردوده .

3- كتاب " الرد على النصارى" للجاحظ<sup>(4)</sup> ، حيث قارنا بين نص ابن تيمية الذي يقول فيه نقلا عن صاحبه : " لو سألت نصرانيا وابنه وابن ابنه عما يعتقدونه لأخبرك كل واحد بعقيدة تخالف عقيدة الآخر".<sup>(5)</sup> وما أورده الجاحظ في كتابه.<sup>(6)</sup>

ومن المؤكد أن يكون شيخ الإسلام قد اطلع على العديد من الردود الإسلامية التي سبقت مؤلفه<sup>(7)</sup>، خاصة وأنها كانت في متناوله عن طريق المكتبات التي ضمت الكثير من المصنفات في مختلف العلوم، فأفاد منها ابن تيمية وغيره إفادة كبيرة.

- 
- (1) هو عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمداني الأسدي، أبو الحسن، قاض، أصولي كان شيخ المعتزلة في عصره، وهم يلقبونه قاضي القضاة ولي القضاة بالري ومات فيها سنة 415 هـ، له تصانيف كثيرة منها تنزيه القرآن عن المطاعن و" الأمالي"، انظر ذلك في ابن الأثير: الكامل، ج7، ص93، والذهبي: العبر، ج2، ص229، والزركلي: الاعلام ج4، ص47.
- (2) ابن تيمية : درء تعارض العقل والنقل ، ج5 ، ص366.
- (3) قارن ذلك بقول القاضي عبد الجبار : تثبت دلائل النبوة ، ج1 ، ص158 . قول القاضي : "إن تبينت الأمر وجدت النصارى تروموا ورجعوا إلى ديانات الروم ولم تجد الروم تنصروا".
- (4) الجاحظ : عمرو بن بحر ابن محبوب الكنايني الليثي أبو عثمان الشهير بالجاحظ كبير أئمة الأدب ورئيس الفرقة الجاحظية من المعتزلة ولد بالبصرة نحو 163هـ / 780 م وتوفي 255 هـ / 869م. له تصانيف كثيرة منها "الحيوان" أربع مجلدات ، و"البيان والتبيين" ، و"سحر البيان" ، و"البخلاء" و"مسائل القرآن" وغيرها. وانظر تاريخ ابن الوردي ، ج1 ، ص350 ، و الزركلي : الاعلام ، ج5 ، ص233 ، والبستاني بطرس : دائرة المعارف ، ج6، ص348-349 .
- (5) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج3 ، ص164.
- (6) قارن بما قاله الجاحظ : المختار في الرد على النصارى ، وحقيق : محمد عبد الله الشرقاوي ( القاهرة : دار الصحوة ، 1405 - 1984) ص95.
- (7) نذكر على وجه الإشارة البعض منها :

1- مقالة في الرد على النصارى لأبي يوسف الكندي ت نحو 801/185-866/522

2- الكتاب الأوسط في المقالات للناشيء الأكبر (ت 293 - 906)

3- الرد على النصارى لأبي عيسى الوراق (ت 297 / 910)

4- التوحيد لأبي منصور الماتوريدي (ت 333-944)

5- الرد الجميل للغزالي ، ت 505 هـ.

6- مقام الصليبان : لابن أبي عبيدة ت 582 هـ .

7- الأجوابة الفاخرة للقرافي ت 674 هـ. وغيرها .

## ثانيا - المصادر المسيحية :

اعتمد ابن تيمية في مواقفه النقدية على مصادر مسيحية إطلع من خلالها على عقيدة الطرف المقابل واتجاهاتهم المذهبية وفرقهم المختلفة وذلك طلبا لتحري الموضوعية ، وبناء حججه على أدلة ثابتة معتمدة من مصادرها الأصلية ، ويتمثل ذلك فيما يلي :

### أ - الكتب المقدسة:

وتشمل التوراة والإنجيل والزيبور(مزامير داود) ورسائل الأنبياء وغيرها ، والتي نقل منها ابن تيمية نصوصا أوردها ، وقام بنقدها وتحليلها وبيان وجه الخطأ فيها ، والإستدلال بالبعض منها مما وافق نصوص القرآن الكريم ودعوة الأنبياء ، وقد اشتمل الجزء الثاني والثالث على قدر كبير من هذه النصوص . وكتابه في الرد على النصارى يكشف لنا عن درايته العميقة بالعهدين القديم والجديد ، ومعرفته الجيدة بالأناجيل - على وجه الخصوص - سندا ومتنا .

ويذكر ابن تيمية بصريح العبارة اطلاعه على الزيبور فيقول : " فرأيت عدة نسخ للزيبور يخالف بعضها بعضا"<sup>(1)</sup> كما يذكر مقارنة بين نسختين من الزيبور بحثا عن البشارة بمحمد -صلى الله عليه وسلم- ، فوجد في أحدهما دون الآخر.<sup>(2)</sup>

وابن تيمية لم يكن يجيد لغة الكتب المقدسة ، وإنما كان يعتمد على الترجمة العربية ، إلا أنه يذكر أن احتكاكه بأهل الكتاب كان يعينه على فهم بعض ألفاظ التوراة ، فيقول :

" والألفاظ العبرية تقارب العربية بعض المقاربة ، كما تتقارب الأسماء في الإشتقاق الأكبر ، وقد سمعت ألفاظ التوراة العبرية من مسلمة أهل الكتاب ، فوجدت اللغتين متقاربتين غاية التقارب ، حتى صرت أفهم كثيرا من كلامهم العبري بمجرد المعرفة بالعربية".<sup>(3)</sup>

### ب - الكتابات المسيحية:

يبدو من خلال كتابات ابن تيمية ونقله لأقوال النصارى وذكر مذاهبهم ودقائق عقائدهم وشرائعهم وتتبع تاريخهم أنه كان يعتمد في ذلك على مصادر مسيحية، وهو يذكر من ذلك كتاب "نظم

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج2 ، ص 22.

(2) المصدر نفسه ، ج2 ، ص 27.

(3) ابن تيمية : مجموع الفتاوى ، ج4 ، ص 110.

الجوهر تسعيد بن البطريرق بطرق الإسكندرية<sup>(1)</sup>، وهو كتاب ذكر فيه تواريخ الأنبياء والملوك والامم وأخبار النصارى ودينها وفرق أهلها، وصاحب هذا الكتاب ملكي المذهب لذلك رد على الطوائف المسيحية من غير مذهبه،

فنقل عنه ابن تيمية حججهم التي يحتجون بها على دينهم ، واعتمد على أقواله في نقل مذاهبهم وهو يذكر ذلك فيقول :

"ونحن نذكر مع ذلك كلام من نقل مذاهبهم من أئمتهم المنتصرين لدين النصرانية، ونذكر ما ذكره من حججهم مثل ابن الطريق"<sup>(2)</sup>. وقد ضمن ابن تيمية عددا كبيرا من صفحات هذا الكتاب في رده، حيث سجل ابن البطريرق الفترة التاريخية التي كتبت فيها الأناجيل، وتم فيها صياغة عقيدة النصارى عبر المجامع، وكان ذلك في ظروف سياسية مضطربة، اضطهد خلالها النصارى من قبل القياصرة الرومان.<sup>(3)</sup> كما استشهد ابن تيمية بنقل مذاهب النصارى في التثليث والاتحاد من هذا المصدر<sup>(4)</sup>،

وقد أورد ابن تيمية الرسالة القبرصية والتي تنسب إلى راهب مسيحي، وكانت سبب تأليف كتاب "الجواب الصحيح" كما سبق الإشارة لذلك، و نقل فصولها كاملة وأسس على أقوال صاحبها موافقه النقدية.<sup>(5)</sup>

وابن تيمية يؤكد في كتابه على ضرورة اعتماد الأقوال من أصحابها ونقلها من مصادرها الموثوقة، تحريا للأمانة العلمية ، فيقول عند نقله لأقوال الحسن بن أيوب :

"ومن أعلم الناس بمقالاتهم من كان من علمائهم ، وأسلم على بصيرة بعد الخبرة بكتبهم ومقالاتهم، كالحسن بن أيوب الذي كتب رسالة إلى أخيه..."<sup>(6)</sup>

وابن تيمية لم يصرح بكل المصادر المسيحية ، إلا أنه يلمح في بعض الأحيان لبعض الاقتباسات دون ذكر صاحبها مما صعب علينا مهمة البحث عن نسبتها كإطلاقه عبارات "فقال الحاكي عنهم"<sup>(7)</sup> وقولـه: " ذكر كاتـب كتـابهم في كتابـه "<sup>(8)</sup> . ومما أسند من أقوال لقائلها

(1) سعيد ابن البطريرق : طبيب ومؤرخ من أهل مصر ، ولد بالقسطنطينية سنة 263 هـ ، 877 م ، وأقيم بطريقا في الاسكندرية وسمي أنتشيوس سنة 321 هـ ، وله مؤلفات منها نظم الجوهر الذي رجع إليه شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه "الجواب الصحيح" وله أيضا الجدل بين المخالف والنصراني ، مات بالإسكندرية سنة 328 هـ ، 940 م. انظر الزركلي : الأعلام ، ج3 ، ص 144. وانظر ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج3 ، ص5.

(2) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج3 ، ص5.

(3) المصدر نفسه ، ج2 ، ص5 إلى غاية ص85.

(4) المصدر نفسه ، ج1 ، ص171 وج3 ، ص46 وص122 وغيرها في مواضع كثيرة .

(5) انظر ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج1 ، ص20-21.

(6) المصدر نفسه ، ج2 ، ص313.

(7) المصدر نفسه ، ج1 ، ص362 ، وج2 ، ص3.

(8) المصدر نفسه ، ج1 ، ص26.

ذكره ليحي بن عدي<sup>(1)</sup> عند مناقشته للجوهري حيث أبصر عليه اعتذاره ونقض عليه احتجاجه في هذه المسألة<sup>(2)</sup> وهذا يعني أن ابن تيمية قد أسس مواقفه النقدية في جدله مع النصارى على نقل أقوالهم من مصادرهما الأصلية.

## ج - النصارى في دار الإسلام :

يكشف رد ابن تيمية عن مصدر آخر لا يقل أهمية - عن باقي المصادر - في إمداد الشيخ بالمعلومات الخاصة بالنصارى عقيدة وشريعة و ذلك عن طريق المعاينة والمشاهدة ، لأنهم كانوا تحت نظر المجتمع الإسلامي وقد تكشف لهم المعاملة مالم تحوه كتبهم .

وقد رأينا في ترجمة ابن تيمية دور النصارى في الحروب الصليبية وتآليب الأعداء على المسلمين، وكيف نصرروا دينهم وخرجوا بصليبيهم وتناولوا على الإسلام فكان لذلك موقف ابن تيمية في فرض شارة تميزهم عن غيرهم. كما كان لهذه الأسباب دافعا لإفراد كتابه "الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح" فخص جل مسائله للرد عليهم ونقداهم نقدا لاذعا، وذلك لطبيعة دينهم القائم على التبشير بخلاف دين اليهود، كما تعرض لبيان المذاهب التي تعتبر امتدادا لمعتقداتهم وفكرهم، فرد عليها ونقدتها ذودا عن حمى الإسلام. ويبدو أن هذا الإحتكاك بين المسلمين والنصارى لم يخل من المناقشات الدينية بين الطرفين ، فكان ذلك ينشط في عملية الجدل ويبرز آراء الخصم و مواقفه ، ومن ذلك ينقل لنا ابن تيمية ما كان يدور بينه وبين النصارى من مناظرات، فيذكر في حديثه عن الإتحاد وما يلزم منه من استحالة اللاهوت ووصفه بالعجز والحدوث، فيقول: وقد خاطبت بهذا بعض النصارى فقال لي: الروح بسيطة أي لا يلحقها ألم، فقلت له: فما تقول في أرواح الكفار بعد الموت أمنعمة أو معذبة؟ فقال: هي في العذاب، فقلت: فعلم أن الروح المفارقة تنعم وتعذب فإذا شبهتم اللاهوت في الناسوت بالروح في البدن لزم أن تتألم إن تألم الناسوت كما تتألم الروح إذا تألم البدن، فاعترف هو وغيره بلزوم ذلك"<sup>(3)</sup> ويظهر من هذا أن ابن تيمية كان يبني مواقفه النقدية على أقوال النصارى وأن المناظرات كانت مصدرا لذلك.

(1) هو يحي بن عدي بن حميد بن زكريا ، أبو زكريا ولد سنة 280 هـ وتوفي سنة 364 هـ ، وقيل سنة 395 هـ مذهبه من النصارى واليعقوبية ، فيلسوف ، انتهت إليه الرياسة في علم المنطق في عصره ، ولد بتكريت وانتقل إلى بغداد قرأ على الفارابي وترجم عن السريانية كثيرا إلى العربية ، من بين كتبه تهذيب الأخلاق ، مقالة أرسطو في علم ما بعد الطبيعة ، مقالة في أن حرارة النار ليست جوهرًا للنار ، وله في الرد على النصارى "الرد على ما تعتقده الفرق الثلاثة ، اليعقوبية والنسطورية والملكية" ، انظر عن ذلك ابن النديم : الفهرست ص264 ، و الزركلي : الأعلام ج 9 ، ص194.

(2) ابن تيمية : اجواب الصحيح ج2 ، ص 118.

(3) المصدر نفسه ، ج2 ، ص 172.

## الفصل الثاني

### الإطار العام لمنهج ابن تيمية في الرد

على النصارى

نستطيع أن نلمس بوضوح من خلال استعراضنا لكتابات ابن تيمية في الرد على النصارى ان هناك تصور عام لعملية التنظير مع الطرف الآخر، وقد مثل الجانب النظري مجموعة من الأسس العامة. فكان ذلك بمثابة مخطط ساعد على ضبط مضامين الرد في جانبه التطبيقي، مما سهل على ابن تيمية التوصل إلى تحديد أغراض المنهج وأهدافه وخلفياته المعرفية مع اختيار الأدوات التحليلية المناسبة للتأكيد على صحة المواقف الرديئة، ويتضح ذلك من خلال تعرضنا للمباحث التالية :

المبحث الأول : التكامل المعرفي لمنهج ابن تيمية .

المبحث الثاني : القواعد الأساسية لمنهج ابن تيمية .

المبحث الثالث : منهج الإستدلال عند ابن تيمية.

### المبحث الأول: التكامل المعرفي لمنهج ابن تيمية.

إن مسألة "المعرفة" من المسائل الهامة، لأنها المنطلق الذي جرت عادة المصنفين في علم الكلام، الحديث عنه في المباحث المتعلقة بالعقيدة وأصول الدين، لأنه الطريق الذي يعرف به الحق من الباطل لاختلاف الناس في النحل في الدين.<sup>(1)</sup>

فإذا وقفنا على نظرية ابن تيمية في المعرفة فإن ما يثير انتباهنا هو إبطاله على مخالفيه مناهجهم، لأنه يراها قد انطوت على مخاطر لا تصلح أن تكون طرقاً للبحث في مجال العقيدة وأصول الدين ، وعلى ذلك وضع منهجه الذي يراه الطريق الموصول إلى الحق في البحث المعرفي الخاص بالعقيدة والفكر على السواء . وتتضح ملامح منهجه من خلال مواقفه المبثوثة في عدد من مؤلفاته أهمها: الرد على المنطقيين ، درء التعارض ، وموافقة صحيح المنقول لصريح المعقول. وندرس ذلك في النقاط التالية :

المطلب الأول: طبيعة المعرفة.

المطلب الثاني: وسائل المعرفة:

1 - النقل

2 - العقل.

3- الحس.

(1) أنظر : الماتوريدي أبي منصور كتاب التوحيد ، تحقيق : فتح الله خليف ، ط2 (بيروت : دار المشرق) ، ص 7 والجويني عبد الملك : الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد ، تحقيق : أسعد تميم ، ط1 (بيروت : مؤسسة الكتب الثقافية ، 1405هـ - 1985 م) ، ص 25 وما بعدها ، والباقلاني محمد بن الطيب : تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل ، تحقيق : عماد الدين أحمد حيدر، ط1 (بيروت : مؤسسة الكتب الثقافية ، 1407هـ - 1987م) ، ص 25 وما بعدها.

المطلب الثالث: طرق المعرفة.

1 - علاقة المنقول بالمعقول.

2 - طرق المعرفة مشتركة.

## المطلب الأول: طبيعة المعرفة

ينطلق ابن تيمية في بيانه لطرق المعرفة من العلم الإلهي فهو أصل العلم كله ، ومنه تتشعب أنواع العلوم . فالمعرفة إشتراك بين ما يعرف بالإضطرار والكسب ، ولكل منهما خاصية تميزها عن الأخرى ، إلا أنهما يقومان بدور الثنائية للوصول إلى صحة القضايا أو فسادها ، خاصة فيما يتعلق بالقضايا الغيبية ، كالعلم بذات الله "فالمعرفة إسم لا اضطرار ومكتسب وكان الإضطرار راجع إلى معرفة الربوبية والوحدانية والمكتسب راجع إلى المزيد ونحوه".<sup>(1)</sup>

وبناء على ذلك يعتبر ابن تيمية أصل العلم الإلهي فطري ضروري "لأنه أشد رسوخا في النفوس من مبدأ العلم الرياضي ، كقولنا : إن الواحد نصف الإثنين ، ومبدأ العلم الطبيعي كقولنا : إن الجسم لا يكون في مكانين لأن هذه المعارف أسماء قد تعرض عنها أكثر الفطر، وأمّا العلم الإلهي ، فما يتصور أن تعرض عنه فطرة".<sup>(2)</sup>

فالغاية من الوجود هو أن الله سبحانه وتعالى "لما كان الأوّل الذي خلق الكائنات والآخر الذي تصير إليه الحادثات، فهو الأصل الجامع... وليس للخلق صلاح إلا في معرفة ربهم وعبادته، وإذا حصل لهم ذلك فما سواه إما فضل نافع وإما فضول غير نافع وإما أمر مضر".<sup>(3)</sup>

ولهذا كان لكل معرفة الوحدانية والربوبية، وليس لكل معرفة التوحيد "أمّا معرفة الوحدانية فهي معرفة الصانع القديم، المخترع لأعيان الأشياء والتمتم تصويره لها على غير مثال، ولا بد لكل مخترع أن يعرف المنعم عليه بالإخراج من العدم إلى الوجود، وهي غير مكتسبة لأنها تعمّ من يصحّ منه الكسب ومن لا يصحّ منه، وهي ضرورة لا اختيار فيها كما لا كسب فيها، ولا يتوصّل إليها بالأسباب".<sup>(4)</sup> دليل ذلك قوله تعالى: ﴿الْمُرْتَدُّ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾<sup>(5)</sup> فهذه المعرفة لا تقوم على الوسائط لأنها حقّ له عز وجل، "فالعقل والعلم والنظر

(1) ابن تيمية : درء تعارض العقل والنقل ، تحقيق : محمد رشاد سالم ، ط1 (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، 1401 هـ - 1981م) ، ج8 ، ص 504 .

(2) ابن تيمية : مجموع الفتاوى ، ج2 ، ص 15-16 .

(3) المصدر نفسه ، ج2 ، ص 16 .

(4) ابن تيمية : درء تعارض العقل والنقل ، ج8 ، ص 504 .

(5) سورة الحج : آية 18 .

والاستدلال والإفتكار والاعتبار يكشف عن معرفة المزيد الذي يتفاوت فيها العبيد... (1) ولذلك لما سئل علي - رضي الله عنه - بم عرفت ربك ؟ فقال : بما عرفني نفسه ، لا يشبه صورة ولا يدرك بالحواس ، ولا يقاس بالناس ، فعلم أنه سبحانه " لم يجبر على معرفة توحيد ، ولا على معرفة المزيد ، إذ لو كان كذلك لأغنى عن بعث الرسل ، وإنزال الكتب ، وإقامة الحجج". (2) فلما كان لا سبيل إلى إدراك حقيقته ، أو معرفة كنهه بعقولنا لم يكن بد من بعث الرسل لنعلم بها مراد الربوبية منا ولهذا بني أصل العلم والهدى على الإيمان بالرسالة المتضمنة للكتاب والحكمة كقوله : ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ . (3) وقوله : ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ (4) وقوله : ﴿ وَأَنْزَلْنَا التَّورَةَ وَالْإِنْجِيلَ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ ﴾ . (5) وقال تعالى في موضع آخر : ﴿ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ ﴾ (6) فيعلم أن آيات الله والرسول تمنع الكفر ، فمعرفة التوحيد عند شيخ الإسلام وجبت بالتوقيف ، وهو ما وقفنا الرسل عليه . ولكي يتوصل الإنسان إلى المعرفة الضرورية لإدراك الحقائق الغيبية فإن الله زوده بوسائل وأدوات تشترك فيما بينها ، فالعقل يدرك الأمور الضرورية مؤسساً معارفه على تجارب الحواس وعطائها وخاصة فيما يتصل منها بالعالم الحسي "لأن ذلك آية للعقل ووسيلة له لإدراك عالم الغيب... فيستطيع العقل أن يتجاوز مرحلة الظواهر والمحسوسات إلى التساؤل عن الماورائيات الغيبية... فإذا كان من الضروريات العقلية أن كل فعل لا بد له من فاعل في عالم الشهادة ، فعلى العقل أن يثبت ذلك في عالم الغيب من منطلق الضرورة العقلية فيدرك أن للعالم خالفا". (7)

ولهذا جعل القرآن الكون وما فيه آية دالة على خالقه فأمر بالنظر إليه لينتقل إلى التساؤل عما وراءه ، قال تعالى : ﴿ أَمْنُ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَبْتَأَ بِهِ حَدَاقَ ذَاتِ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنبِتُوا شَجَرَهَا إِلَهُ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ، أَمْنُ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَافَهَا أَهَامًا وَجَعَلَ لَهَا مَرَوَاسِي وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ، إِلَهُ مَعَ اللَّهِ ، بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ، ﴾ ﴿ أَمْنُ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلِ الرِّيحَ بُشْرَىٰ بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ .. ﴾ ،

(1) ابن تيمية : درء التعارض ، ج8 ، ص 514 .

(2) المصدر نفسه ، ج8 ، ص 518 .

(3) سورة البقرة : آية 2 .

(4) سورة الإسراء : آية 9 .

(5) سورة آل عمران : آية 3-4 .

(6) سورة آل عمران : آية 101 .

(7) محمد السيد الجليني : تأملات حول منهج القرآن في تأسيس اليقين ، د.ط (مكتبة الزهراء ، 1410 هـ - 1990م) ، ص 17 .



﴿ أَمْ نَبْدُوا لَخَلْقِ نَمُ بُعِيدَةٌ وَمَنْ يُرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ... ﴾<sup>(1)</sup> فالقران يضع الكون وما فيه أمام العقل ليقرأ ما قد يغيب فيه ، ولقد أوضح ابن تيمية رؤيته المعرفية على هذا النحو فقال : "وتمام الكلام في هذا الباب أنك تعلم أنا لا نعلم ما غاب عنا إلا بمعرفة ما شهدناه، فنحن نعرف أشياء بحسنا الظاهر أو الباطن ، وتلك معرفة معينة مخصوصة ، ثم إننا بعقولنا نعتبر الغائب بالشاهد ، فيبقى في أذهاننا قضايا عامة كلية ، ثم إذا خوطبنا بوصف ما غاب عنا لم نفهم ما قيل لنا إلا بمعرفة المشهود لنا. فلو أننا نشهد من أنفسنا جوعا وعطشا، وشبعا وريا، وحبا وبغضا، ولذة وألما ورضا وسخطا، لم نعرف حقيقة ما نخاطب به إذا وصف لنا ذلك وأخبرنا به عن غيرنا... ولهذا من لم يحس الشيء ولا نظيره لم يعرف حقيقته".<sup>(2)</sup>

وبهذه الرؤية نستطيع القول بأن طبيعة المعرفة عند ابن تيمية حسية وبالتالي فهي أقرب إلى الإكتساب، لكن القول بأنها مكتسبة مطلقا لا يصح، وذلك لأن الحس ينطق بحقيقة الشيء لكن لن يتوصل إليه إلا بما سبق من معرفة أولية في العقل، وبالتالي فالمعرفة تكون فطرية ومكتسبة في آن واحد.

ونلاحظ أن ابن تيمية في سبيل بيان كيفية حدوث العلم حاول أن يبين لنا أنواعا يحدث بها العلم ضرورة بدون استدلال ، فالإيمان ببعض الأوليات وصدقها ضروري لقيام العلم "فإن الإنسان -بل وكل حي- له علم وإحساس ، وله عمل وإرادة ، فعلمه لا يجوز أن يكون كله نظريا إستدلاليا يقف على الدليل، بل لا بد له من علم بديهي أولي ، لأنه لو وقف كل علم على علم آخر لزم الدور أو التسلسل ، فإنه إذا توقّف العلم الثاني على علم أول ، فالأول إن توقّف على ذلك الثاني بحيث لا يكون إلا بعده لزم الدور، وإن توقّف على شيء قبل ذلك الأول لزم التسلسل ، فلا بد من علم أول يحصل ابتداء بلا علم قبله ولا دليل ولا حجة ولا مقدمة ، وذلك علم بدء النفس وابتدئ فيها وهو أول ، فيسمى بديهيًا وأوليا ، وهو من نوع ما تضطرّ النفس إليه ، فيسمى ضروريا ، فإن النفس تضطرّ إلى العلم تارة وإلى العمل أخرى".<sup>(3)</sup> فالعلم الضروري منه ما يكون نظريا إستدلاليا ومنه ما يكون بديهيًا وابن تيمية يبنّي العلم النظري على البديهي ويجعله موقوفا عليه فيقول : "والنظريات موقوفة على البديهيات ، فإذا جاز أن تكون البديهيات مشتبهة ، فيها حق وباطل كانت النظريات المبنية عليها أولى بذلك وحينئذ فلا يبقى علم يعرف به حق وباطل ، وهذا جامع كل سفسطة".<sup>(4)</sup>

(1) سورة النمل : آية 60 - 61 ، 63 ، 64.

(2) ابن تيمية : مجموع الفتاوى ، ج 5 ، ص 346.

(3) ابن تيمية : الإستقامة ، تحقيق : محمد رشاد سالم ، ط2 (الهرم : مؤسسة قرطبة) ج 2 ، ص 148-149.

(4) ابن تيمية : درء التعارض ، ج 6 ، ص 15.

ويعلل ابن تيمية موقفه ممن يذهبون إلى هذا الاعتبار بقوله : إذا جوزنا أن يكون في الفطرة حكمان بديهيان أحدهما مقبول والآخر مردود ، كان هذا قدحا في مبادئ العلوم كلها وحينئذ لا يوثق بحكم البديهة.(1)

فالقضايا النظرية على هذا الاعتبار لا تبطل القضايا البديهية "لأن البديهيات أصل للنظريات ، فلو جاز القدح بالنظريات في البديهيات ، والنظريات لا تصح إلا بصحة البديهيات كان ذلك قدحا في أصل النظريات . فلزم من القدح في البديهيات بالنظريات فساد النظريات ، وإذا فسدت لم يصح القدح بها وهو المطلوب ، فهذا ونحوه يبين أنه لا تسمع من النفاة حجة على إبطال مثل هذه القضية البديهية ، ثم يبين فساد ما استدلل به على بطلان ذلك"(2) ويرد ابن تيمية على من ينكر العلوم البديهية بحجة "لو كان بديهيًا لامتنع إتفاق الجمع العظيم على إنكاره" فقال : " لم يطبق ذلك إلا من أخذه بعضهم عن بعض كما أخذ النصارى دينهم بعضهم عن بعض ، وكذلك اليهود والرافضة وغيرهم ، فأما أهل الفطر التي لم تغير فلا ينكرون هذا العلم ، وإذا كان كذلك فأهل المذاهب الموروثة لا يمتنع إطباقهم على جحد العلوم البديهية ، فإنه ما من طائفة من طوائف الضلال - وإن كثرت- إلا وهي مجتمعة على جحد بعض العلوم الضرورية"(3).

"فقول النصارى إن الكلمة إتحدت بالمسيح ، وإنما ليست هي الأب الجامع للأقانيم ، وهي مع ذلك الرب الذي يخلق ويرزق ، وهي جوهر ، والجوهر منهم واحد ليس إلا الأب ، مما يقول الناس إنه معلوم الفساد بالضرورة"(4).

ثم يبين ابن تيمية أن وجود الأقوال التي يقول جمهور الناس أنها معلومة الفساد بالضرورة لا يمنع من القول بإطباق الجمع الكبير على إنكار ما علم بالبديهة فيقول أن " الفطر التي لم تتواطأ يمتنع إتفاقها على جحد ما يعلم بالبديهة فأما مع المواطأة فلا يمتنع إتفاق خلق كثير على الكذب الذي يعلمون كلهم أنه كذب ، وإن تضمن من جحد الحسيات والضروريات وإثبات نقيضها ماشاء الله . وأما في المذاهب فقد يجتمع على جحد الضروريات جمع كثير ، إذا كان هناك شبهة أو هوى"(5).

فابن تيمية يعيب على من يدفع القضايا الضرورية بمجرد الدعاوي الوهمية الخيالية مدعيا أن ذلك من حكم البديهة.

(1) ابن تيمية : درء التعارض ، ج 6 ، ص 15.

(2) المصدر نفسه ، ج 6 ، ص 117.

(3) المصدر نفسه ، ج 6 ، ص 167.

(4) المصدر نفسه ، ج 6 ، ص 270.

(5) المصدر نفسه ، ج 6 ، ص 271.

## المطلب الثاني: وسائل المعرفة.

### أولاً- النقل:

تمثل العقيدة الإسلامية الاعتقاد الرباني الوحيد السليم الباقي باعتبار أنه مستق من الوحي. فعقائد أهل الكتاب قد تعرضت - لاعتمادها على مصادر أخرى غير الوحي - لكثير من الانحرافات والاضطرابات التي غيرت طبيعتها الربانية. ولما قطعت صلتها بالوحي مصدرا. نشأت معتقداتها عن تصورات فلسفية مصدرها الفكر البشري بكل ما يتصف به من محدودية وقصور.<sup>(1)</sup> وقد لاحظ ابن تيمية أن تلك التحولات الخطيرة في الفكر الإسلامي وظهور المذاهب واختلاف اتجاهاتها أدت إلى انصراف بعض الناس إلى العقل يحملونه ما يطبق وما لا يطبق ، في حين إنصرف البعض إلى العرفان والوجدان والإلهام ، وانقسم آخرون إلى الطرق الباطنية والطوائف الضالة فتفرقت الأمة إلى شيع وأحزاب .

وكان كل ذلك نتيجة تعامل العقل المسلم مع الفلسفة في مجال ما كان له أن يتجاوز فيه جانب الوحي ، فانفتحت عليه إشكاليات نتج عنها خلط بين قضايا الغيب والشهادة بشكل لا تزال آثاره الضارة ظاهرة في الواقع الإسلامي وفي العقل المسلم والفكر والثقافة الإسلامية إلى يومنا هذا.<sup>(2)</sup> وقد أدى هذا إلى انهيار خصائص التصور الإسلامي لدى هؤلاء ودفع ببعضهم إلى القول بالعقل كمصدر للمعرفة على زعم منهم أن ظواهر الشرع لا يخاطب بها إلا عامة الناس الذين لا تستطيع عقولهم إحتواء الحكمة الخفية ولا تقبل المعنى الباطل، ولم يكن من سبيل إلى ذلك إلا بالتأويل الذي هو صرف اللفظ عن ظاهره إلى معنى آخر<sup>(3)</sup>، فحملوا ألفاظ القرآن قسرا وتعتقا على مصطلحات أرسطو ومفاهيم اليونان ، فكانوا كما يقول ابن تيمية يسقون الناس شراب الكفر في آنية الأنبياء "فيجعلون الأصل الذي يعتقدونه هو ما ظنوه بعقولهم ويجعلون ما جاءت به الأنبياء تبعا له ، فما وافق قانونهم قبلوه ، وما خالفه لم يتبعوه".<sup>(4)</sup>

ويؤسس ابن تيمية نظرة عامة يطبقها في ردوده على أهل الملل والنحل فيرى أن مدخل التحريف في الديانات السابقة قد حدث انطلاقا من هذه الشبهة لما تصرف أهلها في نصوص الوحي وأخضعوها

(1) العلواني طه جابر: ابن تيمية وإسلامية المعرفة ، ط2 (نشر الدار العالمية للكتاب الإسلامي، 1415 هـ - 1995م)، ص73.

(2) انظر عن هذا الموضوع : عبد الحميد أحمد أبو سليمان : أزمة العقل المسلم ، ط2 ، (الجزائر : دار الهدى 1413 هـ - 1992 م).

(3) ابن تيمية : موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول ، ط1 (بيروت : دار الكتب العلمية ، 1405 هـ - 1985 م) ، ج1 ، ص160 . وانظر عن التأويل : ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج2 ، ص98.

(4) الجليند محمد السيد: الإمام ابن تيمية وقضية التأويل ط3 (مكتبات عكاظ 1403 هـ - 1883 م) ، ص230.

لإعمال الرأي وتأويلها على غير وجهها، فغيروا انكلم عن مواضعه وأخلطوا بين ما جاءت به نصوص الأنبياء من توحيد وبين ما ذهبت إليه عقولهم من إنتاج الفلسفة . ولهذا السبب نرى الشيخ يحذر من الوقوع في مثل تلك الشبه ، فنجده في معرض نقاشه للنصارى يرد على المتكلمين طريقتهم في التعامل مع نصوص الوحي فيعقد مقارنة بارعة بينهم وبين موقف النصارى من نصوصهم فيقول : "وهذا يشبه ما وضعته النصارى من أمانتهم التي جعلوها عقيدة إيمانهم وردوا نصوص التوراة والإنجيل إليها... غير أن النصارى كانوا أكثر تصديقا لنصوص أنبيائهم من هؤلاء ، لأنهم إعتدوا فيها على ما فهموه من نصوص الأنبياء أو ما بلغهم عنه ، وغلطوا في الفهم أو في تصديق الناقل كسائر الغالطين ممن يحتج بالسمعيات . وأما هؤلاء فوضعوا قوانينهم على ما رأوه بعقولهم وقد غلطوا في الرأي والعقل معا ، فالنصارى أقرب إلى تعظيم الأنبياء من هؤلاء".<sup>(1)</sup> وقد لاحظ ابن تيمية أن إغفال المنهج السليم في التعامل مع نصوص الوحي يقود إلى القراءات الأحادية المتضادة ولقد تطلب هذا الوضع -من شيخنا- بناء منهج التعامل مع هذا الأصل المعرفي قرآنا وسنة.

**1 -** فأما القرآن فيشترط فيه الفهم الدقيق لفظا ومعنى ، والتفسير الصحيح القائم على معرفة لغة القرآن، وقد وضع لذلك شروطا وضوابط تمنع عن البعد عن لبه ومعناه.<sup>(2)</sup> منبها بذلك علماء التفسير من تبني أفكار غريبة عن العقلية الإسلامية لأنها لا تمثل أصل دينهم ومعتقدهم ، تجنبنا للوقوع في تحريف كلام الله عن مواضعه فيقول : "والمقصود هنا التنبيه على مثار الاختلاف في التفسير، وأن من أعظم أسبابه البدع الباطلة التي دعت أهلها إلى أن حرقوا الكلم عن مواضعه وفسروا كلام الله ورسوله -صلى الله عليه وسلم- بغير ما أريد به وتأولوه على غير تأويله".<sup>(3)</sup>

وبهذا يكون ابن تيمية قد فتح أمام الدارسين منهجا يعمل على تنقية كتب التفسير مما علق بها من آراء مذهبية كلامية وتأويلات جهمية تسربت إلى كتب التفسير على أنها تمثل أصول العقائد الإسلامية خاصة أن تلك التأويلات ترجع في أصلها إلى مصادر غير إسلامية.<sup>(4)</sup>

**2-** أما السنة فباعتبارها تعتمد على الامتثال التطبيقي للرسول -صلى الله عليه وسلم- فالرسول -صلى الله عليه وسلم- كان يجسد بسلوكه القرآن في الواقع، مما كان يزيل الشقة تماما بين مكونات المنهج الإلهي القرآني، وبين الواقع الإسلامي. ولذلك أولى المسلمون عناية كبيرة بتلقي ما يروى عن رسول

(1) ابن تيمية : درء التعارض ، ج 1 ، ص 2 ، وانظر عن قانون الإيمان ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 1 ، ص 115 و ج 2، ص 116 .

(2) أنظر ذلك في ابن تيمية : مقدمة في أصول التفسير ، (بيروت : دار مكتبة الحياة) ، ص 39 ، وما بعدها .

(3) المصدر نفسه ، ص 28 .

(4) الجليلين : ابن تيمية وقضية التأويل ، ص 36 .

الله -صلى الله عليه وسلم- وإخضاعه لمنهج يثبت به صحة ما أسند إليه أو كذب ذلك عليه ، وذلك بالتحقق من صدق الخبر واتصال سنده إلى الرسول -صلى الله عليه وسلم- ، فلا يقبل إلا الخبر المتواتر وذلك منهج المحدثين في علم الدراية والرواية.

وإذا كان شيخ الإسلام يجعل من النقل مصدراً أولاً للمعرفة ، فإنه يرفض طريقة من " يتبع منهج التمسك بحرفية المنقول من الآثار عند الأخذ بها دون نقدها نقد العارفين بموازين نقد الأسانيد والتمتون " (1) لذلك فابن تيمية لا يطلق النقل بل يقيدده لاحتمال الشبه التي تخالطه ومن ذلك وقوع الغلط والكذب على لسان من ينقل أخبار الأنبياء ، فيصبح في نظره منقولاً فاسداً لا يؤخذ به ولا يستدل به ، وإن اعتبره البعض منقولاً . لذلك يقيدده بالصحة بما يعبر عنه بـ "صحيح المنقول" . فهو يعتمد على حجية النقل الصحيح كوسيلة لمعرفة الدين وشرائعه.

ويركز ابن تيمية -في رده على النصارى- على هذا الأصل المعرفي ، فيعمد لدراسة نصوصهم دراسة نقدية بارعة مستخدماً نفس المنهج الذي يثبت به "المنقول الصحيح" فيطالبهم بثلاث مقدمات : **أحدها** : ثبوت ذلك عن الأنبياء عليهم السلام.

**والثانية** : صحة الترجمة إلى اللسان العربي ، أو اللسان الذي يخاطب به فإن لسان موسى وداود والمسيح وغيرهم من أنبياء بني إسرائيل كان عبرانياً.

**والثالثة**: تفسير ذلك الكلام ومعرفة معناه". (2)

ليخلص إلى نتيجة في غاية الدقة ، هي فساد نقولهم وعدم حجيتها على ما يستدلون به من أصول دينهم لعدم خضوعها لضوابط "المنقول الصحيح" من جهة ومن جهة أخرى لعدم موافقة ما يذهبون إليه من تثليل واتحاد لأصول دين الأنبياء ، "فإن من خالف الرسل عليهم الصلاة والسلام ليس معه لا عقل صريح ولا نقل صحيح ، وإنما غايته أن يتمسك بشبهات عقلية أو نقلية كما يتمسك أهل الكتاب المبدل المنسوخ بشبهات نقلية فاسدة". (3) ويوضح ابن تيمية الشبهة التي من أجلها حدث التحريف في الكتب السماوية التي بين أيديهم والتي من أجلها ردّ المسلمون نصوصهم ونفوا عنها صفة الوحي فيقول :

"لهذا كان المسلمون لا يردون شيئاً من الحجج بتكذيب أحد من الأنبياء في شيء قاله ، ولكن قد يكذبون الناقل عنهم ، أو يفسرون المنقول عنهم كما أرادوه ، بمعنى آخر على وجه الغلط". (4)

وخلاصة ما نستنتجه من تحليلات ابن تيمية النقدية لهذا الموضوع ، هو كشفه عن الخطأ المنهجي الذي إرتادته النصارى في فهم نصوص الوحي ، وهو نفس الطريق الذي سلكته في تعاملها مع

(1) طه جابر العلواني : ابن تيمية وإسلامية المعرفة ، ص 82.

(2) ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ج 1 ، ص 35.

(3) ابن تيمية : درء تعارض العقل والنقل ، ج 5 ، ص 276.

(4) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 1 ، ص 35.

نصوص انسنمين ، فيبطل عليهم استدلالهم بالقران على ما يذهبون إليه من تنليست واتحاد ، لأنهم حملوا ألفاظ القرآن والسنة معاني ما دلّت عليه ، فهم قد سلخوا في ذلك نفس الطريق الذي سلخواه مع نصوصهم وبه وقع التحريف والتبديل .

وبناء على هذا استطاع ابن تيمية أن يقف ذلك الموقف الرائع من الفكر الدخيل متمثلاً بتراث الملل والنحل الأخرى ، و من خلال منهجية التعامل مع القرآن والسنة الشريفة مما مكنه من تأسيس مواقف الرد على النصارى في كتابه القيم "الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح" .

## ثانياً - العقل :

بيني شيخ الإسلام منهجه في تعامله مع العقل على أساس أنه المصدر الثاني للمعرفة ، كونه لا يثق به ثقة مطلقة في مقدمات الحكم على العقائد . فالعقل إذا أفرد في الأمور الإلهية والغيبية لم يصل إلى يقين ، لذلك يرى ابن تيمية أن تقديم العقل على الشرع يعتبر من باب السفسطة المؤدية إلى التناقض لأنّ القدح في أصل العقل هو قدح في العقل والشرع معا "ولهذا كان من قدّم العقل على الشرع لزمه بطلان العقل والشرع ومن قدّم الشرع لم يلزمه بطلان الشرع بل سلم له الشرع" (1) فإذا كانت العقول تتعامل مع قضايا غيبية لا تنطبق عليها مقاييس العقل ولا أحكامه ، فقد بات من الضروري أن يكون هناك عاصم يعصمها من الزلل والاضطراب ، وليس ذلك إلا بالكتب المنزلة والرسل المبلّغة عن ربّها ، ففي ذلك فقط تحديد للمسالك التي قد ينجح العقل في ارتيادها وينتج خاصّة ما جاء منها متصلاً بالذات الإلهية وصفاتها ، لأن إدراك حقائق هذه الأمور بالعقل المعزول عن النص طلب لأمر مستحيل (2) .

ولقد كان من الطبيعي أن يصطدم شيخ الإسلام في بنائه لأسس المعرفة على هذا الشكل مع المذاهب التي تقدّم العقل على الشرع كمتأخري المذهب الأشعري أمثال الغزالي (3) والرازي (4) ، والتي بنت معارفها على هذا الأصل ، مما حملهم على الغلو في النصوص واعتبارها ظنيّة لا تفيد اليقين بحال

(1) ابن تيمية : درء تعارض العقل والنقل ، ج5 ، ص 276 .

(2) الجليلند : ابن تيمية وقضية التأويل ، (مقدمة ط2) .

(3) هو الامام زين الدين حجة الإسلام أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الشافعي ، أحد الأعلام تتلمذ على إمام الحرمين الجويني ، له تصانيف كثيرة في الفقه والأصول والتصوف والمنطق والفلسفة وغيرها منها : "إحياء علوم الدين" و "المستصفى" و "الجامع العوام عن علم الكلام" و "مقاصد الفلاسفة" وتهافت الفلاسفة ، توفي 505 هـ ، أنظر الأسنوي : طبقات الشافعية ، ج2 ، ص 111-113 ، وابن العماد : شذرات الذهب ، ج4 ، ص 10 و الزركلي : الاعلام ، ج7 ، ص 247 .

(4) هو الإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين ، يعرف بابن الخطيب ، أحد الأعلام المشاهير ، فقيه شافعي ومتكلم وأصولي ومفسر ، من مصنفاته التي بلغت نحو مائة مصنف : "مفاتيح الغيب" و "المطالب العالية" و "المباحث المشرفية" و "شرح الإشارات" لابن سينا ، و "نهاية العقول في دراية الأصول" وغيرها ، توفي 606 هـ ، أنظر الأسنوي : طبقات الشافعية ، ج2 ، ص 123 و ابن كثير : البداية والنهاية ، ج13 ، ص 55 ، والأتابكي : النجوم الزاهرة ، ج6 ، ص 197 - 198 .

فكل منها قد جعل العقل أصلاً في إثبات الشرع ، ولا يجب الطعن في أحكامه ، بل إذا عارضه ظاهر سمعي وجب تأويله إلى ما يوافق العقل ، لأن الطعن في العقل يؤدي إلى الطعن في العقل والنقل معا. (1) وعليه ينتقد ابن تيمية هؤلاء مييناً أنهم سلكوا طريق الفلاسفة من أمثال ابن سينا (2) والفرايبي (3) ، فكل منهما قد ردّ نصوص الأنبياء عن الإحتجاج بها وتأولها حسب مذهبه الخاص.

فابن تيمية يعيب طريقة هؤلاء في تأويلهم لنصوص الأنبياء ، إذ حكّموا عقولهم وجاوزوا بالعقل قدره ومجاله ؛ فصرفوا النصوص عن ظاهرها إذا تعارضت مع العقل ، كونهم بنوا معرفتهم على فرضية تعارض العقل مع النقل. ويعمد بذلك إلى إزالة هذه الشبهة معتبراً النقل هو الأصل الأول الذي تبنى عليه أي مسألة من المسائل ، وذلك كون الأمور العقلية يختلف الناس فيها وكون الشيء معلوماً بالعقل ليس صفة لازمة له بل تختلف من إنسان إلى آخر ، فيصرّح قائلاً : "تقديم المعقول على الأدلة الشرعية ممتنع متناقض ، وأما تقديم الأدلة الشرعية فهو ممكن مؤتلف ، فوجب الثاني دون الأول" (4) وذلك بأنّ الشرع واحد مستقيم ، وهو قول الصادق فلا يختلف باختلاف أحوال الناس ، أمّا العقول فمختلفة متفاوتة ، فقد يعلم زيد بعقله ما لا يعلم عمرو ، بل إن زيدا نفسه قد يعلم بعقله في وقت ما يجهله في وقت آخر. وقد ضرب شيخ الإسلام لذلك بعدة أمثلة ، أكد بها إختلاف الناس في معارفهم بما يعلم بالعقل. (5)

ويقسّم جنس الأدلة العقلية إلى نوعين فمنها ما هو صريح في معقوليته ودلالته على المطلوب ، ومنها ما هو شبهات فاسدة ، وأنّ ثبوت صفة الفساد والصحة في المعقولات يلزمنا الإعتداد على القطعي منها في إثبات الصانع وتأييده لرسله بالمعجزات وغير ذلك. (6)

وهذا يدفعنا إلى إبعاد المعقولات الفاسدة وعدم إعتبارها أصلاً دالاً على اليقين ، والمعقول الذي يقال إنّ الشرع قد عارضه إنّما هو من المعقولات الفاسدة لا الصحيحة ، وبطلان هذا النوع لا يعني بطلان المعقولات كلّها ، فشيخ الإسلام لا يلغي العقل ويبطله كما يفهمه عنه بعض خصومه والجاهلين

(1) أنظر ابن تيمية : درء تعارض العقل والنقل ، ج5 ، ص 6 ، وانظر كذلك الجليند : ابن تيمية وقضية التأويل ، ص 231 .  
(2) هو الشيخ الرئيس أبو علي الحسين بن عبد الله ، ولد بإحدى قرى بخارى ونشأ وتعلم بها ، كان فيلسوفاً مشانياً مع ميل إلى الإشراق أتهم أنه من الباطنية ، من أشهر كتبه : " الشفاء " و " الإشارات والتبهيهاة " و " القانون في الطب " وغيرها ، ت428هـ وأنظر ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج2 ، ص 157-162 ، والأتابكي : النجوم الزاهرة ، ج 5 ، ص 25-26 ، وابن العماد : شذرات الذهب ، ج3 ، ص 234 .

(3) محمد بن محمد بن طرخان ابن أوزلغ ، أبو نصر الفرايبي ، أكبر فلاسفة المسلمين ، لقب بالمعلم الثاني لأنه شرح مؤلفات أرسطو ، له نحو مائة كتاب منها : "نصوص الحكم" و "إحصاء العلوم" و "أراء المدينة الفاضلة" وغيرها ، تسوفي بدمشق سنة 339هـ ، أنظر الأتابكي : النجوم الزاهرة ، ج3 ، ص 304 ، وابن العماد : شذرات الذهب ، ج3 ، ص 350-354 .

(4) ابن تيمية : درء تعارض العقل والنقل ، ج1 ، ص 138 .

(5) المصدر نفسه ، ج1 ، ص 145-147 .

(6) الجليند : ابن تيمية وقضية التأويل ، ص 238 .

بمنهجه، بل يقرّر دائما أسبقية الشرع لثبوته عن الأنبياء فيقول : "والمقصود في هذا المقام انه يمتنع تقديم العقل على الشرع ، وهو المطلوب... ونحن لم ندع أن أدلة العقل باطلة ، ولا أنه ما به يعلم صحة السمع باطل ، ولكن ذكرنا أنه يمتنع معارضة الشرع بالعقل وتقديمه عليه... [ثم يقول] : "إن مسمى الدليل العقلي -عندما يطلق هذا اللفظ- جنس تحته أنواع فمنها ما هو حق ، ومنها ما هو باطل باتفاق العقلاء".<sup>(1)</sup>

وعلى هذا يضع ابن تيمية الدليل العقلي ضمن إطار قيده بالصحة ويسميه "صريح المعقول" فيقول: " لفظ المعقول : يراد به المعقول الصريح الذي يعرفه الناس بفطرتهم التي فطروا عليها ، من غير أن يتلقاه بعضهم عن بعض ، كما يعلمون تماثل المتماثلين واختلاف المختلفين ، أعني إختلاف التنوع لا اختلاف التضاد والتباين ، فإن لفظ الإختلاف يراد به هذا وهذا".<sup>(2)</sup>

فلا عجب أن نرى "ابن تيمية" يكفر من يقدم العقل على الشرع ويجعله حاكما على نصوص الأنبياء المعصومين ، فمن "عارض القرآن وجادل في ذلك بعقله ورأيه فهو داخل في ذلك وإن لم يزعم تقديم كلامه على كلام الله ورسوله ، بل إذا قال ما يوجب المرية والشك في كلام الله فقد دخل في ذلك ، فكيف ممن يزعم أن ما يقوله بعقله ورأيه مقدم على نصوص الكتاب والسنة".<sup>(3)</sup>

وهذا ما يدل عليه قوله تعالى : ﴿ مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَنْفِرُكَ تَتْلِبُهُ فِي الْبِلَادِ ﴾ .<sup>(4)</sup> وبناء "ابن تيمية" للمعرفة العقلية على هذا المنهج مكّنه من تتبّع الصراع القائم بين المذاهب والفرق في مجتمعه الإسلامي ، والكشف عن السبب الذي أوقع هؤلاء في الإختلاف والتناقض.

ويرجع ذلك إلى ردّ نصوص الأنبياء عن الإحتجاج بها، وتأويلها كل حسب مذهبه الخاص، فيجدهم أكثر جناية على النصوص من غيرهم، لأنهم فتحوا أبواب التأويل لمن كان له أغراض دفينّة ضد الإسلام، وساعدوهم على تحريف كتاب الله ، فلا للإسلام نصروا ولا لعدوهم كسروا .<sup>(5)</sup>

ويتبع ابن تيمية نفس المنهج في كتاب: "الجواب الصحيح" فيرى أن التحريف قد أصاب الكتب السماوية السابقة لما سلك أهلها مسلك العقل، فحملوا نصوص الوحي معاني لا تتفق مع ما جاء به الأنبياء "وهذه الأقوال لم يقل الأنبياء شيئا منها، بل نفس فرق النصارى قالوها بأرائهم وزعموا أنهم إستبطنوها من بعض ألفاظ الكتب"<sup>(6)</sup> وهو ما يفسر ذلك التناقض الصارخ بين ما ذهب إليه النصارى من تثليث

(1) ابن تيمية : درء تعارض العقل والنقل ، ج 1 ، ص 191.

(2) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 3 ، ص 133.

(3) ابن تيمية : درء تعارض العقل والنقل ، ج 5 ، ص 206.

(4) سورة غافر : آية 4.

(5) الجليند : ابن تيمية وقضية التأويل ، ص 236.

(6) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 3 ، ص 131.



واتحاد، وبين نصوصهم التي لا تدلّ دلالة واضحة على ما يزعمون من عقائد، ولولا أنهم سلكوا في نصوصهم التأويل لما وجدوا لهم سنداً ثقلياً. ولهذا كثيراً ما يحتجّ النصارى عند العجز عن التدليل بقولهم أنّ هذا فوق العقل ، فيجيبهم ابن تيمية من وجهين : "أحدهما : أنه يجب الفرق بين ما يعلم العقل بطلانه وامتناعه ، وبين ما يعجز العقل عن تصوّره ومعرفته، فالأول من محالات العقول ، والثاني من مجازات العقول ، والرسل يخبرون بالثاني .

- **وأما الأول :** فلا يقوله إلا كاذب ، ولو جاز أن يقول هذا لجاز أن يقال : إن الجسم الواحد يكون أبيض أسود في حال واحدة وإنه بعينه يكون في مكانين ، وإن الشيء الواحد يكون موجوداً معدوماً في حال واحدة وأمثال ذلك ممّا يعلم العقل امتناعه.

وقول النصارى ممّا يعلم بصريح العقل أنه باطل ، ليس هو ممّا يعجز عن تصوّره".<sup>(1)</sup>

فالأنبيا عليهم السلام يخبرون بما يعجز العقل عن إدراكه خاصة في الأمور الغيبية وذات الله وصفاته، وهو ما يتفق إدراكه بصريح العقل لا بما يناقض العقل وترفضه الفطرة السليمة ، "وقول أهل الإلحاد من النصارى وغيرهم ... قد علم بصريح العقل بطلانه، فيمتنع أن يخبر به نبي من الأنبياء. بل الأنبياء -عليهم السلام- قد يخبرون بما يعجز العقل عن معرفته ، لا بما يعلم العقل بطلانه، فيخبرون بمجازات العقول لا بمحالات العقول"<sup>(2)</sup> وبهذا يكون ابن تيمية قد خطّ للعقل طريقاً بحيث لا يتعدى مجاله، وقد إلتمز في ذلك المنهجية السليمة التي دلّ عليها القرآن الكريم والسنة النبوية والتي وقفت حاجزاً بين التراث الإسلامي كما عرفه السلف الصالح ، وبين التيارات الوافدة من الخارج ، ممّا جعل شيخ الإسلام يركّز على هذه المسألة بوعي كامل ودقة متناهية لا يصل إليها إلا من كان له إطلاع واسع بتراث الملل والنحل وقد استطاع من خلال ذلك أن يؤكد على أنّ دين الأنبياء جميعاً لا ينقض بعضه بعضاً بل هو موافق لصريح المعقول لأنه دين الله الجامع لكل الناس .

على أن ابن تيمية في سوقه للأدلة عند مناقشته للنصارى يورد الدليل العقلي قبل النقل لا

لحجية المعقول، ولكن لمناسبة عاداتهم في الخطاب، وهو يذكر ذلك بصريح العبارة<sup>(3)</sup> ويقرّ أن أدلة العقل التي يعلم بها صحة السمع من المعقولات الصحيحة ، وهو بذلك لا يلغي للعقل دوره كما يفهمه البعض عنه.

وهذا التّقديم للدليل العقلي عند مناقشة النصارى لا ينقض على النقل حجّيته ورتبته، لأنّ الحال اقتضى ذلك، فالنصارى لا تقرّ بنصوص القرآن، فكانت مخاطبتهم بالأسلوب الذي اعتادوه أقرب إلى إقناعهم.

(1) ابن تيمية : اجواب الصحيح ، ج 3 ، ص 130 .

(2) المصدر نفسه ، ج 3 ، ص 136 .

(3) ابن تيمية مجموع الفتاوى، م 9 ص 24 .

### ثالثاً- الحس :

يقوم الحسّ بدور بالغ الأهمية في العملية المعرفية عامة ، وعند ابن تيمية بوجه خاص ، فهو لا ينكر دور أية وسيلة إدراكية من الوسائل التي زوّد بها الإنسان ، والحسّ يشمل الحواس الخمس التي هي السمع والبصر والتذوق واللمس والشم .

ويقسم ابن تيمية أدوات الحسّ الإدراكية إلى نوعين : " حسّ ظاهر يحسّه الإنسان بمشاعره الظاهرة فيراه ويسمعه ويباشره بجلده ، وحسّ باطن : كما أنّ الإنسان يحسّ بما في باطنه من اللذة والألم ، والحبّ والبغض ، والفرح والحزن ، والقوة والضعف ، وغير ذلك".<sup>(1)</sup> وتعتبر الحواسّ الباطنة سبيل للمعرفة المباشرة كالشعور والوجدان والحدس ، فالله "جعل لابن آدم من الحس الظاهر والباطن ما يحسّ به الأشياء ويعرفها ، فيعرف بسمعه وبصره وشمّه وذوقه ولمسه الظاهر ما يعرف ، ويعرف أيضاً ما يشهده ويحسّه بنفسه وقلبه ما هو أعظم من ذلك . فهذه هي الطرق التي تعرف بها الأشياء".<sup>(2)</sup>

وقد حدّد ابن تيمية طرق المعرفة الحقيقية التي لا تنكر ، لأن الحسّ مشاهد ولو أنّ إنساناً أنكر شيئاً رآه ، فإن ذلك لا يؤدّي إلى إنكار ذلك الشيء مطلقاً لأننا نستطيع التأكد من ذلك عن طريق غيره "والخطأ على الجمع الكثير ممتنع في الأمور الحسية".<sup>(3)</sup>

والملاحظ أنّ أهمية الحسّ عند ابن تيمية تنطلق من النصّ القرآني ، وإرشاده إلى أهمية أعمال الحواسّ في الكون وما خلق فيه ، ولذا فإن ابن تيمية إتجه نحو تقدير قيمة الحسّ تحت مقولة "طرق المعارف كثيرة" ، وأهمية الحسّ تأتي من أنّ "الخبر ليس كالمعاني"<sup>(4)</sup> ، فالحسّ طبقاً لهذا القول هو أهم وسائل المعرفة ، إذ المعاينة تؤدّي إلى اليقين التام إذا سلمت الحواسّ المستخدمة في المعاينة ، وقد ذكر الله عز وجل أهمية المعاينة في قوله تعالى : ﴿ الْهَآكُمُ التَّكَاثُرُ حَتَّىٰ نُرْمِزَهُمُ الْمَقَابِرَ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ، كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَتِيمِ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ثُمَّ تَرَوُوهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ، ثُمَّ تَسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴾<sup>(5)</sup> فبين سبحانه أفضلية عين اليقين ، فإنه لا حقيقة بعد المشاهدة ، والحسّ لا يقوم بهذا الدور إلاّ باشتراكه مع بقية الوسائل "فمعلوم أنّ الحسّ لا يدرك أمراً كلياً عاماً أصلاً ، فليس في الحسيات المجردة قضية كلية عامة"<sup>(6)</sup> لذلك فهو يحتاج للعقل في بناء معارفه ، وليس بالحسّ وحده تعرف الأمور إذ هناك المجربّات والمتواترات ، ويرى شيخ الإسلام أنّ بناء معارفه ، وليس بالحسّ

(1) ابن تيمية : درء تعارض العقل والنقل ، ج 6 ، ص 108 .

(2) ابن تيمية : مجموع الفتاوى ، ج 9 ، ص 42 .

(3) ابن تيمية : درء تعارض العقل والنقل ، ج 6 ، ص 12-13 .

(4) ابن تيمية : مجموع الفتاوى ، ج 16 ، ص 518 .

(5) سورة التكاثر : آية 1-8 .

(6) ابن تيمية : مجموع الفتاوى ، ج 9 ، ص 219 .

وحده تعرف الأمور إذ هنالك المجربيات والتمتورات ، ويرى شيخ الإسلام أن هذه الأدلة توصل إلى اليقين ، ويمكن أن تكون دليلاً ومصدراً من مصادر المعرفة ، ولا يفرق بينها ، فيقول : "وقد ذكر من ذكر من هؤلاء المنطقيين أن القضايا المعلومة بالتواتر والتجربة والحدس يختص بها من علمها بهذا الطريق ، فلا تكون حجة على غيره ، بخلاف غيرها فإنها مشتركة يحتج بها على المنازع . وقد بينا ... أن هذا تفريق فاسد ، فإن الحسيات الظاهرة والباطنة تنقسم أيضا إلى خاصة وعمامة وليس ما رآه زيد أو شمته أو ذاقه أو لمسها يجب إشترك الناس فيه ، وكذلك ما وجدته في نفسه من جوعه وعطشه وألمه ولذته ، لكن بعض الحسيات قد تكون مشتركة بين الناس ،

كاشتراكهم في رؤية الشمس والقمر والكواكب ، وأخص من ذلك إشترك أهل البلد الواحد في رؤية ما عندهم من جبل وجامع ونهر وغير ذلك من الأمور المخلوقة والمصنوعة".

"وكذلك الأمور المعلومة بالتواتر والتجارب قد يشترك فيها عمامة الناس كاشتراك الناس في العلم بوجود مكة ونحوها من البلاد المشهورة ، واشتراكهم في وجود البحر وأكثرهم ما رآه ، واشتراكهم في العلم بوجود موسى وعيسى ومحمد وادعائهم النبوة ونحو ذلك ، فإن هؤلاء قد تواتر خبرهم إلى عمامة بني آدم وإن قدر من لم يبلغه أخبارهم فهم في أطراف المعمورة لا في الوسط ، وكذلك المجربيات ، فعمامة الناس قد جربوا أن شرب الماء يحصل معه الري ، وأن قطع العنق يحصل معه الموت ، وأن الضرب الشديد يوجب الألم ، والعلم بهذه الكلية تجريبي فإن الحس إنما يدرك ربا معينا وموت شخص معين ، وألم شخص معين ، أما كون كل من فعل به ذلك يحصل له مثل ذلك ، فهذه القضية الكلية لا تعلم بالحس ، بل يتركب من الحس والعقل ، وليس الحس هنا السمع . وهذا النوع قد يسميه بعض الناس كله تجريبات ، وبعضهم يجعله نوعين : تجريبات وحدسيات ، فإن كان الحس المقرون بالعقل من فعل الإنسان كأكله وشربه وتناوله الدواء سماه تجريبيا ، وإن كان خارجا عن قدرته كتغير أشكال القمر عند مقابلة الشمس سماه حدسيا".<sup>(1)</sup>

فهذه الحسيات والمجربيات من طرق العلم عند شيخ الإسلام ، ولكنه لا يحصر طرق العلم بها ، واعتناؤه بهذه الأمور خاصة التجربة أثار انتباه وإعجاب كثير من الباحثين المعاصرين حتى قال أحدهم : "وأخيرا لا يسعنا أمام هذه الروح العلمية التجريبية التي اتسمت بها فلسفة ابن تيمية إلا أن نقرر أنه لو قدر لهذه الفلسفة أن توضع في قالب منهجي لعد ابن تيمية -بحق- على رأس الفلاسفة التجريبيين ، وحسبه أنه وضع الأفكار في وقت كانت فيه أوروبا ترسف في أغلال الجهل وتعاني من جمود الفكر النظري طوال العصور الوسطى".<sup>(2)</sup>

(1) ابن تيمية : الرد على المنطقيين ، د.ط (لبنان : دار المعرفة، د ت ) ، ص 92-93.

(2) أنظر النشار سامي : مناهج البحث عند مفكري الإسلام ، د.ط (بيروت : دار النهضة العربية ، 1404 هـ — 1984 م) ، ص 166 ، 173 ، 178.

## المطلب الثالث: طرق المعرفة.

إن أول مشكلة تعرّض لها شيخ الإسلام في طرحه لنظرية المعرفة هو ذلك الجدل الذي قام بين العقليين والأثريين ، ممّن أسّسوا مذهبهم على افتراض تعارض العقل مع النقل ، فقام بوضع قانون بين فيه فساد منهج هؤلاء في المطالب الإلهية، وقد مثّل هذا القانون أصل من أصول منهج ابن تيمية العام ، والذي قيده بعبارة أدق وهي : "موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول" ، مؤكداً أنّ الطرق الموصلة إلى الحق لا يمكن أن تتعارض ، بل كلّ المعارف تشترك في بناء اليقين ، وقد رأينا أن نقسم حديثنا في هذا الموضوع إلى نقطتين نكشف من خلالها عن منهج ابن تيمية في بيانه لطرق المعرفة وذلك فيما يلي :

1- علاقة المنقول بالمعقول .

2- طرق المعرفة مشتركة.

### أولاً- علاقة المنقول بالمعقول :

يعتبر العقل عنصراً أساسياً في بناء الفكر الإسلامي لكنه يأتي في المرتبة الثانية بعد الشرع عند شيخ الإسلام، وذلك كون العقل قاصراً عن إدراك ماهية الأشياء الغيبية خاصة فيما يتعلّق بدلائل الألوهية والربوبية ، ولكي يسير العقل في اتجاهه السليم فإنّ الوحي قد رسم له منهجاً يتربّى من خلاله على أصول التفكير الصحيح ، ومن عناصر هذا المنهج ، توجيهه إلى النظر في ملكوت السموات والأرض ، لأنّه كلّما زاد معرفة بأسرار الكون زاد معرفة بخالقه ، فالتقاء العقل بالوحي هو اللبنة الأولى في بناء الفكر الإسلامي. وإذا كان ابن تيمية يرفض دعاوي الفلاسفة في العقل ، فهذا لا يعني أنّه رفض العقل كأساس لليقين ، بل رفض مذهب الفلاسفة فيه واعتبر الشرع دالاً العقل للدلائل التي يهتدي بها فيقول : " وهذا اعتبرته فيما ذكره عامة الطوائف فوجدت كلّ طائفة من النظائر لا يذكر أحد منهم في مسألة ما دليلاً صحيحاً يخالف ما أخبرت به الرّسل بل يوافق ، حتّى الفلاسفة القائلين بقدم العالم وكذلك عامّة النظائر لا يذكرون دليلاً عقلياً في مسألة من المسائل إلا والصحيح منه موافق لا مخالف".(1)

ويمكن القول أنّه بهذا الاعتبار يكون قد أقام مذهب الفكري على أصلين رئيسيين هما: العقل والنقل، ولكي يحصن العقل من زيف الفلاسفة وأوهام المتكلمين فقد أحاطه بسياج الوحي فيقول في ذلك: "فتبين هؤلاء الذين يدعون العقلية التي تعارض السمعيات هم من أبعد الناس عن موجب العقل ومقتضاه، كما هم من أبعد الناس عن متابعة الكتاب المنزل والنبي المرسل، لو قدحوا به فيما يعارض ما

(1) ابن تيمية : درء تعارض العقل والنقل ، ج 1 ، ص 112-113.

جاء الرسول نسلوا عن التناقض، وصحّ نظرهم وعقلهم واستدلّاهم ومعارضتهم صحيح المنقول وصريح المعقول الشبهات الفاسدة".<sup>(1)</sup>

وعلى هذا فلا تعارض بين المنقول الصحيح والمعقول الصريح ، وهو يؤكد في مواضع كثيرة في كتبه أنه قد تحقق ذلك بنفسه ، أن تبين له بعد استقصاء كبير أن "المنقول الصحيح لا يعارضه معقول صريح قطّ وقد تأملت ذلك في عامة ما تنازع الناس فيه فوجدت ما خالف النصوص الصحيحة الصريحة شبهات فاسدة يعلم بالعقل بطلانها ، بل يعلم بالعقل ثبوت نقيضها الموافق للشرع ، وهذا تأملته في مسائل الأصول الكبار كمسائل التوحيد والصفات ، ومسائل القدر والنبوت والمعاد وغير ذلك ، ووجدت ما يعلم بصريح العقل لم يخالفه سمع قط ، بل السمع الذي يقال إنه يخالفه إما حديث موضوع أو دلالة ضعيفة فلا يصلح أن يكون دليلاً لو تجرد عن معارضة العقل الصحيح فكيف إذا خالف صريح المعقول".<sup>(2)</sup> ولنا أن نقرّر بعد هذا أن ابن تيمية لم ير أن هناك مشكلة تسمى مشكلة التأويل تتطلب حلاً لها، ولم ير أن يقوم منهجه في البحث للوصول إلى الحق على التأويل الذي أمعن فيه غيره من المعتزلة والفلاسفة وغيرهم<sup>(3)</sup>، فهو لا يرى وجود تعارض بين طريق النقل الصحيح وطريق العقل الصريح ، والمنقول الذي يخالف العقل لا يكون إلا حديثاً موضوعاً أو نصاً آخر لا يدل دلالة قاطعة على ما يراد الاستدلال به عليه، وعلى فرض وجود تعارض بين العقل والنص يجب ترجيح الأخذ بالنص الثابت عن الأنبياء على ما يؤدي إليه العقل واستدلاله ، "فمن ادعى في أخبارهم -أي الأنبياء- ما يناقض صريح المعقول كان كاذباً ، بل لا بد أن يكون ذلك المعقول ليس بصريح أو ذلك المنقول ليس بصحيح".<sup>(4)</sup> وعند تعارض العقل والسمع يجب تقديم ما تكون دلالاته قطعية سواء أكان هو الدليل العقلي أم الدليل السمعي<sup>(5)</sup> وهو بعد هذا يؤكد على تقديم الدليل النقلية الصحيح على الدليل العقلي قائلاً : " لكن كون السمعي لا يكون قطعياً دونه خرط القتادة".<sup>(6)</sup>

فعلما بوجود الله تعالى ، وما يستحقّه من الأسماء والصفات موقوفاً على الشرع لثبوتها في نفسه، وعدم علمنا بمثل هذه الحقائق لا يوجب نفيها ، فيكون العقل ليس أصلاً في إثبات نفسه ولا معطياً له صفة كمال من هذه الناحية.<sup>(7)</sup>

(1) ابن تيمية : درء تعارض العقل والنقل ، ج 4 ، ص 236.

(2) ابن تيمية : موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول ، ج 1 ، ص 122 - 123 ..

(3) محمد يوسف موسى : ابن تيمية ، ص 132.

(4) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 3 ، ص 136.

(5) ابن تيمية : موافق صحيح المنقول لصريح المعقول ، ج 1 ، ص 77.

(6) المصدر نفسه ، ج 1 ، ص 78.

(7) الجليلند : ابن تيمية وقضية التأويل ، 234-235.

ويؤسس ابن تيمية - تصنيفه للمعرفة- والذي لم نطلع عليه عند سابقيه على فكرة التناويه بين العقل والنقل ليقرّر تلازما لا يقبل فصالا. ونستطيع أن ندرك الفرق القائم - بينه في محاولته للجمع بين النقل والعقل - وبين محاولة الفلاسفة والمتكلمين في ذلك، إذ لجؤوا إلى إخضاع الشرع لمعطيات العقل عند مظنة التعارض بينهما مما أدى إلى الخلاف بينهم نتيجة بناء هذا المذهب على افتراض أن العقل يعارض الشرع، بينما تقوم طريقة ابن تيمية على التفصيل بين المعقول الصريح وبين ما يشمله جنس المعقولات من الشبهات الفاسدة التي تطرأ على العقل فتجعلها غير قادرة على إدراك الحقائق كما هي".<sup>(1)</sup> وينتهي ابن تيمية إلى تقرير أهم قضية أسس عليها منهجه ودافع عنها فيما خلف من تراث وهي: موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول.

ولقد صنّف في هذه المسألة أهم كتاب وهو "درء تعارض العقل والنقل"<sup>(2)</sup> فيؤكد على ذلك التوافق والتعاقد بين صحيح المنقول وصريح المعقول لأنه حجر الزاوية لبناء المنهج المعرفي لهذه الأمة المخرجة للناس كافة نموذجا ومثالا، وذلك أن كلاً منهما يعتبر وسيلة وهبها الله للإنسان ليهتدي بها إليه "إذا كان مصدر الاثنين واحدا والغاية منهما واحدة فهل يتصور عقلا أن يقع بينهما تعارض أو تناقض؟ هذا ما جزم ابن تيمية بإحاطته ... [لأن] الوسائل التي تؤدي إلى غاية واحدة لا يمكن أن يقع بينهما تعارض أصلا".<sup>(3)</sup>

ويؤسس ابن تيمية منهجه في رده على النصارى على هذا الشكل المتناسق مكّنه من تتبّع دينهم وتمحيصه لآرائهم ونقده لها ، ومعرفة زيفها من صحيحها بدقّة متناهية محتجاً عليهم في ذلك بمخالفتهم للمنقول الصحيح والمعقول الصريح ، وهذا يؤكد فساد دينهم ومخالفة أصولهم لما جاءت به الأنبياء " لذلك فقد علمنا أنّ المسيح عليه السلام وغيره من الأنبياء معصومون لا يقولون إلا الحق ، وإذا قالوا قولا فلا بد له من معنى صحيح ، ويمتنع أن يريدوا بقولهم ما يمتنع بطلانه بسمع أو عقل ، فإذا كانت العقول ونصوص الكتب المتقدّمة مع نصوص القرآن تناقض ما ابتدّعه النصارى في المسيح علم أن المسيح لم يرد معنى باطلا يخالف صريح المعقول وصحيح المنقول".<sup>(4)</sup>

(1) الجليند : ابن تيمية وقضية التأويل ، ص 357.

(2) طبع هذا الكتاب في 10 أجزاء وملحق يشمل على فهرس المواضيع حسب ط (سنة 1440 هـ - 1981م) ، كما تناول ابن تيمية هذه القضية وناقش مخالفه في كتب أخرى مثل موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول ، ونقض تأسيس الجهمية ( في رده على الرازي ونقد دعواه تقديم العقل على النقل).

(3) الجليند : ابن تيمية وقضية التأويل ، ص 357.

(4) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 2 ، ص 95.

فأصول دين النصارى فاسدة وعقيدتهم باطلة لأن ما تعتبره النصارى أدلة نقلية وعقلية لا تثبت حجيتها على ما يدعون لأنها بنيت على شبهة ، وهم بذلك عدلوا عما يعرف بصحيح المنقول وصريح المعقول إلى ما تحتمله بعض الألفاظ الموافقة لهواهم ﴿إِنْ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الظَّنِّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَكَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ رَبِّهِمْ الْهُدَى﴾ (5) ولعلنا نستطيع أن نجزم أن ابن تيمية في محاولته المتكاملة بين العقل والنقل إستطاع أن يرجع إلى أصول المنهج السليم الذي بنيت عليه خاصية الأمة الإسلامية لتمثل شمولية الإسلام وعالميته وصلاحيته لكل زمان ومكان، لأنه يضع بهذه الطريقة البديل المنهجي المعرفي القادر على إخراج الأمة الإسلامية من أزمتها الحضارية من جهة، ومن جهة أخرى فهو يخضع تراث الملل والنحل لدراسة منهجية تثبت بها صحة أو فساد ما بأيديهم من أصول دينهم، كما تكشف لنا عن خطورة عدول الإنسان عن المصدر الأساسي للمعرفة والمتمثل في الوحي، إذ أن ذلك يعتبر انحراف منهجي خطير قد يؤدي بالبعض إلى إسقاط الخالق- سبحانه- أو يؤول ببعضهم إلى الشرك والتعدد كما زعمت النصارى في معبودها.

## ثانيا - طرق المعرفة مشتركة :

إسقاط الخالق - سبحانه- أو يؤول ببعضهم إلى الشرك والتعدد كما زعمت النصارى في معبودها. إن أهم ما يوقفنا عليه ابن تيمية في تصنيفه لطرق المعرفة أنه لم يكن مقلدا لمن سبقه من العلماء، فقد تباينت مذاهبهم في حصر طرق العلم فجعل بعضهم المحسوس طريقا للإستدلال وما عداه لا دليل فيه، وبعضهم حصر الإستدلال بالعقل والقياس ، وآخرون إتزموا النصوص ورفضوا ما سوى ذلك، أما شيخ الإسلام فيرى أن طرق العلم متعددة وكثيرة ويمكن إجمالها بثلاث طرق :

**أحدها:** الحسّ الباطن والظاهر، وهو الذي تعلم به الأمور الموجودة بأعيانها.

**والثاني:** الاعتبار بالنظر والقياس وإنما يحصل العلم به بعد العلم بالحسّ ، ممّا يفيد الحسّ معينا يفيد العقل والقياس كلياً مطلقاً ، فهو لا يفيد بنفسه علم شيء معين لكن يجعل الخاص عاماً ، والمعين مطلقاً، فإنّ الكليات إنّما تعلم بالعقل ، كما أنّ المعينات إنّما تعلم بالإحساس.

**والثالث:** الخبر، والخبر يتناول انكليات والمعينات والشاهد والغائب، فهو أعم وأشمل، لحسن الحس والعيان أتم وأكمل<sup>(1)</sup>.

ويوسع شيخ الإسلام -في مناسبات مختلفة- الكلام حول هذه الأدلة ولكنه يركز على مسألة تنوع الأدلة، كما يركز على دليل الخبر الصادق، ولذلك يقول عن أهل الكلام: "إنهم قد سلموا أنه يعلم بالسمع أمور، كما يذكرونه كلهم من أن العلوم ثلاثة أقسام: منها ما لا يعلم إلا بالعقل، ومنها ما لا يعلم إلا بالسمع، ومنها ما لا يعلم بالسمع والعقل، وهذا التقسيم حق في الجملة، فإن من الأمور الغائبة عن حس الإنسان ما لا يمكن معرفته بالعقل، بل لا يعرف إلا بالخبر". ثم يبين طرق العلم فيقول: "وطرق العلم ثلاثة: الحس، والعقل، والمركب منها كالخبر"<sup>(2)</sup> ويوضح النقطة الأخيرة في موضع آخر فيقول: "إن الخبر أيضا لا يفيد إلا مع الحس أو العقل، فإن المخبر عنه إن كان قد شوهد، كان قد علم بالحس، وإن لم يكن شوهد فلا بد أن يكون شوهد ما يشبهه من بعض الوجود، وإلا لم يعلم بالخبر شيء، فلا يفيد الخبر إلا بعد الحس والعقل، فكما أن العقل بعد الحس فالخبر بعد العقل والحس، فالإخبار يتضمن هذا وهذا"<sup>(3)</sup>. ومن الأمور المتعلقة بقضية المعرفة عند ابن تيمية والتي أشار إليها القرآن ضرورة الإعراف بنسبية المعرفة العقلية والحسية، فالعقل لا تنكشف له الحقائق دفعة واحدة، لأن أصلها ناشيء عن تجارب الحواس الظاهرة والباطنة. وقد يتخيل العقل أمورا تتصل بهذه المجموعات أو المرئيات وقد يتوهم أشياء تختص بها، لكن هناك فرق بين المعرفة المؤسسة على وهم وخيال، والمعرفة المؤسسة على اليقين.<sup>(4)</sup>

وكذلك الحسيات فحكمها نسبيا إن لم يميز بينها بالعقل، لأن الحس يغلط كثيرا" كمن ادعى فيما حصل له من المكاشفة والمخاطبة أمرا يخالف صريح العقل يعلم أنه غلط فيه كمن قال من القائلين بوحدة الوجود "إني أشهد بباطني وجودا مطلقا مجردا من الأسماء والصفات لا اختصاص فيه ولا قيد البتة".<sup>(5)</sup>

" فكل من أخبر بما يخالف صحيح المنقول أو صريح المعقول يعلم أنه وقع له غلط وإن كان صادقا فيما يشهده في الحس الباطن أو الظاهر، لكن الغلط وقع في ظنه الفاسد المخالف لصريح العقل لا في مجرد الحس. فإن الحس ليس فيه علم بنفي أو إثبات... ولهذا كان الصغير والمجنون والبهيم والسكران والنائم ونحوه، لهم حس، ولكن لعدم العقل لا يميزون أن هذا المشهود هو كذا أم كذا".<sup>(6)</sup>

(1) ابن تيمية : درء التعارض ، ج 7 ، ص 324 ، وانظر الرد على المنطقيين ، ص 364 ، والإستقامة ، ج 1 ، ص 29.

(2) ابن تيمية : درء التعارض ، ج 1 ، ص 178.

(3) المصدر نفسه ، ج 7 ، ص 325.

(4) محمد السيد الجلبيد : تأملات حول منهج القرآن في تأسيس اليقين ، ص 27.

(5) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 3 ، ص 134.

(6) المصدر نفسه ، ج 3 ، ص 135.



وبهذا يكون ابن تيمية قد جمع بين وسائل الإدراك وجعل طرق العلم ثلاثة عقلية وحسية ومشاركة ، وهذا ما يختص بعالم المحسوسات، أما عالم الغيبات فالإنسان يحتاج فيه إلى وسائل أخرى تمده بالمعرفة اليقينية ، وذلك لاختلاف الناس وتفاوتهم " فقد يكون الشيء قطعياً عند شخص في حال، وهو عند آخر وفي حال أخرى مجهول فضلاً عن أن يكون مظنوناً ، وقد يكون الشيء ضرورياً لشخص وفي حال ، ونظرياً لشخص آخر وفي حال أخرى"<sup>(1)</sup> لذلك لم يعلم بالأدلة العقلية إثبات الصانع ووحدانيته وعلمه وقدرته ومشيبته وحكمته ورحمته ونحو ذلك ، بل لا بد من اقتربها بخبر الأنبياء "لأنه حق في نفسه لا يختلف باختلاف عقائد الناس وأحوالهم ، فهو الحق الذي لا يقبل النقيض ، ولهذا كل ما عارضه فهو باطل مطلقاً"<sup>(2)</sup>.

وعلى هذا نرى أن العلم عند ابن تيمية "ينال بالحس والعقل وما يحصل بهما ، ويوحى الله إلى أنبيائه الذي هو خارج عما يشترك فيه الناس من الحس والعقل ولهذا قيل الطرق العلمية : البصر والنظر والخبر ، الحس والعقل والوحي ، الحس والقياس والنبوة"<sup>(3)</sup>.

وعلى هذا القدر من الدقة والتكامل يبين ابن تيمية موقفه المعرفي ليؤكد على أن الحق لا ينقض بعضه بعضاً، وأن وسائل الإدراك التي زود بها الإنسان تشترك وتتعاقد لتوصله إلى الحق فيتمكن من بناء عقيدته على أسس يقينية لا تقبل الشك أو التناقض، فيقول في هذا الموضوع: " يجب أن يعلم أن الحق لا ينقض بعضه بعضاً، بل يصدق بعضه بعضاً، بخلاف الباطل فإنه مختلف متناقض، كما قال تعالى في المخالفين للرسول: ﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ، إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ، يُؤَفِّكُ عَنْهُ مَنَافِكٌ ﴾"<sup>(4)</sup>.

وإن ما علم بمعقول صريح لا يخالفه قط خبر صحيح، ولا حس صحيح، وكذلك ما علم بالسمع الصحيح لا يعارضه عقل ولا حس، وكذلك ما علم بالحس الصحيح لا يناقضه خبر ولا معقول"<sup>(5)</sup>.

وخلاصة ما نستنتجه من هذا الطرح أن طريق اليقين في العقائد وأصول الدين عند ابن تيمية يبنى على هذا التكامل بين طرق المعرفة ووسائلها وهي دعوة لأهل الأديان للبحث في أصولهم المعرفية، لأن وجوه التضاد والتناقض في الأديان بين ، وكل واحد عنده أنه المحق ، فصور لهم شيخ الإسلام السبل الموصلة إلى العلم بالحق، لأن الباطل لا يتصور بنفس صورة الحق .

(1) ابن تيمية : درء التعارض ، ج 3 ، ص 304.

(2) ابن تيمية : المصدر نفسه ، ج 3 ، ص 304.

(3) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 2 ، ص 4.

(4) سورة الذاريات : آية 7-9.

(5) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 3 ، ص 133.

## المبحث الثاني : القواعد الأساسية لمنهج ابن تيمية

يرتبط منهج الرد عند ابن تيمية بعدد من القواعد والأسس الموظفة في مجال الجدل الديني ، والتي يتم بمقتضاها تحليل المعطيات المدروسة في مجال الدراسات الخاصة بالأديان كما تساعد على الإحاطة بخلفيات نقد العقائد النصرانية ، ونذكر ذلك في النقاط التالية :

- المنطلقات المشتركة لمنهج الرد .
- المفاهيم الأساسية لمنهج الرد .
- البعد الدعوي لمنهج الرد .

### المطلب الأول : المنطلقات المشتركة لمنهج الرد.

في هذا الجانب يمكن أن نقول أن هناك موضوعات مشتركة بين الطرفين الإسلامي والمسيحي فكلا الجانبين يقرّ بالتوحيد و بالنبوة وآيات الأنبياء ونزول الكتب من الله تعالى<sup>(1)</sup> ، وهذه الموضوعات قد تتفق من حيث الاصطلاح والأسماء وتختلف في منهجية المعالجة لكل منهما وهذا ما لاحظناه في تحليلات ابن تيمية عند تناوله لهذه المباحث ، ونذكر ذلك فيما يلي :

### أولاً- التوحيد:

شكل مبحث التوحيد في الردود الإسلامية درسا مهماً في المناقشات الكلامية مع النصارى ، فنجد معظمها قد جعل منه مدخلا كلاميا يتقدم الحديث الجدلي ، وذلك لبيان مناقضة عقائد النصارى لأصل التوحيد ، فكانت الأدوات الكلامية التي يثبت بها التوحيد كقيلة بالرد على النصارى لأنّ مذهبهم يمثل الجانب السلبي لهذه المسألة ، وهو السبب الذي يبرّر إدراج جلّ الكتب الكلامية مسائل الرد على النصارى في باب الحديث عن التوحيد.<sup>(2)</sup>

(1) - أنظر ذلك في ابن حزم : الأصول والفروع ج 1 ، ص 196 فقد أشار لاقرار المسلمين والنصارى بهذه الأصول في باب النبوات كما قرن بهم اليهود .

- مصطلح التوحيد تعبير عن الإيمان باله واحد وهو يقابل المصطلح Monothéisme وهو ما تؤمن به الديانات الثلاثة الكبرى الموحدة ، اليهودية والمسيحية والإسلام، وقد رفض المسلمون توحيد المسيحية بسبب عقيدة التثليث كما أنه يوجد من المسيحيين الموحدين ممن يرفضون الاعتراف بالتثليث. - أنظر : Royston picke E.:Dictionnaire des religions (Monothéisme) p. 218.

(2) أنظر في ذلك ج 1 و ج 2 من مجموع فتاوى ابن تيمية وعن الصفحات الخاصة بالرد على النصارى انظر فهرس الفرق ، وانظر بالخصوص ج 2، ص 173، 184-185، 339-40، وانظر ابن حزم الأندلسي: الأصول والفروع، تحقيق: محمد عاطف العراقي، وبهير فضل الله أبو وافية وإبراهيم إبراهيم هلال، ط 1، (القاهرة : دار النهضة العربية 1978م) ج 2، ص 380 وما بعدها - البياقلائي محمد بن الطيب : التمهيد ، ص 93 وما بعدها.

- الجويني أبو المعالي عبد الملك: كتاب الإرشاد، تحقيق: أسعد تميم، ط 1 (بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، 1405 هـ - 1985 م)، ص 64 وما بعدها .

ودراسة ابن تيمية لهذا الأصل تكشف عن مفارقة النصارى لدين الأنبياء ، فالتوحيد يمثل المنطلق المشترك بالنسبة للأديان السماوية وهو دعوة جميع الرسل مع الاختلاف في الشريعة والمنهاج ، وقد دل القرآن على ذلك في قوله تعالى : ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ (1).

وهذا الأصل هو أصل الدين الذي لا يقبل الله من الأولين والآخرين ديناً غيره ، وبه أرسل الله الرسل ، وأنزل الكتب (2) ، كما قال تعالى : ﴿ وَأَسْأَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾ (3) وقال : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ (4) ومن خلال تناول ابن تيمية لمفهوم التوحيد في الدرس الكلامي والذي مثل فيه خصائص مدرسته بين شرك النصارى وكفرهم ، ومذهبه يقوم على التفرقة بين نوعين من التوحيد :

## 1- توحيد الربوبية:

ومعناه أن صانع العالم واحد لا شريك له وهو الرب الذي جبلت الفطرة على الإعتراف به، فلم ينقل عن أحد من أهل الملل والنحل والآراء والديانات إثبات شريك مشارك له في خلق جميع المخلوقات، ولا مماثل له في جميع الصفات (5) ، لهذا كان المشركون الذين جعلوا معه آلهة أخرى مقرين بأن آلهتهم مخلوقة (6)، كما تذكر ذلك النصارى عن المسيح (7).

ومما يبين هذا "أن مشركي العرب واليهود والنصارى يقولون إن الله خلق السموات والأرض بمشيئته وقدرته" (8).

## 2- توحيد الألوهية:

وهو أن يعبد الله وحده لا يشرك بعبادته أحد من خلقه، ويتحقق هذا القول بمعنى قولنا (لا إله إلا الله).

(1) سورة الشورى : آية 13

(2) ابن تيمية : مجموع الفتاوى ، ج 1 ، ص 154 . وانظر عن تطابق مفهوم التوحيد في القرآن مع ما جاء في التوراة والأنبياء والمعهد الجديد .

-Masson, D : Monothéisme coranique et Monothéisme biblique , p.95.

(3) سورة الزخرف : آية 45.

(4) سورة الأنبياء : آية 25.

(5) ابن تيمية : مجموع الفتاوى ، ج 3 ، ص 96.

(6) المصدر نفسه ، ج 1 ، ص 155.

(7) تثبت النصارى للمسيح الإلهية كما تثبت له الولادة ، أنظر في ذلك نص الأمانة بكتاب الجواب الصحيح : ج 2 ، ص 116.

(8) ابن تيمية : مجموع الفتاوى ، ج 17 ، ص 292.

وتوحيد الألوهية هو الذي جاءت لإقراره الراسل ، وأنزلت الكتب وأقيمت البراهين ندفع الشركت الواقع فيه ، لأن الشرك الذي وقع في جميع الأمم كان في هذا النوع ، فإن عامة مشركي الأمم كانوا مقرين بالصانع ويعترفون بتوحيد الربوبية ، ولكنهم مع إقرارهم بربوبيته قد أشركوا بعبادة غيره ، وبهذا

يظهر أن النصارى لم يخرجوا عن مسمى الشرك وإن قالوا " الثلاثة أسماء إله واحد ، ورب واحد ، وخالق واحد ، ومسمى واحد" (1) لأنهم يثبتون الإلهية لكل أقنوم من الأقانيم الثلاثة ، فرد القرآن على كفرهم في قوله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴾ . (2)

فإن قوله ﴿ لَمْ يَلِدْ ﴾ رد لقول من يقول إن له بنين وبنات من الملائكة أو البشر ، مثل قول النصارى المسيح ابن الله. (3)

كما يخبر عن شركهم في قوله : ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ مَرْبَاتًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ . (4)

وتحقيق العبادة لله وحده - والتي يتم بها التوحيد الخالص - تبني على أصليين ، وهما إثبات صفات الكمال رداً على أهل التعطيل ، وبيان أنه المستحق للعبادة ، لا إله إلا هو رداً على المشركين. (5) وبهذا يعرف ما وقع من الغلط في مسمى التوحيد عند النصارى ، وهذه القواعد المتعلقة بتقرير هذا الأصل وحسم مادة الشرك كلما تنوع بيانها ووضحت عباراتها كان ذلك معيناً على معرفة حقيقة دين النصارى والتحقق من أنه دين شرك وكفر ، فالنصارى غلطوا في أمر الله ، فجعلوا له في القسمين شريكا ، وألحقوا به المسيح ودخلوا في الاتحاد والحلول من هذا الوجه .

ولكي يكشف ابن تيمية عن شبهة النصارى في أصل التوحيد ، يورد دلائل إثبات الصانع بالمقاييس العقلية معتبرا ذلك علما ضروريا ، فنجده يفرق بين الخالق والمخلوق ، وهو كون الخالق واحداً أما المخلوق فلا يصدر عنه شيء إلا من اثنين فصاعداً ، وأما الواحد الذي يفعل وحده فليس إلا الله. (6) فكما أن الوجدانية واجبة لازمة له ، فالمشاركة واجبة للمخلوق لازمة له والوجدانية مستلزمة للكمال ، والكمال مستلزم لها ، والاشتراك مستلزم للنقصان ، والنقصان مستلزم له. (7)

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 2 ، ص 112. وانظر عن دعوى النصارى توحيد الإله :

-Masson , D. : Monothéisme coranique et Monothéisme biblique , p. 100.

(2) سورة الإخلاص: آية 1.

(3) ابن تيمية : مجموع الفتاوى ، ج 2 ، ص 439

(4) سورة التوبة: آية 31.

(5) ابن تيمية : مجموع الفتاوى ، ج 6 ، ص 83 .

(6) المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 36.

(7) المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 36.

كما أن الإلتحاد يوجب الإستحالة ، وهذا ممتنع على الله لأن الاستحالة تقتضي عدم ما كان موجودا "والربّ تعالى واجب الوجود بذاته وصفاته اللّازمة له يمتنع العدم على شيء من ذلك ، ولأنّ صفات الربّ اللّازمة صفات كمال ، فعدم شيء منها نقص يتعالى الله عنه ، ولأنّ اتحاد المخلوق بالخالق يقتضي أنّ العبد متّصف بالصفات القديمة اللّازمة لذات الرب ، وذلك ممتنع على العبد المحدث المخلوق، فإنّ العبد يلزمه الحدوث والافتقار والذل".<sup>(1)</sup>

فالبدهاء المنطقيّة تلزم في إثبات التوحيد أفراد الحدوث عن القدم "ولهذا اتفق المسلمون بأنّ الخالق بائن عن مخلوقاته ، ليس في مخلوقاته شيء من ذاته ، ولا في ذاته شيء من مخلوقاته".<sup>(2)</sup> وهذا "أمر اتفقت عليه الرّسل ، وأهل الكتاب في ذلك كالمسلمين ، وإذا كان كذلك فهم في أمانتهم لم يقولوا ما قاله المسيح والأنبياء ، بل ابتدعوا اعتقادا لا يوجد في كلام الأنبياء".<sup>(3)</sup>

و ابن تيمية يلزم النصارى على أصل التوحيد ، إثبات التناقض الذي يفضي إلى نفي ما يلزم إثباته لله ، " والخالق يجب له الوجود والقدم ويمتنع عليه العدم فيلزم أن يكون المخلوق واجب الوجود قديما أزليا لم يعد قط وكونه محدثا مخلوقا يستلزم أن يكون كان معدوما قديما محدثا ، وهو جمع بين النقيضين يمتنع في بدهاء العقول".<sup>(4)</sup>

كما يلزم النصارى من قولهم باتّحاد الناسوت بالأهوت امتناع أن يكون قديما وإيجاب سابقة العدم<sup>(5)</sup> له " فلو وجب للخالق القديم ما يجب له لوجب كون الواجب القدم ، واجب الحدوث بعدم العدم ، وهذا جمع بين النقيضين ، فالعقل الصريح يجزم بأنّ الله ليس كمثل شيء"<sup>(6)</sup> ، وليس للنصارى ما يدل على أنه ليس كالأشياء المخلوقة ، وهذا يدل على جهل النصارى للأدلة العقلية التي يثبت بها العلم بالصانع .

وابن تيمية يؤسّس منهج الرد على النصارى من منطلق التوحيد فيناقشهم في أصل مذهبهم مستخدما المصطلحات المتداولة في علم الكلام الإسلامي لتفحص الدلالات اللفظية المعبر بها عن التوحيد المسيحي ، فيذكر عن الأقانيم قولهم : " أب وابن وروح القدس ثلاثة آلهة وهي إله واحد والمتدّرع بناسوت المسيح هو الابن ، ويقولون هي الوجود والعلم والحياة والقدرة"<sup>(7)</sup> وتثبت النصارى مع ذلك تفرد

(1) ابن تيمية : مجموع الفتاوى ، ج 6 ، ص 83 ، ج 2 ، ص 339.

(2) المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 340.

(3) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 3 ، ص 141.

(4) المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 103.

(5) انظر عن إثبات هذه النتيجة من طرف لاهوتي مسيحي في تأكيده على أنّ نسبة الولد لله توجب حدوثه ،

- Masson . D. : Monothéisme coranique et Monothéisme biblique , p. 102.

(6) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 2 ، ص 101.

(7) ابن تيمية : مجموع الفتاوى ، ج 2 ، ص 184.

كل أقنوم بجوهر خاص ، وهذا يوجب أن لا تكون جوهرًا واحدًا ، لأن التعدد في الجواهر لا يقال عنه بأنه جوهر واحد والجوهر هو القائم بنفسه.(1)

"وهذا تصريح بإثبات ثلاثة جواهر ، وثلاثة آلهة ، ويقولون مع ذلك إنما تثبت جوهرًا واحدًا ، وهذا جمع بين النقيضين".(2)

على أن هذا لم يمنع ابن تيمية من تصنيف مذهب النصارى ، إذ العلم الإلهي يفترض ضرورة كون الإله ذاتًا واحدة لها صفات متعددة ولو جعلت النصارى الأقانيم صفات فليست بالآلهة(3) ، ولم تخرج عن مسمى التوحيد عند المسلمين لكنهم لا يقولون بذلك . بل يزعمون أن الآلهة ثلاثة وأن الكلمة خالقة والروح خالقة وبهذا بان كفرهم وعظم شركهم.(4)

فالدرس الكلامي الذي يبحث فيه ابن تيمية عن دعوى النصارى في التوحيد تقضي نتائجه إلى التقرير أن مذهبهم يقوم على الشرك والكفر.

## ثانيا - الوحي :

إن الحديث عن النصوص السماوية المقدسة يجرنا إلى تقديم كلمة عن الطريقة التي صدرت بها هذه النصوص المقدسة، فأصحاب الديانات السماوية متفقون على أن الوحي الإلهي هو الوسيلة والطريقة التي تأتت بها هذه النصوص، لكن هذا الإشتراك لا يعني بالضرورة الإتفاق الكلي في هذا الجانب، فالمقارنة بين حقيقة الوحي عند الطرفين الإسلامي والمسيحي على وجه الخصوص والتدقيق في منهجية المعالجة توضح بعد النظرتين، وذلك عائد بالأساس إلى مسائل عقديّة، ويتضح ذلك ببيان مفهوم الوحي. فالوحي في المفهوم الإسلامي مستمد من القرآن نفسه وهو كلام الله المنزل على نبيه بواسطة . وهذه المصدرية لها من الأهمية ما يثبت بها حقيقة ودرجة موثوقيته وصحته ، ويبقى عمل الرسول تبليغ الرسالة ، لذلك بين القرآن أن الوحي ليس من جهة الرسول -صلى الله عليه وسلم- ولا من كلامه إنما هو من عند الله.(5) قال تعالى : ﴿وَإِنَّهُ لَنَنْزِيلُ رَبِّكَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ، بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ أَوْلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾.(6)

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج2 ، ص 117.

(2) المصدر نفسه ، ج2 ، ص 117.

(3) ابن تيمية : مجموع الفتاوى ، ج 2 ، ص 184.

(4) المصدر نفسه ، ج3 ، ص 53.

(5) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج4 ، ص 30.

(6) سورة الشعراء : آية 192-197.

أما الطرف المسيحي فقد كانت نظرتهم توافق إلى حد بعيد نظرة المسلمين إلى انوحي بانفرا وىكفي لكي نتأكد من ذلك أن نرجع إلى المصادر المسيحية والتي تلخ على أن الكتاب المقدس قد أملاه الروح القدس ، فهو لذلك كتاب الله مبراً من الأخطاء في جميع تفاصيله ، وهذه النظرة هي التي كرسها مجمع ترانت (Trente) المنعقد سنة 1545/952 والذي نصّ في أحد قراراته على أن أسفار الكتاب المقدس قد أملاها المسيح شفويًا أو أملاها الروح القدس.<sup>(1)</sup>

إذن فالتصوران الإسلامي والمسيحي للوحي متشابهين في القرون الأولى ، وقد فتحت هذه المسألة مجال الجدل الديني مع النصارى في صحّة الكتب المقدسة وموثوقيتها ، وقد أفضى ذلك إلى التأكيد على وقوع التحريف في نصوص الوحي، ومن المظاهر التي يمثّل بها ابن تيمية لإثبات ذلك مسألة تناقض نصوص الكتب فيشير إلى أن كتاب الله لا يستلزم أن يكون متناقضًا فاسدًا فيما يخبر ، فإن كان فيه ذلك فلا يصح الاستدلال به من جهة كونه خبر الله.<sup>(2)</sup> وهذا يفقدها صفة الإلهام والعصمة من الخطأ. ويبدو أن القول بالعصمة الحرفية في الكتاب المقدس هو أحد المبادئ التي يستند إليها المسيحيون المعاصرون ، لأنهم يريدون الرجوع إلى ما يعتبرونه أصول الإيمان المسيحي ، بيد أن الأبحاث والدراسات الحديثة والتي ارتبطت بنصوص الكتاب المقدس ترفض تلك النظرية ولا تعتقد بأن الكتب المقدسة ملهمة بحروفها.<sup>(3)</sup>

وعليه يمكن أن نقول إن الاعتراف بالبعد البشري في هذه الكتب وعدم اعتبار الله مؤلفها ، إنما هو ظاهرة حديثة في علم اللاهوت المسيحي ، وقد مثلت الردود الإسلامية في هذا الجانب عاملاً أساسياً لظهور حركة فقد الكتاب المقدس على يد أعلام الدراسات اللاهوتية المسيحية من أمثال : سبينوزا (spinoza) في القرن السابع عشر م<sup>(4)</sup> ورينان (Renon)<sup>(5)</sup> ولوازي (Loizy)<sup>(6)</sup>.

والملاحظ أن ابن تيمية قد أثار هذه المسألة في جدله مع النصارى قبل ظهور هذه الدراسات فيقول: " وأما الأناجيل التي بأيدي النصارى فهي أربعة أناجيل ، إنجيل متى ، ويوحنا ، ولوقا ومرقس ، وهم متفقون على أن لوقا ومرقس لم يريا المسيح وإنما رآه متى ويوحنا ، وأن هذه المقالات الأربعة

(1) أنظر : Algrain R. et d'autres : Ecclesia, Encyclopédie populaire des connaissances Religieuse, p 91.

(2) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج2 ، ص 264.

(3) الأب توماس ميشال اليسوعي : مدخل إلى العقيدة المسيحية ، ترجمة : الأب كميل حشيمة اليسوعي (بيروت : دار المشرق)، ص 18-19.

(4) انظر سبينوزا باروخ : رسالة في اللاهوت والسياسة ، تعليق وترجمة : حسن حنفي (بيروت ، 1981م) خاصة ، ص 244 - 265 . حيث وظف المنهج التاريخي في نفي نسبة التوراة لموسى.

(5) أنظر كتابه عن حياة المسيح .

(6) أنظر كتابه: Les origines du nouveaux testament وعبد المجيد الشرفي: الفكر الإسلامي في الرد على النصارى، ص 413.

التي يسمونها الإنجيل وقد يسمون كل واحد منها إنجيلا إنما كتبها هؤلاء بعد أن رفع المسيح ، فلم يذكروا فيها أنها كلام الله، ولا أن المسيح بلغها عن الله، بل نقلوا فيها أشياء من كلام المسيح، وأشياء من أفعاله ومعجزاته<sup>(1)</sup> مسجلا بذلك محور الخلاف بين المفهوم الإسلامي والمسيحي لكلام الله، فالقرآن كتاب واحد نقله بلغة واحدة رجل واحد خلال زمن قدر بـ 23 عاما، وعلى عكس ذلك فالكتاب المقدس مجموعة من 73(65) كتابا ألفت بلغات مختلفة طوال فترة زمنية دامت (1500) سنة، وعني بالعملية المعقدة التي نتج عنها إنشاء هذا الكتاب عدد كبير من المؤلفين الملهمين لم يحفظ التاريخ أسماء الكثيرين منهم، لذا تعكس الأناجيل تنوعا في الأساليب التاريخية<sup>(2)</sup>، ويمكن أن نعتبر ذلك إشكالية تطرح من خلالها مسألة التحريف، فأقرار النصارى بأثر التاريخ وشخصية أصحاب الكتب المقدسة، وثقافة المؤمنين يؤكد على عمل البشر فيه، وهذا يلزم قبوله للخطأ، وقد ينتهي الأمر فيه إلى أنه كتاب لا يوثق به وليس له سلطة الإلزام، على عكس المقومات الموضوعية في الإحياء بالقرآن الكريم والتي تؤكد على أصله الإلهي الخالص. وبهذا يظهر أنه لا مجال قط للمقارنة بين القرآن وغيره من الكتب السماوية في مجال الوحي.

### ثالثا - النبوة:

يعرض ابن تيمية خلال دراسته لمسائل الرد على النصارى في كتاب الجواب الصحيح موضوع النبوة ويبدو أنه قد أولاه عناية فائقة ، فكان بحثه في الموضوع متصلا بالمباحث التي تدرس عادة في علم العقيدة ، إلا أن الجانب الذي يهتما في إبراز منهج الرد ، هو ما مثل موقف اعتراض في نقاشه مع النصارى ، فنجد حين عرضه لدلائل نبوة النبي ، يركز اهتمامه على الحديث عن المعجزة والتي تعتبر أمرا خارقا للعادة يجريها الله على يد نبيه ليثبت صدق دعوى نبوته ، فيذكر أنه إذا كان تأليه النصارى للمسيح بسبب ما رأوا منه من المعجزات ، فقد جاء غيره من الرسل بما هو أعظم من معجزاته ، كإحياء الموتى والإخبار بالغيب ، وظهور المعجزات على يده دال على نبوته كما دلت على نبوة غيره من الأنبياء ، وليس دالة على إلهيته ، فادعاء الإلهية أمر ممتنع<sup>(3)</sup>. وهذا إشارة منه للخطأ المنهجي الذي سلكته النصارى في دعوى الألوهية فيه ، فكان اشتراكه مع الأنبياء في نفس الدلائل كفيل بإبطال ألوهيته.

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج2 ، ص 11 .

(2) الأب توماس ميشال اليسوعي، مدخل إلى العقيدة المسيحية ص 15-16 .

(3) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج2 ، ص 186 .



وتعتبر هذه الشبهة سبباً في إثبات بشرية الرسول نعلق كن باب يمكن أن يفضي إلى دعوى الألوهية في الأنبياء، فنجد القرآن يؤكد على بشرية المسيح ونبوته في كثير من المواضع كقوله: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ، وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾<sup>(1)</sup>. وأخبر تعالى أن أول شيء نطق به المسيح قوله: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾<sup>(2)</sup>. كما أخبر صلى الله عليه وسلم أنه عبد الله لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً، وأنه لا يتعدى حد الرسالة ولا يدعى المشاركة في الألوهية كما ادعت النصارى في المسيح<sup>(3)</sup>، فبين في كثير من المواضع طبيعته البشرية وأنه نبي مرسل ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾<sup>(4)</sup>.

كما حذر من هذه الدعوى في الحديث المتفق على صحته<sup>(5)</sup>: "لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم، فإنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله"<sup>(6)</sup>. وتجدر الإشارة إلى أن ابن تيمية في حديثه عن إثبات نبوة عيسى يجعل ذلك مناسبة لإثبات نبوة محمد -صلى الله عليه وسلم- فيرى أنه يمتنع عقلاً الإقرار بنبوة واحد من هؤلاء دون نبوة محمد -صلى الله عليه وسلم-، فإن البراهين والآيات والأدلة الدالة على صدق موسى والمسيح تدل على نبوة محمد -صلى الله عليه وسلم- بطريق أولى<sup>(7)</sup>. وذلك لكون النصارى تطعن في نبوته فإن النصارى متفقون على أن المعجزة هي الفعل الخارق للعادة المقرون بالتحدي السالم عن المعارضة وهي دليلهم على نبوة الأنبياء، فهي دليل على نبوة الرسول -صلى الله عليه وسلم-، ومعلوم أن أصحاب محمد -صلى الله عليه وسلم- قد نقلوا معجزاته وثبت بالتواتر من أضعاف أضعاف ممن نقلوا عن المسيح،

(1) سورة المائدة : آية 75.

(2) سورة مريم : آية 30.

(3) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج2 ، ص 79.

(4) سورة آل عمران : آية 144.

(5) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج2 ، ص 80.

(6) - المصدر نفسه. ج2، ص80.

- أخرجه الإمام البخاري في كتب الأنبياء ، باب 'واذكر في الكتاب مريم' عن ابن عباس أنه سمع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول : 'لا تطروني... الحديث بلفظه ، أنظر البخاري محمد بن إسماعيل : صحيح البخاري د. ط ( بيروت : دار الفكر

1401 هـ - 1981 م ) ، ج4 ، ص 142

- أخرجه أحمد بن حنبل : المسند (بهامشه منتخب كنز العمال في سنن الأفعال والأفعال ) ، ط4 (بيروت : المكتب الإسلامي ، 1403 هـ - 1983 م) ، ج1 ، ص 23.

(7) ابن تيمية : الجواب الصحيح : ج2 ، ص 354.

فيلزم من التصديق بمعجزات المسيح التصديق بمعجزات محمد -صلى الله عليه وسلم-، ومن التكذيب بمعجزات الرسول -صلى الله عليه وسلم- التكذيب بمعجزات المسيح عليه السلام.<sup>(1)</sup>  
فيحرص ابن تيمية على ايراد معجزاته -صلى الله عليه وسلم- ليثبت نبوته وصدق دعواه<sup>(2)</sup>  
ردا على من أنكروها وطعن فيها من اليهود والنصارى وغيرهم. "فإن لم يقولوا بنبوة محمد -صلى الله عليه وسلم- مع أن كل دليل يدل على نبوة موسى وداود وعيسى وغيرهم ، يدل على نبوة محمد -صلى الله عليه وسلم- لزم أن يكونوا قد نقضوا دليلهم فجعلوه قائما مع انتفاء مدلوله، وإذا انتقض الدليل بطلت دلالاته، فإنه إنما يدل إذا كان مستلزما للمدلول".<sup>(3)</sup>

كما يلزم النصارى إثبات نبوة محمد -صلى الله عليه وسلم- لأن ثبوت نبوة من سبقه متوقف على إخباره أنهم أنبياء فلو قدحنا في الأصل الذي قد علمنا به نبوتهم لزم القدح في نبوتهم ، والفرع إذا قدح في أصله دلّ على فساده في نفسه ، سواء قدر بأصله صحيحا أو فاسدا ، فإنه إن كان أصله فاسدا فسد هو ، وإن كان أصله صحيحا وهو يناقضه بطل هو ، فهو إذا ناقض أصله باطل على كل تقدير.<sup>(4)</sup>  
والجدير بالذكر أن ابن تيمية يعترض على النصارى دعواهم النبوة في الحواريين وزعمهم أن الإنسان بطاعته يصير بمنزلة الأنبياء<sup>(5)</sup> ، وقد جرّهم لهذا الخطأ إغفالهم بديهة دينية تتصل باصطفاء الله واختياره أفرادا معينين لرسالاته، فالنبوة تقع من جهة الله وليس ممن يدعيها ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مَنِ الْأُمَّةِ رَسُولًا وَمِنَ النَّاسِ﴾<sup>(6)</sup> ، ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾<sup>(7)</sup> ، وقد جعل الله من الدلائل التي تثبت صدق من أرسل من رسله ، وكذب من ادعى عليه ، فيذكر ابن تيمية من ذلك أمرين<sup>(8)</sup>:

- إنشاء الله الرسالة لا يجعلها إلا فيمن هو أكمل الخلق وأصدقهم.

- إخبار الله عنه بأنه صادق في ما يبلغه عنه .

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح: ج 2 ، ص 184.

(2) خصص ابن تيمية لهذا الموضوع الجزء الرابع من كتاب الجواب الصحيح.

(3) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 1 ، ص 183-184.

(4) المصدر نفسه ، ج 1 ، ص 353.

(5) المصدر نفسه ، ج 1 ، ص 293.

(6) سورة الحج : آية 75.

(7) سورة الأنعام : آية 124.

(8) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 2 ، ص 261.

ولهذا اتفق أهل الملل على أن الرسل معصومون فيما يبلغونه عن الله، لا يكذبون عليه عمداً ولا خطأ، فإن هذا مقصود الرسالة<sup>(1)</sup>.

ومثل هذه الشواهد على صدق النبوة فرقت بين صدق الأنبياء وكذب المدعي من أمثال الأسود العنسي<sup>(2)</sup>، ومسيلمة الكذاب<sup>(3)</sup>، وظليحة الأسدي<sup>(4)</sup>، فعلم بكذبهم أن الله لم يرسلهم<sup>(5)</sup>. وفي هذا رد على من يدعي أن النبوة مكتسبة<sup>(6)</sup>، فهذه مواضع النزاع التي يختلف فيها الطرفان في حقيقة النبوة، فالمسلمون يقرّون بجميع الأنبياء، بينما تؤمن النصارى بمسيح ادعى أنه الله أو أنه إتحد به، أو حلّ فيه، كما أنها تؤمن ببعض الأنبياء دون بعض وهذا ما يرفضه الإسلام.

ويجعل ابن تيمية من مبحث النبوة أصلاً من أصول الدين يفرّق به بين الكفر وإيمان، وبه يتفحص صدق أقوال أهل الديانات أو كذبها، ونظراً لأهميته في هذا الجانب يلقي لائمه على المتكلمين ممن أغفل هذا الجانب في الرد على أهل الكتاب، واكتفاهم بالمسائل العقلية، فيسجل ذلك بصريح العبارة قائلاً: " وكثير من المصنّفين في الكلام لا يرتدون على أهل الكتاب إلا ما يقولون : إنه يعلم بالعقل مثل تثليث النصارى ، ومثل تكذيب محمد ، ولا يناظرونهم في غير هذا من أصول الدين ، وهذا تقصير منهم ومخالفة لطريقة القرآن ، فإنّ الله بيّن في القرآن ما خالفوا به الأنبياء ... ، إذ كان الكفر

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح ج2، ص261.

(2) الأسود العنسي: هو عييلة بن كعب بن عوف العنسي، المذحجي، ذو الخمار، متنبئ، مشعور، من أهل اليمن كان جباراً، أسلم لما أسلمت اليمن، وارتدّ في أيام النبي -صلى الله عليه وسلم- وكان أول مرتد في الإسلام، وادعى النبوة، ولم يلبث إلا أربعة أشهر ولبث عليه فيروز الديلمي ومعه معاونوه فقتلوه، وذلك قبل وفاة النبي -صلى الله عليه وسلم- بشهر واحد فقط. أنظر ابن السوردي : تنمة المختصر ج1، ص 213، وابن كثير : البداية والنهاية ، ج6، ص 307، والزركلي : الأعلام، ج5، ص 171.

(3) مسيلمة الكذاب : هو مسيلمة بن تمامة الحنفي ، الوائلي ، أبو تمامة ، متنبئ كذاب من المعمرين ، ولد ونشأ باليمامة بوادي حنيفة ، في نجد ، عرف برحمان اليمامة ، ارتد قبل موت النبي -صلى الله عليه وسلم- وبعد وفاة الرسول تولى أبو بكر قتال المرتدين ، فقتل هذا الخبيث سنة 12 هـ في المعركة التي دارت بين الصحابة والمرتدين .  
- انظر: ابن الوردي: تنمة المختصر ج1، ص216، وابن كثير البداية والنهاية، ج6، ص 323، وابن العماد: شذرات الذهب، ج1، ص 23 .

(4) ظليحة بن خويلد الأسدي : من أسد خزيمة ، كان شجاعاً فصيحاً ، قدم على النبي -صلى الله عليه وسلم- في وفد بني أسد سنة 9 هـ ، ولما رجعوا ارتد وادعى النبوة في عهد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ، وكثر اتباعه بعد وفاة الرسول أوفد إليه أبو بكر جيشاً لقتاله بقيادة خالد فانهزم ظليحة وفر إلى الشام ثم أسلم ، خرج إلى العراق فحسب بلاؤه في الفتوح واستشهد بتهاون سنة 21 هـ . أنظر ابن كثير : البداية والنهاية ، ج6 ، ص 311 ، والزركلي : الأعلام ، ج3 ، ص 332.

(5) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج2 ، ص 262

(6) أنظر عن هذا الموضوع ابن تيمية : مجموع الفتاوى ، ج19 ، ص 187.

والإيمان يتعلّق بالرسالة والنبوة، فإذا تبين ما خالفوا فيه الأنبياء ظهر كفرهم<sup>(1)</sup>. ولهذا نجده يبيّن هذه المسألة في دراسته لنصوص النصارى ويثبت مخالفة أقوالهم لأقوال الأنبياء، وعلى هذا الأصل من أصول الدين بان كفرهم وعظم شركهم، وما نستخلصه هو أن ابن تيمية يجعل نصوص الأنبياء أصلاً مرجعياً لتوثيق الأديان.

## المطلب الثاني: المفاهيم الأساسية لمنهج الرد.

لمعرفة كيفية أداء عملية الردّ على النصارى في إطارها المنهجي، نعرض المفاهيم التي يعمل هذا المنهج على أساسها ويتحرك بها، وتمثّل جانبها العملي والتطبيقي، وهي التي تحدّد المعرفة بموضوع الجدل. ويعتبر القرآن هو المصدر المعرفي الذي أمّد الفكر الإسلامي بهذه المفاهيم، وفتح له آفاق البحث الموضوعي لإثبات عملية التحريف على النصارى، ويمكن أن ندرس هذه المفاهيم في النقاط التالية:

- 1- وحدة الدين .
- 2- عيسى عبد الله ورسوله .
- 3- الكتب محرفة .

## أولاً - وحدة الدين :

يؤسس ابن تيمية عملية الردّ على مفهوم وحدة الدين، وهذا يحدّد العلاقة القائمة بين الديانات السماوية التي تنسب إلى أصل واحد هو دين الإسلام. وهذا ما يتّضح سيرا مع جدل القرآن لمخالفتي عقيدة التوحيد، إذ يؤكد في كل مرة انتساب جميع الأنبياء إلى دين واحد<sup>(2)</sup>.

فنرى نوحاً يقول لقومه: ﴿وَأْمُرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾<sup>(3)</sup> وإبراهيم الخليل قال: ﴿مَرَبَّتَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَمْرُنَا مَتَّاسِكَةً وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾<sup>(4)</sup>.

(1) ابن تيمية : مجموع الفتاوى ج19 ، ص 188.

(2) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 1 ، ص 226-229

(3) سورة يونس : آية 72

(4) سورة البقرة : آية 128.

ويعقوب يوصي بنيه: ﴿فَلَا تَوْتِنَ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (1). وأبناء يعقوب يجيبون اباهم : ﴿تَعْبُدُ إِلَهَكَ وَآلَهُ آتَاكَ إِبرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَخُنَّ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (2). وقال تعالى عن يوسف: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِنِّي بِالصَّالِحِينَ﴾ (3) وموسى يقول لقومه: ﴿وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ (4) وقال تعالى عن الحواريين: ﴿وَإِذْ أُوحِيَتْ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (5).

فالإسلام في لغة القرآن ليس اسما لدين خاص (6)، وإنما هو اسم للدين المشترك " لا يختص بمن بعث إليه محمد -صلى الله عليه وسلم- بل هو حكم عام في الأولين والآخرين" (7) وهذا تحقيق قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (8) فهؤلاء الأنبياء كلهم وأتباعهم على الإسلام وهذا ما قرره القرآن وأكد عليه ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ، وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَخُنَّ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (9).

وهي الدعوة التي وجهها الله إلى أهل الكتاب ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ...﴾ (10) ﴿اتَّخِذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرَهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (11).

"فأخبر أنهم اتخذوا من دون الله أربابا ، واتخذوا المسيح ربا ، وما أمروا إلا ليعبدوا إليها واحدا

(1) سورة البقرة : آية 132.

(2) سورة البقرة : آية 133.

(3) سورة يوسف : آية 101.

(4) سورة يونس : آية 84.

(5) سورة المائدة : آية 111.

(6) وقد تحمل كلمة إسلام مدلولاً معيناً ، حين تطلق على مجموعة الشرائع والتعاليم التي جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم ، دراز محمد عبد الله : الدين د. ط (الكويت : دار القلم للنشر والتوزيع 1410 هـ - 1990) ، ص 176.

(7) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 1 ، ص 229.

(8) سورة آل عمران : آية 85.

(9) سورة البقرة : آية 136.

(10) سورة آل عمران : آية 64.

(11) سورة التوبة : آية 31.

وهؤلاء باتخاذهم غيره أربابا عبدوهم فأشركوا بالله<sup>(1)</sup> والاية تبين أن الدين الذي جاء به المسيح عليه السلام هو الإسلام ، لأن دعوة الرسل قائمة على عبادة الله وحده فنزه نفسه عن شركهم ، وذلك أن أصل دينهم ليس فيه شرك ، فإن الله إنما بعث رسله بالتوحيد والنهي عن الشرك<sup>(2)</sup> وهذا يقرّر أن دين النصارى الذي جاء به المسيح عيسى هو الإسلام ، وأن النصرانية تحريف لما جاء به المسيح وكتبهم تشهد عليهم بذلك ، وابن تيمية يرى أن أعظم وصية جاء بها المرسلون هي عبادة الله وحده لا شريك له ، ولذلك كثر الأمر بهذه الوصية في الكتب السماوية<sup>(3)</sup> وبالجملة نرى الإسلام محور دعوة الأنبياء ، وقد بين الرسول -صلى الله عليه وسلم- لأتباعه أنه لم يشرع لهم ديناً جديداً ، وإنما هو دين الأنبياء من قبله.

ومفهوم الإسلام العام يقوم على وحدة الدين الملى دون الشرعي ، وهذا دلالة على تنوع الشرائع ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾<sup>(4)</sup>

وجملة القول أن هذا المفهوم يضفي طابع التصديق والتأييد الكلي للديانات السابقة في صورتها الأولى الأصلية ، وهذا له أثره الإيجابي في إشعار النصارى بالانتساب إلى أصل واحد ، كما يطرح وجهة نظر تقوم على تصحيح ما طرأ على تلك الديانات من البدع و الإضافات وهذا المنهج قد حدد مجال الجدل في موضوع الدين والذي دار حول عقيدة التثليث والتجسد والصلب والفداء والتي تعتبر كمظاهر لتحريف دين الأنبياء.

## ثانيا - عيسى عبد الله ورسوله :

يذكر ابن تيمية غلوّ النصارى في المسيح بدعواهم أنه الله ، وأنه ابن الله ، مستشهدا بقوله تعالى: ﴿بِأَمْرِ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَةٌ أَنزَلْنَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ...﴾<sup>(5)</sup>

فالقرآن يؤكد على بشرية المسيح وأنه مرسل من عند الله في كثير من المواضع كقوله:

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج2 ، ص 33-34.

(2) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج2 ، ص 58.

(3) المصدر نفسه ، ج2 ، ص 58. جاء في الناموس أن أعظم وصية هي [اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد، وتحب الرب إلهك من كل قلبك ، ومن كل نفسك ومن كل فكرك ، ومن كل قدرتك] وهي صريحة بالتوحيد.

(4) سورة المائدة : آية 48.

(5) سورة النساء: آية 171.

- قارن هذا المبحث بـ: إنسانية المسيح، عبد الحكيم فرحات: منهج القاضي عبد الجبار في الرد على النصارى، ص 96.

﴿ وَقَفَيْنَا عَلَى آثَامِهِمْ بَعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّورَةِ وَأَتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَتُورًا وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّورَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (1).

﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَأَنَّا بِاِكْلَانِ الطَّعَامِ أَنظُرُ كَيْفَ يُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنظُرُ أَنِّي يُؤْفِكُونَ ﴾ (2).

وقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي آلِهَتَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالِ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَن أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ، مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (3).

فالمسيح لم يقل إلا ما أمره الله بتبليغه وهو عبادة الله " فإن كان بعضهم قد غلط في النقل عنه أو في تفسير كلامه ، أو تعمّد تغيير دينه لم يكن على المسيح عليه السلام من ذلك درك ، وإنما هو رسول عليه البلاغ المبين" (4) فأخبر أنه عبد الله قد أتاه الله شريعة السماء فقال : ﴿ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ، وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ، وَبَرَكًا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبْرًا شَتِيًّا ﴾ (5).

ونرى ابن تيمية في منهجه يبحث عن المسلّمات العقلية في الدرس الكلامي ليدلّل على بشرية عيسى عليه السلام ورسالته، وإفراد الله بصفات الكمال التي توجب له الألوهية. وتعتبر الأدلة المصرّح بهامن طرف ابن تيمية في إثبات التوحيد كفيّلة بذلك(6)، لأنّ دعوى الألوهية يلزم المماثلة لذاته والمشاركة في صفاته(7) وهذا يسقط التوحيد على ما بيّناه لأنّ الأدلة العقلية تلزم من ذلك فسادا في التقدير، ومن أهمّ المداخلات الكلامية التي يوظّفها الشيخ في إبطال دعوى النصارى ألوهية عيسى وبنوته لله، ما ناله من الضرب والصلب ممّا يوجب وقوع ذلك على اللاهوت لأنّ الإتحاد يوجب

(1) سورة المائدة : آية 46.

(2) سورة المائدة : آية 75.

(3) سورة المائدة : آية 116-117.

(4) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 2 ، ص 281.

(5) سورة مريم : آية 30-32.

(6) أنظر في ذلك مطلب : المنطلقات الأساسية ، موضوع : التوحيد .

(7) ابن تيمية : مجموع الفتاوى ، ج 2 ، ص 36.

الاختلاط والاستحالة<sup>(1)</sup>، واجتماع الأمرين محال على ما بينا من قبل من لزوم التناقض وعلى هذا الأساس نخلص إلى القول أن تنظير ابن تيمية يقضي إلى نفي ألوهية عيسى وإثبات بشريته وإمكان رسالته ، إذ لو صحّت دعوى الألوهية فيه لبطلت أدلته للسمع والعقل على السواء.

### ثالثا - الكتب محرفة :

يتخذ ابن تيمية في دراسته لمسألة تحريف الكتب القرآن منطلقا يبني عليه انتقاداته باحثا عن مظاهر التحريف ، إذ كثيرا ما تنعت هذه الكتب المقدسة ؛ التوراة والإنجيل بهذه الصفة دون أن يحيل القرآن على كتاب بعينه أو أن يحدّد مواضع التبدّل فيها . والآية التي جاء فيها التّصريح بالتحريف على وجه دقيق<sup>(2)</sup> مقارنة مع غيرها من الآيات هي قوله تعالى : ﴿ مَنْ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ، وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمِعْ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَمَرَأَعْنَا لَكِ الْبَاسِئِهِمْ وَطَعْنَا فِي الَّذِينَ كَفَرُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمِعْ وَانظُرْنَا لَكَ أَنْ خَيْرٌ لَهُمْ وَأَقْوَمٌ ﴾<sup>(3)</sup>.

ونقرّر تأسيسا على ما جاء في القرآن أن هذا التحريف وليّ اللسان بالكتاب ليحسبه السامع منه وما هو منه قد آخذ وجوها عديدة يمكن أن نذكرها فيما يلي<sup>(4)</sup>.  
أحدها : لبس الحق بالباطل وهو خلطه به بحيث لا يتميّز الحق من الباطل . وذلك في قوله تعالى :  
﴿ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾<sup>(5)</sup>.

الثاني: كتمان الحق ومنه قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ فَرِهْنَا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُنَّ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾<sup>(6)</sup>.

الثالث: إخفاؤه، وهو قريب من كتمانته، وقد كشف الله ذلك على لسان رسوله وبين لهم ذلك. كما جاء

(1) ابن تيمية : مجموع الفتاوى ، ج 2 ، ص 186-187.

(2) الشرفي عبد المجيد : الفكر الإسلامي في الرد على النصارى ، ص 411.

(3) سورة النساء : آية 46.

(4) ابن قيم الجوزية : هداية الحيارى من اليهود والنصارى (على هامش الفارق بين المخلوق والخالق) لباجه جي زاده ، دط

(مصر : مطبعة الموسوعات) ، ص 355 (بتصرف) وانظر : الفاوي عبد الفتاح أحمد : المسيحية بين العقل والنقل ، ص 47.

(5) سورة البقرة : آية 42.

(6) سورة البقرة : آية 146.



في قوله تعالى: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يَبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ، قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴾ (1).

الرابع : تحريف الكلم عن مواضعه ، ومنه تحريف لفظ أو معناه ، وقد أشار القرآن لذلك ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يَحْرِفُونَ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (2).

فيؤبّخهم الله ويتوعدّهم بقوله : ﴿ قَوْلٍ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَيْشْتَرَوْا بِهِ ثَمًّا قَلِيلًا، قَوْلٍ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ، وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ (3).

الخامس : التبديل : ﴿ قَبْدَلُ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ ﴾ (4) ، ﴿ قَبْدَلُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنْ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴾ (5).

السادس : لىّ اللسان ليلبس على السامع اللفظ المنزل بغيره وما فيه ، وقد يتعلّق هذا بالبشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم وهذا في قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُودُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (6).

السابع : النسيان ، فإنّ النسيان قد يكون لا إراديا ، ومن باب قلة الاعتناء ، والغفلة والغلط ، وقد نسب إلى النصارى صراحة في قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ﴾ (7).

فالقرآن قد عبّر عن التحريف بألفاظ متعدّدة مما يؤكد تنوع مظاهره لكنه أشار لذلك بصفة إجمالية تحتاج لبحث وتدقيق، ولكي تتناول الدراسات الإسلامية هذه المشكلة بالبحث الموضوعي لاستخراج النصوص الكتابية أو الملاحظات التاريخية التي تؤكد ذلك، كان من الطبيعي أن تثار أسئلة عن مدى هذا التحريف والتبديل ؟ وهل شمل كل الكتاب المقدس أو بعض فقراته ؟ وهل من المعنى

(1) سورة المائدة : آية 15

(2) سورة البقرة : آية 75

(3) سورة البقرة : آية 79

(4) سورة البقرة : آية 59.

(5) سورة الأعراف : آية 162.

(6) سورة آل عمران : آية 78.

(7) سورة المائدة : آية 14.

دون اللفظ ، أم هما معا ؟

على أنه من الواضح بالنسبة لابن تيمية وغيره من أصحاب الردود ، أن أخطر ما وقع فيه النصارى من التحريف إنما كان على سبيل التأويل الفاسد لما جاء في كتبهم ، خاصة ما يتعلق منه بألوهية المسيح "فعلماء المسلمين وعلماء أهل الكتاب متفقون على وقوع التحريف في المعاني والتفسير".<sup>(1)</sup>

أما تحريف الألفاظ " فقد ذهبت طائفة من علماء المسلمين إلى أن ألفاظها لم تبدل ، كما يقول ذلك من يقوله من أهل الكتاب".<sup>(2)</sup>

في حين " قد ذهب كثير من علماء المسلمين وأهل الكتاب إلى أنه بدّل بعض ألفاظها وهذا مشهور عن كثير من العلماء المسلمين ، وقاله أيضا كثير من علماء أهل الكتاب".<sup>(3)</sup> كتبديلهم في إخبارهم عن المصلوب ، فإنه لما ألقى شبهه على المصلوب - كما أخبر بذلك القرآن - ظنوا أنه هو المسيح أو تعمدوا الكذب . كما أنّ في ألفاظ الكتب ما هو مبدل.<sup>(4)</sup>

أما ابن تيمية فيرى أن التغيير في ألفاظ الكتب قد وقع بالفعل ويجزم بذلك في باب الإخبار فيقول: " فعلم أن في هذا الإنجيل حكما أنزله الله تعالى لكن الحكم هو من باب الأمر والنهي ، وذلك لا يمنع أن يكون التغيير في باب الإخبار وهو الذي وقع فيه التبديل لفظا".<sup>(5)</sup>

ويخالف ابن تيمية من يذهب إلى أن التبديل كثير في ألفاظ الكتب، بل يراه قليل وهو الأظهر "والصحيح أن هذه التوراة والإنجيل التي بأيدي أهل الكتاب ، فيها ما هو حكم الله، وإن كان قد بدّل وغير بعض ألفاظها"<sup>(6)</sup> لقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزَنْكَ الَّذِينَ يُسَاءِرُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْلِ آخَرِينَ، لَمْ يَأْتُوكَ يَحْرِفُونَ الْكَلِمَةَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ ﴾<sup>(1)</sup>

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 1 ، ص 367.

(2) المصدر نفسه : ج 1 ، ص 367.

(3) المصدر نفسه .

(4) المصدر نفسه ، ج 1 ، ص 367-368. وانظر عن التأويل الفاسد مطلب البشارة بمحمد وكذلك المباحث الخاصة بالأدلة النقدية

الكتابية في مناقشة عقيدتي التثليث والتجسد.

(5) المصدر نفسه : ج 1 ، ص 369.

(6) المصدر نفسه : ج 1 ، ص 368.

(7) سورة المائدة : آية 41.

إلى قوله ﴿ وَكَيْفَ يَحْكُمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ... ﴾ (1).

ويخصص ابن تيمية هذا الحكم ببعض النسخ دون بعضها الآخر لعدم العلم باتفاقها وتعذر ذلك فقد تغير كثير من النسخ ، وإشاعة ذلك عند الأتباع حتى لا يوجد عند كثير من الناس إلا ما غير بعد ذلك (2) ملمحا لتعذر مقارنة النسخ المتداولة مع الأصل للكشف عن مواضع التبديل على وجه التحديد ، ويخلص لتعميم حكمه على جميع نسخ الكتب فيقول : " فكثير من نسخ التوراة والإنجيل متفقة في الغالب، إنما تختلف في اليسير من ألفاظها ، فتبديل ألفاظ اليسير من النسخ بعد مبعث الرسول ممكن لا يمكن أحد أن يجزم بنفيه". (3) ومن الواضح أن ابن تيمية يقرر وقوع التحريف في الكتب على مستوى المعنى واللفظ ويؤكد أنه من غير الممكن التصريح بأن مجمل التوراة والأنجيل محرقة. (4)

فالكتب فيها حكم الله وإن حرقت ، وهذا يبرر موقف ابن تيمية وغيره من أصحاب الردود في احتجاجهم على النصارى بنصوص كتبهم (المقدسة) " وجواب ذلك أن ما وقع من التبديل قليل والأكثر لم يبدل ، والذي لم يبدل فيه ألفاظ صريحة بيّنة بالمقصود تبين غلط ما خالفها ولها شواهد ونظائر متعددة يصدق بعضها بعضا". (5)

كما أن كتب الأنبياء مصدرها واحد وهي تصدق بعضها بعضا فإذا كان التحريف أو التغيير والتبديل قد لحق الكتب المنزلة على الأنبياء السابقين للإسلام ، فذلك لا يعني أنه لم يبق فيها أي شيء من الأصل الصحيح وهنا يأتي دور القرآن كقياس لتلك الصحة (6) فهو من حقق صدق التوراة والزبور والإنجيل وأماط عنها ما ليس بحقها من باطل التحريف والتبديل. (7)

لهذا فإسقاط الإحتجاج بها وإعدامها (8) - كما يرى بعض العلماء - لا يأخذ به ابن تيمية لأسباب التي سبق ذكرها ، وصارت بالنسبة إليه بمنزلة كتب الحديث المنقولة عن النبي -صلى الله عليه وسلم - وللتفريق بين النصوص الصحيحة والمحرقة يوظف الشيخ الأدوات التحليلية لمصطلح علم

(1) سورة المائدة : آية 43.

(2) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 1 ، ص 368.

(3) المصدر نفسه : ج 1 ، ص 368-369.

(4) أنظر : -BOUAMAMA Ali , la littérature polémique musulmane contre le christianisme depuis ses origines jusqu'au 8e siècle , p. 119.

(5) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 1 ، ص 378.

(6) عبد المجيد الشرفي : الفكر الإسلامي في الرد على النصارى ، ص 417.

(7) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 1 ، ص 9.

(8) في اختلاف المجادلين المسلمين في رفض النصوص وقبولها أنظر :

-BOUAMAMA Ali , la littérature polémique musulmane contre le christianisme , p. 129.

الحديث في دراسته المقارنة فيقول: "فإنه إذا وقع في سنن أبي داود والترمذي أو غيرهما أحاديث قليلة ضعيفة، كما في الأحاديث الصحيحة الثابتة عن النبي -صلى الله عليه وسلم-، ما يبين ضعف تلك".<sup>(1)</sup> وكذلك الحال بالنسبة للكتب المتقدمة فإنه إذا وقع تبديل في بعض ألفاظها كان فيها من النصوص ما يبين ذلك الغلط.<sup>(2)</sup> إلا أنها لا ترقى إلى مرتبة الوحي الذي هو كلام الله المنزه عن الخطأ والكذب والإضطراب، وهو السبب الذي دفع بابن تيمية لرفض فكرة النصارى في قياس كتبهم بالقرآن، واعتبره قياسا باطلا في لفظه ومعناه، وذلك لكون العملية التي تم بها جمع كتبهم ليست شبيهة بعملية جمع القرآن وتدوينه. فهو محفوظا في الصدور منقولا بالتواتر بما يحفظه عن التحريف والتغيير والتبديل.<sup>(3)</sup>

وكفل له من الظروف والضمانات ما يستحيل معه أن يقدر في صحته ونقله، فضلا عن تكفل الله بحفظه ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾<sup>(4)</sup> وهذه الميزات قد انفرد بها القرآن الكريم من بين الكتب السماوية السابقة، لذلك فهي لا ترقى لمرتبته ولا تقاس به.

وعلى هذا يكشف ابن تيمية عن البديل المنهجي في دراسة النصوص بهدف إثبات صحتها أو تحريفها وذلك إما بقياسها مع نصوص أخرى صريحة تتفق مع الأصول العامة لدين الأنبياء، أو بقياسها مع نصوص القرآن الكريم باعتباره منقولا بالتواتر فهو كلام الله المنزه عن الخطأ. وخلاصة ما نستنتجه هو أن دراسة ابن تيمية للكتب المقدسة اتسمت بالموضوعية ووضوح النظرة وقد تميّز منهجه بطريق المقارنة بين نصوص الأحاديث والنصوص الكتابية؛ حيث أسفرت نتائجها عن نقائص وضعف التوراة والأنجيل.

### المطلب الثالث : البعد الدعوي لمنهج الرد:

لم يكن الرد عند ابن تيمية منحصرًا في الإطاحة بدعوى النصارى في التثليث والكشف عن تحريف دينهم فحسب بل كان يرمي لدعوة الخصم إلى دين الإسلام وقد أقام أدلة منطقية ليدعم هذا الإتجاه، وهو بذلك يمثل جانبا إيجابيا في الجدل الكلامي مع النصارى، تحقيقا لأهداف الرد وأبعاده الدعوية، ومن أهم هذه الأغراض:

1- إعجاز القرآن.

2- البشارة بمحمد -صلى الله عليه وسلم-.

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 1 ، ص 378.

(2) المصدر نفسه ، ج 1 ، ص 379.

(3) المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 5.

(4) سورة الحجر: آية 9.

## أولا - إعجاز القرآن:

يعتبر إعجاز القرآن بالنسبة لابن تيمية من أهم الأغراض التي وظفها كهدف دفاعي تمجيدا لدين الإسلام ، والملاحظ لمنهجه في هذا الجانب هو تخصيصه بالذكر نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم- عند تأكيده على أن القرآن كلام الله وحده ، لأن ذلك موضع اشتباه عند بعض الناس خاصة أهل الكتاب، ممن يطعنون في مصدرية القرآن كونه من جهة الله ؛ فكان حرص ابن تيمية لبيان إعجاز القرآن دليلا لإثبات نبوة محمد -صلى الله عليه وسلم- وصدقه فيما جاء به من عند الله ، ومن ذلك أنه تحدى الخلق بما فيه من الإعجاز ودعاهم إلى معارضته والإتيان بمثله<sup>(1)</sup>. فقال تعالى : ﴿ قُلْ لئن اجتمعت الإنسُ والجنُّ على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ﴾<sup>(2)</sup> وإقدام الرسول -صلى الله عليه وسلم- على هذا الخبر العظيم ، وهو تحديه الإنس والجن على أن يأتوا بمثله وعجزهم عنه، دليل على أنه جازم بصدقه "ولا يتصور أن بشرا يجزم بهذا الخبر إلا أن يعلم أن هذا مما يعجز عنه الخلق ، إذ علم العالم بعجز جميع الخلق الإنس والجن إلى يوم القيامة ، هو من أعظم دلائل كونه معجزا وكونه آية على نبوته ، فهذا من دلائل نبوته في أول الأمر عند من سمع هذا الكلام ، وعلم أنه من القرآن الذي أمر بإبلاغه إلى جميع الخلق وهو -وحده- كافي في العلم بأن القرآن معجز"<sup>(3)</sup> وقد جمع القرآن من دلائل إعجازه الشيء الكثير فيذكر ابن تيمية من ذلك عجز جميع الأمم عن معارضته مع كمال الرغبة والحرص على معارضته دليل على عدم القدرة على الإتيان بمثله<sup>(4)</sup>. وفي ذلك قال تعالى : ﴿ وَقَالُوا لولا أنزلَ عليه آياتٌ من ربه قل إنما الآيات عند الله ، وإنما أنا نذير مبين ، أو لم يكن لهم أنا أنزلنا عليك الكتاب بئلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون ﴾<sup>(5)</sup> فهو كاف في الدعوة والبيان وهو كاف في الحجج والبرهان<sup>(6)</sup>.

والقرآن نفسه فيه تحدي الأمم بالمعارضة ، والمتحدي هو أن يحدوهم (أي يدعوهم ويبعثهم) إلى أن يعارضوه ، فقال تعالى : ﴿ أمر يقولون اقتراءه قل فاتوا بعشر سور مثله ، مفتركات وأذعوا من استطعتهم من دون الله إن كنتم صادقين ﴾<sup>(7)</sup> ثم صعد في مسألة التحدي بسورة

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 4 ، ص 65 ، وعن مبحث إعجاز القرآن قارن بـ: عبد الحكيم فرحات: منهج القاضي عبد

الجبار في الرد على النصارى، ص 97 - 101.

(2) سورة الإسراء : آية 88.

(3) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 4 ، ص 66.

(4) المصدر نفسه ، ج 4 ، ص 65.

(5) سورة العنكبوت : آية 50-51.

(6) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 4 ، ص 67.

(7) سورة هود : آية 13.

واحدة بدل عشر سور فقال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ اقْتَرَأَهُ قُلُوبُنَا فَاَتَوْنَا سُوْرَةً مِّثْلَهُ وَأَدْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (1). فلما انتفت المعارضة، علم عجز جميع الأمم عن معارضته وهذا برهان بين يعلم به صدق هذا الخبر (2) وقد دلّ على ذلك القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿فَالِئِمَّا يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ (3) فنفى احتمال فعله من عند غير الله ولذلك أثبت عجزهم وبين أنّ ذلك برهان على أنه من عند الله. (4)

كما أنّ ذلك يحمل دلالة نبوة محمد -صلى اله عليه وسلم- بإقدامه على خبر التحدي وهو حريص على تصديق الناس له لا تكذيبه لا يكون إلا مع جزمه بذلك، وتيقنه له وإلّا فمع الشك والظن لا يقول ذلك من خاف أن يظهر كذبه ويفتضح فيرجع الناس عن تصديقه، وإذا كان جازما بذلك متيقنا له، لم يكن ذلك إلا من إعلام الله له بذلك. (5)

أما عن أوجه الإعجاز فهي في حدّ ذاتها إعجاز مذهل (6) نظرا لتجدد شواهدا واستمرار تحقيقاتها، ومما يذكره ابن تيمية :

- أنه معجز من جهة بلاغته وفصاحته ، ونظمه وأسلوبه .  
 - أنه معجز من جهة إخباره بالغيب الماضي والمستقبل .  
 - أنه معجز من جهة ما بين فيه من الدلائل العقلية على وحدانية الله وغيرها. (7)

ونسجل في هذا الموضوع اعتراض ابن تيمية على من يقول من المتكلمين (8) " أنه معجز بصرف الدواعي مع قيام الموجب لها أو بسلب القدرة الجازمة وهو أنّ الله صرف قلوب الأمم عن معارضته". (9)

- 
- (1) سورة يونس : آية 38  
 (2) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 4 ، ص 67 .  
 (3) سورة هود : آية 14 .  
 (4) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 4 ، ص 71 .  
 (5) المصدر نفسه ، ج 4 ، ص 77 .  
 (6) أنظر في هذا الموضوع بالتفصيل : - الزركشي محمد بن عبد الله : البرهان في علوم القرآن ط2 (تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، بيروت : دار المعرفة ) ج 2 ، ص 93 .  
 - الزرقاني محمد عبد العظيم : مناهل العرفان في علوم القرآن دط (دون بلد ، دار الفكر) ج 2 ، ص 331 وما بعدها .  
 (7) ابن تيمية : الجواب الصحيح : ج 4 ، ص 74-75 .  
 (8) تنسب فكرة القول بالصرافة في إعجاز القرآن إلى المعتزلة وعلى رأسهم النظام بن سيار ، أنظر في ذلك : الإيجي عضد الدين الفاضلي عبد الرحمن بن أحمد : المواقف في علم الكلام دط (بيروت : عالم الكتب) ، ص 557-563 .  
 (9) ابن تيمية : الجواب الصحيح : ج 4 ، ص 75 .

فيدل ابن تيمية على فساد هذا القول ، فهو لا يرى قيام الصرفة عن المعارضة "لان الناس يجدون دواعيهم إلى المعارضة لكنهم يحسون من أنفسهم العجز عن المعارضة ، ولو كانوا قادرين لعارضوه، وقد انتدب غير واحد لمعارضته ، لكن جاء بكلام فضح به نفسه ، وظهر ما أخبر به القرآن من عجز الخلق عن الإتيان بمثله مثل [كلام] مسيلمة الكذاب".<sup>(1)</sup>

كما أنه يعرف عدم اختلاف حال قدرتهم قبل سماعه وبعد سماعه فلا يجدون أنفسهم عاجزين عما كانوا قادرين عليه، كما وجد زكرياء عجزه عن الكلام بعد قدرته عليه<sup>(2)</sup>، وهذا يؤكد تحقق الإعجاز الفعلي ، وأخص ما يذكر من أوجه الإعجاز القرآني في باب الجدل الكلامي مع النصارى ما يلي:

- إخباره عن كتب التوراة والإنجيل وما حرّف منها ، ومحاجته لهم بما لم يتهياً لهم نقض شيء منه ، فكان من أدل شيء على أنه أمر من عند الله عز وجل.<sup>(3)</sup>

- إخبار القرآن الكريم عن مضاهاة النصارى للذين كفروا من قبل ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ ، وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾<sup>(4)</sup> إذ لم يؤثر عن كل علماء الدنيا في عصر محمد -صلى الله عليه وسلم- أن ما تفرّق في كل ما كتب علماء النصارى وقالوا يشير إلى المضاهاة فالقرآن وحده الذي أشار إلى ذلك ، وقد وقف العلماء في العصر الحديث على هذه المسألة ليؤكدوا على تجمّع العقائد الوثنية في الديانة المسيحية.<sup>(5)</sup> وهو الجانب الذي طوّر في مفهوم الإعجاز في باب الجدل الكلامي الإسلامي المسيحي. وبحثنا للأغراض الجدلية في الفصول القادمة ، سيوضح الأمر أكثر ويؤكد على صدق ما أخبر به القرآن الكريم ، وذلك من خلال دراسة منهج ابن تيمية في الرد على النصارى.

## ثانيا - البشارة بمحمد -صلى الله عليه وسلم- :

لم تكن دلائل النبوة مقصورة على التبشير بمحمد -صلى الله عليه وسلم- في الكتب المقدسة بالنسبة لابن تيمية ، لأنّ الدلائل التي تثبت بها نبوة النبي كقيلة ببيان ذلك، فيعترض على زعم

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج4 ، ص 77 .

(2) المصدر نفسه ، ج4 ، ص 77-78 .

(3) الجويني أبي المعالي عبد الملك : الإرشاد ، ص 289 .

(4) سورة التوبة : آية 30 .

(5) عطار أحمد عبد الغفور : الديانات والعقائد في مختلف العصور ط1 (مكة المكرمة، دار النشر 1401هـ - 1981م) ج3، ص557 .

النصارى أن محمد -صلى الله عليه وسلم- لم تبشّر به النبوات ، ومن لم تبشّر به فليس بنبي. (1) فهو يرى أن العلم بنبوة محمد ونبوة المسيح لا تتوقف على العلم بأن من قبلهما بشر بهما ، بل طرق العلم بالنبوة متعددة ، فإذا عرفت نبوته بطريق من الطرق ثبتت عند من علم بذلك ، وإن لم يعلم أنّ من قبله بشر به". (2) وثبوت نبوة المسيح ومحمد قطعية يقينية لا يمكن القرح فيها بظن. (3) وهذا يبطل دعوى النصارى أن البشارة بالنبي شرط لازم لثبوت نبوته ، كما يدفع قولهم في المسيح أنه إله متجسد .

على أنّ ابن تيمية لا يمنع أن تكون البشارة به -صلى الله عليه وسلم- في الكتب المقدسة دليلاً إضافياً من دلائل نبوته . وهو لا يستبعد على النصارى التحريف وإخفاء مثل هذه النصوص (4) خاصة لحرصهم على القرح في نبوته .

وكان سعي أصحاب الردود الإسلامية في البحث على بشاراته في مصادر النصارى إستناداً على إخبار القرآن الكريم ، فقد جاءت الآية صريحة في أنّ الكتابين الذين عند اليهود والنصارى قد نصّا على محمد (5) -صلى الله عليه وسلم-، وذلك في قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ سَبَّحُوا الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ، الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ ﴾. (6) والآية الثانية دلّت على اسم الرسول المبشّر به في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ، وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾. (7)

وعليه يمكن أن نقول أنّ موضوع البشارة بمحمد -صلى الله عليه وسلم- من بين المواضيع التي أثارها القرآن الكريم وأسّس عليها الفكر الإسلامي منهجه في الرد على النصارى، فكان ذلك بداية للبحث عن النصوص الدالة على رسالته -صلى الله عليه وسلم- في ثنايا النصوص الكتابية،

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج3 ، ص 275.

(2) المصدر نفسه ، ج3 ، ص 279.

(3) المصدر نفسه ، ج3 ، ص 280.

(4) المصدر نفسه ، ج3 ، ص 280 ، وانظر :

BOUAMAMA Ali : La littérature polémique musulman contre le christianisme , p. 108.

(5) عبد المجيد الشرفي : الفكر الإسلامي في الرد على النصارى ، ص 479 - 480.

(6) سورة الأعراف : آية 157.

(7) سورة نوصف : آية 6.



وقد توصل ابن تيمية<sup>(1)</sup> وغيره<sup>(2)</sup> لإثبات ذلك سواء كان لفظاً مصرحاً به ، أو رمزا يفهم من خلال المعاني . ويرجع الفضل في ذلك إلى المهتمين للإسلام من علماء اليهود والنصارى والذين كان لهم إطلاع واسع على أسفار كتبهم، فبدلوا جهداً كبيراً في إبراز هذه البشارات ودراساتها ، ولقد أفاد العلماء الذين كتبوا في أعلام النبوة ودلائلها<sup>(3)</sup> من جهد هؤلاء<sup>(4)</sup> ، لكن يبقى الأصل في إثارة هذا المبحث هو باب الجدل مع النصارى ، فيوظف ابن تيمية المنهج التاريخي في نقاشه لهذا الموضوع ويسلك في ذلك طريقين :

- أحدهما: ما في الكتب الموجودة اليوم بأيدي أهل الكتاب من ذكره.

- والثاني: إخبار من وقف على تلك الكتب وغيرها، من كتب أهل الكتاب، ممن أسلم، وممن لم يسلم بما وجدوه من ذكره بها. وهذا مثل ما تواتر عن الأنصار أن جيرانهم من أهل الكتاب، كانوا يخبرون بمبعثه وأنه رسول الله، وأنه موجود عندهم، وكانوا ينتظرونه<sup>(5)</sup>.  
وقد ذكر الله ذلك عنهم في القرآن في قوله عن اليهود ﴿ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ﴾<sup>(6)</sup>.

وقال عن النصارى : ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ ، يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾<sup>(7)</sup>.

ويستند ابن تيمية على عدد هائل من الشواهد الأثرية تدل على أخبار من وقع على تلك الكتب بوجود

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج3 ، ص 281 و ص 293 و ص 304-332 ، وانظر كذلك ج4 ، ص 3-8.

(2) أنظر على سبيل المثال:- ابن حزم : الأصول والفروع ، ج1 ، ص 187-195.

- القرافي : الأجوبة الفاخرة (على هامش الفارق بين المخلوق والخالق) ص 235 وما بعدها .

- ابن قيم الجوزية : هداية الحيارى (على هامش الطارق بين المخلوق والخالق) ص 359 وما بعدها.

(3) أنظر على سبيل المثال : الماوردي علي بن محمد : أعلام النبوة ، ط1 (بيروت : دار الكتاب العربي 1407 هـ - 1987م) ص 197 وما بعدها .

(4) منهم : - الطبري علي بن رين (كان نصرانيا فأسلم) في كتابه الدين والدولة ، ص 137 وما بعدها.

- نصر بن يحيى بن عيسى بن سعيد المتطيب (كان نصرانيا فأسلم) : النصيحة الإيمانية في فضيحة الملحمة النصرانية ، تحقيق : محمد عبد الله الشرقاوي (القاهرة : دار الصحوة للنشر والتوزيع ، 1406 هـ - 1986م) ، ص 130 وما بعدها ..

- سعيد بن حسن الإسكندراني (كان يهوديا ) : مسالك النظر في نبوة سيد البشر تحقيق : محمد عبد الله الشرقاوي دط (مكتبة الزهراء).

(5) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج3 ، ص 282

(6) سورة البقرة : آية 89.

(7) سورة المائدة : آية 83.

بشارات بمحمد-صلى الله عليه وسلم-، وقد كان هذا سبب إسلام بعضهم.<sup>(1)</sup> وعلى كثرة الشواهد في هذا الوجه<sup>(2)</sup> فهو يرى أن الطريق الأول "من أظهر الحجج على أهل الكتاب، وأظهر الأعلام على نبوته".<sup>(3)</sup>

وهذا يكشف عن المنهج الذي توخاه في عملية الرد ، فالجدل كان يهدف لدعوة الخصم بتمجيد الإسلام ، فقد كان إهتمامه بإشعار الطرف المقابل بهذا الغرض التمجيدىّ عاملاً لإلتماس أدلة نقلية من مصادر الخصم ، وهذا من باب محاربة الخصم بسلاحه .

وبالرغم من تأكيد ابن تيمية لوقوع التحريف في الكتب المتقدمة فهو يرى أن البشارات بمحمد - صلى الله عليه وسلم- لا يقدح فيها تحريف أهل الكتاب، بل إن دلالات تلك النصوص تبين البشارة به.<sup>(4)</sup>

ومن خلال متابعتنا لمنهج ابن تيمية للنصوص المثبتة في الكتب المقدسة والتي وظفها للدلالة على بشارته لاحظنا أنه يعتمد في ذلك على العهد القديم والعهد الجديد ، فيفرد لذلك ما يقارب الثلاثين صفحة من كتاب الجواب الصحيح.<sup>(5)</sup> وقد ضمنها حوالي سبعة وثلاثين نصاً. فينقل من التوراة خمسة نصوص ، ومن نبوة شمعون نص واحد ، ومن نبوة حبقون ثلاثة نصوص ، ومن مزمو داود خمسة نصوص ، ومن سفر أشعيا عشرة نصوص ، ومن نبوة دانيال أربعة نصوص ، فيكون مجموعها ثمانية وعشرون نصاً من العهد القديم ، أما العهد الجديد فيوظف تسعة نصوص ، ستة منها من إنجيل يوحنا ، ونص واحد لمتى ، كما يستعين بنصين من كتاب فراكسيس للحواريين ، وقد اخترنا من مجموع هذه النصوص البعض منها ، وقد صنّفناها كما يلي :

## 1 - نصوص دالة على اسم محمد صراحة :

قال أشعيا لرسول الله معلنا باسمه : [إني جعلت أمرك محمداً ، يا محمد يا قدوس الرب ، إسمك

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح : ج3 ، ص 282.

(2) أنظر في ذلك ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج3 ، ص 284-292 .

(3) المصدر نفسه : ج3 ، ص 293.

(4) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج3 ، ص 293.

(5) أثبت هذه النصوص في آخر الجزء الثالث من كتاب الجواب الصحيح ، بداية من ص 293 ، إلى الجزء الرابع بداية من ص 3

وما بعدها.

موجود من الأبد<sup>(1)</sup> وقال حاكيا عن الله : [ أشكر حبيبي وابني أحمد<sup>(2)</sup> ] ، وقال : [إنما سمعنا من أطراف الأرض صوت محمد].<sup>(3)</sup>

قال حيقون في نبوته : [ إن الله جاء من التيمن والقدوس من جبال فاران ، لقد أضاءت السماء من بهاء محمد ، وامتألت الأرض من حمده ]<sup>(4)</sup> فقد ذكر فيها مجيء نور الله من التيمن ، وهي ناحية مكة والحجاز ، فإن أنبياء بني إسرائيل كانوا من ناحية الشام ومحمد -صلى الله عليه وسلم- جاء من ناحية اليمن.<sup>(5)</sup>

ما جاء في بشارة دانيال حيث صرّح باسم محمد -صلى الله عليه وسلم- فقال : [ ستزعم في قسيك أغراقا ، وترتوي السهام بأمرك يا محمد إرتواء].<sup>(6)</sup>

كما يوظف ابن تيمية -نصوص أخرى من الإنجيل - بلفظ الفارقليط ، الذي وعد المسيح بإرساله ، وهو عنده ليس غير محمد -صلى الله عليه وسلم- فينقل يوحنا عن يسوع أنه قال :

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج3 ، ص 326 ، لم نعر على نص في سفر أشعيا يدل على إسم محمد صراحة ، لكن وجدنا نصا قريبا منه في المعنى ومن الممكن أن يكون إسم محمد قد أسقط أو غير بلفظ قريب منه وهذا النص : [أين الذي جعل في وسطهم روح قدسه ، الذي سير ليمين موسى ذراع مجده ، الذي شق المياه قدامهم ليضع لنفسه إسما أبديا ، الذي سيرهم في اللجج ، كفرس في البرية فلم يعثروا بهائم تنزل إلى وطاء روح الرب أراحهم ، هكذا قدت شعبك لتضع لنفسك إسم مجد]. سفر أشعيا ، الإصحاح 12/63-14. الكتاب المقدس يسوع المسيح (نسخة وليم واطس ، 1860م) ، ص 187. وانظر الكتاب المقدس (نسخة جمعيات الكتاب المقدس المتحدة 1966م) ص 1068 .

(2) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج3 ، ص 329. لم نعر على هذه العبارة في سفر أشعيا.  
(3) المصدر نفسه ، ج3 ، ص330، قارن بنص أشعيا [ لهذا مدحوا الرب بالتعليم في جزائر البحر ، اسم الرب إله إسرائيل من أقاصي الأرض سمعنا التسابيح تحمد البار فقلت إن ستري لي ستري لي ويلي أخطوا خاطبين وأخطوا خطية المتعديين] سفر أشعيا 15/24-16 ، العهد القديم (نسخة واطس) ، ص 150 ، وانظر العهد القديم (نسخة جمعيات الكتاب المقدس) ، ص 1019 .

(4) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج3 ، ص 330 ، النص في الترجمة الحالية : [ الله يأتي من التيمن والقدوس من جبل فاران ، ستر مجده السموات والأرض ، ممثلة من حمده ، شعاعه يكون مثل النور ، بيده القرون ، هناك مختفية جبروته ، قدام وجهه يسير الموت ويخرج إبليس أمام قدميه ، وقف ومسح الأرض ، نظر وأرخى الأمم وانسحقت جبال العالم ، إنجنت أكام الدنيا من مسابير أزليته لأجل الإثم رايت مضارب كوش ترتجف جلود أرض مديان] نبوة حيقون 3/3-8 ، العهد القديم (نسخة واطس) ، ص 387 وانظر : العهد القديم (نسخة جمعيات الكتاب المقدس) ، القديم ، ص 1321.

(5) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج3 ، ص 331.  
(6) المصدر نفسه ، ج4 ص 3 . لم نعر على هذا النص لكن قارن بما جاء عن دانيال في النسخة الحالية : [كنت أرى في رؤى الليل وإذا مع سحب السماء مثل ابن إنسان أتى وجاء إلى القديم الأيام فقبوه قدامه ، فأعطي سلطانا ومجدا وملكوتنا لتتعبد له كل الشعوب والأمم والأنسة ، سلطانه سلطان أبدي ما لن يزول ، وملكوته ما لا ينقرض] نبوة دانيال ، 14-13/7 ، العهد القديم (نسخة جمعيات الكتاب المقدس) ، ص 1276 ، وانظر عن هذا النص نبوة حيقون ، 13-12/3 ، العهد القديم (نسخة واطس) ، ص 387 ، العهد القديم (نسخة جمعيات الكتاب المقدس) ، ص 1322 .

[ إن الفارقليط روح الحق الذي يرسله أبي هو يعلمكم كل شيء ]<sup>(1)</sup>

[ إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي ، وأنا أطلب من الأب أن يعطيكم فارقليطاً آخر ، يثبت معكم إلى الأبد ، روح الحق الذي لم يطق العالم أن يقتلوه ، لأنهم لم يعرفوه ، ولست أدعكم أيتاماً لأنني سأتيكم من قريب ]<sup>(2)</sup> وفي نقل آخر عنه : [ من يحبني يحفظ كلمتي وأبي يحبه وإليه يأتي ، وعنده يتخذ المنزل ، كلمتكم بهذا لأنني عندكم مقيم ، والفارقليط روح الحق الذي يرسله أبي هو يعلمكم كل شيء... ]<sup>(3)</sup> وقال أيضاً : [ إذا جاء الفارقليط الذي أبي أرسله ، روح الحق الذي من أبي هو يشهد لي قلت لكم هذا ، حتى إذا كان تؤمنوا بي ، ولا تشكوا فيه ]<sup>(4)</sup>

ويعرض ابن تيمية اختلاف النصارى في تأويل هذه النصوص ، فيفسر بعضهم معنى "الفارقليط" بأنها روح نزلت على التلاميذ ، ومنهم من يزعم أنه المسيح نفسه لكونه جاء بعد الصلب بأربعين يوماً ، وكونه قام من قبره<sup>(5)</sup> ، فيعترض على هذا التأويل فنجده يهتم بتفسير معنى لفظ "الفارقليط" فهي بمعنى المعزي في لسان اليونان ، ومعناها المخلص بالسريانية ، لكن لغة الأناجيل عبرانية ، و لفظ الفارقليط بهذا اللسان معناه الحماد والحامد والحمد ، وهذا يقرر أن اللفظ لا ينطبق إلا على محمد ، -صلى الله عليه وسلم-<sup>(6)</sup> ، ومحاولة النصارى لتأويله على غير هذه الدلالة دليل

(1) المصدر نفسه ، ج 4 ، ص 6 ، أثبت يوحنا هذا النص لكن بلفظ "المعزي" بدل "الفارقليط" انجيل يوحنا 14/25-26 العهد الجديد (نسخة واطس ) ، ص 141 ، وانظر بلفظ "الفارقليط العهد الجديد (نسخة جمعيات الكتاب المقدس ) ، ص 176 .

(2) المصدر نفسه ج 4 ص 7 ، أثبت يوحنا هذا النص بلفظ "معزي" بدل فارقليط ، انجيل يوحنا 14/15-16 ، العهد الجديد (نسخة واطس ) ، ص 141 ، ولفظ "فارقليط" في العهد الجديد (نسخة جمعيات الكتاب المقدس ) ، ص 175 .

(3) المصدر نفسه ، ج 4 ، ص 7 ، وانظر عن هذا النص بلفظ "المعزي" ، يوحنا 13/15-27 ، العهد الجديد (جمعيات الكتاب المقدس ) ، ص 177 ، وكذلك 16/5-11 ، ص 178 .

(4) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 4 ، ص 7 ، انجيل يوحنا 15/26-27 ، العهد الجديد (نسخة واطس ) ، ص 143 ، وكذلك يوحنا 16/5-9 ، ص 143 .

(5) المصدر نفسه ، ج 4 ص 9 . وانظر عن تأويل النصارى لهذا اللفظ بأنه روح الحق الذي يصدر عن الأب وهم يقصدون عيسى : Masson D. : Monothéisme coranique et Monothéisme biblique p 118.

(6) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 4 ص 8-9 .

على تحريفهم<sup>(1)</sup> وإخفانهم للنصوص المبشرة به. ويستدل ابن تيمية على صحة ما ذهب إليه بنص ليوشع : "من عمل حسنة تكون له فارقليط جيد - أي حمد جيد".<sup>(2)</sup> والنص يبطل ما تأولته النصارى من أن "الفارقليط" هو عيسى لكونه جاء بعد الصلب بأربعين يوما، وكونه قام من قبره.<sup>(3)</sup> وقوله "فارقليط" آخر يدل دلالة واضحة أنه ثان لأول كان قبله ، فعلم أن الذي يأتي بعده نظيرا له، يثبت معهم شرعه وأمره إلى الأبد فلا ينسخ ، وهذا إنما ينطبق على محمد -صلى الله عليه وسلم.<sup>(4)</sup>

## 2 - نصوص دالة على صفته -صلى الله عليه وسلم- :

يختار ابن تيمية من سفر أشعيا نصين يدلان على صفة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وهما: قال أشعيا [عبدى الذي سرت به نفسي أنزل عليه وحيي، فيظهر في الأمم عدلي، ويوصيهم بالوصايا، لا يضحك ولا يسمع صوته في الأسواق، يفتح العيون العور، والأذان الصم، ويحيي القلوب الغلف، وما أعطيه لا أعطي أحدا... أثر سلطانه على كتفيه]<sup>(5)</sup> ، فهذه من أعظم البشارات بمحمد -صلى الله عليه وسلم- فهي تنطبق عليه وعلى صفات أمته.

قال أشعيا : [ قم نظارا فانظر ماذا ترى فقلت : أرى راكبين مقبلين ، أحدهما على حمار ، والآخر على جمل ، يقول أحدهما لصاحبه : سقطت بابل وأصحابها للمنحر]<sup>(6)</sup> "فراكب الحمار هو المسيح وراكب الجمل هو محمد -صلى الله عليه وسلم- لأنه أشهر بركوب الجمل من المسيح بركوبه الحمار، وبمحمد -صلى الله عليه وسلم- سقطت بابل".<sup>(7)</sup>

(1) قارن صاحب الفارق بين المخلوق والخالق بين نسخ الأناجيل المتقدمة والحديثة فلاحظ تبديل لفظ "الفارقليط" بالمعزي ، وأرادوا به تبعيده عن خاتم الانبياء و تطبيقه على روح القدس المنزل على التلاميذ بعد العروج على ما ذكروا لكي يقال (نزل روح القدس معزيا لهم على ما أصابهم من الحزن من إهانة إلههم وصلبه) وهذا يبين حقائق ودسائس تحريف لفظ الفارقليط ، أنظر باجه جي زاده : ذيل الفارق ص 61.

(2) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 4 ، ص 8.

(3) المصدر نفسه ، ج 4 ، ص 9.

(4) المصدر نفسه ، ج 4 ، ص 10.

(5) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 3 ، ص 281 ، سفر أشعيا 6/9-7 العهد القديم (نسخة واطس) ، ص 137 ، وكذلك سفر أشعيا 9-1/42 ، ص 168 ، وانظر كذلك العهد القديم (نسخة جمعية الكتاب المقدس) ، ص 1042.

(6) المصدر نفسه ، ج 3 ص 323 ، سفر أشعيا 6/21-10 العهد القديم (نسخة واطس) ، ص 147 ، وانظر كذلك العهد القديم (نسخة جمعيات الكتاب المقدس) ، ص 1015.

(7) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 3 ، ص 323.

قال داود في مزاميره - وهي الزبور: [لأجل هذا بارك الله عليك إلى الابد فتقلد -أيها الجبار- بالسيف لأن البهاء لوجهك، والحمد الغالب عليك، إركب كلمة الحق وسمه التأله. فإن ناموسك وشرائعك، مقرونة لهيبة يمينك، وسهامك مسنونة، والأمم يخرون تحتك]<sup>(1)</sup> فليس من تقلد سيفه من الأنبياء بعد داود سوى محمد -صلى الله عليه وسلم- وهو الذي دانت له الأمم ، وقرنت شرائعه بالهيبه.<sup>(2)</sup>

### 3 - نصوص دالة على أمته:

قال أشعيا في وصف أمة محمد -صلى الله عليه وسلم- : [ ستمتلي البادية والمدن من أولاد قيثار يسبحون ، ومن رأس الجبال ينادون ، هم الذين يجعلون لله الكرامة ، ويستبحون في البر والبحر]<sup>(3)</sup> وقيثار هو ابن إسماعيل ، وربيعه ومضر من ولده ، ومحمد -صلى الله عليه وسلم- من مضر. وهذا التسبيح لم يحصل لهم إلا بمبعث محمد -صلى الله عليه وسلم- والتسبيح في الصلوات الخمس ، وقد جعلت لهم الارض مسجدا وطهورا ، فهم يصلون الخمس في البر والبحر.<sup>(4)</sup> قال داود في الزبور: [سبحوا الله تسبيحا جديدا وليفرح بالخالق من اصطفى الله له أمته ، وأعطاه النصر، وسدد الصالحين منهم بالكرامة، يستبحونهم على مضاجعهم، ويكبرون الله بأصوات مرتفعة، بأيديهم لسيوف ذات شفرتين، لينتقم بهم من الأمم الذين لا يعبدونه].<sup>(5)</sup>

" وهذه الصفات إنما تنطبق على صفات محمد -صلى الله عليه وسلم- وأمته ، فهم الذين يكبرون الله بأصوات مرتفعة في آذانهم للصلوات الخمس ، وعلى الاماكن العالية".<sup>(6)</sup> والملاحظ أن هذه النصوص كلها من بشارات الانبياء المتقدمين ، أما النصين الذين استخرجهما ابن تيمية من كتاب "فراكسيس" فليس تبشيرا بمحمد ، أكثر مما هو دلالة على أن روح محمد روح صادقة، إذ أنه آمن بأن المسيح قد جاء وكان جسديا وهو مبعوث من الله " ملمحا إلى فساد عقيدة

(1) المصدر نفسه ، ج3 ، ص 318 ، سفر المزامير 5-1/44 العهد القديم (نسخة واطس ) ، ص 24 ، وانظر سفر المزامير

5-1/45 العهد القديم (نسخة جمعيات الكتاب المقدس ) ، ص 32-33.

(2) المصدر نفسه ، ج3 ص 319.

(3) المصدر نفسه ، ج3 ص 328 ، سفر اشعيا 13-10/42 العهد القديم (نسخة واطس ) ، ص 168 ، وانظر العهد القديم (نسخة جمعيات الكتاب المقدس ) ، ص 1042 - 1043.

(4) المصدر نفسه ، ج 3، ص 328.

(5) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج3 ص 314 ، سفر المزامير 9-1/149 ، العهد القديم (نسخة واطس ) ، ص 82-83 . وانظر العهد القديم (نسخة جمعيات الكتاب المقدس ) ، ص 105.

(6) المصدر نفسه ، ج3 ص 315.

النصارى في دعوى الألوهية في المسيح وأن ما جاء به محمد -صلى الله عليه وسلم- هو الحق<sup>(1)</sup>. أما النص الثاني والذي استخرجه من رسالة بطرس لشمعون الصفا [إنه قد حان أن يبتدئ الحكم من بيت الله إبتداء]<sup>(2)</sup> فهو يدل على دين الإسلام وعلى مكة التي كان إبتداء الحكم منها لا من غيرها.

ويظهر من البشارات التي وظفها ابن تيمية أن هناك نصوصا يستنتج منها تبشيرا واضحا بمحمد -صلى الله عليه وسلم- وهو صريح باسمه ، كما توجد نصوص أخرى تنطبق على صفات محمد -صلى الله عليه وسلم- وأمه ، فكانت في مضمونها العام تدل على نبوته لأن دلالات النصوص جاءت بأوصاف لا يمكن أن تنطبق إلا على نبي الإسلام -صلى الله عليه وسلم- فهو النبي الذي حمل السلاح ، وغلب الشعوب ، وأقام الدين ودانت له الملوك.

على عكس النظرة المسيحية والتي ترى أن الأوصاف المعبر بها في كتبهم تدل على البشارة بعيسى ، فكانت القراءة التأويلية المسيحية للنصوص تهدف لإثبات نتيجة تختلف إختلافا جوهريا عن النظرة الإسلامية إذ تسعى لإثبات البشارة بمجيء المسيح ابن مريم الإله "ولكن النصارى ظنوا أن ذلك مجيئه بعد قيام القيامة، وأنه هو الله، فغلطوا في ذلك كما غلطوا في مجيئه الأول، حيث ظنوا أنه هو الله<sup>(3)</sup>.

ويتبين من خلال متابعتنا للنصوص المثبتة لهذا الغرض أن ابن تيمية يوظف عددا من الشواهد التي أوردها من قبله الطبري على أنه يستشهد زيادة على ذلك بنصوص أخرى كاستدلاله بنص لمتى<sup>(4)</sup> وقد لاحظنا أن النصوص التي يتفق فيها مع الطبري تختلف في بعض ألفاظها، وهذا راجع لاختلاف النسخ المترجمة للكتب المقدسة، مما يؤكد أن ابن تيمية لم يكن نقله للنصوص نقلا مباشرا من كتاب

---

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 4 ، ص 8 ، وعبد المجيد الشرفي : الفكر الإسلامي في الرد على النصارى ، ص 503 ، وقارن بالطبري : الدين والدولة ، ص 185 ، عن النص أنظر رسالة يوحنا الأولى 1/4-3 والنصر في الترجمة الحالية : [أيها الاحياء لا تؤمنوا بكل روح بل جربوا الأرواح هل هي من الله ، وذلك أن كذبة الانبياء قد ظهوروا في هذا العالم وكثروا ، وبهذا يعرف روح الله ، أن كل روح يعترف أن يسوع المسيح قد جاء بالجسد فهو من الله ، وكل روح يحل يسوع فهو ليس هو من الله وهو المسيح الكذاب الذي سمعتم بأنه يأتي وهو الآن في العالم] ، العهد القديم (نسخة واطس) ، ص 324 ، وانظر العهد القديم (نسخة جمعيات الكتاب المقدس ) ، ص 386.

(2) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 4 ص 8 وقارن ذلك بالطبري : الدين والدولة ، ص 186 . لم نعثر على هذا النص في رسالة بطرس لشمعون الصفا ، لكن وجدنا نصا يلمح فيه على ظهور نبوة . أنظر : رسالة بطرس الثانية 19/1-21 ، العهد الجديد (نسخة واطس ) ، ص 319 ، وانظر العهد الجديد (نسخة جمعيات الكتاب المقدس ) ، ص 382.

(3) أنظر ابن تيمية: الجواب الصحيح، ج 3، ص 325.

(4) ابن تيمية: الجواب الصحيح، ج 4، ص 7.

الدين والدولة بل كان يتحقق في توثيقه للنصوص برجوعه إلى المصادر الكتابية، وهذا يفسر سبقه في عرضه لنصوص في البشارات لم يثبتها أصحاب الردود الإسلامية ممن سبقه ويمكن أن نستخلص من دراستنا لهذا الغرض الذي أثبت نبوة محمد - صلى الله عليه وسلم - ردا على الطاعنين أن منهج ابن تيمية يقوم على التأكيد أن كتب الأنبياء قد بشرت به سواء كان مصرحا به أو لفظيا أو إشارات رمزية. أن وقوع التحريف في الكتب المقدسة لم يكن عاقفا-بالنسبة لابن تيمية- أمام البحث عما يكون صالحا من النصوص المبشرة بمحمد- صلى الله عليه وسلم - وهو نفس الموقف الذي أبداه شيخنا إزاء استدلاله بالأدلة النقلية في باب الجدل الديني الخاص بعقيدتي التثليث والمسيحولوجيا كما سنرى في المباحث اللاحقة.

### المبحث الثالث: منهج الاستدلال عند ابن تيمية:

من خلال تتبعنا لردود ابن تيمية على النصارى يمكننا القول أنه وظّف العديد من المناهج من أجل الوصول إلى نقض آراء الطرف الآخر والتدليل على صحة أحكامه النقدية . وقد كشف لنا ذلك عن تفاعل عملية الرد بعدد من العلوم ، كعلم الكلام ، والمنطق ، والفلسفة ، والتاريخ وعلم اللغة ، وهذا يعطي تأكيدا للنتائج المستخلصة من هذا البحث المتنوع الجوانب ، ويمكننا أن نتعرض لأهم تلك المناهج في النقاط التالية :

- 1- الإستدلال بالمنطق.
- 2- الإستدلال بالتاريخ.
- 3- الإستدلال بالمقارنة.
- 4- الإستدلال باللغة .

### أولا - الإستدلال بالمنطق:

بعد هذا المنهج من أهم المناهج المستخدمة في عملية الرد على النصارى إذ هو العلم الذي يهتم بالرد على التهم الواردة من الخصم<sup>(1)</sup> وقد وجدنا ذلك مبيثوثا في كتاب الجواب الصحيح في صيغته الجدلية بافتراض سؤال وجواب "... إن قالوا... قلنا ..."<sup>(2)</sup> أو "إن قال الكتابي... قال المسلم..."<sup>(3)</sup> وقد

(1) عبد الرحمن بن أحمد الإيجي : المواقف في علم الكلام دط (بيروت : عالم الكتب) ص 7.

(2) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 1 ص 200 ، و ص 125 ، و ص 350 ، و ص 354.

(3) المصدر نفسه : ج 1 ص 353.



أسس ابن تيمية مبادئ هذا المنهج على أصول منطقية برهانية بتصور اسلامي اثبت عن طريقها تهافت المنظومة اللاهوتية المسيحية لتعارضها مع المقدمات العقلية .

ويتضح من هذا أن المنطق من العلوم التي وظفها الفكر الإسلامي في الجدل الكلامي الذي ميز مباحث الأدلة العقلية ، لكن ابن تيمية لم يستخدمه في مناقشة النصارى على أساس أنه آلة تعصم العقل من أن يزل أو كونه طريقا يعرف به الحق دون سواه، بل إنه نهج هذا المسلك من باب مخاطبة الخصم بسلاحه حتى إذا نقض عليهم أدلتهم وبيّن لهم خطأهم نهج منهج التدليل بالنصوص النقلية الكتابية والقرآنية لنفي ما ذهبوا إليه.

ولما كان المنطق اليوناني يزعم أصحابه أنه آلة قانونية تعصم الذهن من أن يزل فكره ، نقض ابن تيمية هذا المنطق وكتب فيه كتابا مستقلا مرتبا ومبوبا وأتى على جميع مباحثه بالمناقشة والنقد ، فنقد الحد ، وقول المناطقة : إن التصورات لا تتال إلا بالحد<sup>(1)</sup> ، كما نقض قولهم لا يعلم شيء من التصديقات إلا بالقياس<sup>(2)</sup> ، ورد قضية الكلية التي يقوم عليها<sup>(3)</sup> ، كما رد عليهم حصرهم له بأنه لا بد أن يقوم على مقدمتين ، فبين أنه قد يقوم على مقدمة واحدة ، وقد يحتاج للوصول إلى نتيجة إلى ثلاث مقدمات أو أكثر ، فحصرها بهذا العدد محض تحكّم<sup>(4)</sup> ، كما بين أن كون القضية بديهية أو نظرية أمر نسبي ليس وصفا لها، إذ قد تكون عند شخص بديهية وعند آخر ليست بديهية<sup>(5)</sup>، كما نقض قضايا المنطق الأخرى. وبذلك نقض على الفلاسفة حصر منهجهم بالمنطق والقياس في الاستدلال وبيّن أن علومهم لا تقيد إلا أمورا كلية لا حقيقية لها ولا ثمرة .

وترجع العلة في رفضه المنطق الأوسطي لإستناده على الفلسفة الميتافيزيقية المستمدة من الإلهيات اليونانية و قد أشار ابن تيمية لذلك في مطلع كتابه الرد على المنطق قائلا: "لقد تبين أن كثيرا مما ذكروه في أصولهم [...] في المنطق هو من أصول فساد قولهم في الإلهيات"<sup>(6)</sup> ومن هذه الأصول التفريق بين الماهيات الذهنية و بين وجودها الخارجي، (وهذا الطريق لا يمكن التوصل به إلى معرفة الله) والقول بوجود عالم المعقول الذي أنزل منزلة عالم الغيب، و ادعاء أن هذا العالم مؤلف من صور

(1) ابن تيمية: الرد على المنطقيين ، ص 7 وما بعدها ، وص 31 وما بعدها ، ودرء التعارض ج3 ص 319 وما بعدها ، ونقض المنطق ص 183 وما بعدها.

(2) الرد على المنطقيين ص 88 ، ونقض المنطق ص 156.

(3) المصدر نفسه ص 368-371 ، 381 ، وسامي النشار : مناهج البحث ، ص 169 ، 178 ، 182.

(4) المصدر نفسه ص 367 وما بعدها ، وسامي النشار : مناهج البحث ص 184 ، 196 .

(5) ابن تيمية : درء التعارض ج3 ص 304 ، والرد على المنطقيين ص 88-363.

(6) ابن تيمية : الرد على المنطقيين ص 4.

أزلية و نفوس فلكية ، و عقول سماوية أنزلت منزلة الملائكة و الأرواح القدسية ، فضلا عن القول بقدوم العالم و أزلية المادة<sup>(1)</sup>.

وابن تيمية يكشف عن هذا الموقف في مبحث الإلهيات فيقول : "العلم الإلهي لا يجوز أن يستدل فيه بقياس تمثيلي يستوي فيه الأصل والفرع ، ولا بقياس شمولي تستوي فيه أفراده ، فإن الله سبحانه ليس كمثله شيء ، فلا يجوز أن يمثل بغيره ، ولا يجوز أن يدخل هو وغيره تحت قضية كلية تستوي أفرادها ، ولهذا لما سلك طوائف من المتفلسفة والمتكلمة مثل هذه الأقيسة في المطالب الإلهية ، لم يصلوا بها إلى اليقين ، بل تناقضت أدلتهم"<sup>(2)</sup>.

ولهذا السبب حذر ابن تيمية من الأخذ بهذا المنهج خوفا من التأثير بالفلسفة التي تؤسسها، وهو عين ما قصده ابن خلدون حين قال أن المتكلمين لم يأخذوا بالأقيسة لملاستها للعلوم الفلسفية، المباشرة للعقائد<sup>(3)</sup>، وقد كان للمفكر السلفي المتأخر تقي الدين ابن تيمية أبلغ الأثر في هدم المنطق الأرسطي عن طريق النقد المنهجي القائم على أسس منطقية فقد حقق في مسائله فتبين له خطأ طائفة من قضاياها، ومن ذلك ما ذكره عن الحدود وصور القياس ومواده<sup>(4)</sup>. لذا كانت قناعة ابن تيمية في إجتثاث هذه الأصول الوثنية مبنية على هذا المنطلق و استبدال أصول إلهية إسلامية مكانها، فدخل في عملية تأصيلية جذرية كان من أهم عناصرها جانبان هما: "التأصيل الفطري للاستدلال" و "التأصيل الشرعي للعقل"<sup>(5)</sup>.

وقد تمكن ابن تيمية بفضل جهوده من رد الاستدلالات المنطقية سواء منها المنقولة عن اليونان: الأرسطية والرواقية، أو المأصولة عند المسلمين إلى الدليل، وذلك بفضل توسيع العلاقة الإستدلالية بإخراجها من الوصف القياسي مع أرسطو إلى الوصف اللزومي<sup>(6)</sup>. و قد اعتبر طرق الاستدلال موازين طبيعية قائمة على علاقة اللزوم ذلك أنها تدرك بالفطرة بحيث يكون كل ميزان منها دليلا لزوميا يتركب من مقدم هو الملزوم، و من قال هو اللازم<sup>(7)</sup> وهما يشتركان في الحكم إذ يتعين من تحقق الملزوم تحقق اللازم، ومن انتفاء اللازم انتفاء الملزوم<sup>(8)</sup>.

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح، ج2 ص 146-148، طه عبد الرحمن: تجديد المنهج في تقويم التراث، ص 364.

(2) ابن تيمية : موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول ، ج 1 ص 45.

(3) ابن خلدون : المقدمة، دط (مصر، المطبعة الأزهرية بجوار الأزهر، 1348هـ - 1930م) ص 390.

(4) ابن تيمية : مجموع الفتاوى، م 9، ص 82-83 وما بعدها.

(5) طه عبد الرحمن: تجديد المنهج في تقويم التراث، ص 365.

(6) طه عبد الرحمن : تجديد المنهج في تقويم التراث، ص 352.

(7) طه عبد الرحمن : تجديد المنهج في تقويم التراث ، ص 368.

(8) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 2، ص 268.

لذلك أمكن صوغ بعضها بصيغة قياس التمثيل ، أو بصيغة قياس الشمول المصنع<sup>(1)</sup> ، نظرا لان الضابط في الأول أن يلزم الفرع عن الأصل ، و الضابط في الثاني أن تلزم النتيجة عن المقدمتين فيكون اللزوم هو الأصل فيهما معا<sup>(2)</sup>.

و يوظف ابن تيمية هذه الدلالة في إثبات نبوة محمد -صلى الله عليه وسلم- لأن التصديق بنبوة من تقر به النصارى كالمسيح وغيره متوقف على التصديق بنبوة محمد -صلى الله عليه وسلم- لأننا لم نعلم نبوة أولئك إلا بإخبار محمد أنهم أنبياء، فلو قد حنا في الأصل الذي قد علمنا به نبوتهم لزم القدح في نبوتهم، والفرع إذا قدح في أصله دلّ على فساده في نفسه، سواء قدّر بأصله صحيحا أو فاسدا، فإنه إن كان أصله فاسدا فسد هو، وإن كان أصله صحيحا وهو يناقضه بطل هو، فهو إذا ناقض أصله باطل على كل تقدير<sup>(3)</sup>. و مادام أن هذه الاستدلالات تلازم الفطرة الطبيعية كونها أمرا ضروريا في النفوس فلا غرابة أن نرى ابن تيمية يؤكد على وجود هذه المسالك العقلية في القرآن مثل التلازم و السبر و التقييم ، و قياس الشمول<sup>(4)</sup> ، و غيرها.

وهذا يسمح بالقول أن ابن تيمية بجانب نقده للمنطق الأرسطي قد أنشأ منطقا إسلاميا<sup>(5)</sup>. وبالرغم من تحذير ابن تيمية من الخوض في علم المنطق لقلّة فائدته وكثرة الحشو فيه فهو لا ينكر وجود ما يستفيد ببعضه ممن كان في كفر وضلال كالنصارى واليهود والرافضة<sup>(6)</sup> وذلك بعد التحقيق في صحّة المادة والأدلة التي ينظر فيها ، وذلك لمناسبتها لعادة المخاطب ممّن إعتاد النظر في الأمور الدقيقة ، لا لكون العلم بالمطلوب متوقفا عليها مطلقا<sup>(7)</sup>. لأن الأدلة العقلية لا تعدم فهناك من صور القياس ما هو فطري لا يحتاج إلى تعلم ، وما يحتاج إليه ليس فيه صنعة إلا معرفة إصطلاحهم وطريقهم أو خطئهم<sup>(8)</sup> ، فنراه في مناقشة مسائلهم يتفحص جنس أدلتهم فيفرق بين ما هو طريقا عقليا فيبطله ، وبين ما يدخل في السفسطة فهو لا يحتاج لدليل نقضه .

(1) ابن تيمية ، الرد على المنطقيين ، ص 383

(2) طه عبد الرحمن : تجديد المنهج في تقويم التراث، ص 368.

(3) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 1 ، ص 353.

(4) ابن تيمية ، الرد على المنطقيين ، ص 381-383 ، و طه عبد الرحمن : تجديد المنهج في تقويم التراث، ص 366 .

(5) للتفصيل في هذا الموضوع انظر طه عبد الرحمن : تجديد المنهج في تقويم التراث ، ط 1 (بيروت : المركز الثقافي العربي 1994) ص 150 وما بعدها .

(6) ابن تيمية : (نقض المنطق)، ص 24.

(7) ابن تيمية : مجموع الفتاوى (كتاب المنطق) م 9 ص 213.

(8) المصدر نفسه ، ص 67،68،69.

و لا شك أن هذه الدراسة ستكشف عن بعض الآليات الاستدلالية المنطقية التي ميزت منهج ابن تيمية و وظفها في عملية الرد الكلامية ، خاصة و أن النصارى كانوا مسلحين بمنطق اليونان ، و سنرى كيف باشر أهم الأدوات المنطقية من الناحية العملية ، و ذلك من خلال النقاط التالية :

1- التعريف ( الحد )

2- القياس

3- طرق أخرى للاستدلال

### 1 - التعريف (الحد):

يعرف ابن تيمية الحد أنه تفصيل ما دل عليه الاسم بالإجمال، فلا يمكن أن يقال لا يعرف المسمى بحال ولا يمكن أن يقال يعرف به كل أحد، كذلك الحد<sup>(1)</sup> وغاية الحد عنده هو التوصل إلى الكنه أو الماهية، ويرى أنه إذا كانت الغاية من الحد تمييز المحدود بصفته عما ليس له، فلا يتحقق ذلك إلا مع الاطراد والانعكاس<sup>(2)</sup>، فالطرود والعكس يوصلان إلى بيان مسمى الاسم، وفي هذا إقامة للحد على أمر لغوي، لأن المقصود منه ذكر مراد المتكلم<sup>(3)</sup>، وتساعد أداة التعريف على الفهم والإحاطة بالفكرة التي هي مدار النقاش ، وقد وظّف ابن تيمية هذه الأداة الإستدلالية كمدخل كلامي ناقش من خلاله المصطلحات الفلسفية المعبر بها عن الصيغ اللاهوتية المسيحية موضحاً وجه الخطأ فيها وما يترتب عنها من لوازم كلامية فاسدة ، فشكّلت بذلك شطرا من الأدلة المدلى بها لدحض وجهة نظر الطرف المسيحي. ومن بين ذلك تعريف الجوهر، والأقانيم، والحلول والإتحاد :

**أ- الجوهر:** فالنصارى تعرفه بأنه القائم بذاته الغير مفتقر في وجوده إلى غيره، فيعترض على إطلاق هذه التسمية على الباري لأن الجوهر "من قبل عرضا وشغل حيزا" ومن كان هذه صفاته فهو حادث وهذا يوهم معنى باطلا لذلك لا يدخل في أسماء الله التي تذكر في أصول الإيمان التي يجب إعتقادها من الأسماء<sup>(4)</sup>.

(1) ابن تيمية ، الرد على المنطقيين ،ص79، وعن هذه الأداة قارن بـ عبد الحكيم فرحات: منهج القاضي عبد الجبار في الرد على النصارى،ص 103 .

(2) ابن تيمية ، الرد على المنطقيين : ص 121 وسامي النشار: مناهج البحث عند مفكري الإسلام ص 203.

(3) سامي النشار، مناهج البحث عند مفكري الإسلام ص 204.

(4) ابن تيمية :الجواب الصحيح ، ج3 ،ص 202-205. وانظر: عن مفهوم الجوهر عند النصارى، الصالح صبحي وجبر فريد: فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية، ج2، ص296.

**ب - الأقاتيم :** يبين ابن تيمية اضطراب النصارى في تحديد معنى لفظ الأقاتيم فهي الأصل ، وهي أشخاصا ، وتارة يقولون خواص ، وتارة صفات ، وتارة جواهر وتارة يعبرون به عن الذات والصفة معا، وقد ترتب عن كل هذه الألفاظ تناقض في المنظومة اللاهوتية المسيحية<sup>(1)</sup> ويوظف دلالة التعريف ليدلل على فساد هذا اللفظ لما ينتج من لوازم كلامية فاسدة .

**ج- الحلول والإتحاد :** فلفظ الحلول والاتحاد قد يعبر بها عن معنى صحيح ، وقد يعبر بها عن معنى فاسد ، فإذا أردنا معنى صحيحا يقال : " فلان وفلان بينهما إتحاد" إذا كانا متفقين في مرادهما ومقصودهما صار يقال هما متحدان ، ولا يعني بذلك أن ذات هذا إتحدت بذات الآخر . أما لفظ الحلول فمعناه حلول مثاليه العلمي ومحبته ومعرفته لا حلول عين ذاته، فيقال فلان ما في قلبه إلا الله ، ويراد به ذكره ومحبته وخشيته وطاعته<sup>(2)</sup>.

وهذا التعريف لدلالة لفظي الحلول والإتحاد يبين أن النصارى غلطوا في فهم المعنى فقالوا إن المسيح هو الله ، لما سمعوا كلاما يقضي أن الله في ذات الشخص وأن ذلك إتحاد الذات وحلولها<sup>(3)</sup>. ويستدل ابن تيمية على فساد فهم النصارى لمعنى الحلول والإتحاد بما ورد عنهم في النبوات، أن الله حل في غير المسيح من الصالحين<sup>(4)</sup> ، ليؤكد أن ذلك هو حلول محبته ومعرفته لا حلول ذاته . والإستدلال بالتعريف من أهم الأدوات التي وظفها ابن تيمية قبل مناقشته للخصم وذلك في باب الأدلة العقلية والنقلية على السواء ، كتعرضه لفظ الأب والإبن وروح القدس ، والكلمة وغيرها، وسنجد ذلك ماثورا في ثنايا هذا البحث.

## 2- القياس:

يقسم ابن تيمية الموازين العقلية الفطرية إلى أربعة أقسام هي: قياس الطرد، و قياس الأولى، و قياس العكس ، و الآيات ، و هذه الموازين يصنفها صنفين : قسم يأخذ بالاشتراك ، و قسم يأخذ بالاختلاف:

1- فأما القسم الذي يأخذ بالاشتراك فيضم كلا من:

- ❖ أ. قياس الطرد ( الجامع المتماثلة أفراده ).
- ❖ ب. قياس الأولى ( الجامع المتفاضلة أفراده ).

(1) انظر: في هذا الموضوع المبحث الخاص بمناقشة الأقاتيم.

(2) ابن تيمية:الجواب الصحيح، ج2 ص 181.

(3) ابن تيمية:الجواب الصحيح، ج2 ، ص 178.

(4) المصدر نفسه ، ج2 ص 182.

و أما القسم الذي يأخذ بالاختلاف فيضم كلا من:

❖ أ. قياس العكس ( الفارق اللازم عن التضاد ).

❖ ب. الاستدلال بالآيات ( الفارق اللازم عن التعيين )<sup>(1)</sup>.

## 1- قياس الأولى:

يعرف ابن تيمية هذا القياس بأنه ما يكون الحكم المطلوب فيه أولى بالثبوت من الصورة المذكورة في الدليل الدال عليه<sup>(2)</sup>، و يقوم قياس الأولى على أن ما يثبت لغيره من كمال لا نقص فيه ، فثبوت الله بطريق الأولى، و ما ينتزه غيره عنه من نقائص و آفات ، فنتزه الله عنه بطريق الأولى<sup>(3)</sup>.

إن الملاحظ في منهج الرد على النصارى أن الاستدلال بقياس الأولى كان أكثر إستعمالا في الدفاع عن التوحيد الإسلامي ، و نقض دعوى النصارى في التثليث و الاتحاد ، و قد دعم ابن تيمية هذا الاختيار كون هذا الدليل طريق الأنبياء و هو أنسب قياس للاستدلال على التثوية الإلهي ، ذلك أن الحق سبحانه لا يماثله عباده في شيء من الأشياء حتى يجوز أن يتساويا في الحكم ، فيفيدنا هذا القياس في بيان التفاوت الذي لا يدرك قدره بين الخالق و المخلوق ، و يكون ذلك كما يلي :

- أن الخالق أحق بصفات الكمال من غيره، حيث إن ما يثبت لغيره من كمال لا نقص فيه من وجه من الوجوه، يثبت له بطريقة أولى ( قاعدة الإيجاب ).

- أن الخالق أبعد عن صفات النقص من غيره، حيث أن ما ينتقي عن غيره من نقص، ينتقي عنه بطريق أولى ( قاعدة السلب )<sup>(4)</sup>.

إذا كان الخالق أحق من كل مخلوق بالأمور الوجودية، فإن المخلوق أحق من الخالق بالأمور العدمية ( قاعدة القلب )<sup>(5)</sup>.

وهذا العرض الموجز للقياس، يمكنا من التمثيل لتطبيقات ابن تيمية لهذه الأداة الإستدلالية في مواضع كثيرة من كتاب الجواب الصحيح ، في معرض مناقشته للنصارى والرد عليهم ، فيلزمهم في إثبات صفات الكمال لله أنه " خالق الأحياء و غيرهم، و الخالق أكمل من المخلوق، فكل كمال ثبت للمخلوق فهو للخالق، فيمتنع أن يكون المخلوق أكمل من خالقه و كماله أكمل منه ... فإذا كان خالق

(1) طه عبد الرحمن : تجديد المنهج في تقويم التراث ، ص 368 ، و للتفصيل في خصائص هذه الموازين أنظر ص 368-374.

(2) ابن تيمية : شرح العقيدة الإصقھانية ، ص 03 نقلا عن سامي النشار : مناهج البحث عن مفكري الإسلام ، ص 279.

(3) ابن تيمية : الرد على المنطقيين ، ص 150 ، و سامي النشار : مناهج البحث عن مفكري الإسلام ، ص 276.

(4) ابن تيمية : الرد على المنطقيين ، ص 150.

(5) طه عبد الرحمن : تجديد المنهج في تقويم التراث ، ص 370.

لأحياء كان حيا بطريق الأولى و الأخرى (1).

كما يلزمهم في مبحث التجسد وجوب إثبات نتائج فاسدة عن قول النصارى بالاتحاد وألوهية المسيح وإلتحام النظام اللاهوت بناسوت مريم قال : "إذا جعلتم اللاهوت الخالق القديم الأزلي ابنا لناسوت مريم بحكم الاتحاد مع كونه خالقا لها بلاهوتها و ابنا لها بناسوتها ، و لم يكن هذا ممتعا عندهم ولا قبيحا ، فإن تكون مريم صاحبة له و زوجة و امرأة بحكم الإلتحام بالناسوت أولى و أحرى" (2).

كما يوظف ابن تيمية هذه الأداة في نقض وصف النصارى لله بالصفات السلبية و بيان تناقض مذهب الملكية و فساد قولهم في الاتحاد " فإذا منعوا أن تحمل المرأة و تلد الناسوت دون اللاهوت لأجل الاتحاد الذي بينهما ، و جب أن يمنعوا أن يأكل و يشرب ، و يصلب و يقتل أحدهما دون الآخر لأجل الاتحاد بطريق الأولى.

و كون الصلب و القتل أعظم منافاة للربوبية من حمل مريم به و ولادته إياه ، لا يمنع كون كل ذلك ممتعا مع الله " (3).

إن حجم الإستدلال بهذه الأداة عند ابن تيمية في الرد عن النصارى لا يقف عند هذه النماذج، و سيجد الدارس شواهد لذلك في ثنايا هذا البحث إثر تحليل الأدلة العقلية و النقلية.

## 2- قياس العكس:

يقوم قياس العكس على مبدأ اعتبار الشيء بضده (4) و على هذا فوجه الاستدلال فيه هو طلب الوصف الذي به يفترق هذا الشيء عن ذاك ، فيجعل ل حكما مختلفا بمقتضى هذا الوصف المفترق ، و يرجع قياس العكس إلى القضية الكلية الشرطية التالية و هي : " إذا انتفى الوصف الجامع انتفى معه الحكم " (5).

يوظف ابن تيمية هذه الأدلة في نقض التعدد على النصارى ، فأدلة السمع من الثوراة و الإنجيل و الزابور و سائر كلام الأنبياء تثبت كون الخالق واحدا ، كما أن الأدلة العقلية تنقض على النصارى

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج2 ، ص105.

(2) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج3 ، ص61.

(3) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج3 ، ص48-49.

(4) ابن تيمية : الرد على المنطقيين ، ص371.

(5) طه عبد الرحمن : تجديد المنهج في تقويم التراث ، ص370.

دعوى أن الخالق، واحد له صفات مع قولهم إنه بعث كلمته الخالقة و قولهم فهبطت الكلمة الخالقة، و قولهم فاحتجبت الكلمة الخالقة بإنسان مخلوق ، خلقت له لنفسها بمسرة الأب و موازرة الروح<sup>(1)</sup>. " فهذا يقتضي أن الكلمة خالقة و أن الروح خالقة ، و أنها خلقت بمسرة الأب الخالق و موازرة الروح الخالقة، و هذا الخالق هبط، و الأب لم يهبط"<sup>(2)</sup>. فهذا متناقض لأن الخالق إذا كان واحدا له صفات، لم يكن هنا إلا خالق واحد.

كما يبطل عليهم قولهم: "إن كلمته هي الخالقة و إنه خلق بها " ، بدلالة التناقض ، لأن الخالق هو الله تعالى يخلق بكلامه ، و ليس كلامه خالقا<sup>(3)</sup>.

و يلزمهم عن طريق هذه الدلالية فساد عدد من النتائج في مناقشتهم القول بالتجسد لأنه إذا جاز أن تكون الكلمة التي يفسرونها بالعلم أو الحكمة مولودة منه ، فكذلك تكون مولودة منه ، و إن كانت حياته منبثقة منه فكلمته منبثقة منه<sup>(4)</sup>. " فجعل إحدى الصفتين الأزليتين مولودة من الأزل غير منبثقة، و الأخرى ليست مولودة من الأزل ، بل منبثقة ، مع كونه باطلا ، فهو متناقض و تفريق بين متماثلين"<sup>(5)</sup>.

فالنصارى إذا جوزوا القول بأن الصفة القديمة الأزلية مولودة منه فالحياة مولودة ، و إذا جوزوا القول إنها منبثقة ، فالكلمة منبثقة<sup>(6)</sup>.

و هذا يثبت على النصارى تعدد الآلهة و ينقض عليهم دعوى أن الخالق واحد.

### 3. قياس الطرد:

يقوم هذا القياس على مبدأ اعتبار الشيء بمثله<sup>(7)</sup>. و يكون وجه الاستدلال فيه طلب الوصف الذي يتماثل به الشئان، فيجعل لهما حكما واحدا بمقتضى هذا الوصف الجامع، و يرجع قياس الطرد إلى

القضية الكلية الشرطية التالية، وهي: " إذا ثبت الوصف الجامع ، ثبت معه الحكم"<sup>(8)</sup>.

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج3 ، ص54

(2) المصدر نفسه ، ج3 ، ص54

(3) المصدر نفسه ، ج3 ، ص54

(4) المصدر نفسه ، ج3 ، ص58.

(5) المصدر نفسه ، ج3 ، ص58.

(6) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج3 ، ص58.

(7) ابن تيمية : الرد على المنطقيين ، ص371

(8) طه عبد الرحمن : تجديد المنهج في تقويم التراث ، ص368-369.



وكما ينصب ابن تيمية هذا الدليل - على وجه التمثيل لا الحصر - في مناقشته للاتحاد ، فإثبات النصارى للمسيح أنه متحد باللاهوت يصدق ثبوته على باقي الأنبياء لأن قيام المعنى المشترك بين المسيح وغيره من الأنبياء يوجب التسوية بين المتماثلين ، وذلك على دعوى النصارى أن الاتحاد للمسيح ثبت بالنص ولا نص في غيره ، وانتفاء الدليل على ثبوت ذلك في الغير يلزم تجويز ذلك في الغير إذ لا دليل على انتفائه ، كما يقولون : " إن ذلك كان ثابتا في المسيح قبل إظهاره الآيات على قولهم ، وحينئذ فيلزمهم أن يجوزوا في كل نبي أن يكون الله قد جعله إليها تاما وإنسانا تاما كالمسيح وإن لم يعلم ذلك"<sup>(1)</sup>.

#### 4. الإستدلال بالآيات:

يرى ابن تيمية أن الاستدلال بالآيات طريق قرآني يستمد صورته ومادته من القرآن ، و يفرق بينه وبين القياس بأن " الآية هي العلامة و هي الدليل الذي يستلزم عين المدلول ، لا يكون مدلوله أمرا كليا مشتركا بين المطلوب وغيره ، بل نفس العلم به يوجب العلم بعين المدلول "<sup>(2)</sup>.

و الاستدلال بالآية هو لزوم جزئي من جزئي مثل استدلالنا بطلوع شمس معين على وجود نهار معين (وجعلنا الليل والنهار آيتين، فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة ) ، فنفس العلم بطلوع الشمس يوجب العلم بوجود النهار ، فأيات الله نفس العلم بها يوجب العلم بذاته ، و هذا العلم لا يوجب علما مشتركا بين الله وغيره، و يختلف هذا الاستدلال عن قياس التمثيل كون العلاقة للزومية في الاستدلال بالآية قد تتمتع بخاصية " التناظر " أي أنها علاقة تلازمية يستدل فيها بأحد الطرفين على الآخر من غير تخصيص و لا توجيه، بحيث يلزم من ثبوت أحدهما ثبوت الآخر و من انتفائه انتفائه، بمعنى أن كلا منهما ينزل منزلة الطرف الملازم، أي طرفا مطابقا للآخر في العموم و الخصوص<sup>(3)</sup>.

و على هذا الأساس يمكن أن نقول أن هذا الدليل هو " استدلال وجودي" ، إذ بفضلته يقام الدليل على وجود المطلوب ، فلما كان الملزوم جزئية مخصوصة فإنه يترتب عليها لازم لا يكون إلا جزئية مخصوصة ، ومعلوم أن ما تعلق بالجزئية المخصوصة تعلق بذات موجودة وجودا متعينا، و لا عجب حينئذ أن يجعل ابن تيمية من الإستدلال بالآيات الدليل الخاص بإثبات وجود الله<sup>(4)</sup>. و في ذلك يقول ابن تيمية : " إن كل ما سوى الرب مستلزم لنفسه المقدسة بعينها ، يمتنع وجود شيء سواه بدون

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح، ج 2 ، ص 252.

(2) ابن تيمية : الرد على المنطقيين ، ص 151 و سامي النشار : مناهج البحث عند مفكري الإسلام ، ص 276.

(3) ابن تيمية : الرد على المنطقيين، ص 163 و طه عبد الرحمن : تجديد المنهج في تقويم التراث ، ص 372 و سامي النشار :

مناهج البحث عن مفكري الإسلام، ص 276-277

(4) طه عبد الرحمن : تجديد المنهج في تقويم التراث ، ص 372

نفسه المقدسة<sup>(1)</sup> بمعنى أن وجوده سبحانه و تعالى شرط ضروري لوجود كل ما سواه ، لأن كل شيء سواه آية له أي دليل عليه<sup>(2)</sup>.

إن الاستدلال بالآية كما يراه ابن تيمية أدق و أقرب إلى الفطرة من القياس المنطقي الذي ينتقل فيه العقل من حكم كلي عام إلى أحكام جزئية يتعين منه علم بمطلق في الأذهان ، و نفس هذا المطلق لا يوصل إلى معرفة الله ، فإذا علم الإنسان واجبا مطلقا و فاعلا مطلقا و غنيا مطلقا ، لم يكن عالما بنفس رب العالمين، و على هذا الأساس لا يمكن التوصل إلى معرفة الله<sup>(3)</sup>.

و من هذا المنطلق يستدل ابن تيمية في معرض مناقشة للنصارى كل على نفي التعدد في الألوهية بالآية الكريمة: ﴿ما اتخذ الله من ولد و ما كان معه من إله ، إذا ذهب كل إله بما خلق و لعلا بعضهم على بعض﴾<sup>(4)</sup>، و يبحث ابن تيمية على السبب الموضوعي لدعوة النصارى بنوة المسيح و ألوهيته فيقول: "وأهل الكتاب يذكرون أن في كتبهم عباد الله الصالحين، أبناء و تسمية الله أبا، و تسمية المصطفى أبناء، و هذا إذا كان ثابتا عن الأنبياء فإتباعهم لا يعنون به إلا معنى صحيحا.

و اللفظ قد يكون له في لغة معنى، و له في لغة أخرى معنى غير ذلك، و المراد بهذا الولد و الابن ، لا ينافي كونه مخلوقا مربوبا عبدا لله عز و جل" <sup>(5)</sup> فهو وحده المستحق للعبادة دون سواه ، فانتفى أن يكون له ولد يعبد على سبيل الوساطة ، كما انتفى أن يكون هناك آلهة أخرى تعبد مع الله على سبيل الشراكة، و لو كان هناك من يستحق العبادة معه لم يخلو الأمر من أحد احتمالين دلت عليهما الآية : الأول: إما أن يكون كل إله قادر مستقل فيتحقق الفرض الأول و هو قوله: ﴿إذا ذهب كل إله بما خلق﴾ و انتفاء اللازم يدل على انتفاء الملزوم<sup>(6)</sup>.

الثاني: أن يكون أحدهم قادرا دون الآخر وهنا يصدق الفرض الثاني وهو قوله: ﴿ولعلا بعضهم على بعض﴾ و معلوم أن ذلك لم يقع، فدل على امتناع أن يكون هناك إله قادر، و آخر عاجز، و لو فرض وقوع ذلك لكان القادر هو الإله المستحق للعبادة دون غيره. فالآية تضمنت لازمين كلاهما منتف بالمشاهدة، و انتفاء كل واحد منهما يدل على أنه ليس هناك إله، إلا إله واحد يعبد دون سواه<sup>(7)</sup>. وهذا هو دليل الآية و المقصود بالتوحيد الذي دعت إليه الرسل، أما دعوة النصارى الابن و

(1) ابن تيمية : الرد على المنطقيين، ص153

(2) طه عبد الرحمن : تجديد المنهج في تقويم التراث ، ص372

(3) سامي النشار : مناهج البحث عن مفكري الإسلام، ص277

(4) سورة المؤمنون : آية 91 ، و ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج3، ص184

(5) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج3 ، ص185.

(6) ابن تيمية : درء تعارض العقل و النقل ، ج4 ، ص321-324.

(7) الجليني: ابن تيمية وقضية التأويل، ص288.

والولد في المسيح " فهذا لا يعرف عن أحد من الأنبياء ، و لا الأمم أهل اللغات سوى مبتدعة النصارى"<sup>(1)</sup>. و يناسب ابن تيمية قول هؤلاء بقول الفلاسفة أنه موجب بذاته مستلزم لما يصدر عنه لما أثبتوه من كون صفة الله القائمة به ولدا له و مولودا ، و لم يجد ابن تيمية مبررا عقليا و لا شرعا لهذه الدعوة، فالصفة القائمة به اللازمة له لم تتولد عنه و لا تسمى ابنا و لا ولدا عند أحد من الأنبياء و غيرهم ، كما يتعين أن يكون الولد إما جزءا منفصلا عنه ، و إما معطولا صادرا عنه بغير قدرته و مشيئته ، و أي القولين قالوه فهم كفار مضاهنون لقول الداين كفروا من قبل ، فهذا التولد هو قول ممتنع عند أهل الملل ، المسلمين و اليهود و النصارى و سائر الأمم<sup>(2)</sup>.

وعلى هذا النحو من البساطة يقدم ابن تيمية أدلة الشرع على التوحيد الإلهي وهي أدلة عقلية وشرعية مناسبة لجميع الأمم، المسلمين و اليهود و النصارى لأن مبادئ مقدماتها فطرية مشتركة.

### 3- طرق أخرى للإستدلال :

#### 1. إنتاج المقدمات النتائج:

يعرف هذا الطريق بأنه "إستخلاص النتيجة من المقدمة بحيث تكون المقدمة ضرورية والنتيجة نظرية ، وقد تكون المقدمة نظرية والنتيجة ضرورية ، كقولنا :  
الجوهر لا يخلو من الحوادث التي لها أول ، وهذه مقدمة نظرية لا يمكن التوصل إليها إلا بدقيق النظر، والنتيجة أن ما لا يخلو عن الحوادث التي لها أول فهو حادث"<sup>(3)</sup>.  
وليس شرطا أن تبني النتائج على مقدمة واحدة بل قد يشمل الدليل على عدد من المقدمات، ونرى مثل ذلك في مناقشة ابن تيمية لدعوى النصارى في صحة دينهم وخبر كتبهم، فيبطل ما استدلوا به من حجج نقلية بدلالة إنتاج المقدمات النتائج، إذ أن استدلال النصارى بما في كتابهم على صحة دينهم الذي خالفوا به هذا الكتاب في غاية الفساد وهو جمع بين النقيضين "وكذلك من استدل بشيء من الكتاب على ما يناقض ما في الكتاب كاستدلال النصارى بآيات فيه على صحة دينهم كان متناقضا، فإنه إن صح ذلك الدليل بأن مدح دينهم مع ذمه كان متناقضا، والكتاب المتناقض لا يكون كتاب الله"<sup>(4)</sup>، وقد إستخلص

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج3 ، ص185.

(2) المصدر نفسه ، ج3، ص185-186

(3) النشار سامي: مناهج البحث عند مفكري الإسلام ، ص 136.

(4) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج2 ، ص 264.

ابن تيمية هذا من تناقض المقدمات التي أدت ببطان الدليل لأنه إذا كانت النتيجة تستلزم فساد بعض مقدمات الدليل بطل الاستدلال بذلك الدليل ، الذي لا يصح إلا بصحة مقدماته ، فإذا كانت مقدمته لا تصح إلا مع فساد نتيجته ، ونتيجته مستلزمة لفساد مقدمته ، كان الجمع بين صحة المقدمة والنتيجة جمعا بين النقيضين<sup>(1)</sup>.

ونراه يوظف هذه الأداة في موضع آخر فيورد ثلاث مقدمات يبني عليها إبطال الاحتجاج بكتبهم لعدم ثبوت تبليغها عن الله<sup>(2)</sup>.

كما يبحث في ثبوت ما تحتج به النصارى ويستدل في ذلك بثلاث مقدمات : - العلم بثبوتها ، - وثبوت لفظها ومعناها بالتواتر ، - وعدم مناقضتها لخبر محمد . وكل واحدة من هذه المقدمات لا تثبت أمام النقد العلمي ، فتبطل بذلك النتيجة التي بنوا عليها دعواهم وهي صحة خبر كتبهم<sup>(3)</sup> ، وذلك ضمن قاعدة الاستدلال العقلي : " فساد بعض مقدمات الدليل يستلزم بطلان الدليل"<sup>(4)</sup>.

## 2. السير والتقسيم :

ويقوم هذا الطريق على حصر الأوصاف التي توجد في الأصل والتي تصلح للعلّة في باديء الرأي ثم تأتي عملية السبر والتي تقوم على إبطال عناصر المسألة ، فيتعين الباقي للعلّة<sup>(51)</sup>. ويبدو أن نظار المسلمين قد اختلفوا في حقيقة هذا الطريق فمنهم من اعتبره شرط دليل ، ومنهم من عدّه دليل قائم بذاته لإثبات علّة الأصل في القياس<sup>(6)</sup>.

ويمكن أن نقول أن ابن تيمية يكثر من تطبيق هذا الدليل خاصة عند مناقشته للمسائل العقديّة من وجهة نظر عقلية ، فنجده يقسم المسألة لعدة وجوه ، حتى يحيطها بكل ما تلزمه من تنظير فيورد ما تعتقده النصارى وما لا تعتقده من باب ما تحتمله المسألة من لوازم كلامية.

فنراه في مسألة التجسد يبطل عليهم دعوى الإلهية في باديء الأمر ثم ينتقل للحديث عما يلزمه للإتحاد من اختلاط ليبطل قولهم أن مصير اللاهوت والناسوت شيئا واحدا مع بقائهما على حالهما ،

(1) المصدر نفسه ، ج2 ، ص264. انظر عن هذه الأداة ص245، 237، 235.

(2) المصدر نفسه ، ج1 ، ص35.

(3) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج2 ص 354 - 355.

(4) المصدر نفسه ، ج2 ص 264.

(5) النشار سامي: مناهج البحث عند مفكري الإسلام ، ص 120 - 121، وأنظر عبد الحكيم فرحات : منهج القاضي عبد الجبار في الرد على النصارى (مبحث المنهج الكلامي).

(6) المصدر نفسه : ص 122 ، والإيجي : المواقف في علم الكلام ، ج2 ، ص 35-36.

وأنتع ذلك بما يترتب عن قولهم باستحالتهم شيئا واحدا من نوازم كلامية توجب نسبة الحدوث لله تعالى<sup>(1)</sup>. وكذلك في مناقشته للإتحاد إذ يورد لذلك ستة أوجه<sup>(2)</sup> يسبر من خلالها آراء النصارى ليبيّن فساد المنظومة اللاهوتية المسيحية بأكملها إذ يربط بين عقيدتي الإتحاد والصلب، فيقول في الوجه الخامس: " أن يقال لا يخلوا إلا أن يقولوا: إن اللاهوت كان قادرا على دفعه عن ناسوته، وإما أن يقولوا لم يكن قادرا، فإن قالوا لم يكن قادرا لزم أن يكون أولئك اليهود أقدر من رب العالمين، أن يكون رب العالمين مقهورا مأمورا مع قوم من شرار اليهود، وهذا من أعظم الكفر والتقص برب العالمين"<sup>(3)</sup>. كما نراه يعترض على النصارى في إثبات علاقة الجوهر بالأقانيم في أقوالهم أن الله أحديّ الذات ثلاثي الصفات سابرا آراءهم في تقسيم يتردد بين النفي والإثبات ليصل إلى النظر الصحيح، وهو إثبات قولهم بالتثليث لا بالتوحيد<sup>(4)</sup>.

### 3. الإلزامات :

الإلزامات من الأدلة التي تنسب للإستدلال القياسي، ويكون تارة قياسا بالحقيقة ويكون أحيانا على صورة قياس الطرد طرد حكم الأصل في الفرع سواء كان الحكم ثبوتا أو نفيًا. فإن كان ثبوتا فالإستدلال القياسي يكون بتحقيق الملزوم على تحقيق اللازم، وإن كان نفيًا يكون بانتقاء اللازم على انتقاء الملزوم<sup>(5)</sup>.

ويعتبر ابن تيمية هذا الطريق منهجا قائما بذاته على عكس من اعتبر الإستدلال بالإلزام طريقا إلى إثبات العلة في القياس<sup>(6)</sup>.

وقد وظفه ابن تيمية في إبطال الإتحاد بين الذات الإلهية وذات المسيح بحيث صارا ذاتا واحدة جوهرًا واحداً، فهذا "يلزم أن يكون اللاهوت استحال وتبدلت صفته وحقيقته، والإستحالة لا تكون إلا

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج2 ص 185 - 187.

(2) المصدر نفسه ، ج 2، ص 134 - 135 ، وانظر عن هذه الأدلة ص 175.

(3) المصدر نفسه ، ج2 ص 168.

(4) المصدر نفسه: ج 3، ص 167.

(5) النشار سامي: مناهج البحث عند مفكري الإسلام ، ص 138 ، وانظر الإيجي : المواقف في علم الكلام ص 38، وانظر ابن

تيمية : الجواب الصحيح ، ج 2 ، ص 267-268.

(6) أنظر الإيجي : المواقف في علم الكلام ، ص 38.

بعدم شيء و وجود آخر، فيلزم عدم شيء من القديم الواجب الوجود بنفسه، وما وجب قدمه استحالة عدمه. وما وجب وجوده امتنع عدمه، فإن القديم لا يكون قديماً إلا لوجوبه بنفسه قديماً بقدمه، والواجب بنفسه يمتنع عدمه ، ولازمه لا يعدم إلا بعدمه ، فإنه يلزم إنتفاء اللازم إنتفاء الملزوم<sup>(1)</sup>. وقد يوظف هذا الدليل مستخدماً لفظ "لزم" كما هو الحال في مناقشته للقول بالأقانيم ، إذ يلزم النصارى القول بحلول الإله الناطق بأقانيمه الثلاثة حالاً في كل نبي ، وقد أسس هذا اللازم على دعوى النصارى أن روح القدس حالاً بالأنبياء ، وهذا يجب معه كون روح القدس أحد الأقانيم التي يجمعها الجوهر العام حالاً في الأنبياء مع الأقبوسم الأخرين ، " فيلزم الإله الحي الناطق بأقانيمه الثلاثة حالاً في كل نبي ، ويكون كل نبي هو رب العالمين"<sup>(2)</sup> ، وهذا غاية الباطل.

#### 4. الدور الممتنع:

يعرف الإيجي هذا الدليل بقوله : " وهو أن يكون شيئان كل منهما علة للأخر، بواسطة أو دونها لأن العلة متقدمة على المعلول ، فلو كان الشيء علة لعلة لزم تقدمه على نفسه بمرتبتين فإن قيل : معنى التقدم بالعلة إن كان نفس العلية ، كان قولك لزم تقدم الشيء على علته جارياً مجرى قولك لزم عليه الشيء لعلة ، فيمتنع بطلانه ، لأنه عين المتنازع فيه"<sup>(4)</sup>. ويقسم ابن تيمية هذا النوع من الإستدلال إلى قسمين :

- دور قبلي ممتنع.

- دور معي ممتنع.

#### أ- الدور القبلي الممتنع:

" وهو الذي يذكر في العلل وفي الفاعل والمؤثر ونحو ذلك مثل أن يقال : لا يجوز أن يكون كل من الشئيين فاعلاً للأخر لأنه يفضي إلى الدور ، وهو أنه يكون هذا قبل ذلك ، وذلك قبل هذا"<sup>(1)</sup>.

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج2 ، ص 161-162. وانظر عن هذه الآلة ص 251، 244، 237، 230، 78.

(2) المصدر نفسه ، ج2 ص 251 ، وانظر كذلك عن هذا الدليل ج2 ، ص 252 و 114 .

(3) الإيجي : المواقف في علم الكلام ، ص 89.

ومن أمثلة هذا النوع أن الحال محتاج إلى محلول فيه ، وهذا يلزم أن كل من القديمين محتاجاً إلى الآخر، وذلك يلزم أن لا يكون هذا موجوداً إلا بخلق ذلك ما به تتم حاجة الآخر، فلا فرق بين أن يحتاج أحدهما إلى الآخر في وجوده أو فيما لا يتم وجوده إلا به ، وهذا هو الدور القبلي الممتنع<sup>(2)</sup>.

## ب- الدور المعنى :

يكون " ممكن وهو دور الشرط مع المشروط، وأحد المتضايقين مع الآخر، مثل أن لا تكون الأبوة إلا مع البنوة، ولا تكون البنوة إلا مع الأبوة"<sup>(3)</sup>.

ونرى هذا الإستدلال في رده على قول النصارى أن الأب هو ابتداء الاثنين، والإبن هو النطق المولود منه، كولادة النطق من العقل، وهذا يلزم أن يكون الله ناطقاً بعد أن لم يكن ناطقاً، كما يلزم أنه عالم بعد أن لم يكن عالماً، وهذا باطل بدلالة الدور الممتنع<sup>(4)</sup>. " إن كان الشيء لا يجعل غيره متصفاً بصفات الكمال، حتى يكون هو متصفاً بها، فإذا لم يتصف بها حتى جعله غيره متصفاً بها، لزم الدور الممتنع مثل كون كل من الشئيين فاعلاً للآخر وعلة له، أو لبعض صفاته المشروطة في الفعل.

فتبين بطلان كون نطقه متولداً عنه ، كتولد النطق من العقل، كما بطل أن يكون لصفاته اللازمة له ما هو مبدأ لها متقدم عليها أو فاعل لها"<sup>(5)</sup>، وإضافة لهذين المثالين يوظف ابن تيمية هذه الأداة في نقد الأدلة النقلية التي تحتج بها النصارى على التثليث من إطلاق لفظ الأب للدلالة على أب اللاهوت وهذا الاستعمال الذي خصوا به المسيح لا يصدق إلا إذا ثبت، وإذا ثبت ذلك المعنى بمجرد إطلاق لفظ الأب لزم الدور<sup>(6)</sup>، "فإنه يعلم أنه أريد به ذلك المعنى من حيث يثبت أنه كان يراد به في حق الله هذا المعنى،

ولا يثبت ذلك، حتى يعلم أنه أريد به ذلك المعنى في حق المسيح، فإذا توقف العلم بكل منهما على

(1) ابن تيمية : مجموع الفتاوى ، (كتاب المنطق) م9 ص 214 ، وكذلك الجواب الصحيح ج3 ص 72 . وانظر عن هذا الدليل ص272-273.

(2) ابن تيمية : الجواب الصحيح، ج3 ، ص 72.

(3) ابن تيمية : مجموع الفتاوى ، (كتاب المنطق) م9 ، ص 214 ، وكذلك الجواب الصحيح ، ج3 ، ص 72.

(4) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج2 ، ص 113-114.

(5) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج2 ، ص 114.

(6) المصدر نفسه ، ج2 ، ص 123.

الأخر لم يعلم واحد منهما، فتبين أنه لا علم عندهم بأنه أريد في حق المسيح بلفظ الأب ما خصوه به في محل النزاع<sup>(1)</sup>.

فهذه الطرق من بين الآليات الاستدلالية التي ميزت الأدلة المنطقية في الجدل الديني والتي أسس عليها ابن تيمية منهجه في عملية الرد على النصارى، وسنرى أمثلة ذلك ضمن مباحث هذه الدراسة ونستطيع القول أن ابن تيمية كان صاحب منهج واضح ومحدد سار عليه في جميع ما كتب، فهو الذي طالما أكد على فساد مسالك أهل الفلسفة والمنطق ونقض عليهم طرقهم وبين خطرهما على الدين، لكنه لم يعارض طرق العقل المشروعة خاصة في مجال الدعوة مع من كان في كفر وظلال كالنصارى واليهود، لمناسبتها لعادتهم في الخطاب، وقد دل على ذلك بصريح العبارة في كتابه نقض المنطق كما سبق أن بيناهم.

## ثانيا : الإستدلال بالتاريخ :

تتميز طريقة ابن تيمية في نقده لمصادر النصارى باستخدامه لمناهج متعددة ، وإن غلب عليه المنهج التاريخي النقدي، وذلك لملائمة هذا المنهج لطبيعة الموضوع، فالنصوص المشكوك في نسبتها للمسيح عليه السلام لا تثبت صحتها علميا إلا إذا ثبتت تاريخيا.

وفي هذا المجال يقيم ابن تيمية منهج النقد الموضوعي لمصادر النصارى على أسس علمية دقيقة إستفادها من تطبيقاته لعلم مصطلح الحديث ، وطرق تحقيق الحديث رواية ودراية. وهو المنهج الذي تفرقت به الأمة الإسلامية دون سائر أهل الملل ، وبه حفظ دين الإسلام من التحريف. وهذا ما قصده ابن حزم حين قال نقل الثقة عن الثقة مع الإتصال حتى يبلغ النبي -صلى الله عليه وسلم- خص الله به المسلمين دون سائر أهل الملل كلها ، وأبقاه عندهم غضا جديدا على قديم الدهور<sup>(2)</sup>.

وقد توصل ابن تيمية إلى كل ما توصل إليه علماء مناهج البحث التاريخي الحديث من نقد النصوص الداخلي والخارجي ، ومعرفة طرق التحليل والتركيب التاريخي ، وفحص الوثائق ، ومنهج المقارنة<sup>(3)</sup>. فنراه قبل نقده لنصوص النصارى يبحث في نوع رواية الإنجيل وذلك عن طريق دراسة الخبر وطرق ثبوته ليكشف عن صدق أخبار الأنجيل أو كذبها، وسنرى نتيجة ذلك فيما يأتي:

(1) المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 123.

(2) ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ، تحقيق : محمد إبراهيم نصر أو عبد الرحمن عميرة ، ط 1 (الرياض : شركة مكتبات عكاظ ، 1402هـ - 1982م ، ج 2 ، ص 221.

- قارن هذا المبحث بالمنهج التاريخي النقدي لعبد الحكيم فرحات: منهج القاضي عبد الجبار في الرد على النصارى ص 108.

(3) سامي النشار : مناهج البحث عند مفكري الإسلام ، ص 349.



## 1- فحص الوثائق النصرانية:

يعتمد ابن تيمية في دراسته لوثائق النصارى على منهج النقد الموضوعي بعدا عن الذاتية وتجردا عن الحكم المسبق على دينهم، وينتخب لذلك كتب الأناجيل باعتبارها المصدر الأساس لعقيدة النصارى في التثليث والتجسد والصلب والفداء، فهو يرى أنها لا تثبت تاريخيا إلا إذا توفر فيها صحة التلقي عن المسيح وصدق ما نقلته النصارى، ويبحث في هذا الجانب على افتراض الموازنة بينها وبين طرق تلقي المسلمين للقران والسنة، فيوظف نفس المعايير التي إستفادها من علم الحديث، وتلمح ذلك في حديثه عن الخبر المتواتر وهو ما نقلته الجماعة عن الجماعة، ويثبت صدق خبرهم لعدم تواطئهم على الكذب<sup>(2)</sup>، وهو أعلى مراتب النقل، إذ شرط الرواية فيه، علم الراوي بما ينقله علما ضروريا واقعا عن مشاهدة أو سماع. ولا يشترط ابن تيمية في المتواتر عددا محصورا، بل المقصود عنده أن يفيد العلم، لتوقف ذلك على حال المخبرين به، فرب عدد قليل أفاد خبرهم العلم بما يوجب صدقهم، وأضعافهم لا يفيد خبرهم العلم، ولهذا كان الصحيح أن خبر الواحد قد يفيد العلم، إذا احتقت به قرائن تفيد العلم<sup>(2)</sup>. ولا خلاف بين أهل العلم في إفادة المتواتر العلم اليقيني لذلك اتفقوا على قبول حجبيته في العقائد والشرائع<sup>(3)</sup>.

وشرط التواتر لا يتوفر عليه نقل النصارى، وقد بين ابن تيمية هذا الحكم باستناده للقرائن التاريخية فهو يرى أن "هذه المقالات الأربعة التي يسمونها الأناجيل، وقد يسمون كل واحد منهم إنجيلا إنما كتبها هؤلاء بعد رفع المسيح، فلم يذكروا فيها أنها كلام الله ولا أن المسيح بلغها عن الله، بل نقلوا فيها أشياء من كلام المسيح وأشياء من أفعاله ومعجزاته"<sup>(4)</sup>. فهذا العدد من نسخ الأناجيل اعتبره ابن تيمية مظهرا من مظاهر التحريف في الوقت الذي نعلم فيه يقينا أن هناك إنجيلا واحدا قد نزل على المسيح عليه السلام، خاصة وأنه ثبت اختلاف هذه النسخ شكلا ومضمونا، كما أن محتواها لا يدل على أنها كلام الله، وهذا يؤكد نسبة هذا الدين إلى أفراد معينين ليس لهم أي صلة بالوحي، وإسناد أخبار عقيدة النصارى في التثليث والتجسد والصلب والفداء إلى المسيح إنما هو دعوى مجردة عن أي دليل، فهم قد "ذكروا أنهم لم ينقلوا كل ما سمعوه منه ورأوه فكانت من جنس ما يرويه أهل الحديث والسير والمغازي عن النبي -صلى الله عليه وسلم-، من أقواله وأفعاله التي ليست قرآنا"<sup>(5)</sup>.

(1) ابن تيمية : مجموع الفتاوى ، ج 18 ، ص 50.

(2) ابن تيمية : مجموع الفتاوى ، م 18 ص 40 ، وانظر كذلك كتابه : علم الحديث، تحقيق وتعليق موسى محمد عادل، ط 3 (الجزائر: دار الفكر 1413هـ-1993م) ص 115-116.

(3) عبد الرحمن بن عبد الجبار الفريواني : شيخ الإسلام ابن تيمية وجهوده في الحديث وعلومه ، ط 1 (الرياض : دار العاصمة 1416 هـ - 1996 م) ج 1 ، ص 302.

(4) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 2 ص 11.

(5) المصدر نفسه .

فابن تيمية يرفض التسوية بين الأناجيل والقرآن الكريم الذي نقل بالتواتر بما يؤكد أنه كلام الله فيقول : "والقرآن تلقته الأمة منه حفظا في حياته ، وحفظ القرآن جميعه في حياته ، غير واحد من أصحابه ، وما من الصحابة إلا من حفظ بعضه ، وكان يحفظ بعضهم ما لا يحفظه الآخر ، فهو جميعه منقول سماعا عنه بالنقل المتواتر، وهو يقول إنه مبلغ له عن الله ، وهو كلام الله لا كلامه"<sup>(1)</sup>.

وقد مكن هذا المنهج الموضوعي الذي توخاه ابن تيمية من وضع الأناجيل والقرآن تحت الدراسة المقارنة فرّق فيها بين تلقي المسلمين لأخبار دينهم عن نبيهم بطريق يقيني متواتر ، وبين خبر تلقي النصارى لدينهم الذي ينعدم فيه هذا الوصف ، " فإن النصارى لم يحفظوها كلها في قلوبهم تلقيا لها عن الحواريين حفظا منقولا بالتواتر ، بل لم يكن أحد منهم يحفظها كلها ، فضلا عن أن يحفظها كلها أهل التواتر، فضلا عن أن يحفظ كل لسان منها من تواتر بهم ذلك اللسان"<sup>(2)</sup>. فالأناجيل تخرج عن جنس الأخبار المتواترة.

ولهذا السبب يرى ابن تيمية أن الأناجيل تشبه كتب السيرة -كما رأينا في دراسة خبر التواتر- وهو بذلك يلمح لأخذها عن طريق خبر الآحاد، وخبر الآحاد ما يرويه واحد ، وفي اصطلاح المحدثين ما لم يصل إلى حد التواتر أو ما لم يتوفر فيه شروط التواتر<sup>(3)</sup>. وخبر الآحاد عند السلف -ومن بينهم ابن تيمية- حجة في التبليغ عقيدة وشريعة فإنه وإن كان في نفسه لا يفيد إلا الظن ، لكن لما اقترن به دلائل توجب العلم بذلك الخبر تلقاه أهل العلم بالتصديق. وأصبح في حكم القطعي عند الجمهور<sup>(4)</sup>. وبذلك فهو

ينقسم بهذا الاعتبار إلى مقبول وهو ما ترجح صدق ناقله ، وإلى مردود وهو الذي لم يترجح صدق المخبر به ، ولكي يفيد خبر الآحاد العلم قيّد بعدد من الشروط ، من بينها ، تلقي الأمة له بالقبول لأن ذلك يدل على صدقه لأنه إجماع منهم على أنه صدق مقبول ، وأن يكون خبر عدل معروف بالصدق والضبط والحفظ<sup>(5)</sup>.

ويوظف ابن تيمية هذا المنهج ليقدم في خبر الأناجيل وقبل ذلك يبرئ نسبتها للمسيح ، عليه السلام، فهو مبلغ له عن الله يجب فيه تصديق خبره لأنه نبي معصوم من الكذب فيما يخبر به<sup>(6)</sup>.

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج2 ، ص 11.

(2) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج2 ، ص 222.

(3) الفريواتي عبد الرحمن بن عبد الجبار : شيخ الإسلام ابن تيمية وجهوده في الحديث وعلومه ، ص 311.

(4) ابن تيمية : مجموع الفتاوى ، ج18 ، ص 40-41 ، وانظر كذلك ، ص 70.

(5) الفريواتي عبد الرحمن بن عبد الجبار : ابن تيمية وجهوده في الحديث وعلومه ، ص 304، وعن الدلائل الدالة على صدق

الخبر الواحد أنظر بالتفصيل : الجواب الصحيح ، ج1 ص 302-308.

(6) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج2 ص 12.

لكن ابن تيمية لا يستبعد وقوع الغلط في بعض ألفاظ تلك الكتب لذلك يضع لهذا النوع من الأخبار ضوابط قد تعارف المسلمون عليها وبها تصحح الأخبار وتقبل الرواية. فكتب السيرة والسنن لا تعد من وقوع الغلط في بعض ألفاظها ، فإن المحدث وإن كان عدلا فقد يغلط، لكن ما تلقاه المسلمون بالقبول والتصديق والعمل من الأخبار فهو مما يجزم جمهور المسلمين بصدقه عن نبيهم<sup>(1)</sup>.

وهذا في خبر الواحد الذي علم صدقه وضبطه ، وذلك بظهور دلائل وشواهد وقرائن تدل على صدق المخبر، والتي يجب معها الحكم بصدقه بأنه لم يكذب ولم يغلط<sup>(2)</sup>. " وإن كان خبره لو تجرد عن تلك الدلائل أمكن كذبه أو غلظه كما أن الخبر المجرد لا يجزم بكذبه إلا بدليل يدل على ذلك ، إما قيام دليل عقلي قاطع أو سمعي قاطع على أنه بخلاف خبره ، فيجزم ببطلان خبره ، وحينئذ فالمخبر إما كاذبا أو غالط قد يعلم أحدهما بدليل"<sup>(3)</sup>.

وقد أثبتنا في الفصلين الخاصين بالرد على عقيدة التثليث والمسيحولوجيا من الأدلة شواهد كثيرة في باب الأدلة العقلية والنقلية ما يجزم بمخالفة النصارى لخبر المسيح عليه السلام.

ويظهر من هذا العرض أن ابن تيمية يبين الطرق التي تلقى بها المسلمون أخبار دينهم عن نبيهم بما يعصمها من الكذب والخطأ ، كتصديق الأمة المعصومة ودلالة العادات وغيرها. "بخلاف أهل الكتاب فإنه لو عدمت نسخ الكتب لم يكن عندهم به نقل متواتر بألفاظها ، إذ لا يحفظها إلا قليل لا يوثق بحفظهم ، فلهذا كان أهل الكتاب بعد انقطاع النبوة عنهم يقع فيهم من تبديل الكتب ، إما تبديل بعض أحكامها ومعانيها ، وإما تبديل بعض ألفاظها ما لم يقوموا بتقويمه"<sup>(4)</sup>. وهذا إشارة منه لعدم تمييزهم بين الصدق والكذب في نقل الأخبار التي أسسوا عليها أصول عقائدهم وشرائعهم.

وللتحقق من ذلك يهتم ابن تيمية بدراسة أحوال رواة الأناجيل ، ويوظف في هذا الموضوع علم الجرح والتعديل "وهو العلم الذي يبحث في أحوال الرواة من حيث قبول رواياتهم أو ردها"<sup>(5)</sup> ، فالنظر إلى حال الناقلين والبحث عن نقتهم وحفظهم وضبطهم ، وما يعترى ذلك من وهم أو نسيان أو اختلاط وغيرها ، لغاية هي معرفة الصحيح من الزائف ، فيدرس المسألة من جانبين :

(1) المصدر نفسه، ج 2، ص 12.

(2) المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 12-13.

(3) المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 13.

(4) المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 13-14.

(5) محمد حجاج الخطيب : الوجيز في علوم الحديث، ط ( المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية 1989م) ص 233.

- هوية رواية الأناجيل .
- نوع رواية الأناجيل.

## أ- هوية رواية الأناجيل:

ينفي ابن تيمية على رواية الأناجيل العصمة لأنها تختص بالأنبياء وهذا تأسيسا على دعوى النصارى<sup>(1)</sup> فيهم ليثبت جواز الخطأ عليهم ، ويؤكد زيادة على ذلك أنهم ليسوا حوارى المسيح عليه السلام ، بل هم أشخاص آخريين حين يلح للفارق الزمني بين المسيح ورواية الأناجيل<sup>(2)</sup> ، وهذا إشارة منه إلى الجهل بمعرفة وصفهم ، ومجهول العين ترد روايته لأنه يجوز أن لا يكون عدلا ، فلا تقبل روايته حتى يتبين حاله وتعرف ثقته وأمانته<sup>(3)</sup> ، فيؤسس على ذلك القدر في عدالة رواية الأناجيل، فخير الأحاد يقع فيه الغلط والكذب وهم لم يعرف لهم صدق وضبط ، وهذا يقع معه الظن في عدالتهم<sup>(4)</sup>.

## ب- نوع رواية الأناجيل :

يدقق ابن تيمية في سماع رواية الأناجيل ، إذ شرط قبول الخبر أن نعلم أن راويه أداءه كما سمعه والإنجيل لم يكتبه المسيح عليه السلام ولا أملاه على من كتبه ، وإنما أملاه بعد رفع المسيح منى ويوحنا ، وكانا قد صحبا المسيح ، ومرقس ولوقا وهما لم يريا المسيح عليه السلام<sup>(5)</sup>. هذا يؤكد أن الأناجيل كتبت بعد وفاته، ولم تكتب سماعا عنه، ولا أملاها عليهم وهذا يعني أن تدوين النصارى لها كان بالإعتماد على ما حفظوه في ذاكرتهم<sup>(6)</sup> وهذا يوقعهم في الغلط والتبديل لطول العهد من رفع المسيح إلى وقت كتابته. "فهذه الأناجيل التي بأيدي النصارى من هذا الجنس فيها شيء كثير من أقوال المسيح وأفعاله ومعجزاته ، وفيها ما هو غلط عليه بلا شك ، والذي كتبها في الأول إذا لم يكن يتعمد الكذب ، فإن الواحد والإثنين والثلاثة والأربعة لا يمتنع وقوع الغلط والنسيان منهم.

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح، ج2، ص356-357.

(2) المصدر نفسه ، ج2 ص 14، وأنظر في ذلك. باجه جي زاده، الفارق بين المخلوق والخالق، ص 17. Baron gabrielle: introduction au style orale de l'evengile d'après les travaux de marcelle jausse (France: imprimerie des presses universitaire de France.1902) p.7

(3) انظر عتر نور الدين، منهج النقد في علوم الحديث، ط 3 ( دمشق، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، 1401هـ - 1981م)، ص 90، وانظر: عبد الحكيم فرحات: منهج القاضي عبد الجبار في الرد على النصارى، ص 111.

(4) ابن تيمية: الجواب الصحيح، ج 2، ص 356.

(5) المصدر نفسه، ج 2، ص 356.

(6) انظر عن تأكيد الباحث في تلقي المسيح لتعاليمه شفويا:

Baron gabrielle: introduction au style orale de l'evengile d'après les travaux de marcelle jausse. P7.

لا سيما ما سمعه الإنسان ورآه ، ثم حدث به بعد سنين كثيرة ، فإن الغلط في مثل هذا كثير ، ولم يكن هناك أمة معصومة يكون تلقيها لها بالقبول والتصديق موجبا للعلم بها ، لئلا تجتمع الأمة المعصومة على الخطأ والحواريون كلهم إثنا عشر رجلا<sup>(1)</sup>.

كما يوظف ابن تيمية قرائن أخرى يجوز معها الكذب والخطأ فقد "ذكر هؤلاء أنهم ذكروا بعض ما قاله المسيح ، وبعض أخباره ، ولم يستوعبوا ذكر أقواله وأفعاله"<sup>(2)</sup>. مما يثبت أن الرواية لم تتوفر فيهم اليقظة والفهم أثناء تحملهم للرواية، وهذا يخلّ بضبطهم.

ويختار لنا ابن تيمية من الشواهد ما يؤكد وقوع الخطأ في خبر الكتب الإنجيلية فيمثل لنا بقضية الصلب وما وقع فيها من اشتباه، "وقد قام الدليل على أن المصلوب لم يكن هو المسيح عليه السلام (بل شبه) ، وهم ظنوا أنه المسيح ، والحواريون لم ير أحد منهم المسيح مصلوبا ، بل أخبرهم به بعض من شهد ذلك من اليهود ، فبعض الناس يقولون إن أولئك تعمدوا الكذب ، وأكثر الناس يقول إنهم عليه... فإذا جاز أن يغلطوا في هذا، ولم يكونوا معصومين في نقله ، جاز أن يغلطوا في بعض ما ينقلونه عنه"<sup>(3)</sup>.

وإضافة إلى ذلك فقد كشف لنا منهج ابن تيمية حقائق موضوعية يتعين بها الوضع والكذب والخطأ في رواية كتب النصارى ، ومن أهمها عدم إنقاذ الرواية بالمسيح وعدم توفر الشروط التي يقبل بها خبر الأحاد وتفرّد متى عن الرواية بالنص الذي استدلوا به على التثليث<sup>(4)</sup>، هذا في السند ، أما في المتن فيمثل ذلك في اختلاف الأناجيل في الروايات ، وتناقضها ، واضطرابها<sup>(5)</sup>.

وغاية ما تحقّقه دراسة شيخنا لأخبار النصارى، أنه ليس معهم نقل متواتر عن المسيح بألفاظ هذه الأناجيل، ولا نقل متواتر ولا آحاد<sup>(6)</sup>.

وهذا قدح موجه للنصوص الكتابية باعتبارها المصدر الأساسي لعقائدهم وشرائعهم، وهذا يعني بالنسبة إليه بناء أصول دين النصارى وفروعه على الظن، ومثل هذه الأخبار لا تفيد علما يقينيا لأنه لا يحترز فيها من وقوع الغلط والكذب. ويؤسس ابن تيمية موقفه من نصوص النصارى من خلال طرق

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح، ج2، ص14.

(2) المصدر نفسه ، ج2، ص356.

(3) المصدر نفسه ، ج2 ص 14-15.

(4) المصدر نفسه ، ج3، ص166.

(5) انظر هذه المسألة في الفصل الخاص بدراسة مصادر النصارى، مبحث : نقد توثيق الكتب ص 145.

(6) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج1، ص360.

تلقي المسلمين لأخبار دينهم، موظفاً منهج المقارنة فيقول: "لا يوجد فيهم [النصارى] الإسناد الذي للمسلمين، ولا لهم كلام في نقلة العلم وتعديلهم وجرحهم، ومعرفة أحوال نقلة العلم ما للمسلمين ولا قام دليل سمعي ولا عقلي على أنهم لا يجتمعون على خطأ، بل قد علم أنهم اجتمعوا على الخطأ لما كذبوا المسيح ثم كذبوا محمداً صلى الله عليه وسلم - فإذا كانت الكتب المنقولة عن الأنبياء من جنس الكتب عن محمد، ولم تكن متواترة عنهم، ولم يكن تصديق غير المعصوم حجة، لم يكن عندهم من العلم بالتمييز بين الصدق والكذب ما عند المسلمين<sup>(1)</sup>، فلو كانت النصارى تعلم هذا الطريق لما أمكنهم تكذيب رسالة محمد صلى الله عليه وسلم - وأمكنا ذلك معرفة وقوع التبديل والتحريف في دينهم. وعلى هذا الأساس يمكن القول أن ابن تيمية يكشف في دراسته للنصرانية عن دقة تطبيقاته للمنهج التاريخي النقدي لمعرفة النصوص الصحيحة من المكذوبة وإدراج نوع رواية الأناجيل، وقد استفاد ذلك عن طريق توظيفه لقواعد مصطلح الحديث.

ويبدو أن علماء المسلمين هم أول من ارتاد هذا المنهج في نقد النصوص وقد وضعوا له أصوله وعناصره، وذلك منذ القرن الثالث الهجري<sup>(2)</sup>. وقد استفاد علماء اللاهوت المسيحيين المعاصرين من هذا المنهج في دراسة ما بين أيديهم من نصوص العهد القديم<sup>(3)</sup> والعهد الجديد<sup>(4)</sup> معتمدين في هذه البحوث على دراسة السند والمتن، وقد توصلوا عن طريق ذلك إلى نفس النتائج التي أثبتتها الفكر الإسلامي منذ القرون الهجرية الأولى والتي تثبت التحريف والتبديل في النصوص الكتابية .

## 2. دراسة الأحداث التاريخية:

إن أهم ما يميز دراسات علماء مناهج البحث التاريخي اعتمادهم على تناول الحوادث والوقائع، مع الإختلاف في طرق التحليل والتركيب. وذلك حسب القضايا المدروسة وما تقتضيه من اختيار منهج محدد، وقد رأينا فيما سبق المنهج التاريخي النقدي الذي وظفه ابن تيمية في فحص وثائق النصارى للكشف عن درجة موثوقيتها، فإذا كان الأمر يتعلق بالبحث في عقيدة النصارى وأصولها التاريخية، ارتبط ذلك بإبراز مدى أصالة هذه الأفكار وحدثاتها للكشف عن كيفية تكونها، وهو ما يطلق

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج2، ص14.

(2) أنظر على سبيل المثال الجاحظ : المختار في الرد على النصارى ، تحقيق : محمد عبد الله الشرفاوي ، ط1 (القاهرة : دار الصحو للنشر والتوزيع 1405هـ - 1984م) ص 36 وما بعدها.

(3) سبينوزا : رسالة في السياسة واللاهوت، أنظر بالخصوص ، ص44.

(4) أنظر بوكاي موريس : القرآن والتوراة والإنجيل والعلم (دار المعارف ، القاهرة 1982).

عليه علماء البحث التاريخي المنهج التكويني<sup>(1)</sup> والإستودادي لأنه يعتمد على استرداد الماضي وتبث الوقائع والأحداث، وتكوينها وتوثيقها دون أي تدخل من الباحث في مجريات تلك الوقائع والأحداث<sup>(2)</sup>.

ونظرا لأهمية التاريخ في تطور الدين المسيحي وإخراجه على صيغته النهائية يعمد ابن تيمية إلى ثبت الوقائع و الأحداث التي كانت عاملا لتكوين عقائد النصارى ، فاهتمامه بالمجامع ، وعرض تطور نص الأمانة ، وظهور قرار التجسد الإلهي في عيسى<sup>(3)</sup> ، كل ذلك كان من النقاط الجوهرية التي أثرت في وجهة النظر المسيحية الخاصة بعقيدة التثليث والتجسد والصلب والفداء ، وكان ذلك نتاج سلسلة لحوادث تاريخية إرتكزت حلقاتها على حادث مركزي ومهم يتمثل في ظهور التجسيد البشري للوجود الإلهي على طريقة الحلول .

وبهذا يدخل الإله في التاريخ ، فكان سرد الوقائع مع تحري الموضوعية والحيدة كفيل بكشف خطأ هذه الفكرة<sup>(4)</sup>. وقد وجد ابن تيمية أكثر من مبرر تاريخي للطعن في الدين المسيحي ، ويمكن أن نسجل ذلك في النقاط التالية :

1- السير التاريخي لتدرج الديانة المسيحية من فترة معينة إلى فترة أخرى حيث تم صياغة العقيدة النصرانية وذلك عبر المجامع التي أثبتت ألوهية المسيح وأن له طبيعتين لاهوتية وناسوتية ثم ألوهية روح القدس وقد تم بذلك التأكيد على عقيدة التثليث حيث أثبتوا أن الأب وحده والابن وروح القدس ثلاثة أقانيم ذو ثلاثة وجوه وثلاث خواص في وحدانية واحدة<sup>(5)</sup>. ثم درست بعدها عقيدة الصلب والفداء لتصبح عنصرا مضافا لأصول دين النصارى .

2- أن عناصر هذا الدين تنسب إلى أفراد معينين ليس لهم أي صلة بالوحي، ويكشف لنا ابن تيمية ذلك من خلال عرضه لطريقة صياغة نص الأمانة، فيذكر أن هذه الوثيقة التي جعلوها أصل دينهم وأساس اعتقادهم ليست منقولة عن المسيح، وليست ألفاظها موجودة في الأناجيل، ولا هي مأثورة عن

(1) انظر : Madeline Grawits :méthodes des sciences sociales , 5e ed (France: balloz, 1981)p 438-439.

(2)الشاعر أحمد:نحو منهج متكامل في البحث الفلسفي (حولية لكلية الشريعة ، جامعة قطر، ط جامعة قطر 1984م) م 3 ، ص 107-108، نقلًا عن السايح أحمد عبد الرحيم :بحوث في مقارنة الأديان الهامش، ط1، (قطر : دار الثقافة 1411هـ/1991م) ص70. وانظر النشار سامي: مناهج البحث عند مفكري الإسلام ، ص 348.

(3) ابن تيمية: الجواب الصحيح، ج 3، ص 32 – 37.

(4) وهذا يبرر اهتمام ابن تيمية بتاريخ دين النصارى وذكر مذاهب فرقهم واختلافهم، معتمدا في ذلك على نقل أقوال سعيد بن البطريق النصراني الملكي المذهب، وذلك من كتابه نظم الجواهر حيث خصص ابن تيمية عددا كبيرا من صفحات كتابه" الجواب الصحيح" لهذا الغرض.

(5) ابن تيمية : الجواب الصحيح، ج 3، ص 323.

الحواريين وهم متفقون على أن الذين وضعوها أهل المجمع الأول الذين كانوا عند قسطنطين ، وهذا المجمع كان بعد المسيح بـمدة طويلة تزيد على ثلاثمائة سنة<sup>(1)</sup>.

3- كما حلل ابن تيمية مسألة التأثير وبين تداخل العوامل وعلاقات التطور بين الدين والحضارة ، ويظهر ذلك جلياً عند حديثه عن تأثير المجمع الروماني في الديانة النصرانية ، والدور الذي لعبته الفلسفة اليونانية في تكوين عقائد النصارى<sup>(2)</sup>.

وقد ساعد هذا البحث التاريخي -الذي وظفه ابن تيمية في منهجه- على تحديد المصادر الحقيقية لكثير من الأفكار والمعتقدات التي تضمنتها هذه الديانة ، كما بين الظروف الخاصة التي جعلت ظاهرة دينية معينة أمراً مقبولاً بالنسبة لمعتقبيها ، وهذا يؤكد أن دين النصارى هو ظاهرة اجتماعية من صنع أتباعه ولا صلة له بالحقيقة الموضوعية المرتبطة بالوحي.

### ثالثاً - الإستدلال بالمقارنة:

وهو المنهج الذي يميز دراسة الأديان ، ويقوم على استخلاص أوجه الإتفاق والإختلاف ، ونلمس هذا المنهج في تطبيقات ابن تيمية عند دراسته للنصرانية ، فهو يقارن بين الإسلام والمسيحية لإيضاح أسباب التحريف والتبديل ، وحقيقة التطور الذي مرت به الديانة النصرانية. ونرى ذلك جلياً عند تصنيفه لنوع رواية نصوص كتبهم إذ يخضعها لدراسة مقارنة مع نصوص المسلمين ، ليثبت صدق ما تلقاه المسلمون عن نبيهم -صلى الله عليه وسلم- من أصول وفروع ، وذلك بطريق التواتر الذي حفظ الإسلام من التحريف ، على خلاف تلقي النصارى لدينهم ، فهذا الطريق لا يتوفر لهم<sup>(3)</sup> ، مما يبرر لنا رفض ابن تيمية لقياس كتبهم بالقرآن<sup>(4)</sup>.

كما يقارن بين الدينين ليثبت المفارقة بين الإسلام والمسيحية فيثبت ذلك في عدة نقاط منها :

- اختصاص النصارى بالتثليث والإتحاد الذي لم يشركهم فيه المسلمون .
- اعتقادهم معنى باطلاً يخالف مدلول النصوص.
- أنهم عمدوا على ألفاظ متشابهة وتركوا النصوص المحكمة الدالة على بطلان عقيدتهم.
- أن المسلمين لم يضعوا لهم شريعة اعتقاد غير ما جاءت به الرسل.
- أن المسلمين لم يتناقضوا كتناقض النصارى<sup>(5)</sup>.

(1) المصدر نفسه، ج 1، ص 115 و ص 360.

(2) المصدر نفسه، ج 1، ص 116.

(3) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج3، ص239-240.

(4) المصدر نفسه : ج2، ص 5.

(5) المصدر نفسه : ج3، ص 160-161.



فالمنهج المقارن قد أسفرت نتائجه عن اختلاف جوهري بين الدينين وهذا يحيل على النصارى دعوى التوحيد ، وهذه الفروق مما يبين فساد تشبيههم أنفسهم بالمسلمين .

والجدير بالذكر أن المنهج المقارن عند ابن تيمية لا يعني بالضرورة إستخلاص أوجه الإختلاف والاتفاق على وجه التحديد ، بقدر ما هو إهتمام بأوجه التأثير والتأثير ، فهي الغاية من دراسة الأديان والمقارنة بينها .

فحين يعرض مصادر الدين النصراني ويحللها يكشف عن عناصر التأثير التي كانت سببا في تحريف دينهم فيؤكد على أخذ النصارى عن الروم وفلاسفة اليونان<sup>(1)</sup> .

كما يهتم في هذا المنهج بالدراسات النقدية الدقيقة، فيعمد إلى تحليل بعض المذاهب والأفكار التي ظهرت في المجتمع الإسلامي وهي غريبة عنه فتناولها بالبحث والتحليل ليكشف في آخر الأمر عن نسبتها للنصارى ويجعل من ذلك هدفا للإهتمام بهذا الدين، فهو يرى أنه "بمعرفة حقيقة دين النصارى وبطلانه يعرف بطلان ما يشبه أقوالهم من أقوال أهل الإلحاد والبدع"<sup>(2)</sup> .

ومن ذلك القول بوحدة الوجود ، والخلول والإتحاد ، وهي من دعوة الغلاة المنتسبين للتشيع والتصوف ، كالنصيرية ونحوهم ممن يدعي إلهية علي ، وكدعوى بعض الإسماعيلية الإلهية في الحاكم وغيره . ودعوى كثير من الناس نحو ذلك في بعض الشيوخ فإن لهم أقوال من جنس أقوال النصارى<sup>(3)</sup> . وهو بذلك يحذر من خطر النصارى على الفكر الإسلامي . فيذكر عن مذهب الغلاة ممن يظاهي قولهم قول النصارى في المسيح فيدعون في محمد -صلى الله عليه وسلم- شيئا من اللاهوت مضاهاة لهم وهم يستندون في ذلك إلى أحاديث مكذوبة ومن ذلك قوله : "من قال إني كلي بشر فقد كفر ، ومن قال لست ببشر فقد كفر"<sup>(4)</sup> . ويحتجون بقوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ ﴾<sup>(5)</sup> . وهذا غير صحيح لأنه ثبت عنه -صلى الله عليه وسلم- قوله : " لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 1 ص 116 .

(2) المصدر نفسه ، ج 1 ، ص 19 .

(3) المصدر نفسه ، ج 2 ص 359 و ص 252-253 ، ج 2 ، ص 92 .

(4) لم نعثر على هذا الحديث في كتب السنة، وبخاصة كتب الموضوعات، ويظهر من متن الحديث أنه موضوع لتناقضه مع نفسه وتناقضه مع ما جاء عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كالحديث الذي أورده في هذه الصفحة .

(5) سورة الأحزاب: آية 40 .

مريم فإنما أنا عبد الله ورسوله<sup>(1)</sup> وقد قال تعالى: ﴿ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا مَّرْسُولًا ﴾<sup>(2)</sup>. كما يثير دعوى بعض الغلاة القائلين، إن الرب يحل في الصالحين ، وكما أن روح الإنسان هي صفة لله، فيجعلونه نصفًا لاهوتا والنصف الآخر ناسوتا ومن جنس هؤلاء ما يحكى عن الحلاج أنه أنشد:

سبحان من أظهر ناسوته      سر سنا لاهوته الثاقب  
ثم بدا في خلقه ظاهرا      في صورة الأكل والشارب  
حتى لقد عاينه خلقه      كلحظة الحاجب للحاجب<sup>(3)</sup>

كما ناقش طائفة من المنتسبين للمسلمين في قولهم أن القرآن كلام الله القديم قد حل في القراء أو اتحد بهم ، فأبطل هذه الدعوى واعتبرها من جنس قول النصارى باتحاد الكلمة القديمة بالمسيح<sup>(4)</sup>. وعند تعرض ابن تيمية لمسألة الخطيئة الأولى يستنكر على النصارى القول بأن إبليس له أن يغوي بني آدم بتزيينه لهم ، ثم أن يعاقبهم جميعا بغير إذن من الله له في ذلك . ويبدو أن المقارنة التي نهجها ابن تيمية في هذا البحث قد كشفت عن نسبة هذا المعتقد لمذهب المجوس الثنوية الذين يقولون "إن كل ما في العالم من الشر والذنوب والعقاب وغير ذلك هو من فعل إبليس ، لم يفعل الله شيئا من ذلك، ولا عاقب الله أحدا على ذنب"<sup>(5)</sup> ويؤكد ابن تيمية على هذه الحقيقة بالرجوع إلى الاستدلال بنصوص النصارى قائلا: "ولا ريب أن هذا القول سرى إلى النصارى من المجوس ، ولهذا لا ينقلون هذا القول في كتاب منزل ولا عن أحد من الحواريين ، ولهذا كان المانوية دينهم مركبا من دين النصارى والمجوس ، وكان رأسهم ماني<sup>(6)</sup> نصرانيا مجوسيا ، فالنسب بين النصارى والمجوس، بل وسائر

(1) سبق تخريج هذا الحديث.

(2) سورة الإسراء : آية 93.

(3) ابن تيمية: الجواب الصحيح، ج2، ص 202.

(4) المصدر نفسه، ج1، ص 251.

(5) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 1 ، ص 218.

(6) - ماني : هو ماني بن فتك بابك ابن أبي برزاه من الحسكانية ، واسم أمه ميس ، ويقال : أوتاخيم أو مرميرين ، ونشأ فاتك في أذربجان ثم انتقل إلى بابل ، وكان على عبادة الأصنام ولكنه غير دينه لما سمع هاتفا يناديه : يا فاتك لا تأكل لحما ولا تشرب خمرا ، ولا تتكح بشرا ، فعاش مع المغتسله الذين كانوا على هذه المبادئ ، وكانت امرأته في ذلك حاملا في (ماني) وكانت تقول أنها ترى له منامات حسنة وكان ماني يتكلم على صغر سنه بالحكمة ، وزعم أن الوحي أتاه على لسان ملك إسمه التوم (القرين) ، وذلك في سن الثانية عشر ، فلما تم له أربع وعشرين عاما أمره بإظهار مذهبه ، فكان يقول بأن مبدأ العالم كونين أحدهما نور ، والآخر ظلمة ، وزعم أنه الفارقليط الذين بشر به عيسى -عليه السلام- واستخرج مذهب من المجوسية والنصرانية.

أنظر : ابن النديم ، الفهرست ، ص 398 وما بعدها ، وابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل (الهامش) ، ج2 ص 207 . والشهرستاني : الملل والنحل ، ج2 ص 81.

المشركين نسب معروف<sup>(1)</sup>، فابن تيمية يوظف النصوص وتاريخ الفرق والمذاهب كأدوات إستدلالية يستعين بها في دراسته المقارنة.

وقد ناقش ابن تيمية هذه المسائل مناقشة مفصلة بين من خلالها بطلان هذه الأفكار وانتسابها لدين النصارى المحرف ونحن نكتفي بالإشارة لهذه الدراسة لبيان أهمية المنهج المقارن في دراسة الأديان وفي مجال الرد على النصارى على وجه الخصوص.

#### رابعاً - الإستدلال باللغة :

يكشف ابن تيمية في كتابه "الجواب الصحيح" عن جانب آخر وظفه في عملية الرد على النصارى، ويتمثل ذلك في اهتمامه باللغة ومباحثها التي يستعملها كأدوات إستدلالية مساعدة في بيان الشبهة التي وقع بها التحريف في نصوص النصارى وسنختار في هذا الموضوع أهم القضايا التي أثارها في هذا الموضوع ومن ذلك الإشتراك .

فأشار أن لفظ الأب والإبن وروح القدس قد فسرتها النصارى على غير مدلولها فخالفوا في ذلك الشرع والعقل فلفظ الإبن أطلقت على المسيح للدلالة على ألوهيته ولما كان عندهم في الكتب تسمية المسيح إينا وتسمية غيره من الأنبياء إينا أوجب ذلك الإشتراك في اللفظ وقالوا : هو إينه بالطبع وغيره إينه بالوضع فجعلوا لفظ الأب مشتركاً بين معنيين وأنبتوا لله طبعاً ، فجعلوا المسيح إينه باعتبار ذلك الطبع وهذا يقرره قول من يفهم منهم أنه إينه البنوة المعروفة في المخلوقين وأنّ مريم زوجة الله ، وكذلك جعلوا روح القدس مشتركاً بين حياة الله وبين روح القدس التي تنزل على الأنبياء والصالحين<sup>(2)</sup>.

فيبطل ابن تيمية دعوى النصارى في ألوهية المسيح باعتبار بنوته بالطبع مستدلاً بتحليل لغويّ دقيق في بيان الإشتراك فيقول: "ومعلوم أن الإشتراك على خلاف الأصل، وأنّ اللفظ إذا استعمل في عدة مواضع كان جعله حقيقة متواطئاً في القدر المشترك أولى من جعله مشتركاً إشتراكاً لفظياً بحيث يكون حقيقة في خصوص هذا وخصوص هذا، أو يكون مجازاً في إحدهما فإنّ المجاز والإشتراك على خلاف الأصل"<sup>(3)</sup> ليؤكد أن الإشتراك في اللفظ تترتب عنه لوازم كلامية فاسدة. فإثبات النصارى ألوهية المسيح باعتبار بنوته بالله، توجب إثبات الألوهية لغيره من الأنبياء والصالحين لإشتراك المسيح وغيره في لفظ البنوة.

(1) ابن تيمية: الجواب الصحيح، ج 1، ص 218.

(2) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 2 ، ص 99.

(3) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 2 ص 100.

كما يلزم من هذا الإشتراك دلالة بنوة المسيح ابنوة المعروفة في المخنوقات وإثبات أن مريم زوجة الله. وهذا التحليل اللغوي يؤكد أن لفظ الإبن أطلقت على المسيح وعلى غيره من باب الإستعارة والشرف<sup>(1)</sup> وكذلك الحال بالنسبة للفظ روح القدس، ولم يدل ذلك على شيء من صفات الله ولا كلامه ولا حياته ولا علمه ولا غير ذلك. بل يذهب ابن تيمية إلى أبعد حد في نقده اللغوي ليؤسس أحكامه على نتائج في غاية الدقة ويعطي وجها تفسيريا موافقا للغة النصارى ونصوص أنبيائهم فيقول: "ونحن إذا فسّرنا الأب وروح القدس ببنوة التربية روح القدس بما ينزل على الأنبياء كنا قد جعلنا اللفظ مفردا متواطئا وهم يحتاجون أن يجعلوا اللفظ مشتركا ومجازا في أحد المعنيين فكان تفسيرهم مخالفا لظاهر اللغة التي خوطبوا بها ولظاهر الكتب التي بأيديهم وتفسيرنا موافقا لظاهر لغتهم وظاهر كتبهم التي بأيديهم"<sup>(2)</sup> وهذا الإستدلال اللغوي يبين أن النصارى تعدم عندهم الأدلة النقدية التي يستدلون بها على التثليث فضلا عن الأدلة العقلية .

ونراه في موضع آخر يدقق في هذه المسألة ويبحث في جزئياتها حين يبطل نص "متى" الذي يعتبر عمدة النصارى في إثبات التثليث والأقانيم. فيؤكد أن لفظ الإبن لم يستعمل قط في الكتب الإلهية في معنى صفة من صفات الله ، ولم يسم أحد من الأنبياء علم الله إبنه ولا سموا كلامه إبنه ولكن عندهم أنهم سموا عبده أو عباده إبنه أو بنيه، وإذا كان كذلك فدعوى النصارى أن المسيح أراد بالعلم إبن الله وكلامه دعوى في غاية الكذب على المسيح.<sup>(3)</sup> "وهو حمل اللفظ على ما لم يستعمله هو ولا غيره فيه لا حقيقة ولا مجازا فأبى كذب وتحريف لكلام الأنبياء أعظم من هذا، ولو كان لفظ الإبن يستعمل في صفة الله لسميت حياته إينا وقدرته إينا، فتخصيص العلم بلفظ الإبن دون الحياة خطأ ثاني لو كان لفظ الإبن يستعمل في صفة الله، فكيف إذا لم يكن كذلك"<sup>(4)</sup>، ومن خلال هذا النص تطالعنا طريقة ابن تيمية للإستخدام المنظم للغة وعنايته بالبحوث الدلالية، كما يستعرض ابن تيمية مبادئ لغوية تناول فيها دراسة جزئيات الألفاظ المستعملة عند النصارى لبيان دلالتها، فيقسم اللفظ إلى عام وخاص ومشارك ومرادف وغيرها فيوظف من هذه الأساليب عند تأكيده على رسالة محمد - صلى الله عليه وسلم - للنصارى، فيذكر أن تخصيص رسالته إلى العرب لا ينافي ما فيه من دعوة غير العرب "فإن تخصيص بعض العام

(1) هذا ما ذهب إليه جون هاك إذ علق قائلا أن الإطلاق -أي لفظ البنوة- ليس حرفيا بل هو من باب الإستعارة والشرف . أنظر

في ذلك : أسطورة تجسد الإله في السيد المسيح ، ص 268-269.

(2) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج2 ، ص 100.

(3) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج2 ص 131.

(4) المصدر نفسه ، ج2 ص 132.

بالذكر إذا كان له سبب يقتضي التخصيص لم يدل على ما سوى المذكور مخالفة، وهذا الذي يسمى مفهوم المخالفة ودليل الخطاب".<sup>(1)</sup>

وهذا الإستدلال اللغوي وظّفه ابن تيمية لردّ زعم النصارى أنّ محمد -صلى الله عليه وسلم- بعث للعرب لا لغيرهم من النصارى ليؤكد أنه رسول إلى كافة الناس عرب و نصارى وغيرهم . كما طبق مبدأ الترادف في بيان معنى الألفاظ ، ونرى ذلك في تفريقه بين ما يجب إثباته لله واختصاصه به من صفات وأسماء لا يجب أن يشركه فيها العبد المخلوق ، وذلك عند تعرّضه لشرح لفظ "الشبه" الذي ورد في النص الكتابي التالي : [ سنخلق بشرا على صورتنا شبهنا ]<sup>(2)</sup> فلفظ الشبه لا يقتضي التماثل الذي يوجب أن يشترك فيما يجب ويجوز ويمتنع<sup>(3)</sup> . ويسند ابن تيمية هذه المسألة للغة ليؤكد على أن لفظه "الشبه" و "المثل" ليسنا مترادفتان<sup>(4)</sup> وذلك في معرض إبطال القول بالتثليث. كما تعرّض ابن تيمية لهذا الموضوع عند شرحه لمعنى "الإنبثاق" الذي ورد في نص أمانتهم والذي عبّروا به عن انبثاق روح القدس من الأب ، فألزمهم القول بالتعدّد لأن لفظ "الإنبثاق" يقتضي وجود إله ثالث<sup>(5)</sup>.

تلك بعض الشواهد اللغوية التي أثارها ابن تيمية للتمثيل فحسب فكانت من أحسن الأدوات المستعان بها في بيان خطأ النصارى في فهم نصوص الأنبياء. ويبقى حجم الإستدلال عند ابن تيمية لا يقف عند حدّ هذه الأدلة والنماذج فهناك أدوات لغوية أخرى إما نحوية أو بلاغية أو صرفية نجدها مبنوثة في كتاب الجواب الصحيح وقد تعرّضنا لبعض الشواهد عند مناقشتنا للأدلة النقلية<sup>(6)</sup>. فكان ذلك جانبا لغويا إستدلاليا على تأكيد وقوع التبدل والتحريف وهذا يكشف لنا عن استخدام ابن تيمية للمنهج اللغوي في عملية الردّ على النصارى ، وأنّ اللّغة لم تكن بمعزل عن الجدل الكلامي .

(1) المصدر نفسه ، ج 1 ص 133.

(2) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 2 ص 232-233 ، و النص من سفر التكوين، الإصحاح 1/28 بلفظ [ فخلق الله الإنسان كصورة الله خلقه ذكرا وأنثى خلقهما] المعهد القديم (نسخة واطس)ص2، وانظر المعهد القديم،(نسخة جمعيات الكتاب المقدس) ص4.

(3) المصدر نفسه، ج2، ص 232-233.

(4) المصدر نفسه، ج2 ص 232-233.

(5) المصدر نفسه ، ج 2 ص 119.

(6) أنظر مبحثي الأدلة النقدية في مناقشة عقيدتي التثليث والتجسد.

فالإشتغال باللغة وتداخل مباحثها بالإلهيات<sup>(1)</sup> ، كان من أجل الضرورة التبليغية التي افضت إليها المواقف الكلامية والتي كانت تؤسس على مقولات فلسفية قد اختلف الطرفان في استيعاب مضامينها وقد أسهم ذلك في تهذيب المصطلحات الفلسفية الخاصة بالإلهيات النصرانية ، وتصحيح عبارتها عن طريق الدلالات اللغوية<sup>(2)</sup>. وسنرى ذلك عند مناقشة ابن تيمية لبعض الألفاظ التي تطلق على الله كلفظ الجوهر والأقانيم وغيرها . .

ويبدو من هذه الدراسة لمنهج ابن تيمية المستخدمة أن شيخنا قد جمع بين الطريقة الجدلية الكلامية وبين الدراسات المنهجية الأخرى كالمنهج التاريخي ، والمنهج المقارن ، والمنهج اللغوي ، وهذا التنوع في المنهج قد أفرز رداً مكتمل الجوانب ومتنوعاً في نتائجه واستدلالاته ، مما أكسب الرد قوة في معالجة الأفكار وسوق الأدلة.

(1) عن تداخل اللغويات بمباحث الإلهيات في علم الكلام ، أنظر طه عبد الرحمن : تجديد المنهج في تقويم التراث ، ص 145.

(2) وأنظر عن اختلاف النصارى والمجادلين المسلمين في استخدام لفظ الأقانيم، فبعض البعض منهم على أنها صفات والبعض الآخر على أنها مظاهر بسيطة للتعبير عن الذات، انظر :

Masson, D: Monothéisme coranique et Monothéisme biblique, p-97.

## **الفصل الثالث**

**منهج ابن تيمية في الرد**

**على مصادر الدين النصراني**

جامعة الأمير  
عبد القادر للعلوم الإسلامية

إن الطرح المنهجي لمسألة البحث في المصادر الحقيقية لدين النصارى يكشف في تحليلات ابن تيمية النقدية عن أخذ النصارى عن الديانات الوثنية السابقة لها ، وتأثرها في صياغتها للنظرية التألوثية بالفلسفة اليونانية الشائعة في الوسط الروماني الذي نشأت فيه .

وإبن تيمية في دراسته لهذا الموضوع قد سبق كثيرا من الباحثين المعاصرين في الكشف عن عناصر دين النصارى ، وأكد أن تعاليمه دخيلة على دعوة عيسى -عليه السلام- الذي ما جاء إلا بالتوحيد. (1)

وهو يرى أن الكتب المقدسة التي تتخذها النصارى كمصدر لعقائدهم ليس فيها ما هو حجة على دعواهم إلا ما تأولوه من النصوص . وهو في دراسته للمسألة يكشف عن العناصر الحقيقية التي استقى منها النصارى أصول دينهم من ديانات وثنية قديمة ، وفلسفة إغريقية هلينية ، وفكر بابوي ، وسلطة الكنيسة ، وقرارات المجامع. (2) وكان ذلك من الأسباب التي ساعدت على تطور الإلهيات النصرانية من التوحيد إلى التعدد والتثليث . وفي ذلك يقول فرنسيس يونغ : "... وكما كان الحال في كتابات العهد الجديد فإن نمو وتطور العقيدة في بداية حياة الكنيسة كان مشروطا بالثقافة ومحددا بمسيرة التناقضات والمناظرات عدا العوامل الأخرى كالسياسة والشخصيات المختلفة وفرص التاريخ". (3) وقد تطلب دراسة هذا الموضوع تقسيم الفصل إلى المباحث الآتية :

المبحث الأول : عرض لمصادر الدين النصراني .

المبحث الثاني : رده على مصادر الدين النصراني .

## المبحث الأول: عرض لمصادر الدين النصراني.

### المطلب الأول: الكتب المقدسة:

يرى ابن تيمية في عرضه للكتب المقدسة أن التوراة هي من جنس الكتب التي عند اليهود لا يخصّ بذلك كتاب -موسى عليه السلام- كما أن الإنجيل ليس كتاب عيسى بل " يراد بالتوراة جنس الكتب التي عند أهل الكتاب [فيشمل] ذلك كتاب موسى وزبور داود ، وصحف سائر الأنبياء سوى

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 1 ، ص 115

(2) أنظر عن هذه المصادر : Gardet et Anawiti : Introduction à la théologie musulmane p 3.

حيث رتب الأب غارديال -ضمن جدول قسم فيه- مصادر الدين النصراني إلى قسمين : - مصادر حقيقية ، - مصادر ملحفة.

نقلا عن عبد الحكيم فرحات: منهج القاضي عبد الجبار في الرد على النصارى، ص 119-120.

(3) صبحي نبيل أسطورة تجسد الإله في السيد المسيح لمجموعة باحثين غربيين ، تحرير : جون هك ، ترجمة نبيل صبحي ، ص 1

دار انقلم للطباعة والنشر والتوزيع ، 1405 هـ - 1985 م) ، ص 55.



الإنجيل فإنه ليس عند أهل الكتاب، وإنما هو عند النصارى خاصة، وأما سائر كتب الأنبياء فالأمتان يقرآن بها. ويؤيد ذلك أن الله كثيرا ما يقرن في القرآن بين التوراة والإنجيل".<sup>(1)</sup> وذلك كقوله: ﴿ألم الله لا إله إلا هو الحي القيوم، نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل، من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان﴾.<sup>(2)</sup> وكما قال في بيان ذكر البشارة بمحمد -صلى الله عليه وسلم- في تلك الكتب: (يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ)<sup>(3)</sup> يعني بذلك الكتب التي بأيديهم، وإقامة الحجّة عليهم بذكره فيها، ولم يخص الاستدلال بكتاب موسى -عليه السلام- ويؤيد هذا ذكر كتاب موسى بإضافته إليه، لا بلفظ التوراة في كثير من المواضع<sup>(4)</sup> كقوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَإِنَّ لَهُ مَوْعِدَهُ﴾<sup>(5)</sup> وغيرها من الآيات.<sup>(6)</sup>

وما نلاحظه هو أن ابن تيمية يمهد لهذا الموضوع بشرح العلاقة بين الأناجيل والتوراة ويبيّن موقف الطرفين من الكتب، فاليهود يؤمنون بأن العهد القديم أو التوراة وحدها هي كلام الله، ولا يعترفون بالعهد الجديد أما المسيحيون فيعتبرون العهد القديم كتاب الشريعة والعهد الجديد عهد الفضل والكفارة.<sup>(7)</sup>

وعليه فالكتب المقدسة<sup>(8)</sup> بالنسبة للنصارى هي المصدر الأساس لدينها، وقد تعارفوا على هذه التسمية في مطلع القرن الرابع الميلادي حيث يضعون الأناجيل مع التوراة وأسفار الأنبياء في مجلد

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 3 ، ص 319-320.

(2) سورة آل عمران : آية 1-4.

(3) سورة الأعراف : آية 157.

(4) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 3 ، ص 320-321.

(5) سورة هود : آية 17.

(6) أنظر ابن تيمية : الجواب الصحيح، ج 3 ، ص 321.

(7) أنظر حلمي مصطفى : معالم المنهج في دراسة الأديان ، د. ط (دار الدعوة) ، ص 189.

(8) تضم الكتب المقدسة العهد القديم والعهد الجديد ، وكلمة "العهد" في هاتين التسميتين يراد بها معنى الميثاق ، أي أن كلتا المجموعتين تمثل ميثاقا أخذه الله على الناس ، أنظر علي عبد الواحد وافي: الأسفار المقدسة (الهامش) د. ط (القاهرة : دار نهضة مصر) ، ص 61.

ولمعرفة أقسام العهدين أنظر نفس المرجع ص 23 وما بعدها ، وانظر كذلك : الأب ميشال توماس اليسوعي : مدخل إلى تعقيد المسيحية ، ترجمة : الأب كميل حشيمة اليسوعي ، د. ط (بيروت : دار المشرق) ، ص 22-48.

واحد.<sup>(1)</sup> لهذا يقرن ابن تيمية -في نقده لمصادر النصارى- التوراة بالإنجيل في كثير من المواضع. وإذا كان ابن تيمية في رده على النصارى يستشهد بنصوص التوراة وصحف الأنبياء، والإنجيل والأبركسيس<sup>(2)</sup>، فإنه في نقده للكتب المقدسة يركّز على الإنجيل مقارنة مع غيره لكونه المصدر الأول لدين النصارى، فهو في نظرهم "النص المقدس أو الوثيقة الدينية التي كتبها أصحابها بإلهام روعي إلهي في نظر الكنيسة وكثير من رعاياها".<sup>(3)</sup> ومن جهة أخرى فالإنجيل يفسر التوراة ويوجهها حسب معتقداتهم، لهذا نجدهم يجتهدون في إيجاد نصوص في التوراة يثبتون بها ما ذهبوا إليه من تثليث واتحاد، وسنرى من أمثلة ذلك عند مناقشتنا للأدلة النقلية الكتابية في الفصلين القادمين.

وهذا يكشف سبب اهتمام ابن تيمية وغيره -من أصحاب الردود الإسلامية- بالإنجيل في العملية التنظيرية، فهو الأصل عند النصارى، وقد أخذه الشيخ كنموذج يطبق عليه منهجه النقدي لبيان التحريف والتبديل معتبرا بذلك القدح فيه هو قدح في سائر الكتب عملا بالقاعدة الأصولية، "القدح في الأصل هو قدح في الأصل والفرع معا". وقد أكدت نتائج التحليلات النقدية أن كتب النصارى كلها و في أحسن أحوالها هي بمنزلة الإنجيل وهو بمنزلة ما ينقل من أقوال الأنبياء وسيرهم.<sup>(4)</sup> لأنها غير متواترة وهذا لا يحترز معه من وقوع الغلط فيه.

و من خلال تتبعنا للمنهج النقدي الذي توخاه ابن تيمية في رده على الكتب -والذي سنعرض له في المبحث القادم من هذا الفصل- نبيّن أنه على اطلاع واسع بأقسامها وتاريخها وأخبارها، ويذكر أن النصارى لا تعتقد في هذه الأناجيل أنها كلام الله، ولا أنها مأخوذة عن المسيح، وإنما كتبها أربعة من الناس هم لوقا ومتى ويوحنا ومرقس.<sup>(5)</sup> وهذا يعكس تحول نظرة الفكر الكنسي للنصوص المقدسة بعد أن كانت ترى أنها وحيا بألفاظها.<sup>(6)</sup> وهذا بعد النقد اللاذع الذي تلقته من طرف الفكر الإسلامي بداية من القرون الأربعة الأولى ، والذي أكدت نتائجه على إحالة كون الأناجيل كلام الله ملهمة بألفاظها. كما يذكر شيخ الإسلام أسماء كتاب الأناجيل ليؤكد نسبتها إليهم لا إلى المسيح -عليه السلام-

(1) علي عبد الواحد وافي: الأسفار المقدسة للأديان السابقة للإسلام، ص 75.

(2) الأبركسيس : كلمة يونانية الأصل وهي (Prascis) ومعناها : الأعمال ، وينسب هذا السفر للوقا صاحب الإنجيل ، وهو الكتاب الذي تعظمه النصارى بعد الإنجيل . أنظر الشهرستاني : الملل والنحل ، ج2 ، ص 3.

(3) الغزالي أبو حامد : الرد الجميل لألهمية عيسى بصريح الإنجيل تحقيق : محمد عبد الله الشراقوي ، ط2 ( نصر : دار الهداية ، 1406 هـ - 1986 م ) ، ص 47 وانظر كذلك : ميشال توماس : مدخل إلى العقيدة المسيحية ، ص 18.

(4) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج2 ، ص 19-20.

(5) المصدر نفسه ، ج2 ، ص 11.

(6) أنظر عن ذلك ميشال توماس : مدخل إلى العقيدة المسيحية ، ص 18-19.

ملمحا إلى كون إنجيل عيسى لا يدل جنسه على ذلك فهو كتاب واحد منزل من عند الله وحيا ، وتعدده هو مظهر من مظاهر تحريفه.(1) ومما يجدر الإشارة إليه هو أن ابن تيمية قد إطلع على الكتب المقدسة إطلاعا مباشرا وهذا يعني أنه لم يعتمد على المصادر الإسلامية وكتب الردود في نقل النصوص الكتابية، ويعتبر هذا مكسبا للمنهجية الموضوعية في دراسة الأديان، مما يعطي لرد ابن تيمية جانبا من الجدة والحيدة في الرأي - فيصرح بذلك قائلا : "قإن الإختلاف في نسخ التوراة والإنجيل والزبور موجود قد رأيناه نحن بأعيننا ، ورآه غيرنا ، فرأيت عدة نسخ بالزبور يخالف بعضه بعضا اختلافا كثيرا، ورأينا بعض ألفاظ التوراة التي تنقلها هذه الطائفة وهي مكتوبة عندهم يدعون أنها هي التوراة الصّحيحة المنقولة عندهم والمتواترة ، تخالف بعض ألفاظ توراة الطائفة الأخرى ، وكذلك الإنجيل".(2)

وهذا يبين أن الشيخ قد تمكّن في بناء نتائجه النقدية للكتب المقدسة بالرجوع إلى الترجمات العربية لأنه لا يجيد لغة الأناجيل الأصلية ، وقد توصل إلى التأكيد على مسألة التبديل والتحريف عن طريق المقارنة بين النسخ. وهذه الدراسة المفصلة والمستقصية لحقيقة الكتاب المقدس جعلت الشيخ يؤكد في موضع آخر من كتاب "الجواب الصحيح" أن نسخ التوراة الموجودة عند اليهود والنصارى والسامرة يوجد بينها اختلاف في مواضع متعدّدة ، وكذلك نسخ الإنجيل ، وكذلك نسخ الزبور فهي مختلفة اختلافا متباينا ، بحيث لا يعلم العاقل أن نسخ هذه الكتب متّفقة.(3) بل إن هذا الإختلاف موجود حتى بين النسخ المتداولة بين النصارى.(4)

وقد يتبادر إلى ذهننا التساؤل عن سبب هذا الإهتمام بالكتب وعلاقته ببناء العملية التنظيرية لعقيدتي التثليث والمسيحولوجيا ؟.

لكن الأمر يبدو واضحا حين نرى ابن تيمية يؤكد عن انعدام السند الشرعي لدعوى النصارى في التثليث والإتحاد ، فيذكر أن "الكتب الإلهية التي بأيديهم لا تدلّ على صحّة ما كفرهم به محمد -صلى الله عليه وسلم- وأمنه مثل التثليث ، والإتحاد والحلول ، وتغيير شريعة المسيح ، وتكذيب محمد -صلى الله عليه وسلم- فليس في الكتب التي بأيديهم ما يدلّ -لا نصا ولا ظاهرا- على الأمانة التي هي أصل دينهم، وما في ذلك من التثليث والإتحاد والحلول ، ولا فيها ما يدلّ على أكثر شرائعهم كالصلاة إلى المشرق واستحلال المحرمات من الخنزير والميتة ونحو ذلك".(5)

(1) أنظر عن ذلك ديدات أحمد: هل الكتاب المقدس كلام الله، ترجمة: نورة أحمد النرمان، د. ط(الزيتونة للإعلام والنشر)، ص 17-18.

(2) ابن تيمية: الجواب الصحيح ، ج2، ص 22.

(3) المصدر نفسه ، ج2، ص 21.

(4) تختلف فرق النصارى في الإعتراف بكل الكتب كأصل للنصوص المقدسة بين البروتستنت والكاثوليك وذلك بعد الكشف عن الاختلاف بين النسخ . أنظر ذلك في : ديدات أحمد : هل الكتاب المقدس كلام الله ، ص 17-18.

(5) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 1 ص 360.

وابن تيمية في هذا الموضوع يقوم بتحليل محتويات النصوص ، فيخضع الكتب المقدسة لدراسة مقارنة مع نص الأمانة ، ومن خلال هذا الطرح المنهجي لابن تيمية في دراساته النقدية للمسيحية يركز على مسألة التأثر بالمحيط والبيئة ليكشف عن سلسلة الأحداث التاريخية التي عرض من خلالها مصادر متعددة للإلهيات النصرانية ، فهذه الأمانة التي جعلتها النصارى أصل دينهم وأساس إعتقادهم ، ليست منقولة عن المسيح ولا لها ذكر في الأنجيل التي ينقلونها عنه ، وهم متفقون على أن الذين وضعوها أهل المجمع الأول<sup>(1)</sup> . مؤكداً على دور المجمع النيقاوي في تبديل دين المسيح ، وهذا المجمع كان بعد المسيح بمدة طويلة تزيد على ثلاثمائة سنة<sup>(2)</sup> وهو بذلك يشير إلى تاريخ الالهيات النصرانية ومراحل تطورها . ومثل هذه الدراسات التي كشف عنها الفكر الإسلامي ، لم تتوصل إليها بحوث الفكر الغربي إلا في القرون المتأخرة حيث تم تأصيل وتقنين لمصادر الإستدلال اللاهوتي<sup>(3)</sup> والتي أكدت نتائجه على صحة ما أثبتته الدراسات الإسلامية في عصور سابقة بداية من القرن الرابع الهجري إلى القرنين السادس والسابع وهو العصر الذي ظهر فيه ابن تيمية .

ونظراً لأهمية التطور التاريخي للعقائد النصرانية فإننا نتبعنا مراحل صياغتها مستدين على تحليل محتويات نص الأمانة ، وذلك فيما يلي :

### المطلب الثاني: صياغة قانون الإيمان .

يمثل قانون الإيمان -بالنسبة للنصارى- حقيقة عقيدتهم وأصول دينهم ، لذلك يتلى نصها في الكنيسة كل يوم أحد. وقد صيغ هذا النص خلال مناظرات فكرية ومصادمات عنيفة ، عبر المراحل التي تطورت من خلالها عقيدة النصارى<sup>(4)</sup> وهذا يبرر سبب اهتمام ابن تيمية بعرض نص هذه الوثيقة وتتبع طريقة صياغتها ضمن إطارها التاريخي البحث ، ليكشف عن مفارقة النصارى لدين المسيح ، واستبداله بدين التثليث وتجسد اللاهوت بالناسوت .

فهذا القانون ينسب إلى الثلاثمائة وثمانية عشر شخصاً الذين كانوا في زمن قسطنطين الملك ، وقد لعنوا فيه من خالفهم من الأريوسيين ممن كانوا على التوحيد ، وفيه أصول تخالف نصوص الكتب ودلائل العقول<sup>(5)</sup> ونصه :

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 1 ص 360.

(2) المصدر نفسه . ج 1 ، ص 360.

(3) أنظر عن ذلك بالتفصيل :

نقلا عن عبد الحكيم فرحات: منهج القاضي عبد الجبار في الرد على النصارى، ص119

Gardet et anawiti : Introduction à la théologie musulmane , p.p 388-389.

(4) أنظر كمبي جان : دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة ط 1 ، (بيروت : دار المشرق 1994م) ص 117-118.

(5) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 1 ، ص 114-115.

إنؤمن بآله واحد أب ضابط الكن خائق السموات والأرض كل ما يرى وما لا يرى، وبرب واحد يسوع المسيح بن الله الوحيد المولود من الله قبل كل الدهور نور من نور الله، إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق مساوي الأب في الجوهر الذي به كان كل شيء الذي من أجلنا نحن البشر، ومن أجل خلاصنا نزل من السماء، وتجسد من روح القدس، ومن مريم العذراء وتأنس وصلب على عهد بيلاطس النبطي وتآلم وقبر، وقام في اليوم الثالث كما في الكتب وصعد إلى السماء، وجلس عن يمين الأب، وأيضا فسيأتي بمجده ليدين الأحياء والأموات الذي لا فناء لملكه، وبروح القدس الرب المحي المنبثق من الأب مع الأب والابن مسجود ويمجد الناطق في الأنبياء، وأعتقد بكنيسة واحدة جامعة مقدسة رسولية، وأعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا، وابن جاء لقيامه الموتى وحياء الدهر الآتي آمين].<sup>(1)</sup> وقد أثار ابن تيمية الحديث عن طريقة صياغة هذا القانون ، فالنصارى لم تخرجه دفعة واحدة ، وإنما تم ذلك عبر مراحل تمثلت في عقد المجامع،<sup>(2)</sup> والتي أعطت تلك التحولات في الدين النصراني صفة الشرعية والقانونية رغم أنها لم تكن تستند في قراراتها إلى نص كتابي ، يقول ابن تيمية : "والنصارى لهم سبع مجامع\* مشهورة عندهم ، وهم في كل مجمع يلعنون طائفة منهم كثيرة ويكفرون ويقولون عنهم : إنهم كذبوا ببعض ما في تلك الكتب ، ولم يوجبوا طاعة بعض أمرها ، وتلك الطائفة تشهد على الأخرى بأنها كذبت ببعض ما فيها".<sup>(3)</sup>

وهذا التفاعل بين فكرة التوحيد والتثليث، والذي أثار نقاشات حادة منذ القرن الثاني، كان سببا في

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج1 ص 115 ، وج2 ، ص 116 ، وعن هذا القانون في بداية تطوره أنظر : كمبي جان :

تاريخ الكنيسة ، ص 120-121 ، وأنظر كذلك : ابن قيم الجوزية محمد : إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ، د. ط (بيروت : المكتبة الثقافية ، 1409 هـ - 1989م) ، ج2 ، ص 200 والقرافي : الأجوبة الفاخرة (على هامش الفارق) ص 28 وما بعدها .

وانظر عن قانون الإيمان الروماني القديم : Ehlinger Charle et Genet, Jean-philipe et d'autres : Histoire du christianisme (paris : Imprimé en grande Bretagne, 1982) p 145.

(2) المجامع (أو السينودسات باليونانية والتي تعني طريق مشترك) هيئات شورية أنشأت لحل ما يعترض الكنيسة من مشاكل خاصة بالدين المسيحي ، حيث تؤخذ فيها القرارات جماعيا ، وتعتقد الكنيسة في المجمع أو السينودس من الطريق الذي يهدي به روح القدس الجماعة ، ويبدو أن هذا النظام كان من خصائص الكنيسة الشرقية منذ بداية القرن 4 ثم اتسع نشاط المجامع في الكنائس المسيحية . ولمزيد من التفصيل أنظر بواسيه لويس اليسوعي : السينودسات في ضوء التاريخ ترجمة : أنطوان الغزالي ، ط1 (بيروت : دار المشرق 1994) ص 7-16 ، وانظر كذلك شلبي أحمد : المسيحية ، ص 197.

\*عقد من المجامع المسكونية عشرون مجمعا ابتداء من مجمع نيقية سنة 325 حتى مجمع الفاتيكان سنة 1869 ولا يعترف الأرثوذكس إلا بقرارات المجامع السبعة الأولى التي كان آخرها مجمع نيقية الثاني سنة 87 . شلبي أحمد: مقارنة الأديان. المسيحية ط2(القاهرة: مكتبة النهضة المصرية 1984م)، ص 197 وعن المجامع أنظر: توماس ميشال اليسوعي: مدخل إلى العقيدة المسيحية. ص 89 وما بعده ، وكمبي جان: تاريخ الكنيسة، ص 119 وما بعدها، وابن قيم الجوزية: إغاثة اللهفان، ج2، ص 199-206.

(3) ابن تيمية: الجواب الصحيح، ج 1 ، ص 363.

نشأة علم اللاهوت المسيحي، وذلك إجابة عن هذه الأسئلة ، ومحاولة لبيان هذا التناقض ، فكان عقد فكان عقد المجامع لفض الخلاف بين الفرق والمذاهب ، بداية للإعتراف بالثالوث المقدس.<sup>(1)</sup> وقد عرض ابن تيمية مقررات المجامع التي صاغت نص الأمانة ، فيسجل اهتمامه بمجمع "تيقية" الذي إنعقد سنة 325 ، إذ هو مبدأ القول بألوهية المسيح وتجسد اللاهوت بالاناسوت ، وقد ضم ألفين وثمانية وأربعين أسقفا وكانوا مختلفي الآراء والأديان ، فاتفق من بينهم ثلاثمائة وثمانية عشر أسقفا على دين واحد.<sup>(2)</sup> وقد كانوا بالأخص أساقفة شرقيين ذوي ثقافة هيلينية<sup>(3)</sup> وقد وضع هؤلاء العقيدة المتعلقة بالمسيح إليها "وثبتوا فيها [أي الأمانة] أن الابن مولود من الأب قبل كون الخلائق ، وأن الابن من طبيعة الأب غير مخلوق"<sup>(4)</sup> ولعنوا آريوس وكل من قال مقالته.

ثم عقد المجمع الثاني وكان الداعي لذلك اختلاف آراء النصارى وكثرة مقالاتهم في المسيح ، فاجتمع البطارقة والأساقفة "بالقسطنطينية" وكان عددهم مائة وخمسين أسقفا ، وعرضوا الأمانة وأعلنوا فيها أن روح القدس إله ولكن مخلوق مصنوع ، فقال بطرك الإسكندرية : ليس روح القدس عندي مخلوقا، فإذا قلنا إن مخلوق ، فقد قلنا إن حياته مخلوقة ، وإذا قلنا إن حياته مخلوقة ، فقد زعمنا أنه غير حي ، وإذا زعمنا أنه غير حي فقد كفرنا ، ومن كفر وجب عليه اللعن.<sup>(5)</sup> وثبتوا أن روح القدس خالقة غير مخلوقة ، إله حق وأن طبيعة الأب والابن جوهر واحد ، وطبيعة واحدة.<sup>(6)</sup> وبذلك تطور نص الأمانة تحت سلطة بطرك الاسكندرية وزيد فيه أن روح القدس محي ومميت ، ومنبثق من الأب وعلى هذا صيغت الإلهيات في التثليث وقالت النصارى بألوهية الأب والابن وروح القدس وزعموا أن هذه الأقانيم الثلاثة إله واحد ، طبيعة واحدة.<sup>(7)</sup>

(1) أنظر عن ذلك كمي جان: تاريخ الكنيسة، ص 117-118، وانظر كذلك عطيتو حربي عباس: ملامح الفكر الفلسفي والديني في مدرسة الإسكندرية، تقديم: علي عبد المعطي، ط1 (بيروت: دار العلوم العربية ، 1313 هـ - 1992م)، ص 44 وما بعدها.

(2) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 3 ، ص 22-23.

(3) كمي جان : تاريخ الكنيسة ، ص 119.

(4) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 3 ، ص 24.

(5) المصدر نفسه ، ج 3 ، ص 32.

(6) المصدر نفسه ، ج 3 ، ص 33.

(7) المصدر نفسه ، ج 3 ، ص 33.

وبعد ما عقد مجمع أفسس، وكان سبب إنعقاده النقاشات الحادة التي نتجت عن مقالة "نسطورس"<sup>(1)</sup>، بطرك القسطنطينية، والذي تنسب إليه النسطورية<sup>(2)</sup> إذ يقول: "إن مريم العذراء ليست بوالدة الإله في الحقيقة ولذلك كانا اثنين: أحدهما الذي هو إله مولود من الأب، والآخر الذي هو إنسان مولود من مريم" وعليه فالمسيح هو إنسان فقط ليس بإله ولا ابن إله في الحقيقة.<sup>(3)</sup>

ولما بلغ قوله بطرك الإسكندرية أنكروا عليه ذلك وكتب إليه يقبح عليه فعله ويسأله الرجوع عن مقالته، لكن "نسطور" ثبت على رأيه، فعقد البطارقة مجمع "أفسس" للنظر في مقالة "نسطور" وأوجبوا عليه اللعن واثبتوا أن مريم العذراء والدة الإله وأن المسيح إله حق وإنسان معروف بطبيعتين متوحدة في الأفتوم.<sup>(4)</sup>

وقد نتج عن هذا القرار تحيز يوحنا بطرك إنطاكية ومن معه من الأساقفة لرأي "نسطور"، واتفق المشرقيون وهم بطارقة روما والإسكندرية وبيت المقدس، على أن مريم العذراء القديسة، ولدت إلهًا ربنا يسوع الذي هو مع أبيه في الطبيعة ومع الناسوت في الناسوت، وأقروا بطبيعتين ووجه واحد وأفتوم واحد.<sup>(5)</sup>

وهنا يشير ابن تيمية إلى بداية إنقسام العالم المسيحي إلى معسكرين، كنيسة شرقية تقول بالطبيعة الواحدة في المسيح وأخرى غربية تقول بالطبيعتين في المسيح.<sup>(6)</sup>

ولم يقف الخلاف عند هذا الحد بل استمر قائما بسبب الإبهام الذي اتسمت به عقيدة التثليث في

---

(1) نسطورس بطرك القسطنطينية من 428-431، والذي أكد على بشرية المسيح بينما أعلن بطارقة الإسكندرية لاهوته، ويقول نسطورس بالطبيعتين في المسيح إلهية وإنسانية متوحدة في أفتوم واحد، ورفض القول بأن مريم أم الإله، وقد تم لعنه ونفيه بقرار مجمع نيقية (431) لكن مذهبه، انتشر بانحياز كنيسة "أنطاكية" لرأيه. أنظر:

- Roysten pike. E : Dictionnaire des Religions ,(Nestorius), p 228.

- Rey Alain et d'autres : Le Robert des Noms propre, 3eme ed. (dictionnaire illustré), (paris : imprimé en France 1995) p 1476.

(2) النسطورية : بدعة ظهرت في القرن الخامس قال بها نسطوريوس، بطرك القسطنطينية حين اعترض على تسمية مريم العذراء بوالدة الإله، وقد عارضه كيرلس الاسكندري، وانهقد بسبب هذه المشكلة ثلاثة مجامع دينية متلاحقة : مجمع أفسس (431 م)، ومجمع "خلفيدونية" (450 م)، ومجمع القسطنطينية (553م)، وقررت كلها أن للمسيح طبيعتين إلهية وإنسانية متحدتين في أفتوم واحد، وقوام إلهي واحد. وقد ناصرت كنيسة "أنطاكية" مذهب "نسطوريوس" أنظر :

- Roysten pike. E : dictionnaire des religion ,(Nestoriens ), p 228.

(3) أنظر ابن تيمية : الجواب الصحيح، ج3، ص 36.

(4) المصدر نفسه، ج3، ص 37.

(5) ابن تيمية : الجواب الصحيح، ج3، ص 37-38.

(6) كان ذلك بداية لظهور الفرق المسيحية المشهورة وهي : النسطورية واليعقوبية والملكية، ولمزيد من التفصيل في هذا الموضوع أنظر : ثلبي أحمد : المسيحية، ص 192-193.

أصولها، فكان ذلك يتطلب مزيداً من المناقشات فعقد لذلك عدة مجامع أخرى.<sup>(1)</sup> فموقف ابن تيمية موضوعي ، إذ يستند إلى قراءة نقدية لنص الأمانة وقد نجح في التأكيد على أن عقيدة النصارى هي نظام وضعه البشر ولم يستندوا فيه إلى نصّ منزل ، لذلك ينفي عنه صفة الشرعية قائلاً : "وليس هذا من كلام الأنبياء حتى يقال : إن له معنى لا نفهمه ، بل هو من كلام أكابرهم الذين وضعوه وجعلوه عقيدة إيمانهم".<sup>(2)</sup>

وقد أدت سلسلة الأحداث التاريخية إلى إخراج نص الأمانة على شكل ينعدم فيه النسق الموضوعي، ويظهر ذلك في تناقض الجزئيات المكوّنة للإلهيات النصرانية ، فيقسم ابن تيمية شريعة الإيمان باعتبار ذلك إلى شطرين ، ويخضعه إلى تحليل نقدي صارم ، فهو يرى أنّ الشطر الأول وهو قولهم: "تؤمن بالله الأب مالك كل شيء صانع ما يرى وما لا يرى" كلام حق لأنه يتفق مع دين التوحيد الذي جاء به الأنبياء، فهذا كلام يلزم منه أن الله تعالى خالق للمسيح ولروح القدس وهذا خلاف معتقدتهم. أمّا الشطر الثاني فهو تعبير عن أصول دينهم من التثليث والصلب والفداء وهو مخالف لدعوة الأنبياء إذ لم ينص نبي منهم أن يكون لله ولد ، أو جاء في كلامهم أن الله أفنوما ثالثاً هو حياته.<sup>(3)</sup> وابن تيمية بهذا يعلل سبب التناقض في نص الأمانة التي صيغت كمحاولة للتوفيق بين التوحيد الذي جاهر به المسيحيون الأوائل في وجه المشركين ، وبين الإيمان بأن المسيح إله وأنّ روح القدس إله أيضاً إرضاء للمذاهب والفرق القائلة بالتثليث.

### المطلب الثالث: المصادر التاريخية.

إنّ الكشف عن المصادر الحقيقية لدين النصارى سابقة تاريخية أثارها القرآن الكريم وذلك في قول الله تعالى : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ، ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِمُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ ﴾<sup>(4)</sup> ، فقول النصارى في المسيح هو محاكاة ومماثلة لما قاله الكافرون من قبلهم ، ويكون القرآن بذلك قد فتح للفكر الإسلامي مجال البحث عن المصادر الموضوعية التي استقت منها النصرانية عناصرها الأساسية.

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 3 ، ص 33. وانظر كذلك : ابن قيم الجوزية : إغاثة اللهفان ، ج 2 ، ص 200 وانظر عن المجامع بالتفصيل وعن الخلافات التي كانت بين رجال الكنيسة وكيف تمّ صياغة الإلهيات النصرانية لعقيدتي التثليث والمسيحوتيا . - Ehlinger Charle et d'autres : Histoire du christianisme, p 160-165.

(2) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 2 ، ص 156.

(3) المصدر نفسه ، ج 3 ، ص 141-142.

(4) سورة التوبة: آية 30.



وفي عرض ابن تيمية لمصادر الدين النصراني يكشف عن المكونات التاريخية للإلهيات النصرانية، فيهتم بدراسة البيئة التي درجت فيها المسيحية. وقد استطاع من خلال الشواهد التاريخية أن يكشف عن أصول وثنية رومانية وأفكار فلسفية حلولية إتحادية تأثرت بها، وفيما يلي نتعرض لهذه المكونات :

## أولاً- الديانات الوثنية:

الروم مجتمع وثني يتكوّن من أعراق إجتماعية مختلفة ، وقد نتج عن ذلك بناء ديانة الروم الرّسمية على وثنيّات مختلفة ذات أصل يوناني ومصري وبابلي ومحليّ وصابئي وهندي وغيرها، إضافة إلى الدين اليهودي والديانة النصرانية التي تمثّل الدين الجديد ، وقد أدى هذا التّعدد إلى اندماج المعتقدات الدينية ممّا أثر تأثيراً بالغاً في دين النصارى<sup>(1)</sup>. لهذا يلّمح ابن تيمية للدور الخطير الذي أدته روما في تحريف دين المسيح وإفساده فيرى أن بولس<sup>(2)</sup> وأمثاله قد "ابتدعوا للنصارى ما ابتدعوه من الضلالات وأضلّوهم ، وأدخلوا في دين المسيح من دين المسيحيين والصابئين من الروم وأمثالهم ما أفسدوا به دين المسيح وجعلوا النصارى على الضلالات التي فارقوا بها دين المسيح"<sup>(3)</sup>.

ويشير ابن تيمية إلى بداية ظهور الإبتداع في دين المسيح ، وذلك على وجه المقابلة بين دين الأنبياء ودين المشركين ، ناهجا بذلك طريقة المقارنة ، فالمسيح قد جاء بدين الله الذي بعث به الأنبياء قبله "وهو عبادة الله وحده لا شريك له ، والنهي عن عبادة كل ما سواه ، وأحل لهم بعض ما حرّمه الله في التوراة، ففسخ بعض شرع التوراة ، وكان الرّوم واليونان وغيرهم مشركين يعبدون الهياكل العلوية والأصنام الأرضية ، فدخل من دخل في هذا الدين وقاموا على ذلك مدّة ثم ابتدعوا ديناً مركّباً من دين الله ورسله، دين المسيح عليه السلام، ومن دين المشركين، وكان المشركون يعبدون الأصنام المجسدة

(1) أنظر عطيتو حربي عباس : ملامح الفكر الفلسفي والديني في مدرسة الاسكندرية ، ص 26.

- وعن ديانات الروم أنظر : Ehlinger Charle et d'autres : Histoire du christianisme p 46 - 54.

(2) هو بولس القديس: ولد في "طرسوس" بآسيا الصغرى، واسمه الأصلي شاؤول روماني الجنسية، نشأ نشأة يهودية فكان يضطهد المسيحيين، كلف بمقاومة المسيحيين في دمشق سنة 35 م فلما ذهب إليها زعم أنه سمع صوتاً في الطريق يقول له: شاؤول لما تضطهدني؟ فقال من أنت ؟ فأجابه الصوت أنا "ياسوع" الذي تضطهده، فذهب إلى دمشق وانظم إلى المسيحية، وسمى نفسه "بولس" وأصبح أنشط المبشرين في القرن الأول، ثار اليهود ضده فقبضوا عليه وحكم عليه بالإعدام، في حوالي سنة 67 أو 68 م، وبولس هذا هو الذي أفسد المسيحية وأدخل فيها التثليث، وأحل الخمر وعدم الختان، فخرج بذلك عن الشريعة.

أنظر : Rey Alain et d'autres : le Robert des Noms propres, p 1586 ; et

- Royston pike. E : Dictionnaire des Religion, (Paul saint) p 246-247.

(3) ابن تيمية : درء تعارض العقل والنقل ، ج5 ، ص 362، وعن تأثير الروم على النصارى أنظر: عبد الحكيم فرحات. منهج القاضي عبد الجبار في الرد على النصارى ص 116.

لها ظل، وهذا كان دين الروم واليونان ، وهو دين الفلاسفة اهل مقدونية وافتيتة كارسطو وامثاله من الفلاسفة المشائين وغيرهم ، وكان أرسطو قبل المسيح بنحو ثلاثمائة سنة<sup>(1)</sup>. وهذه المقارنة أسفرت نتائجها عن عملية الاندماج التي تمت بين الدينين وهو ما عبر عنه الشيخ بظاهرة "التركيب" . فالمسيحية قد استعارت عقائدها وشعائرها من أصول وثنية سابقة لميلاد المسيح عليه السلام ، كالديانة المصرية والفارسية والإغريقية والبودية وغيرها<sup>(2)</sup> ، وكلها ديانات كانت تعتقد بالثالوث المقدس في معبودها ، وتدين بعقيدة الخلاص وهي الحقيقة التاريخية التي كشفت عنها البحوث الحديثة من طرف علماء غربيين<sup>(3)</sup>.

وهذا ما أكد عليه شارل جنبير في دراسته لتاريخ المسيحية إذ يذكر أن صياغة الإلهيات النصرانية لم تكتمل على شكلها النهائي إلا بتركيبها مع معتقدات أو نظريات مستعارة من البيئة المحيطة ، كما أشار إلى تأثير البيئة اليونانية الرومانية على المسيحية الأولى ، وهو تأثير نزع إلى إدخال الطقوس الوثنية<sup>(4)</sup>. وكان من نتائج دراساته التاريخية ، تأكيده على حدوث ما أسماه بظاهرة "التشرب" في الدين المسيحي بعقائد الوثنيين فيقول : " إن المسيحية لم تكن تستطيع مدافعة أمام هذه النزعات والشعائر السائدة ، وإذا كانت قد انتصرت في القرن الثالث على سائر ألوان "التأليف" الديني الوثني فذلك لأنها كانت قد تطورت هي الأخرى إلى تأليف ديني تجتمع فيه سائر العقائد الخصبة والشعائر الجوهرية النابعة من العاطفة الدينية الوثنية "<sup>(5)</sup>.

وقد سبق ابن تيمية في الكشف عن ذلك في حديثه عن تأثير المجتمع الروماني اليوناني على دين النصارى، فيذكر عنهم أنهم قوم مشركون من أعظم الناس شركا وسحرا يعبدون الكواكب والأصنام ويبنون الهياكل<sup>(6)</sup>. ومن السهل أن تنتقل هذه الممارسات والطقوس الدينية إلى دين النصارى. وابن تيمية يجعل للأديان الوثنية الرومانية اليونانية دورا في تقرير عناصر العقائد النصرانية نقلتهم بها من دين التوحيد إلى دين الشرك فيقول : " فإن أولئك كانوا يعبدون الشمس والقمر والكواكب ، ويصلون لها ويسجدون ، فجاء قسطنطين ملك النصارى ومن اتبعه فابتدعوا الصلاة إلى المشرق ، وجعلوا السجود إلى الشمس بدلا من السجود لها ، وكانوا أولئك يعبدون الأصنام المجسدة التي لها ظل ،

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 1 ، ص 115-116.

(2) عن هذه الديانات ومقارنتها بالمسيحية أنظر : أبو زهرة محمد : الديانات القديمة ، د طبعة (القاهرة : دار الفكر العربي) ، ص 24 وما بعدها .

(3) أنظر عن ذلك شلبي أحمد : المسيحية ، ص 176-188.

(4) جنبير شارل : المسيحية نشأتها وتطورها ، ص 158-160.

(5) المصدر نفسه ، ص 154.

(6) ابن تيمية : مجموع الفتاوى ، كتاب التفسير ، ج 17 ، ص 336.

فجاءت النصارى وصوروا تماثيل القدايس في الكنائس، وجعلوا الصور المرقومة في الحيطان والسقوف بدل الصور المجسدة القائمة بأنفسها التي لها ظل".<sup>(1)</sup> ومن خلال هذا العرض يتبين أن ابن تيمية يعقد وجه الشبه بين عقائد الروم الوثنية وعقائد النصارى المستحدثة، مما يؤكد على تأثر النصارى بعقائد الروم، وقد استفاد ذلك عن طريق المقارنة بين الأفكار والمذاهب .

وفي خلال حديث ابن تيمية عن تحريف دين المسيح -عليه السلام- وتبديل شرعه بشرع المشركين الوثنيين يثير مسألة في غاية الأهمية ، وهو العامل السياسي الذي سهل عملية انتقال العقائد الوثنية إلى دين النصارى ، من ذلك ما حدث في تحليل لحم الخنزير ، فقد أمر الملك قسطنطين أن تذبح الخنازير ، وتطبخ وتصير على أبواب الكنائس ، وكل من خرج من الكنيسة يلقم لقمة من لحم الخنزير ، فمن لم يأكل منه يقتل ، فقتل لأجل ذلك خلق كثير.<sup>(2)</sup>

وهذه السياسة مورست على أتباع دين المسيح -عليه السلام- لحمل الناس على الإرتداد عنه ، وقد حفلت القرون الأولى (الأولى والثانية) بأعنف أنواع العذاب والتنكيل ضد الكنائس المسيحية.<sup>(3)</sup> ويعمم ابن تيمية مسألة الحكم بالتحريف على دين النصارى لأنه ليس مأخوذاً عن المسيح بل هو مما ابتدعه طائفة منهم مع مخالفة آخرين لهم فيه ، وبذلك غيروا شريعة المسيح فاستحدثوا عبادة الصليب، وقد ذكروا مستندهم في ذلك أن قسطنطين رأى صورة صليب كواكب<sup>(4)</sup> فعمل بعد ذلك صليباً عند خروجه في الحرب ، فأخذ النصارى عنه ذلك وعبدوه . وابن تيمية بهذه الدراسة المفصلة يكشف عن العوامل التكوينية التي أنشأت الأصول الدينية لعقيدة النصارى والتي ترجع إلى أصول تاريخية قديمة شاعت في المجتمع الرومي.<sup>(5)</sup>

ويخلص ابن تيمية بعد تأكيده على تحريف دين المسيح إلى بناء نتيجة عامة وموضوعية إستخلصها من علمه بدقائق دين النصارى وتاريخ عقائدهم ومذاهبهم ، وإطلاعهم على أديان المشركين

(1) ابن تيمية : مجموع الفتاوى ، كتاب التفسير ، ج 17 ، ص 331.

(2) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 3 ، ص 29.

(3) أنظر بوكاي موريس : التوراة والانجيل والقرآن والعلم ، ترجمة : نخبة من الدعاة ، ط2 (لبنان : دار الكندي) ، ص 214.

(4) قسطنطين : ملك الروم الذي نصر المسيحية وجعلها الدين الرسمي للمملكة ، تولى السلطة بعد وفاة والده سنة 306 ، عمل على حل خلافات المسيحيين ، وكان أول مجمع عقده للنقاشات الدينية برئاسته سنة 325 (نيقية). توفي سنة 337 ، ودفن في إحدى الكنائس.

أنظر : Royston pike. E : Dictionnaire des religions, (constantin le grand) p. 93

- Rey Alain et d'autres : Le Robert des Noms propres, p. 502.

(5) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 3 ، ص 123.

والصابئين ومذاهب الفلاسفة الوثنيين ، فيرى ان هذه التغييرات التي أدخلتها النصارى على دين التوحيد - والذي يخالف كل هذه الأديان والمذاهب- قد أنتجت ديناً مركباً من دين الفلاسفة والصابئين والمشركين ودين النصارى ، كما صنع ماني لما ركب ديناً من دين المجوس ودين النصارى.<sup>(1)</sup> إن ابن تيمية يوظف تاريخ الأديان ليثبت أن الأفكار والمذاهب تخضع لسلسلة من التأثير والتأثير ، فكان بحثه في هذا الموضوع يركز على منهج المقارنة وذلك بين دين النصارى والديانات الوثنية ، وكلها نشأت في بيئة واحدة ساعدت على عملية الاندماج بينها. وتعدّ هذه النظرة من الحقائق العلمية التاريخية التي تفسّر لنا طرق تكوّن العقائد النصرانية ، والتي يمكن أن تكون طريقاً معتمداً في الرد يضاف إلى الأدوات التحليلية التي نجدتها مبنوثة في هذه الدراسة.

### ثانياً- الفلسفة اليونانية:

قامت ثقافة الروم على الفلسفة الإغريقية وذلك بعد غزو اليونان للإمبراطورية الرومانية، فأثرت عليها تأثيراً واضحاً في جميع نواحي الحياة ، وعن هذا الوضع يقول ولد ديوارنت : " كانت الطريقة التي غزت بها بلاد اليونان رومة أن بعثت إلى عامتها بالدين اليوناني والمسرحيات الهلينية ، وإلى الطبقات العليا من أبنائها بالأخلاق وبالفلسفة اليونانية "<sup>(2)</sup> فكان الاندماج بين الفلسفة والدين سارياً في طبقات المجتمع الروماني اليوناني.

وقد نجح ابن تيمية في دراساته التحليلية لتاريخ المسيحية في الكشف عن دور هذه الثقافة وتأثيرها في الوسط الروماني الذي نشأت فيه هذه الديانة ، فقد شاعت فيه الفلسفة اليونانية ولا بد أن تكون هناك علاقة بين نظرية الفلسفة الهلينية وفكرة التثليث النصرانية. فنراه يبحث في الأصول التاريخية الأولى لهذه الأفكار وعلاقتها بالمسيحية قائلاً : " فمن المعلوم أن فلسفة اليونان والهند ونحوهم كانت موجودة إذ ذاك ... إذ كان اليونان موجودين قبل مبعث المسيح ، وكان أرسطو وملكه الإسكندر بن فيليبس قبل المسيح بنحو ثلاثمائة سنة وآخر ملوكهم بطليموس الذي دخل النصارى عليهم "<sup>(3)</sup>. فابن تيمية يشير إلى الإمكان التاريخي ليكشف عن العلاقة بين فكرة الفلاسفة وفكرة التثليث التي صيغت عن طريقها نظرية الإلهيات النصرانية.

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 1 ، ص 218.

(2) ديوارنت ولد : قصة الحضارة (الحضارة الرومانية) ، ترجمة : بدران محمد ، ط3 (القاهرة : لجنة التأليف والترجمة والنشر 1968م) مج5 ، ج 9 ، ص 199.

(3) - ابن تيمية: درء تعارض العقل والنقل، ج10، ص300-301، وانظر كذلك: ابن تيمية الجواب الصحيح، ج3، ص213، 210.

- كانوا يسمون الملك من ملوكهم(بطليموس) كما يسمون القبط ملكها(فرعون) والحبشة ملكها(النجاشي)والفرس(كسرى) ونحو ذلك.

فالإسكندر<sup>(1)</sup> هو قائد الفتوحات التي انتشرت من خلالها الحضارة اليونانية وقد تعهد أرسطو<sup>(2)</sup> تكوين عقله وتعليمه الفلسفة ، وقد أفلح إلى حد ما في أن يجعل منه رجلا هلينيا.<sup>(3)</sup> وهو من أنشأ مدرسة الإسكندرية<sup>(4)</sup> سنة 332 ق.م وقد اهتمت هذه المدرسة بتدريس الفلسفة قبل العصر الميلادي ذاته، وإليها تنسب الفلسفة الأفلاطونية الحديثة.<sup>(5)</sup> والبحث في تاريخ هذا الفكر يكشف لنا عن وجود محاولات عديدة سبقت النصرانية في القول بالتثليث ، تمثلت في مذهب أفلاطون<sup>(6)</sup> ثم أرسطو وأخيرا فيلون.<sup>(7)</sup> وهذا يسمح بالقول أن متقفي المسيحية الأولى كانوا متأثرين بهذه الثقافة وترجع الدراسات الفلسفية أصول هذا المذهب إلى فكر شرقي فارسي وهندي<sup>(8)</sup> انتقل إلى الثقافة اليونانية وأصبح الطابع

(1) الإسكندر بن فيليبس : هو الإسكندر بن فيليب بن مصرم المقدوني اليوناني، المصري، باني الإسكندرية، وأحد ملوك اليونان، ملك مقدونية، وكان في عهده أرسطو طاليس من حكماء اليونان، وهو معلمه ، وقد سار على أديبه وعمل في سياسة رعيته أنظر ابن كثير: البداية والنهاية ، ج2 ، ص 105 ، والمقريري : الخطط ، ج 1 ، ص 150 .

- Rey Alain et d'autres : Le Robert des Noms propres : p. 40-41.

(2) أرسطو بن نيقوماخس الفيثاغوري : ولد سنة 384 ق.م وتوفي سنة 322 ق.م ، تتلمذ على أفلاطون ، ثم صار بعده أستاذا إنتهت إليه فلسفة اليونان ، فكان هو خاتمهم وكان مشركا يعبد الأصنام ، وهو الذي جعل المنطق آلية العلوم النظرية ، وكان معلما للإسكندر بن فيليبس الذي سبقت ترجمته ، وقد عنى فلاسفة المسلمين بفلسفة أرسطوله كتاب في الحيوان تسع عشرة مقالة ، نقله ابن البطريق إلى العربية. وقد كان لفلسفته تأثيرا بالغا في علم اللاهوت المسيحي.

أنظر ابن النديم : الفهرست ، ص 305 وبدوي عبد الرحمن : موسوعة الفلسفة ، ج 1 ، ص 98 وما بعدها ،

و Royston Pike. E : Dictionnaire des Religions,(Aristote) p. 25-26

(3) ديورانت ولد : قصة الحضارة (حياة اليونان) مج4 ، ج3 ، ص 514-517.

(4) الإسكندرية : مدينة بمصر بناها الاسكندر الأكبر أول كنيسة مسيحية وقد أطلقت تسمية مدرسة الاسكندرية على فلاسفة هذه المدينة ، وقد مزجت هذه المدرسة بين الفلسفة والدين وتأثرت تأثيرا كبيرا بالفلسفة اليونانية وعقيدة فيلون. أنظر :

Royston picke E. : Dictionnaire des religions , (Alexendrie) p. 10.

و Algrain, R. et d'autres : Ecclesia, Encyclopedie populaire des connaissances religieuse.p. 542.

(5) أنظر عن ذلك : عطيتو حربي عباس : ملامح الفكر الفلسفي والديني في مدرسة الإسكندرية القديمة ، ص 7-8.

وعن هذه الفلسفة وصلتها بالمسيحية أنظر : بدوي عبد الرحمان : موسوعة الفلسفة ، ط1 ، (المؤسسة العربية للدراسات والنشر 1984) ، ج 1 ، ص 193-194 وما بعدها.

(6) أفلاطون : هو أفلاطون بن أرسطن فليس ، فيلسوف مشهور ولد في أثينا عاصمة بلاد اليونان سنة 427 ق.م وتتلمذ على سقراط وهو في العشرين من عمره ، واطلع على كتب الفلسفة ، ورحل إلى كثير من الأقطار يعلم الفلسفة ويكتب في مختلف الفنون ، له مؤلفات ترجم البعض منها إلى اللغة العربية ومات سنة 347 ق.م.

أنظر : ابن النديم ، الفهرست ، ص 304 ، وبدوي عبد الرحمن : موسوعة الفلسفة ، ج 1 ، ص 156 وما بعدها .

و - Royston pike. E : Dictionnaire des Religions,(Platon) p 253-254.

(7) فيلون أو فيلون اليهودي: فيلسوف يهودي جمع بين الفلسفة واللاهوت، قضى معظم حياته في الإسكندرية كان متقفا ثقافة

يونانية، كما كان متمقفا في اليهودية، وكان يعتقد في المنشء الأول (الله) الذي هو العقل، وفي الكلمة التي تمثل الإبر. عن فلسفته

أنظر: Royston pike. E : Dictionnaire des Religion,(Philon ou Philon le Juif) p251-252.

وبدوي عبد الرحمن: موسوعة الفلسفة، ج2، ص 219 وما بعدها.

(8) بدوي عبد الرحمن: موسوعة الفلسفة ، ج 1 ، ص 193-194، وأنظر كذلك : Albert Rivaud : Histoire de la philosophie des origines à la scolastique,mise à jour par Albert Rivaud.2d.T1 (France.P.U.C 1960) p563.

- الذي مثل التجربة الدينية المسيحية ، على صفة الحلول والإتحاد ، وهذا يبرر لنا سبب اهتمام ابن تيمية بعناصر هذا الفكر فيذكر قول الفلاسفة :
- عن المنشء الأول : إنه موجب بذاته مستلزم لما يصدر عنه .
  - أنهم يثبتون ولدا قديما أزليا صدر عنه بغير اختياره ، وقول النصارى يناسب قولهم أنه تولد بغير قدرته واختياره.
  - ويقولون عن الروح أنه منبثق من الله خارج عنه.
  - وعن هذه الثلاثة يقولون بصدور العقول والأفلاك.(1)

وابن تيمية يرى أن قول النصارى أب وابن وروح قدس هو امتداد لهذه الفلسفة ، إذ يرجع مصدر القول بالتثليث إلى أصل ثقافي فلسفي يوناني وهندي تولد في إطار الدولة الرومانية.

ويلمح ابن تيمية إلى العامل المباشر الذي أثر على الفكر العقدي النصراني المتعلق بالمسيح ، فيحدثنا عن المتفلسفة الذين يقولون بتولد العقول والأفلاك عنه، وهم يثبتون ذلك التولد بأنه انفصال صدر عنه بغير اختياره، ليعقد المقارنة بين قولهم وقول النصارى بتولد المسيح عن الأب.(2) وهذا يسمح بالقول أن هؤلاء قد نقلوا النصارى من القول باتحاد العاقل والمعقول والعقل إلى القول باتحاد الأب والابن وروح القدس ، وعند البحث في هذا الموضوع تبين أن سبب ذلك مرده لظهور آراء دينية مخالفة للكنيسة ، وكان ذلك بين سنة 120 م - 180 م، وقد كان دور علماء اللاهوت المسيحيين التبسيط في الدين حتى يدخل الناس فيه، فكان دورهم تقريب المسيحية إلى الفكر الإغريقي الفلسفي.(3)

مما يؤكد أن فلسفة اليونان كانت مرجعا ثقافيا لصياغة نظرية الإلهيات النصرانية الخاصة بعقيدتي التثليث والتجسد، وأنهم أولوا في ضوئها الكتابات المقدسة، وهذا ما ذهب إليه ابن تيمية عند عرضه لمصادر النصارى، إذ يقرر أن إنجيل يوحنا قد كتبه صاحبه في عصر رجل من عظماء الروم فيلسوف يقال له "مومودس"<sup>(4)</sup>، ليؤكد أن القراءة التأويلية للنصوص المقدسة كانت تخضع للثقافة الشائعة آنذاك.

وتؤكد البحوث الحديثة في دراستها لتطور عقيدة النصارى أن عقد المجامع كان راجعا لظهور آراء فلسفية أثرت على الفكر الديني المسيحي، فكانت تلك المناظرات والمناقشات ظواهر تنم عن مأساة دينية، وقد أرجع مؤرخوهم تلك القرارات التي عدلت في طبيعة التجسد لنفوذ سياسي لصالح رجل على

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج3 ، ص 185-186 . وانظر كذلك ابن قيم الجوزية : إغاثة اللهفان ، ج2 ، ص 198 . أبو زهرة محمد : محاضرات في النصرانية ، د.ط (الجزائر : شركة الشهاب) ص 108-109 .

(2) المصدر نفسه ، ج3 ، ص 185، وعن تأثير الفلسفة اليونانية على تثليث النصارى قارن بـ : عبد الحكيم فرحات، منهج القاضي عبد الجبار في الرد على النصارى ص 116 .

(3) Algrain, R. et d'autres : Ecclesia, Encyclopedie populaire des connaissances religieuses, p. 408.

(4) - ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج3 ، ص 8 .

- مومودس بحثنا عن ترجمته بهذا الاسم فلم نعره عليه.

أخر، أو منطقة على أخرى، وخرجوا من ذلك إلى القول بأن ما قرره الآباء هنالك إن هو إلا تكيف مذهبي، أدت إليه آراء الفلسفة المنتشرة يومذاك، فأولوا في ضوءها الإيمان المسيحي.<sup>(1)</sup> وهذا يدعم صحة ما ذهب إليه ابن تيمية من أن التثليث لم يكن جديد على الثقافة الدينية الرومانية، ولا كان من دعوة المسيح - عليه السلام - بل هو إمتداد وثني عرفته الثقافة اليونانية والهندية في المجتمع الروماني. وهذا الإستنتاج توصل إليه ابن تيمية عن طريق المقارنة بين تثليث النصارى وتثليث الديانات الوثنية، وقد ساعده ذلك على تفسير عملية انتقال الأفكار والمذاهب والتأثر بها، ليكشف لنا عن منهج آخر في عملية الرد والذي وظفه كأداة تحليلية في جانب النقد التاريخي لنشأة الإلهيات النصارانية. وقد أكد ذلك على المحاكاة والمضاهاة التي أشار إليها القرآن الكريم، والتي بني عليها الفكر الإسلامي مفاهيمه في عملية الرد. لتصبح بعد ذلك منهجا معتمدا في البحوث الحديثة للفكر الغربي في دراساته النقدية للإلهيات النصارانية.

### المبحث الثاني : منهج ابن تيمية في الرد على الكتب المقدسة.

رأينا فيما سبق أن ابن تيمية قد عبّر عن يقينه في ثبوت التحريف في الكتب المقدسة للنصارى . وأنه بات من المؤكد أن الكتب قد بنيت على عقائد سابقة لتدوينها، فقد نشأت المعتقدات بواسطة "بولس" الذي كتب رسائله بين سنة 45 وسنة 65 م<sup>(2)</sup> بيد أن الإنجيليين لم يبدأوا كتابة أناجيلهم إلا في سنة 60م، فتأثرت هذه الأناجيل بالرسائل.<sup>(3)</sup>

ونظرا لأهمية الإنجيل عند النصارى فقد ركّز "ابن تيمية" اهتمامه عليه بالنقد ، على أن ذلك لا يخلو من الإشارة إلى الكتب الأخرى من حين لآخر، فهو يفترض في بادئ الأمر أن الإنجيل سليم من التهمة التي نسبت إليه ليخضعه للضوابط والمقاييس التي يثبت بها النقل عن الأنبياء ، وذلك باعتماده على دراسة سند الكتب وممتنها موظفا في منهجه القرائن التاريخية والنصوص الكتابية ليكشف عن استخدام مصطلح علم الحديث في تحليلاته النقدية .

كما وظّف الأدلة العقلية التي تعتبر من خصائص المنهج الجدلي ، وفي هذا الإطار يطالب "ابن تيمية" النصارى بثلاث مقدمات بحيث لا يثبت ما لديهم من نصوص ممّا يخالف ما أخبر به محمد - صلى الله عليه وسلم- في العقائد والشرائع إلا بثبوت هذه المقدمات فيقول : " فأهل الكتاب يطالبون فيما يعارضون به بثلاث مقدمات :

- أحدها: ثبوت ذلك عن الأنبياء عليهم السلام .

(1) الصالح صبحي وجبر فريد : فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية ، ج 2 ، ص 280.

(2) علي عبد الواحد وافي: الأسفار المقدسة، ص 101.

(3) المصدر نفسه ، ص 76-78.

- والثانية: صحة الترجمة إلى اللسان العربي.
  - والثالثة: تفسير ذلك الكلام ومعرفة معناه".(1)
- فهذه شروط لا بد لهم منها في كل ما يحتجون به من كلام الأنبياء وإلا لم يثبت لهم ما يدعون من تثليث وتجسد وطول.

وعلى هذا الأساس يناقش ابن تيمية فرضية صحة نصوصهم الكتابية ضمن ثلاث نقاط يتخذها كمجال تطبيقي لإثبات تحريفها وتبديلها، والتي نتعرض لها بالشرح والتفصيل في المطالب التالية :

- المطلب الأول: رده على توثيق الكتب المقدسة.
- المطلب الثاني: رده على تأويل الكتب المقدسة.
- المطلب الثالث: رده على ترجمة الكتب المقدسة.

### المطلب الأول: رده على توثيق الكتب المقدسة.

يرفض "ابن تيمية" مجرد إدعاء النصارى إسناد الإنجيل إلى عيسى عليه السلام واعتباره كتابا مقدسا من عند الله . إذ لا بد للكتاب السماوي أن يثبت لفظه بأنه أخذ عن النبي وأنه وصل إلى من يدعي أنه وحي من عند الله بطريق صحيح لا يقح في تلقي خبره، فيؤكد على كل من احتج بنقل عن نبي أن يكون له "هاتين المقدمتين الإسناد والتمن ، فلا بد له من ثبوت اللفظ ولا بد له من ثبوت معنى اللفظ".(2) ليدلل على أن نصوص النصارى غير ثابتة اللفظ والمعنى لانقطاع سندها وعدم اتصاله بالمسيح ، واضطراب رواياتها واختلافها وتناقضها، مما ينفي عنها أن تكون وحيًا من عند الله ، وبالتالي تسقط حجيتها في إثبات ما هم عليه من عقائد وشرائع كونها، ظنية الدلالة لا يقطع بصحتها.

فيدرس سند الأناجيل من خلال النص التالي الذي يقول فيه: "أما الإنجيل الذي بأيديهم فإنهم معترفون بأنه لم يكتبه المسيح عليه السلام ولا أملاه على من كتبه، وإنما أملاه بعد رفع المسيح متى ويوحنا ، وكانا قد صحبا المسيح ولم يحفظه خلق كثير يبلغون عدد التواتر، ومرقس ولوقا وهما لم يريا المسيح عليه السلام، وقد ذكر هؤلاء أنهم ذكروا بعض ما قاله المسيح وبعض أخباره وأنهم لم يستوعبوا ذكر أقواله وأفعاله ، ونقل اثنين وثلاثة وأربعة يجوز عليهم الغلط لا سيما وقد غلطوا في المسيح نفسه حتى اشتبه عليهم بالمصلوب... ولكن النصارى يزعمون أن الحواريين رسل الله مثل عيسى ابن مريم وموسى عليه السلام، وأنهم معصومون، وليس لهم على ذلك دليل فإنهم لا يثبت أنهم رسل الله".(3)

فابن تيمية يثير الحديث عن موثوقية الكتب ليثبت التحريف فيها فهذه الكتب لم تكن محفوظة وهذا

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 1 ، ص35 و ج 3 ، ص 264.

(2) المصدر نفسه ، ج 3 ، ص 264.

(3) المصدر نفسه ، ج 1 ، ص 356.



يعرضها للخطأ والتبديل أثناء نقلها وصياغتها<sup>(1)</sup>.

ومن جملة المآخذ التي يثيرها ابن تيمية في رده على توثيق الكتب المقدسة ما يلي :

### أولاً- نسبة الأناجيل إلى مؤلفيها :

يسلم ابن تيمية، أن الكتاب السماوي الذي يلزم العباد بأوامره ونواهيته هو الكتاب المتصل سنده الذي يثبت بنقل النقات حيث يكون عن رواية الجمع الغفير عن الجمع الغفير الذي يؤمن تواطؤهم على الكذب بلا تغيير ولا تبديل ولا زيادة ولا نقصان. ومثل هذا لا يتحقق في الأناجيل الأربعة ولا في أي كتاب من كتب النصراني، وهي الحقيقة التي لا يمكن إنكارها أو تجاهلها، السبب الذي جعل ابن تيمية يعيب على النصراني ادعاؤهم أنهم تلقوا كتبهم عن عيسى عليه السلام وهي لا تتوفر على هذا الشرط الذي يثبت به النقل على المسيح وتقبل به كتبهم، وهم يعترفون أن الإنجيل الذي بين أيديهم لم يكتبه المسيح ولم يمليه على تلامذته وحوارييه "وإنما كتبها هؤلاء الأربعة بعد أن رفع المسيح، فلم يذكروا فيها أنها كلام الله ولا أن المسيح بلغها عن الله بل نقلوا فيها أشياء من كلام المسيح وأشياء من أفعاله ومعجزاته"<sup>(2)</sup>.

فهي تحكي حياة المسيح ومعجزاته وهذا ليس من خصائص ما ينقله الأنبياء من كلام الله. وهم تذكروا أنهم لم ينقلوا كل ما سمعوه منه ورأوه فكانت من جنس ما يرويه أهل الحديث والسير والمغازي عن النبي -صلى الله عليه وسلم- من أقواله وأفعاله التي ليست قرآنا"<sup>(3)</sup>. إن ابن تيمية يرفض نسبة هذه الكتب إلى عيسى ، فإنجيل المسيح إنجيل واحد وتعدده هو مظهر من مظاهر تحريفه ، كما يرى أن طبيعة الأناجيل تشهد على أنها ليست وحيا من عند الله.

### ثانياً- الجهل برواة الأناجيل :

إن أهم المسائل التي عرض لها ابن تيمية في رده على توثيق سند الأناجيل دراسته لشخصية ناقل النصوص الكتابية ، أو ناقل الخبر كما اعترف على ذلك في مصطلح الحديث ، وذلك لتوقف ثبوت النقل من جهة الناقل، فالتزم النظر إلى حال رواة الأناجيل فتناول بالبحث ما يتعلق بعدالتهم من حفظ وضبط وإتقان، وما يعترى ذلك من وهن أو نسيان أو اختلاط أو غيرها<sup>(4)</sup>.

(1) BOUAMAMA Ali , la littérature polémique musulmane contre le christianisme p. 118.

عن مبحث الرد على توثيق الكتب المقدسة أنظر: عبد الحكيم فرحات، منهج القاضي عبد الجبار في الرد على النصراني ص 116.

(2) ابن تيمية : نجواب الصحيح ، ج2 ، ص 11.

(3) المصدر نفسه ، ج2 ، ص 11.

(4) أنظر خطيب محمد حجاج : الوجيز في علوم الحديث ، ص 203.

وأول ما أثاره ابن تيمية في هذا الموضوع هو نقاشه لمسألة عصمة الحواريين، فالنصارى يحتجون على أن كتبهم ملهمة لأن مؤلفي الأناجيل هم حواريون معصومون. فهم "يزعمون أن الحواريين رسل الله مثل عيسى ابن مريم وموسى عليهما السلام ، وأنهم معصومون، وأنهم سلموا إليهم التوراة والإنجيل وأن لهم معجزات".<sup>(1)</sup> فينفي الإلهام عنهم ويثبت ذلك بأقوالهم، حتى إذا ثبت ذلك كان ما يقوله الحواريون عرضة للخطأ، وفي هذا المقام نطالبهم بالدليل على أنهم رسل الله وليس لهم على ذلك دليل ، بل إنهم يقرّون مع هذا بأنهم ليسوا بأنبياء، فإذا لم يكونوا أنبياء فمن ليس بنبي ليس بمعصوم من الخطأ<sup>(2)</sup> والنسيان وبالتالي فإن كتاباتهم ليست معصومة ولا تكتسب صفة الموثوقية المطلقة، هذا على فرض أن يكون هؤلاء هم حواريو المسيح -عليه السلام-.

ويبحث ابن تيمية في أحوال رواة الأناجيل للتحقق من روايتهم بتوظيف أدوات علم مصطلح الحديث الإسلامي فيرى أن المحدث قد يقع منه الغلط حتى وإن كان عدلا ، ولمعرفة ذلك لا بد من ظهور دلائل وقرائن تحتف بخبره تدل على صدقه، بأنه لم يكذب ولم يغلط وإن كان خبره لو تجرد عن تلك الدلائل أمكن كذبه أو غلطه، كما أن الخبر المجرد لا يجزم بكذبه إلا بدليل يدل على ذلك.<sup>(3)</sup> ومن ذلك أن نقل الواحد والاثنين بما توجب العادة اشتهاره وظهوره، ولم يظهر ونقلوه مستخفين لم ينقلوه على رؤوس الجمهور، علم أنهم كذبوا فيه<sup>(4)</sup>. وكتب النصارى كانت عند رؤسائهم لا عند عامتهم وهي غير محفوظة في الصدور وهذا يساعد على تواطؤ الجماعة القليلة على الكذب والتحريف.<sup>(5)</sup>

ومما يدعّم ما ذهب إليه ابن تيمية في نقده لكتب النصارى أن "هذه الأناجيل التي بأيدي النصارى من هذا الجنس فيها شيء كثير من أقوال المسيح وأفعاله ومعجزاته ، وفيها ما هو غلط عليه بلا شك ، والذي كتبها في الأول إذا لم يكن ممن يتهم بتعمد الكذب ، فإن الواحد والاثنين والثلاثة والأربعة لا يمتنع وقوع الغلط والنسيان منهم ، لا سيما ما سمع الإنسان ورآه ، ثم حدث به بعد سنين كثيرة ، فإن الغلط في مثل هذا كثير".<sup>(6)</sup>

إن ابن تيمية كان شاعرا بالفارق الزمني الذي كان يفصل بين المسيح وبين رواة الأناجيل، وهو ما جعله يؤكد على أن رواة الأناجيل ليسوا هم حوارى عيسى-عليه السلام-، وإنما هم أشخاص يجوز عليهم الصدق والكذب، و الغلط والنسيان، ولكي يصدر حكمه عليهم يبحث في ضبطهم لرواياتهم، فيرى أنهم لم يكونوا ضابطين لما نقلوه لانتفاء صفة اليقظة والفهم عند سماعهم "وقد ذكر هؤلاء أنهم ذكروا

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 1 ، ص 356.

(2) المصدر نفسه ، ج 1 ، ص 356-357.

(3) المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 13.

(4) المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 14.

(5) ابن قيم : هداية الحيارى من اليهود والنصارى (على هامش كتاب الفارق بين المخلوق والخالق) ص 46.

(6) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 2 ، ص 14.

بعض ما قاله المسيح وبعض أخباره، "وأنهم لم يستوعبوا ذكر أقواله وأفعاله"<sup>(1)</sup>. وهذا يثبت القدر في عدل رواة الأناجيل واحتمال وقوع الكذب والغلط منهم خاصة وأن النصارى ليس لهم من العلم ما يحتكمون إليه في ضبط نصوصهم للتمييز بين الصدق والكذب فهم " لا يوجد فيهم الإسناد الذي للمسلمين ولا لهم كلام في نقله العلم وتعديلهم وجرحهم ، ومعرفة أحوال نقله العلم ما للمسلمين ولا قام دليل سمعي ولا عقلي على أنهم لا يجتمعون على الخطأ"<sup>(2)</sup>. إن التحليل الموضوعي الذي توخاه ابن تيمية في دراسة هوية ناقل خبر الأناجيل أسفرت نتائجها عن القدر في موثوقية النصوص، وهذا ينقض عليها المقومات الأساسية للوحي، وقد استفاد هذا المنهج من علم مصطلح الحديث في الجرح والتعديل.

### ثالثا- انقطاع سند الأناجيل.

يدرس ابن تيمية سند الأناجيل ليثبت نوع روايتها فهي إما أن تكون متصلة السند إلى المسيح عليه السلام أو منقطعة ، فما نقل من نصوصهم بطريق النقل المتواتر أفاد القطع وبه يتم استبعاد وقوع التحريف لكن نقلها منقطع ، وهذا يؤكد الغلط والتحريف فيها .

فمن أعظم دلائل الخبر المتواتر أن ترويه جماعة عن جماعة يتمتع تواطؤهم على الكذب وهذا الشرط لا يتوفر لنصوص النصارى لتجرده من القرائن التي يثبت بها نقل الخبر عن المسيح عليه السلام، وذلك للأسباب التالية :

1. أن الذين نقلوا عن المسيح تنفي فيهم صفة التواتر فهم أربعة اثنان رأيا المسيح واثنان لم يريا المسيح "ولم يكن هناك أمة معصومة يكون تلقيا لها بالقبول والتصديق موجبا للعلم بها لئلا تجتمع الأمة المعصومة على الخطأ ، والحواريون كلهم اثنا عشر رجلا"<sup>(3)</sup>. وهذا يمكن معه التواطؤ على الكذب.
2. أن التواتر يشترط فيه يقظة الراوي عند سماعه أو رؤيته لمن يأخذ عنه الخبر ونقله الأناجيل لم تتوفر فيهم اليقظة والفهم عند سماعهم لأقوال المسيح "وقد ذكر هؤلاء أنهم ذكروا بعض ما قاله المسيح وبعض أخباره وأنهم لم يستوعبوا ذكر أقواله وأفعاله"<sup>(4)</sup>.

3. أن يكون راوي الخبر ضابطا لما يرويه ويتناول ضبط الحفظ في الصدر كما يتناول الحفظ في الكتابة فالمراد أن يكون الراوي حافظا إن حدث من حفظه، وحافظا لكتابه من دخول التحريف أو التبديل أو النقص عليه إن حدث من كتابه"<sup>(5)</sup> ونصوص النصارى لم تكن محفوظة لا في الصدور ولا

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 1 ، ص 356.

(2) المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 14 .

(3) المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 14 .

(4) المصدر نفسه ، ج 3 ، ص 356 .

(5) الخطيب محمد : الوجيز في علوم الحديث ، ص 203 .

في السطور، فأما الحفظ في الصدور فإن رواة الأناجيل لا يتوفّر فيهم هذا الشرط "إذ لا يحفظها إلا قليل لا يوثق بحفظهم"<sup>(1)</sup> وبقيت في صدور الأحاد منهم طيلة فترة النزاعات الدينية ممّا أدى إلى ظهور أناجيل متعدّدة ومتناقضة وهذا نتاج ما يحوه النسيان أو تزيّد وتحريف من نقله إلى النصارى .  
فعدم الضبط بالحفظ عند ابن تيمية يقع معه التبديل والتحريف " فلهذا كان أهل الكتاب بعد انقطاع النبوة عنهم يقع فيهم من تبديل الكتب إمّا تبديل أحكامها ومعانيها، وإمّا تبديل بعض ألفاظها ما لم يقوموا بتقويمه"<sup>(2)</sup>.

وأما الضبط بالكتابة فأقوال المسيح لم تتقل ولم يكلف أحد بكتابتها، وإتّما أملاها بعد رفع المسيح متى ويوحنا، وكانا قد صحبا المسيح، ومرقس ولوقا وهما لم يريا المسيح عليه السلام.<sup>(3)</sup> فما تلقّوه عن المسيح بالسماع والرؤية لم يكتبوه مباشرة بل تمّ ذلك بعد موت المسيح عليه السلام وهذا يقع معه الغلط والتغيير "لاسيما ما سمعه الإنسان ورآه، ثم حدث به بعد سنين كثيرة، فإن الغلط في مثل هذا كثير"<sup>(4)</sup>.  
فروايات الأناجيل ظلت شفوية أكثر من ثلاثين عاما حتى أخذت طريقها للتدوين ، وهذا الفاصل الزمني بين الأحداث وتدوينها كاف لنسيان كتبة الأناجيل تفاصيل الأحداث ، هذا إذا سلمنا بنسبة هذه الأناجيل إلى متى ومرقس ويوحنا ولوقا فضلا عن أن هؤلاء لم يكتبوها ، بل كتبها غيرهم ممن لم يشهد شيئا من هذه الأحداث.<sup>(5)</sup>

وهي نفس النتيجة التي توصلت إليها أبحاث حديثة ومن ذلك شهادة الكاتب الفرنسي موريس بوكاي والتي يذكر فيها أن الرواية الشفوية هي التي نقلت على الخصوص كلمات وأخبار مفردة . وقد حاكى الإنجيليون الصلاة بين الأخبار والكلمات التي تلقوها عن التقليد المحيط بهم كلّ بطريقته وشخصيته الذاتية ومفاهيمه اللاهوتية الخاصة"<sup>(6)</sup>.

4- يرفض ابن تيمية دعوى النصارى أن تعدّد نسخ الأناجيل لاختلاف الألسن التي كتبت بها كفيل بحفظ النصوص وتواترها ، فردّ عليهم هذه الحجّة واعتبرها دليلا على وقوع التغيير والتحريف لكون النسخ إنما كثرت عن الأربعة ، لا أن الذين سمعوها من المسيح عليه السلام تكلموا باثنين وسبعين لسان، بل كانوا اثنا عشر من الحواريين<sup>(7)</sup> "وإذا كان كل واحد من الأربعة كتب إنجيله بلسانه علم أنه لم يكن هناك إنجيل واحد أصلي ترجع إليه الأناجيل كلها"<sup>(8)</sup>.

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج2 ، ص 13.

(2) المصدر نفسه ، ج2 ، ص 13-14.

(3) المصدر نفسه ، ج3 ، ص 356.

(4) المصدر نفسه ، ج2 ، ص 14.

(5) أنظر السّدي محمد : دراسة في الأناجيل الأربعة والتوراة ، ط1 (قطر : دار الثقافة 1985 م) ص 24

(6) بوكاي موريس : التوراة والإنجيل والقرآن والعلم ، ص60.

(7) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج2 ، ص 219.

(8) المصدر نفسه ، ج1 ، ص 201.

ودعوى النصارى بتساوي جميع النسخ واتفاقها على لفظ واحد امر متعذر لا يمكن إثباته بل إن إمكان التغيير والغلط ممكنا، لأنه لا يمتنع على الجماعة القليلة التواطؤ على تغيير بعض النسخ.<sup>(1)</sup> فنصوص النصارى على هذا لم تصل درجة التواتر لأنها غير جامعة لشروطه بل إنها لا ترقى لخبر الأحاد لأن قرآنه لا توجب العلم به "مثل أن يخبر واحد أو اثنان أو ثلاثة بحضرة جمع كثير لا يجوز أن يتواطؤوا على الكذب بخبر يقولون: إن أولئك عاينوه وشاهدوه، فيقرّونه على هذا ولا يكذب به منهم أحد، فيعلم بالعادة المطردة أنه لو كان كاذبا لامتنع إتفاق أهل التواتر على السكوت عن تكذيبه كما يمتنع إتفاقهم على تعمد الكذب"<sup>(2)</sup> ومثل هذا لا يتوفر لكتب النصارى بل نقلها تم في الخفاء .

لذلك يرى ابن تيمية أن النصارى ليس معهم "لا نقل متواتر عن المسيح بألفاظ هذه الأناجيل ولا نقل متواتر ولا آحاد، بأكثر ما هم عليه من الشرائع، ولا عندهم ولا عند اليهود نقل متواتر بألفاظ التوراة ونبوات الأنبياء، كما عند المسلمين نقل متواتر بالقرآن".<sup>(3)</sup>

وابن تيمية في تحليلاته النقدية للكتب المقدسة يهيج طريقة المقارنة بين نصوصهم ونصوص المسلمين وهي ميزة لطرق المسلمين في نقلهم للقرآن والسنة، إذ تلقوها عن الرسول صلى الله عليه وسلم- بالتواتر، السبب الذي جعل ابن تيمية يقدم حجبة القرآن على ما هم عليه في حكمه عليهم بالتحريف لكونه ثابت اللفظ "فلا يجوز أن يحتج بما فيها من ألفاظ في معارضة ما علم ثبوته"<sup>(4)</sup> وقد أخبر محمد- صلى الله عليه وسلم- بما يناقض ما يستدلون به عن الأنبياء، إذ ذلك لا يثبت لهم إلا بمقدمات:

- **أحدها:** العلم بثبوتها، وهذا ممتنع مع تكذيب محمد -صلى الله عليه وسلم- .  
- **والثانية:** أنهم قالوا: هذه الألفاظ، وهذا يحتاج إلى إثبات تواتر هذه الألفاظ عن الأنبياء، ولم يثبت أنها تواترت عنهم.

- **والثالثة:** أن معناها هو المعنى المناقض لخبر محمد -صلى الله عليه وسلم- ولم يعلم ذلك".<sup>(5)</sup>  
وبهذا يتبين أن لفظ كتبهم غير ثابت النقل عن المسيح عليه السلام ، فيعرض "ابن تيمية" حجة الجمهور واعتراضهم على أن تكون جميع ألفاظ الكتب (المقدسة) الموجودة عند أهل الكتاب منزلة من عند الله ، وقد وقع التبديل في بعض ألفاظها ، لذلك لا يجوز الإحتجاج بها في معارضة ما علم ثبوته ، وذلك بسبب عدم تواترها ، وانقطاع سندها ، ووقوع الغلط في بعضها.<sup>(6)</sup>  
وخلاصة ما ينبغي قوله أن نصوص النصارى التي يحتجون بها ظنية لا ترقى لمرتبة الخبر

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج2 ، ص 23 .

(2) المصدر نفسه ج2، ص 13 .

(3) المصدر نفسه ، ج1 ، ص 360 .

(4) المصدر نفسه ، ج1 ، ص 356 .

(5) المصدر نفسه ، ج1 ، ص 355 .

(6) المصدر نفسه ، ج3 ، ص 356 .

المتواتر التي تلزم حججته، والذين لا يبنون على مجرد الظن بل لا بدّ فيه من طرق اليقين.<sup>(1)</sup> وهذا يدعم ما ذهب إليه ابن تيمية في اعتباره كتب النصارى بمثابة كتب التاريخ والمغازي التي تنقل الأخبار دون تحقق من صحتها أو تقويم أخطائها، وهذا دليل للقدح في أصول دينهم باعتبارها المصدر الأساس الذي يستدلون به .

إن ابن تيمية في تحليلاته النقدية لنصوص النصارى يكشف عن أصل منهجي جديد في حقل الجدل الديني مع النصارى ، إذ يجعل من نصوص القرآن مصدرا موثقا للكتب السماوية السابقة لما امتاز به من مقومات موضوعية في مجال الوحي.

### رابعاً- مظاهر التحريف في الكتب المقدسة :

يمثل هذا الجانب لمنهج ابن تيمية النقد الداخلي لنصوص الأناجيل وبيان عدم موثوقيتها من خلال دراسة نصوصها والمقارنة بينها ، فالمفترض في كلام الله أن يكون منزهاً عن الخطأ والتناقض والاضطراب، متفقاً مع ما جاء به الأنبياء ، أما إذا خالف ذلك فهو من وضع الرأوي وعدم ضبطه لما نقله أو كذبه فيه. وقد استفاد علماء الفكر الإسلامي من ردهم على النصارى هذا المسلك من تطبيقاتهم لعلم مصطلح الحديث، مما أنتج تشابهاً في نوع الأدلة المدلى بها<sup>(2)</sup>.

ولكي يكون ذلك عملاً مبنياً على الموضوعية يعطي ابن تيمية نماذج ملموسة مستندا إلى المنقول والمعقول ليؤكد على عملية التحريف المنسوبة إلى الكتب من جهة ، ولبيان غلط وسهو الرواة أو كذبهم فيما نقلوه عن المسيح عليه السلام ، وفيما يلي بعضها :

#### 1- اختلاف الأناجيل:

يرى ابن تيمية أن كتب النصارى تختلف عن بعضها كما تختلف الأناجيل الأربعة إذ "أن في بعض الأناجيل ما ليس في بعض مثل قولهم [عمدوا الناس باسم الأب والابن وروح القدس] الذي جعلوه أصل دينهم".<sup>(3)</sup>

فهذا النص لا يفهم منه إلا محض الشرك والتثليث الذي عليه النصارى، وقد انفرد متى بذكره واختلف به عن الرواة الثلاثة، فكيف يفوتهم تدوين هذا النص، وعليه مدار المسيحية وبه يثبتون لاهوت المسيح.

- كما أن الكتب التي بين أيديهم تختلف مع نص أمانتهم في أصول عقائدهم، وشرائعهم فليس في الكتب التي بين أيديهم ما يدل لا نصاً ولا ظاهراً، على الأمانة التي هي أصل دينهم، وما في ذلك من

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 3 ، ص 265.

(2) قارن هذا المبحث بـ(محتوى الأناجيل) د. عبد الحكيم فرحات، منهج القاضي عبد الجبار في الرد على النصارى ص 133.

(3) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 1 ، ص 201.

التثليث والإتحاد والحلول ، ولا فيها ما يدل على أكثر شرائعهم ، كالصلاة إلى المشرق واستحلال المحرمات من الخنزير والميتة ونحو ذلك".<sup>(1)</sup>

- ويعطي ابن تيمية مثالا عن الاختلاف بين نسخ الزبور في البشارة بمحمد -صلى الله عليه وسلم- إذ يقول : "وقد رأيت أن في نسخ الزبور ما فيه تصريحاً بنبوة محمد -صلى الله عليه وسلم- باسمه ورأيت نسخة أخرى بالزبور ، فلم أر ذلك فيها وحينئذ فلا يمتنع أن يكون في بعض النسخ من صفات النبي -صلى الله عليه وسلم- ما ليس في أخرى".<sup>(2)</sup> ويعتبر هذا من باب التحريف في اللفظ.

- وكذلك يكشف ابن تيمية عن اختلاف توراة اليهود والنصارى ، حتى في العشر الكلمات إذ أن السامرة ذكروا فيها من أمر استقبال الطور ما لا يوجد في نسخ اليهود والنصارى<sup>(3)</sup> وكذلك بين نسخ اليهود والنصارى اختلاف معروف ونسخ الإنجيل مختلفة ونسخ الزبور مختلفة اختلافاً أكثر من ذلك".<sup>(4)</sup> وقد توصل ابن تيمية لهذا التحريف عن طريق المقارنة بين نصوص الكتب السابقة.

## 2- وقوع الغلط في الأناجيل :

يعتبر ابن تيمية أن وقوع الغلط في الأناجيل ناشيء عن سهو الرواة وعدم ضبطهم لروايتهم وتحققهم في نقلهم للخبر ، كوقوع الغلط عند اشتباه النصارى في المصلوب إذ أن قصة الصلب مما وقع فيها الإشتباه ، وقد قام الدليل على أن المصلوب لم يكن هو المسيح عليه السلام (بل شبه) وهم ظنوا أنه المسيح ، والحواريون لم ير أحد منهم المسيح مصلوباً ، بل أخبرهم بصلبه بعض من شهد ذلك من اليهود<sup>(5)</sup> فإما أن يكونوا قد تعمدوا الكذب أو غلطوا أو اشتبه عليهم ، فإذا جاز أن يغلطوا في هذا جاز أن يغلطوا في بعض ما ينقلونه عن المسيح.<sup>(6)</sup>

## 3- وقوع الكذب في الأناجيل :

يرى ابن تيمية أن هذا النوع من التحريف هو من التزويد والتبديل لما جاء عن المسيح "فإذا وجد في كلام المسيح عليه السلام أنه قال : عمدوا الناس باسم الأب والإبن وروح القدس ، ثم فسروا الابن بصفة الله القديمة الأزلية ، كان هذا كذباً بيّناً على المسيح حيث لم يكن في لغته أن لفظ الإبن يراد به

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج1، ص 360.

(2) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج2 ، ص 27.

(3) المصدر نفسه ، ج2 ، ص22.

(4) المصدر نفسه ، ج2 ، ص14.

(5) المصدر نفسه ، ج2 ، ص 14-15.

(6) المصدر نفسه ، ج3 ، ص 192.

صفة الله القديمة الأزلية".<sup>(1)</sup>

#### 4- وقوع التناقض:

يظهر التناقض بين الكتب السماوية التوراة والإنجيل لكل من تدبرها ويمثل ابن تيمية لهذا النوع من التحريف بالأمانة التي هي أصل اعتقادهم ، فهي متناقضة مع الكتب ومتناقضة في حد ذاتها إذ تدل على التوحيد ثم تصرح بالتثليث وذكر الجوهر والأقانيم وإضافة الابن لله وأنه مولود وهو قديم أزلي ، فاعتبر ذلك قولاً مبتدعاً ، وعقائد لم تنص عليها أقوال الأنبياء ، وفيها كفر ظاهر وتناقض بين.<sup>(2)</sup> كما يوجد بين نسخ التوراة والإنجيل والزبور والنبوات تناقض واختلاف.<sup>(3)</sup>

#### 5- وقوع الإضطراب بين الكتب :

تكشف الكتب عن اضطراب رواياتها واختلاف اتباعها وافتراقهم إلى طوائف متباينة بما يدل على تحريف الكتب وتغييرها حتى أن النصراني قد اضطربوا في عامة الرسالة والتوحيد ، ويوضح ذلك ما استشهد به ابن تيمية واعتبره من قبيل التحريف في تفسيرهم للكتب فيقول :  
وكل عاقل يعلم أن الكتب التي بأيديهم في تفسيرها من الإختلاف والاضطراب بين فرق النصراني وبين النصراني واليهود ما يوجب القطع بأن كثيراً من ذلك مبدل محرف وكذلك وقع في تغيير شرائع هذه الكتب".<sup>(4)</sup> ويستدل ابن تيمية في إثباته هذا التحريف بافتراق النصراني إلى طوائف فكل طائفة تكفر الأخرى وتلعنها وتشهد عليها بأنها مكذبة ببعض ما في النبوات غير موجبة لطاعة بعض ما فيها حتى لقد اختلفوا في أصل دينهم ونوع التوحيد والرسالة وكل منه يزعم أنه على ما جاء به المسيح<sup>(5)</sup>  
وهذه الحقائق قد كشف عنها علماءهم في دراسات حديثة بينوا من خلالها تضادات ومستحيلات وتناقضات تدل على تغيير النصوص وتبديلها مما حدا بأحد مفكريهم إلى التصريح "أن الأناجيل تحوي فصولاً ومقاطع ناشئة عن مجرد الخيال الإنساني"<sup>(6)</sup> ، السبب الذي جعله يقارن الأناجيل بالقصائد القديمة التي تمتدح فيها بطولات الفرسان في أدب القرون الوسطى.  
ونتيجة ما نخلص إليه في دراسة ابن تيمية لموثوقية الكتب أنه قد تحرر من نهج الجدل الموضوعي المرتكز على أسس متينة في نقض نصوصهم نقداً خارجياً إهتم فيه بدراسة السند، ونقداً داخلياً خصصه

(1) المصدر نفسه ، ج 3 ، ص 192.

(2) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 3 ، ص 142.

(3) المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 222.

(4) المصدر نفسه ، ج 1 ، ص 363.

(5) المصدر نفسه ، ج 1 ، ص 363.

(6) بوكاي موريس : التوراة والإنجيل والقرآن والعلم ، ص 104.



لدراسة المتن. وهذا المنهج لا يتأتى إلا باستقراء النصوص ودراستها دراسة علمية مفصلة تعتمد على البحث في جزئياتها والمقارنة بينها ، في إطارها التاريخي للكشف عن الملابسات الخفية التي تثبت وقوع التغيير في النص الأصلي .

## المطلب الثاني: رده على تأويل النصارى للكتب المقدسة.

يتضح من تحليلات ابن تيمية في رده على تأويل النصارى للكتب المقدسة توظيفه لنفس المعايير التي يتفحص بها البحث التفسيري لنصوص القرآن وقد سار على نفس المنهج في جميع كتاباته، إذ أن طريقه يتوقف على جانبين أساسيين هما: الإتجاه العقلي، و الإتجاه العقلي وهما الضابطان الذين يثبت بهما التفسير الصحيح، وسنرى ذلك فيما يلي:

### 1- الإتجاه العقلي :

يرى ابن تيمية أن الطريق الذي ينقل به التفسير هو الإسناد الصحيح ، وهو حجة في الأصول والفروع، وهذا الشرط لا يتوفر للنصارى ، فقد تفحص ابن تيمية كتبهم التي بين أيديهم فوجد في تفسيرها من الاختلاف والاضطراب بين فرق النصارى وبين النصارى واليهود ما يوجب القطع بأن ذلك مبدل محرف وكذلك وقع في تبديل شرائع هذه الكتب.(1)

ويتخذ ابن تيمية من الرواية معيارا للإستدلال المحقق في معرفة حال التفسير بالمأثور ، فالنص المنقول إذا خالف النقل الصحيح والعقل الصريح واصطدم مع كافة أصول الدين عقيدة وشريعة فهو كذب وتحريف ووضع ممن نقل الخبر.(2)

ومما يستدل به في تحليلاته النقدية لمصادر النصارى ما وجدته عندهم من تفسير مناقض لبعضه البعض ومتناقض مع نصوصهم أو مخالف لها ، وهو مما يعرف بطلانه بصريح العقل ، إذ المفترض أن ما تخبر به الأنبياء عن الله وملائكته وكتبه ورسله وغيرها، لا يجوز أن يناقض بعضه بعضا ، وإذا كان كذلك مما ينقلونه عن الأنبياء فلا تتم لهم الحجة به إلا إن علم إسناده ومتمنه يعلم أنه منقول عنهم نقلا صحيحا ، ويعلم أنهم أرادوا ذلك المعنى ، وليس مع النصارى حجة تثبت ذلك.(3)

فالتفسير بالمأثور عند ابن تيمية يعرف بطريق الرواية، وتفسير النصارى لم يدون وظل محتفظا بطابع الرواية الشفوية وانعدام أساليب البحث العلمي لديهم، فإن طريقتهم في الجرح والتعديل والتحري فيمن يأخذون عنه كل ذلك قد انعدم فيهم(4) لذلك وقع الاختلاف والتناقض لضعف الأسانيد وانقطاعها

(1) ابن تيمية : لجواب الصحيح ، ج 1 ، ص 363.

(2) أنظر عن ذلك متولي صبري : منهج ابن تيمية في تفسير القرآن ، ص 54.

(3) ابن تيمية : لجواب الصحيح ، ج 2 ، ص 122.

(4) أنظر عن هذا الموضوع المطلب السابق والذي عرضنا فيه منهج ابن تيمية في رده على توثيق الكتب المقدسة.

وسوء فهم الأقوال وتحريف الكلم عن مواضعه، وذلك أدى إلى دخول الوضع في تفسير نصوص الكتب السابقة.

## ثانياً- الإتجاه العقلي :

ركز فيه ابن تيمية على الصور المذمومة للتفسير العقلي ، أو التفسير بمجرد الرأي وقد كشف فيه عن خطأ النصاري في فهم اللفظ والمعنى معا ، ومثاله ما استحدثوه من ألفاظ الأقيانيم والجوهر والجسم واللاهوت والناسوت والتثليث ، فهي ألفاظ لم ترد في أقوال المسيح ولا نطق بها الإنجيل، ولا قال بها نبي<sup>(1)</sup>.

فهذه نماذج من الموضوعات التي تكشف عن غلط النصاري وكذبهم وتحريفهم في تفسيرهم للنصوص.

وابن تيمية عندما يخضع التفسير للعقل يشترط في ذلك موافقته للدليل الشرعي، وقد لاحظ من خلال دراسته لهذا الموضوع غلبة الجانب العقلي على الجانب النقل في تفسير النصاري ، وذلك راجع لفساد تأويلهم وإخضاعهم النصوص للهوى فتحكمت المعتقدات على اختلافها وتباينها في عبارات النصوص الكتابية تحكما قد أخرجها عن معناها المراد به وعلى هذا نرى أن ابن تيمية في صياغته لمنهج التفسير يضع ضابطين للإلتزام بمعنى النص وهما : الإتجاه النقل ، والإتجاه العقلي ، وقد أشار لذلك في إعطائه خلاصة لعلم التفسير فقال :

"والخلاصة أن التفسير علم والعلم إما نقل مصدق عن معصوم (وهذا هو الجانب النقل أو جانب الرواية) ، وإما قول عليه دليل معلوم ، (وهذا هو الجانب العقلي أو جانب الدراية)<sup>(2)</sup>. فهذان الإتجاهان لا يخلو منهما أي تفسير.

وبذلك يضع ابن تيمية قواعد المنهج في دراسة نصوص الوحي ، والتي يمكن أن تكون أصلا مشتركا في البحث التفسيري للأديان المقارنة<sup>(3)</sup>.

وابن تيمية في تطبيقاته النقدية للمنهج التفسيري على كتب النصاري يكشف عن عدد من المباحث نذكرها فيما يلي :

- تأويل النصوص المتشابهة.

- مخالفة لغة النص.

- نسخ العمل بالتوراة.

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج3 ، ص 198.

(2) ابن تيمية : مقدمة في أصول التفسير ، ص7.

(3)قارن بين منهج ابن تيمية وعبد الحكيم فرحات، منهج القاضي عبد الجبار في الرد على النصاري ص 139.

## 1 - تأويل النصوص المتشابهة:

يرجع ابن تيمية في دراسته النقدية للنصوص المقدسة إلى الأصول المعرفية التي يفترض الإلتزام بقواعدها ، ويرى أن النصارى لم تلتزم بمنهجية التفسير المطلوبة ، فأخضعت النصوص لمجرد الرأي وخالفت في ذلك الآيات الصريحة الواضحة والدالة على التوحيد.

ومن أمثلة ذلك ما فسرتة النصارى من قول متى : [عمدوا الناس باسم الأب والابن وروح القدس]<sup>(1)</sup> بأنه دلالة على الأقانيم.<sup>(2)</sup>

وابن تيمية يرفض هذا التفسير رفضا قاطعا مؤكدا أنه مخالف لآثار الأنبياء من كتب التوراة والإنجيل ، إذ فيها نصوص كثيرة ظاهرة في وحدانية الله ليس فيها تثليث ولا اتحاد الخالق بشيء من المخلوقات وفيها ألفاظ قليلة مشكلة متشابهة ، وهي -مع ذلك- لا تدل على التثليث والاتحاد.<sup>(3)</sup>

فالتفسير يقتضى إماما بالضوابط المنهجية لفهم النص ، وأولى مبادئ هذا المنهج افتراض مرجعية النص الشرعي أو الدليل النقلي الذي يعتمد عليه في عملية التفسير. وهذا يمثل لنا إتجاه ابن تيمية في اعتماد الدليل الشرعي وتقديمه على العقل، ويضع ابن تيمية من هذا المنطلق قرائن يستدل بها على تحريف النصارى للوحي وتفسيرها للنصوص تفسيراً بالرأي منها :

### أ- الخطأ في فهم المعنى :

يرد ابن تيمية منشأ ضلال النصارى لاعتقادهم معاني باطلة جعلوها أصولا وحملوا ألفاظ كتبهم عليها ، فهم قد اخترعوا معاني النصوص من تلقاء أنفسهم ، ونكتفي للتمثيل بأصل التوحيد ، لنرى كيف تكلفوا في تأويل الآيات الدالة على التوحيد حتى تتفق مع ما ذهبوا إليه من تثليث واتحاد.

وكانت طريقتهم أن تمسكوا بالمتشابه وتركوا المحكم الصريح ، فإن كتبهم من التوراة والإنجيل والزبور وغيرها "فيها من النصوص الصريحة بتوحيد الله وعبودية المسيح ما لا يحصى إلا بكلفة ، وفيها كلمات قليلة فيها اشتباه فتمسكوا بالقليل المتشابه الخفي المشكل من الكتب المتقدمة ، وتركوا الكثير المحكم المبين الواضح".<sup>(4)</sup>

وهذا يؤكد أن التثليث لم يقل به المسيح، مما حملهم على تصليح أمانتهم وضمونها القول بثلاثة أقانيم<sup>(5)</sup> فابن تيمية يلمح إلى العوامل التاريخية وبيان أثرها التكويني على الفكر النصراني، فقانون الإيمان قد متل مراحل تطوّر عقيدة النصارى، وهو المرجع الذي أولت على ضوئه النصوص المقدسة

(1) النص من إنجيل متى، الإصحاح 19/28 ، بلفظ [إذهبوا الآن وتعلموا كل الأمم وعمدوهم باسم الأب والابن وروح القدس]

العهد الجديد (نسخة واطس) ص 43 ، وانظر العهد الجديد (نسخة جمعيات الكتاب المقدس) ص 55.

(2) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 3 ، ص 166.

(3) المصدر نفسه ، ج 3 ، ص 169 ، ج 1 ، ص 132 ، وانظر الرسالة القبرصية ، ص 27.

(4) المصدر نفسه ، ج 1 ، ص 132.

(5) المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 166.

## ب - الخطأ في فهم اللفظ :

وأما الخطأ في اللفظ فقد حرّفوا الكلم عن مواضعه بنقل ألفاظ ما نطق بها المسيح - عليه السلام - كالقول بأن لفظ الأب والابن وروح القدس هي الأقانيم، وهذه اللفظة لا توجد في كلام الأنبياء، ولا في كلام عيسى. ليخلص إلى القول بأن أصل إعتقاد النصارى جهلا وضلالا ليس معهم عقل ولا نقل<sup>(1)</sup> ويصدق عليهم قول الله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنبِئٍ ﴾.<sup>(2)</sup>

وقد بنى ابن تيمية هذه النتيجة النقدية بعد دراسة تحليلية تعرّض فيها لبيان معنى لفظ الأب، والابن، وروح القدس في لغة الكتب، فلفظ "أب" أطلقت على غير المسيح كما جاء على لسان موسى مخاطبا بني إسرائيل [أليس هذا الأب الذي صنعك وبراك واقتناك]<sup>(3)</sup>، وهذا نظير قوله لإسرائيل [أنت ابني بكري]<sup>(4)</sup> ولداود [ابني حبيبي]<sup>(5)</sup> وقول المسيح [أبي وأبيكم]<sup>(6)</sup> وهم يسلمون أن المراد بهذا في حق غير المسيح بمعنى الرب لا بمعنى التولد الذي يخصّون به المسيح، "فإذا كان في الكتب المتقدمة تسمية أبا لغير المسيح وليس المراد بذلك إلا معنى الرب، علم أن هذا اللفظ في لغة الكتب يرد به الرب فيجب حمله في حق المسيح على هذا المعنى، لأن الأصل عدم الإشتراك في الكلام".<sup>(7)</sup>

ولفظ الابن لم تستعمل قط في الكتب المقدسة للدلالة على صفة من صفات الله، لذلك فدعوى النصارى في أن المسيح أراد بالعلم ابن الله من قبيل حمل اللفظ على ما لم يستعمله هو ولا غيره فيه لا حقيقة ولا مجازا، وهذا من التحريف في كلام الأنبياء.<sup>(8)</sup>

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج2 ، ص 164 .

(2) سورة لقمان : آية 20 .

(3) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج2 ، ص 121 ، والنص من سفر التثنية، الإصحاح 6/32 ، بلفظ [أليس هو أباك الذي اقتناك وهو الذي صنعك وخلقك] ، العهد القديم (نسخة واطس) ص252 ، وانظر العهد القديم (نسخة جمعيات الكتاب المقدس) ، ص232 .

(4) المصدر نفسه ، ج2 ، ص 123 والنص من سفر الخروج، الإصحاح 22/4 ، بلفظ [وتقول له هذا ما يقول الرب ابني بكري إسرائيل] ، العهد القديم (نسخة واطس) ، ص 69 ، وانظر العهد القديم (نسخة جمعيات الكتاب المقدس) ، ص 92 .

(5) المصدر نفسه ، والنص من سفر المزمور الثاني، الإصحاح 7 ، بلفظ [الرب قال لي أنت ابني وأنا اليوم ولدتك] ولم يذكر (حبيبي) ، العهد القديم (نسخة واطس) ، ص 1 . وانظر العهد القديم (نسخة جمعيات الكتاب المقدس) ، ص 3 .

(6) المصدر نفسه ، ج2 ، ص 123 ، والنص من إنجيل يوحنا، الإصحاح 17/20 ، بلفظ [إني صاعد إلى أبي وأبيكم إلهي وإلهكم] ، العهد الجديد (نسخة واطس) ص 150 . وانظر العهد الجديد (نسخة جمعيات الكتاب المقدس) ، ص 186 .

(7) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج2 ، ص 129 .

(8) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج2 ، ص 131-132 .

وكذلك روح القدس لم يستعملوها في حياة الله ، ولا أرادوا بهذا اللفظ حياة الله هي صفته وإنما أرادوا بذلك ما ينزله على الصديقين والأنبياء ويؤيدهم به، كما في قول داود: [روح القدس لا تنزع مني] (1) وعندهم أنّ روح القدس حلت في الحواريين، ويراد به الملك ويراد به ما يجعله من الهدى والقوة. (2)

فتعبير النصارى على التثليث بقولهم أب وابن وروح قدس لا يدلّ معناها على صفات تختصّ بالله واحد ولا نعلم أنّ هذا التعبير استعمل للدلالة على ما فسروه في لغة أحد من الأمم. (3) فكتب النصارى لم تنطق بما هم عليه من أنّ الله ثلاثة أقانيم ، وأنّ الله هو الأب والابن وروح القدس ، بل هذا كلّه ممّا ابتدعوه وخرجوا به عن الشرع والعقل. (4)

فكان تفسيرهم مخالفا لظاهر اللغة التي خوطبوا بها ، ولظاهر الكتب التي بأيديهم وحينئذ يفسر ابن تيمية معنى قولهم [عمدوا الناس باسم الأب والابن وروح القدس] (5) ، بأنّ مراده مروا الناس أن يؤمنوا بالله ونبية الذي أرسله وبالمملك الذي أنزل عليه الوحي الذي جاء به . فيكون ذلك أمرا لهم بالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وهذا هو الحق الذي يدل عليه صريح المنقول "وهذا تفسير ظاهر ليس فيه تكلف ولا هو من التأويل الذي هو صرف الكلام عن ظاهره إلى ما يخالف ظاهره ، بل هو تفسير له بما يدلّ ظاهره عليه باللغة المعروفة والعبارة المألوفة في خطاب المسيح وخطاب سائر الأنبياء". (6)

فابن تيمية يرى أنّ ظاهر النصوص التي تستدل بها النصارى لا تدل على التثليث والإتحاد بوجه من الوجوه وبذلك لا تكون هناك حاجة لازمة لتأويلها، على خلاف من يرى وجوب تأويل المتشابه من الكلام -والذي يحتمل التثليث والإتحاد- على سبيل المجاز والإستعارة. (7) وحجة ابن تيمية في ذلك أنّ لغة الكتب صريحة بالتوحيد وعبودية المسيح. كما أنه يجعل من أصول الأنبياء ومقاصد دعوتهم ضابطا يتفحص من خلاله تفسير النصارى.

(1) ابن تيمية: الجواب الصحيح، ج2، ص 121، والنص من المزامير، الإصحاح 12/50، بلفظ [لا تطرحني من قدام وجهك وروحك القدس لا تنزع مني]، العهد القديم (نسخة واطس) ص 28 .

(2) المصدر نفسه ، ج2 ، ص 132.

(3) المصدر نفسه ، ج2 ، ص 91.

(4) المصدر نفسه ، ج2 ، ص 161.

(5) سبقت الإشارة إلى هذا النص .

(6) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج2 ، ص 99.

(7) أنظر في ذلك على سبيل المثال : رسالة الحسن ابن أيوب إلى أخيه : الجواب الصحيح ، ج1 ، ص 132 وكذلك بأجبه جي زاده: الفارق بين المخلوق والخالق ، ص 216.

وابن تيمية في تحديده لمواطن الخطأ في تفسير النصارى يكشف عن معرفته لأثر الألفاظ واستخدامها اللغوي في بيان دلالات النص ومعانيه. على أنه لا يهمل للعقل دوره ويشترط في ذلك موافقته للدليل النقلى.<sup>(1)</sup> وقد بحث هذا الجانب في تفسير النصارى ، فوجد أن هؤلاء عدلوا عما يعلم بصريح المعقول ، وعما يعلم بنصوص الأنبياء الكثيرة، إلى ما يتحمله بعض الألفاظ ، لموافقته لهوهم.<sup>(2)</sup> ﴿إِنْ يَبْعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى﴾<sup>(3)</sup> وحينئذ تبين أن النصارى قد فسروا كتب الله بأشياء تخالف مراد الله في أمر التثليث والإتحاد وغيره.<sup>(4)</sup>

وخلاصة الأمر أن ابن تيمية يبطل تفسير النصارى لفساد منهجهم الذي بنوه على مجرد الرأي دون أن يلتزموا بشروط التفسير المطلوبة ، فيخاطبهم مؤكدا على ذلك : "فتأولتم كلامه على غير ظاهره تأويلا يخالف صريح المعقول وصحيح المنقول ، فكيف تدعون أنكم تمسكتكم بظاهر كلامه".<sup>(5)</sup> وبذلك يكشف ابن تيمية عن انعدام المنهج السليم في البحث التفسيري لدى النصارى.

## 2 - مخالفة لغة النص:

وظف ابن تيمية في رده على تفسير النصارى ، مبحث مخالفة لغة نصوص الكتب المقدسة، وقد كشف في هذه الدراسة عن أهمية اللغة وأبعادها الدلالية في عملية التفسير والكشف عن مضامين النص. فالتفسير يشترط فيه معرفة اللغة التي خاطبنا بها الأنبياء، وحمل كلامهم عليها ، فإن سلك غير هذا الطريق صار التفسير تحريفا وكذبا على الأنبياء.<sup>(6)</sup>

ويمثل ابن تيمية لهذا النوع من التحريف في النصوص التوراتية والإنجيلية بأصل التثليث الذي عليه النصارى ، "فأهل الكتاب نقلوا عن الأنبياء أنهم تكلموا بلفظ الأب والابن ومرادهم -عندهم- بالأب الرب ، وبالابن المصطفى المختار المحبوب ، ولم ينقل منهم عن الأنبياء أنهم سموا شيئا من صفات الله ابنا ولا قالوا عن شيء من صفاته ، إنه تولد عنه ، ولا إنه مولود له .

فاذا وجد في كلام المسيح أنه قال : [عمدوا الناس باسم الأب والابن وروح القدس]<sup>(7)</sup> ثم فسروا الابن بصفة الله القديمة الأزلية ، كان هذا كذبا بيتنا على المسيح ، حيث لم يكن في لغته أن لفظ الابن،

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج3 ، ص 169-170.

(2) المصدر نفسه ، ج3 ، ص 170.

(3) سورة النجم ، آية 23.

(4) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج2 ، ص 76.

(5) المصدر نفسه ، ج3 ، ص 166.

(6) المصدر نفسه ، ج3 ، ص 192.

(7) سبقت الإشارة لهذا النص .

يراد به صفة الله القديمة الأزلية ، وكذلك إذا لم يكن في كلام الأنبياء أن حياة الله تسمى روح القدس، وإنما يريدون بروح القدس ، ما ينزله الله تبارك وتعالى على الأنبياء والصالحين ويؤيدهم ، كان تفسير قول المسيح ، روح القدس أنه أراد حياة الله ، كذبا على المسيح".<sup>(1)</sup>

فالنص يفسر بالتزام لغة المسيح وعادته في الخطاب وعادة سائر الأنبياء ، وعيسى كان لسانه عبرانياً، وكذلك ألسنة الحواريين الذين اتبعوه أولاً،<sup>(2)</sup> والمراد بلفظ الإبن في تلك اللغة أنه مصطفى محبوب ، كما ينقلونه أنه قال لإسرائيل [أنت ابني بكري] ، ولداود [أنت ابني وحببي] ، وأن المسيح قال للحواريين [أبي وأبيكم]<sup>(3)</sup> ، فجعله أبا للجميع ، وهم كلهم مخلوقون ، فيكون اسم الابن واقعا على المسيح<sup>(4)</sup> ، وهذا يجزم أن المسيح لم يختص بشيء في كلام الأنبياء يوجب أن يكون هو الله ، أو ابن الله.

ويوظف ابن تيمية معارفه اللغوية كأداة استدلالية في بيان مخالفة النصارى للغة النص ، فيذكر في معرض تحليله للمجاز عند النصارى أن لفظ الابن لم يستعمل قط في الكتب المقدسة للدلالة على صفة من صفات الله ، لذلك فدعوى النصارى أن المسيح أراد بالعلم ابن الله وكلامه من قبيل حمل اللفظ على ما لم يستعمله هو ولا غيره فيه لا حقيقة ولا مجازاً ، وهذا من الكذب والتحريف لكلام الأنبياء.<sup>(5)</sup>

فابن تيمية يشترط في المفسر أن يكون ملماً بأحكام اللغة ، عالماً بدلالاتها . ويبدو من تحليلاته أن النصارى تجهل ذلك ، فقد أحدثوا لهم لغة مخالفة للغة الأنبياء ، وحملوا كلام الأنبياء عليه<sup>(6)</sup> ، والمفترض في التفسير أن يحمل كلام الأنبياء على لغتهم التي عادتهم أن يخاطبوا الناس بها ، ولا يجوز أن يحمل كلام الأنبياء على معاني لغة أخرى.<sup>(7)</sup> فاللغة بأنظمتها التركيبية والإفرادية لها مميزات دلالية كما أن الدلالات تختلف بحسب اللغات .

وما نفهمه من تحليلات ابن تيمية الإثباتية ، أن النصارى قد استبدلت ألفاظ اللغة الأصلية -العبرية- لغة الكتب المقدسة ، بلغة جديدة ، وقد عرفت الثقافة الرومانية اليونانية التي نشأت في حضيرتها المسيحية لغات كثيرة ترجمت إليها تلك الكتب ، كالسريانية واليونانية ، والرومانية ، وغيرها<sup>(8)</sup> وليس من المستبعد أن تكون هذه الترجمات قد تحكمت في معاني النصوص المقدسة والتي فسرت على ضوءها نسخ التوراة والإنجيل.

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج3 ، ص 192.

(2) المصدر نفسه ، ج1 ، ص170.

(3) سبقت الإشارة لهذه النصوص ، أنظر ص 157.

(4) المصدر نفسه ، ج2 ، ص 67-68.

(5) المصدر نفسه ، ج2 ، ص131، وقارن بالقاضي عبد الجبار أحمد: المعني، ج5، ص111، و عن الاختلاف في موقفهما أنظر: عبد الحكيم فرحات، منهج القاضي عبد الجبار في الرد على النصارى ص 143.

(6) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج3 ، ص 187 و ص 189.

(7) المصدر نفسه ، ج3 ، ص 187-189.

(8) المصدر نفسه ، ج2 ، ص 17 و ج3 ، ص 264.

### 3- نسخ العمل بالتوراة :

يخصّص ابن تيمية ضمن دراسته لمسألة تفسير النصارى لنصوص الكتب المقدسة والرد عليهم مبحثاً يكشف فيه عن الأمر بالعمل بالتوراة ، ويبطل دعوى النصارى في نسخ العمل بالأحكام الشرعية التي جاء بها موسى عليه السلام، مؤكداً أنّ مسألة النسخ لم يأت بها عيسى إلا في نطاق محدود تشمل البعض منها ، وقد صرح سيّدنا المسيح في كثير من المواضع أنّه لا يرى إلى مخالفة التوراة ، وإنّما هو مصدّقها<sup>(1)</sup> ، ومن أمثلة ذلك ما جاء في إنجيل متى أنه قال : [إنما جئناكم لأعمل بالتوراة وبوصايا الأنبياء قبلي ، وما جئت ناقضاً بل ممتماً ، ولأن تقع السماء على الأرض أيسر عند الله من أن تنقص شيئاً من شريعة موسى ، ومن نقص شيئاً من ذلك يدعى ناقصاً في ملكوت السماء].<sup>(2)</sup>

وهذا يبرز لنا أنّ ما جاء به عيسى عليه السلام لا يختلف عن أحكام التوراة وشرعها ، وقد أخبر الله في القرآن الكريم أن عيسى قال لهم : ﴿...وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَأَحْلَلْ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾<sup>(3)</sup> ، فعلم أنّه أحل البعض دون الجميع وأنّ عيسى عليه السلام متبّع لما في التوراة إلا في بعض أحكامها، ولهذا كان النصارى متفقون على حفظ التوراة وتلاوتها كما يحفظون الإنجيل<sup>(4)</sup> ولم يستثن من شرع اليهود إلا ما ورد عن المسيح نص بنسخه أو تعديله ، وقد جاء معظم ذلك على لسانه في وصيته المعروفة بـ "وصية الجبل" "sermon de la montagne".<sup>(5)</sup>

أمّا النصارى فقد نقضوا ما جاء به المسيح وغيروا شرائع التوراة ، وابن تيمية يكشف عن هذا التغيير ، فيثير الحديث عن الشرائع المبتدعة ، فالمسيح لم يسن لهم التثليث والقول بالأقانيم ، ولا القول بأنّه رب العالمين ، ولا أحل لهم الخنزير وغيرها من المحرمات ، ولا ترك الختان ، ولا اتّخاذ أرباب من دون الله ولا ابتداء الترهّب ولا عبادة الصليب ، واستحداث الأمانة.<sup>(6)</sup>

كما أنه لم يشرع لهم الصلاة إلى المشرق، ولا الصيام الخمسين، ولا جعله في زمن الربيع، ولا عيد الميلاد والغطاس، وعيد الصليب، وغير ذلك من أعيادهم، بل أكثر ذلك مما ابتدعه بعد الحواريين.<sup>(7)</sup>

(1) ابن تيمية: الجواب الصحيح ، ج3، ص 227 ، وانظر كذلك ابن حزم: الفصل في الملل والنحل ، ج2، ص 21-22.

عن مبحث نهج العمل بالتوراة) قارن بـ: عبد الحكيم فرحات، منهج القاضي عبد الجبار في الرد على النصارى ص138.

(2) النص من إنجيل متى ، الإصحاح 17/5-20 ، بلفظ [لا تظنوا أنّي جئت لأحلّ الناموس أو الأنبياء ما جئت لأحلّ بل لأكمل ،

فالحق أقول لكم حتى أنّ تزولا السماء والأرض] ، العهد الجديد (نسخة واطس) ، ص5 . وانظر نسخة جمعيات الكتاب المقدس.

(3) سورة آل عمران ، آية 50.

(4) ابن تيمية : مجموع الفتاوى ، ج12 ، ص 43-44.

(5) هي الوصية التي ألّفها المسيح عليه السلام على أتباعه على قمة جبل ، ومما جاء فيها أحكام الطلاق والقصاص ورجم الزانية.

انظر عن ذلك علي عبد الواحد : الأسفار المقدسة ، ص 81.

(6) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج2 ، ص 15 و 230. وابن تيمية : الرسالة القبرصية ، ص 32-33.

(7) المصدر نفسه ، ج2 ، ص 15-230.



وعلى هذا فالنصارى ملزمون باتِّباع التوراة والإنجيل ، لكنَّ المقارنة بين ممارسات النصارى وشرائع التوراة تكشف عن مفارقتهم لدين المسيح وتعاليمه ، وابن تيمية يبرز دور رجال الدين في سنِّ الأحكام ، فالنصارى يجوزون لأكابريهم أن يغيروا ما رأوه من الشرائع ويضعوا شرعا جديدا مخالفا لشرع الأنبياء.(1)

ويسجل ابن تيمية في تحليلاته النقدية العديد من الملاحظات كأدوات استدلالية يستعين بها على إثبات صحدة ما ذهب إليه والتأكيد على تحريف النصارى للكتب المقدسة في باب الأحكام الشرعية نجملها في النقاط التالية :

- أن النصارى لا يجوز لهم العمل بكل ما في التوراة ، لأن المسيح نسخ بعض ذلك باتِّفاقهم واتِّفاق المسلمين وعامتهم يجهلون ما نسخ مما لم ينسخ.(2)

- كما لا يجوز لهم تعطيل جميع شريعة التوراة ، بل يجب عليهم العمل بما لم ينسخه المسيح ، فلم يكونوا حينئذ على شريعة منزلة من عند الله.(3)

- أن دعوى النصارى إتباعهم للمسيح مجردة عن أي دليل ، بل يعلم بالإضطرار والتواتر أن ذلك كذب بيِّن.(4)

- أن ممارسات النصارى لا أصل لها في تاريخ الأنبياء وشرعهم ، لا المسيح ولا غيره(5) وهذا يؤكد على تأثير العوامل التاريخية والبيئية في تحريف دين النصارى . ومخالفة المسيح الذي ما جاء إلّا لإتمام شرائع التوراة ، وهذا يبطل دعوى النصارى نسخ العمل بالتوراة .

وما نلاحظه على تحليلات ابن تيمية في رده على تفسير النصارى أنه يركّز على إنعدام الضوابط والشروط المطلوب توفّرها في تفسير نصوص الوحي والتي نجملها في النقاط التالية :

- مخالفة تفسيرهم للدليل الشرعي والعقلي.

- استدلالهم بالمتشابه من النصوص.

- ترك النصوص الصريحة الدالة على التوحيد وعبودية المسيح .

- عدم إلزامهم لغة النص .

- جهل النصارى بالناسخ والمنسوخ ونقض العمل بالتوراة.

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج2 ، ص16 و ص18 ، وص52 ، وج1 ، ص254.

(2) المصدر نفسه ، ج3 ، ص227.

(3) المصدر نفسه ، ج3 ، ص227.

(4) المصدر نفسه ، ج2 ، ص230.

(5) المصدر نفسه ، ج2 ، ص9.

إن ابن تيمية يضع للتفسير الموضوعي قواعده وأصوله والتي تكشف لنا عن منهجه وطريقة تناوله وعرضه للنصوص المقدسة ، موضحاً أدوات علم التفسير القرآني، وهذا يكشف لنا عن وضع قواعد منهجية تصلح أن تكون نموذجاً للتطبيق في دراسة الديانات المقارنة لنصوص الوحي ، تخضع لنفس الأدوات والمعايير المنهجية ، مع مراعاة بعض الجزئيات ترجع لطبيعة الدين ومصادره .

### المطلب الثالث: رده على ترجمة الكتب المقدسة.

الترجمة هي نقل المعنى من لغة إلى لغة<sup>(1)</sup> ، وعليه نقول أن ترجمة الكتب قد تم عن طريق نقل معاني النص إلى غير لغته الأصلية التي نزل بها ، لذلك فهي لا تعتبر بمثابة الأصل لأنها ليست نقلاً حرفياً للأصل، إذ ليس من الممكن الإتيان بنظم بغير اللغة الأصل يماثل نظم اللغة التي ترجم بها ، ومع هذا فالنصارى يعتبرون ترجمة التوراة والإنجيل هو النقل الحرفي للأصل.<sup>(2)</sup>

وللبحث في نزاهة الترجمة وموثوقيتها نتساءل : بأي لغة كتبت هذه الأناجيل ؟ وهل توجد نسخة أصلية لهذه الكتب ؟.

إن أقدم نسخة موجودة لهذه الأناجيل مكتوبة باللغة اليونانية وهي ترجع إلى نهاية القرن الثاني أو بداية القرن الثالث<sup>(3)</sup>، ولم تكن اليونانية لغة المسيح عليه السلام ولا لغة أصحاب الأناجيل، "قال مسيح كان عبرانياً، لم يتكلم بغير العبرانية، وإنما تكلم بغيرها كالسريانية واليونانية والرومية بعض من أتبعه"<sup>(4)</sup> ومعنى هذا أن أول نسخة ترجمت من لغتها الأصلية التي هي اللغة العبرية إلى اللغة اليونانية<sup>(5)</sup>، ثم ترجمت بعد ذلك إلى السريانية والرومية وغيرها، لأنها كانت لغة جمهور النصارى، فهم لا يعرفون العبرية، ولا يحسنون قراءة التوراة ولا الإنجيل بهذه اللغة، بخلاف اليهود فإن العبرانية فاشية فيهم.<sup>(6)</sup> أما اليونانية التي ترجم بها الإنجيل فقد كانت لغة النخبة في الحضارة الرومانية، السبب الذي جعل أحد العلماء المسلمين يعتبر ذلك نوعاً من الإحتيال والتدليس لستر ما وضعوه من الأكاذيب والتحريف<sup>(7)</sup>. ولكي نحكم على سلامة ترجمة أي نص لا بد أن يكون أمامنا النص الأصلي للنص المترجم ليمكننا المقارنة بين النص الأصلي وترجمته ، وهذا غير متوفر بالنسبة للأناجيل<sup>(8)</sup> وذلك لأن الإنجيل

(1) العك خالد عبد الرحمن : أصول التفسير وقواعده ، دط (بيروت : دار النفائس ، 1986م) ص 461.

(2) المصدر نفسه ، ص 466.

(3) Ehlinger Charle et d'autres : Histoire du christianisme , p 89.

(4) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 3 ، ص 264.

(5) الجبوشي محمد ابراهيم : دراسات في النصرانية دط (دار الهدى للطباعة ، 1988م) ص 74.

(6) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 3 ص 264. وعن ترجمة الأناجيل، قارن بـ: عبد الحكيم فرحات، منهج القاضي عبد الجبار في الرد على النصارى ص 134.

(7) القاضي عبد الجبار أحمد : تثبيت دلائل النبوة دط (بيروت : دار العربية ) ج 1 ، ص 154

(8) الجبوشي محمد ابراهيم : دراسات في النصرانية ، ص 74 وانظر :

Ehlinger Charle et d'autres : Histoire du christianisme, p92.

الأصلي الذي ينسب للمسيح عليه السلام قد فقد للأسباب التي أشرنا إليها في مبحث سابق. لذلك لا يمكن أن يقال إنها هي نفس ما كتبها أصحابها الذين تنسب إليهم منذ البداية، أما النسخة المترجمة بالعبرية فقد ترجمت عن النسخ اليونانية والسريانية والرومية ليس هي النسخة الأصلية.

"وحيث أن من احتج من أهل الكتاب بشئ من كلام الأنبياء المنقولة بالرومية والسريانية، أو بالعبرية، فإنه يحتاج مع إثبات النقل إلى إثبات الترجمة وصحتها، فإنهم كثيرا ما يضطربون في الترجمة ويختلفون في معناها".<sup>(1)</sup> وهذا يعني أن استعمال عدة لغات كان له الأثر في العديد من الأخطاء وهي تتفاقم كلما زاد عدد الترجمات.<sup>(2)</sup>

وتبليغ الكتاب بالترجمة لا بد فيه من تبليغ لفظه ومعناه، ولمعرفة ذلك يبحث ابن تيمية في ترجمة الكتب المقدسة وأحوال المترجمين لأن المترجم هو المفسر للسان وهو المعبر عن لغة بلغة وذلك من خلال النقاط التالية :

## أولا - صحة النقل :

يدرس ابن تيمية هذه المسألة ضمن شرطين :

أ- يرى ابن تيمية أن ترجمة النص هي نقل له بأمانة ودقة، ولا يرضى بنص مترجم ما لم يكن من نقله عدلا وثقة، وهذا لا يتحقق للنصارى فقولهم : "إنها مكتوبة باثنين وسبعون لسانا، فمعلوم باتفاق النصارى أن المسيح لم يكن يتكلم إلا بالعبرية كسائر أنبياء بني إسرائيل، فالكلام المنقول عنه في الأناجيل إنما تكلم به عبريا ثم ترجم من تلك اللغة إلى غيرها والترجمة يقع فيها الغلط كثيرا".<sup>(3)</sup>

ويستشهد ابن تيمية بما وجدته من غلط في ترجمة التوراة من العبرية إلى العربية<sup>(4)</sup> ومثل هذا النقل لا يثبت بالتواتر، لأن ترجمة جميع الألسن لم تنقل عن المسيح عليه السلام، فالتوراة والنبوات التي نقلت من نسخ اليهود والأناجيل هي أربعة، كتبت بعد المسيح عليه السلام، واثنان ممن كتبها لم يريا المسيح وهما لوقا ومرقس، واثنان رآياه، وهما يوحنا ومتي، والنسخ إنما كثرت عن الأربعة وما ينقل الأربعة لا يجب أن يكون متواترا معلوما".<sup>(5)</sup> فنقل النصوص بالترجمة لا يتوفر على شرط القبول ويرد ابن تيمية على احتجاج النصارى بكثرة الألسن وهي اثنان وسبعون لسانا، فذلك كان من بعد الأربعة، وهذا يثبت أن الذين سمعوا من المسيح لم يتكلموا باثنين وسبعين لسان<sup>(6)</sup>، لأن الذين سمعوا

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج2 ، ص 17.

(2) BOUAMAMA Ali : La littérature polémique musulmane contre le christianisme , p. 118.

(3) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج2 ، ص 17

(4) المصدر نفسه ، ج2 ، ص 17.

(5) المصدر نفسه ، ج2 ، ص 219.

(6) المصدر نفسه ، ج2 ، ص 219.

عنه هم الحواريون وهم اثنا عشر ولم يكونوا معصومين كما يزعم النصارى<sup>(1)</sup> ثم إن الترجمة لا تحتاج إلى عصمة المترجم بل غايتها عدم التواطؤ على الكذب، ويعرف ذلك بقرائن تقترن بخبر أحدهم وبغير ذلك<sup>(2)</sup>. ومما يوظفه الإمام للطعن في النصوص الكتابية إبطال دعوى النصارى إتفاق جميع النسخ باثنتين وسبعين لسان، لأنّ مقابلة نسخ كلّ لسان لمعرفة النسخة القديمة المأخوذة عن الحواريين أمر يتعذر على فاعله، لأنّه لو كان ذلك ممكن لأخبرنا فاعله باتفاقها.<sup>(3)</sup>

" وإلاّ فإذا قدر أنّ الحواريين سلّموا باثنتين وسبعين لسانا مع حصول الترجمة بعد ذلك وكثرة المترجمات أمكن وقوع التغيير في بعض المترجمات".<sup>(4)</sup> بخلاف القرآن الذي هو بلسان العرب وخط العرب، فإنّ العلم باتفاق ما يوجد من نسخة ممكن، وهو محفوظ في الصدور ولا يحتاج إلى حفظ في الكتب فهو منقول بالتواتر لفظا وخطا.<sup>(5)</sup>

فادعاء النصارى أنّهم تسلّموا كتبهم من الحواريين كلّ أمة بلسانها، لا يستند إلى دليل وهو كذب ظاهر، فإنه كثير من الألسنة ليس عند أهله إنجيل قديم كالعرب النصارى فإنهم لا يملكون سورة ولا إنجيل باللغة العربية إلاّ ما عربّ من النسخ العبرية والرومية والسريانية، لذلك فنحن نطالبهم بالكتب العربية لا المترجمة إلى العربية من زمن الحواريين أين هي؟<sup>(6)</sup>

" وحينئذ فلا نعرف صحتها إذ لم نعرف صحة الترجمة، ويثبت نقل ذلك عن المسيح عليه السلام، وهكذا القول في سائر الألسن".<sup>(7)</sup>

**بـ** أن يكون المترجم عارفا لخواص استعمال ألفاظ اللغة التي يترجم بها<sup>(8)</sup>، والنصارى قد وقع الغلط في ترجمتهم لجهلهم بهذا الأساس، ومن أمثلة ذلك يختار ابن تيمية نصا من السفسر الثالث من سفر الملوك في قولهم: [والآن يا رب إله إسرائيل لتتحقق كلامك لداود لأنه حق أن يكون، إنه سيسلك الله مع الناس على الأرض، اسمعوا أيتها الشعوب كلكم، ولتنصت الأرض، وكل من فيها فيكون الرب عليها شاهدا من بيته القدوس ويخرج من موضعه وينزل ويوطأ على مشاريق الأرض في شأن خطيئة بني يعقوب هذا كله]<sup>(9)</sup> فليس في هذا النص ما يدل على اتحاد الله بالمسيح، فلفظ "السكون" لا يدل على أنه كان بالمسيح دون غيره وليس في ظهوره فيه أو حلوله أو

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج2 ، ص 219 و ج1 ، ص 200-201

(2) المصدر نفسه ، ج1 ، ص 202.

(3) المصدر نفسه ، ج1 ، ص 206.

(4) المصدر نفسه ، ج2 ، ص 206.

(5) المصدر نفسه ، ج1 ، ص 201.

(6) المصدر نفسه ، ج2 ، ص 218

(7) المصدر نفسه ، ج2 ، ص 219.

(8) العك خالد عبد الرحمن : أصول التفسير وقواعده ، ص 474.

(9) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج2 ، ص 196.

معرفة ومحبة ومثاله العلمي ما يوجب إتحاده به، لأن هذا لا فرق فيه بين المسيح وغيره<sup>(1)</sup> كما أن لفظ "الرب" ليس المراد منه هنا الله [ وكل من فيها فيكون الرب شاهد ] . فلفظ "الرب" يراد به السيد المطاع ، وقد غاير بين اللفظين سيسكن الله ، سيسكن الرب<sup>(2)</sup> فيكون الخطأ قد وقع في ترجمة اللفظتين بلفظ واحد رغم اختلافهما.

**جـ -** أن يتقيد المترجم بشروط-التفسير العقلي التي تقدم ذكرها، إذ ينقل المترجم معاني النص وذلك حسب وجوه التفسير والتأويل ، فليس في هذا الشكل تغيير للنص<sup>(3)</sup> ، أما النصارى فإنهم قد ضلوا في فهم ما جاء به الأنبياء من نصوص لعدة أسباب من بينها نسبتهم للأنبياء أقوالا لم يقولوها لترجمتها بغير ما تستحقه ، وتفسير كلامهم بغير ما دل عليه لفظه ، وتأويله على غير وجهه الصحيح ، فحملوا الكلام على خلاف المعنى الذي عرف أنه يريد به ذلك اللفظ مما جعل الكلام متناقضا.<sup>(4)</sup>

## ثانيا - صحة الترجمة:

يبحث ابن تيمية في صحة ترجمة الكتب المقدسة فيدرسها ضمن ثلاثة شروط<sup>(5)</sup> يضعها كضوابط يقبل به ترجمة كتب النصارى إن توفرت على ذلك وإلا فهي غير ثابتة لفظا ومعنا.

**أحدها :** "ترجمة مجرد اللفظ مثل نقل اللفظ بلفظ مرادف ، ففي هذه الترجمة تريد أن تعرف أن الذي يعني بهذا اللفظ عند هؤلاء هو بعينه الذي يعني باللفظ عند هؤلاء ، فهذا علم نافع إذ كثير من الناس يقيد المعنى باللفظ ، فلا يجرده عن اللفظين جميعا".<sup>(6)</sup>

ويذكر جنبير من ذلك أن عقيدة بنوة المسيح لله نشأت عن خطأ في ترجمة كلمة "عبد الله" التي كانت يردها دائما المسيح عليه السلام وذلك أنه حينما أخذ يترجم كلمة "عبد الله" وجد أنها يمكن أن تترجم بمعنى "طفل" أو بمعنى "خادم" واختار أن يترجمها بمعنى "طفل الله" وقد أدى هذا الخطأ إلى سلسلة الإنحرافات في العقيدة المسيحية.<sup>(7)</sup>

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج2 ص 197.

(2) المصدر نفسه ، ج2 ، ص 197

(3) العك خالد عبد الرحمن : أصول التفسير وقواعده ، ص 475 [يتصرف].

(4) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج2 ، ص 288.

(5) ذكر ابن تيمية شروط الترجمة في كتابيه : 1- مجموع الفتاوى ج4 ، ص 115-116.

2 - نقض المنطق ، ص 97-98.

(6) ابن تيمية : مجموع الفتاوى ، ج4 ، ص 115.

(7) أنظر الجيوشي محمد إبراهيم : دراسات في النصرانية ، ص 37 ، وجنبير شارل : المسيحية نشأتها وتطورها ، ص 39.

**والثاني :** " ترجمة المعنى وبيانه ، بأن يصور المعنى المخاطب ، فتصوير المعنى له وتفهيمة إيائه قدر زائد على ترجمة اللفظ ، كما يشرح للعربي كتابا عربيا قد سمع ألفاظه العربية ، لكنه لم يتصور معانيه ولا فهمها ، وتصوير المعنى يكون بذكر عينه أو نظيره ، إذ هو تركيب صفات من مفردات يفهمها المخاطب يكون ذلك المركب صور ذلك المعنى إما تحديدا وإما تقريبا".<sup>(1)</sup>

والكلام الذي نقلوه عن الأنبياء ليس دليل يثبت أنهم قالوه ، وأن ترجمته بالعربية هو ما قالوه ، وأن المعنى الذي فسروا به كلامهم هو ما أرادوه<sup>(2)</sup> ، ومن ذلك ما وقع من غلط في ترجمة بعضها إذ نجد بالتوراة عدة نسخ مترجمة ، وبينها فروق يختلف بها المعنى المفهوم وكذلك في الإنجيل وغيره.<sup>(3)</sup>

**والثالث :** "بيان صحة ذلك وتحقيقه بذكر الدليل والقياس الذي يحق ذلك المعنى إما بدليل مجرد وإما بدليل يبين علة وجوده. وهنا قد يحتاج إلى ضرب أمثلة ومقاييس تفيد التصديق بذلك المعنى ، كما يحتاج في الدرجة الثانية إلى أمثلة تصور له ذلك المعنى ، وقد يكون نفس تصوّره مفيدا للعلم بصدقه ، وإذا كفى تصوّر معناه في التصديق به ، لم يحتج إلى قياس ومثل ، ودليل آخر".<sup>(4)</sup>

والنصارى ليس لهم دليل يثبتون به ما ذهبوا إليه من تثليث واتحاد ، بل إن ذلك مخالف لنصوص كتبهم الصريحة ، فالغالب عليهم أنهم لا يعتصمون في ذلك بشرع وإنما تكلفوا تغيير اللغة التي بعث بها الرسول ، ثم حملوا ألفاظه على ما ابتدعوا من اللغة<sup>(5)</sup> "فإن الأنبياء لم يسموا علم الله وحياته ابنا وروح قدس ولا ربا فيسمى النصارى علمه وحياته ابنا وروح قدس وربا ، ثم حملوا كلام الأنبياء على ذلك".<sup>(6)</sup>

فإن فسروا الابن بصفة الله القديمة الأزلية ، كان هذا كذبا بينا على المسيح ، حيث لم يكن في لغته لفظ الابن يراد به صفة الله القديمة الأزلية.<sup>(7)</sup> وابن تيمية يبين أن الأدلة تنفي ما ذهب إليه الترجمة من تثليث ، فيقول النصارى [أب وابن وروح قدس] لم يقولوه ابتداء ولا علموا بالعقل التثليث الذي في أمانتهم ، بل نصت عليه أناجيلهم بأمر من المسيح أن يعمدوا الناس بها ، فرد عليهم ابن تيمية قائلا : "قالوا جب إذا كان المسيح قالها أن ينظر ما أراد بها ، وينظر سائر ألفاظها ومعانيها فيفسر كلامه بلغته التي تكلم بها تفسيراً يناسب سائر كلامه"<sup>(8)</sup> والظاهر في كلام المسيح وكلام الأنبياء عليهم السلام أن

(1) ابن تيمية : مجموع الفتاوى ، ج 4 ، ص 115-116.

(2) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 3 ص 25.

(3) المصدر نفسه ، ج 1 ص 352.

(4) ابن تيمية : مجموع الفتاوى : ج 4 ، ص 115-116.

(5) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 3 ، ص 156.

(6) المصدر نفسه ، ج 3 ص 156.

(7) المصدر نفسه ، ج 3 ، ص 152.

(8) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 2 ، ص 246.

لفظ الإبن لم تطلق إلا على مخلوق محدث. (1)

فابن تيمية يرى أنّ النصراني لم يلتزموا المنهج المطلوب لثبوت صحّة ترجمة كتبهم للأسباب التالية :

1- أنّ ترجمة النصارى لا تخلو من التعقيد والحشو الذي ليس له صلة بالتفسير .  
2- أنّ ترجمة كتبهم لم تكن دقيقة في استعمال معاني الألفاظ المطابقة لها في اللغة التي ترجم بها.

3- أنّ الترجمة الحرفية وترجمة المعاني غير مطابقة لما دلّت عليه نصوص كتبهم "بل قد وجدنا النسخ المعربة يخالف بعضها بعضا في الترجمة مخالفة شديدة تمنع الثقة ببعضها". (2)  
فتبليغ الكتاب بالترجمة لابدّ فيه من تبليغ لفظه ومعناه ، وهذا لا يتوفّر في ترجمة كتب النصارى، وعليه يهتّم "ابن تيمية" دعواهم صحّة كتبهم وترجمتها بحجّة تعدد أسنتها وكثرة نسخها ، إذ أنّ ذلك لا يرفع عنها وقوع الغلط والتحرّيف فيها، وهذا ممّا يثبت السبق لابن تيمية في الكشف عن وجه آخر للتحرّيف، فبالرغم من اهتمام الكنيسة منذ عهد مبكر بترجمة الكتب خاصة العهد الجديد لم يكن ذلك يضمن إخراج نصوص خالية من العيوب، وذلك راجع لكون الكتاب المسيحيين يتصرفون بحريّة إزاء النصوص ، فقد كانت الترجمة تخضع لعدة اعتبارات ، كربة المترجم في تحسين الأسلوب ، أو ترجمتها بصفة تكون موازية لنصوص أخرى ، وقد يتحكّم مذهب المترجم وعقيدته في ذلك بالهدف والتعديل ، كما أنّه قد لا يتقن اللغة الأم للنص فيقع في أخطاء. (3)

والنتيجة التي نستخلصها من رد ابن تيمية على مصادر النصارى أنّ القول بالتثليث لا مبرر له من النصوص ، بل إنّ كتب التوراة والإنجيل صريحة بالتوحيد الذي جاء به كل الأنبياء ، ويعزو ذلك لوقوع الخطأ في الترجمة والتفسير.

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 2 ، ص 247.

(2) المصدر نفسه ، ج 1 ، ص 206.

Ehlinger Charle et d'autres : Histoire du christianisme , p 92.

(3) أنظر :

## **الفصل الرابع**

**منهج ابن تيمية في الرد**

**على عقيدة التثليث.**



يستعمل النَّصَارَى مصطلح "علم الإلهيات" للدلالة على مظاهر اجتهاداتهم الفكرية لفهم إيمانهم ، ومن اختصاص هذا العلم صياغة ما نعرفه عن الله بواسطة العقل وحده، وهو بذلك يقارب مفهومه علم الكلام الإسلامي والذي يهتم بدراسة الذات الإلهية والصفات، على أن علم اللاهوت المسيحي أوسع وأشمل لأنه يتناول جميع ما يتعلّق بالإيمان المسيحي.(1) فعلم اللاهوت التاريخي يهتم بدراسة تصورات صيغ التعبير عن المفاهيم الأساسية للدين، لأثر التاريخ في تطوّر عقائد النَّصَارَى، كما إعتد تأسيس المفهوم اللاهوتي للإيمان المسيحي على الفلسفة الأفلاطونية ثم فلسفة أرسطو في القرن الثالث عشر(13)، وهو ما يطلق عليه علم اللاهوت المنهجي أو النظري،(2) وهذا يبرّر اهتمام ابن تيمية بعناصر هذا الفكر في رده على مصادر الدين النصراني.

فمباحثه تختلف عن مباحث علم الكلام الإسلامي وذلك راجع لطبيعة الدين ومكوناته . وتهتم الإلهيات النصرانية بدراسة عقيدة التثليث و المسيولوجيا .

وينطلق ابن تيمية في نقاشه لعقيدة النَّصَارَى من الإيمان بوجود الله وتوحيده في الذات والصفات "قالمسلمون وصفوا الرب بما وصف به نفسه، وبما وصفته به رسله من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل ، مع علمهم أنه ليس كمثل شيء لا في ذاته ولا في صفاته، ولا في أفعاله".(3) فلا يستحقّ العبادة الموجبة للإلهية إلا ذات واحدة. وقد حرص ابن تيمية من خلال مناقشاته على تأصيل منهج البحث في هذا الموضوع، فركّز على منهج السلف في الأسماء والصفات وقد جاء مذهبهم مبنيًا على إثبات ما أثبتته الله ورسوله، ونفي ما نفاه الله ورسوله وهذا المذهب مبني على أصلين:

- **أحدهما** : أن الله تعالى منزّه عن صفات النقص مطلقا كالسنة والنوم والعجز.

- **والثاني** : أنه متصف بصفات الكمال التي لا نقص فيها على وجه الإختصاص ، بما له من الصفات، فلا يماثله شيء من المخلوقات في شيء من الصفات.(4)

وقد جاءت الرسل بإثبات مفصل ونفي مجمل ، فأثبتوا لله صفات الكمال على وجه التفصيل، ونفوا عنه صفات النقص على وجه الإجمال ، على الضد من أهل البدع ، جاءوا بنفي مفصل وإثبات مجمل ، فالرسل أخبرت بأنّ الله بكلّ شيء عليم ، وعلى كلّ شيء قدير، وأنه حكيم عليم، إلى غير ذلك من أسمائه وصفاته ، وقال في النفي والتثنيه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (5) ، و ﴿لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ .(6)

(1) ميشال توماس اليسوعي : مدخل إلى العقيدة المسيحية ، ترجمة الأب كميل خشيمة اليسوعي ، (بيروت : المكتبة الشرقية

1986م) ، ص 105-106

(2) المصدر نفسه ، ص 107-108.

(3) ابن تيمية : الجواب الصحيح : ج 1 ، ص 53 و ج 3 ، ص 139.

(4) انظر ابن تيمية : مجموع الفتاوى ج 6 ، ص 515 ، و ج 4 ، ص 2-8 ، ونقص المنطق ، ص 3-7.

(5) سورة الشورى : آية 11.

(6) سورة الإخلاص : آية 4.

وهذه هي القاعدة العامة الغالبة وإلا فقد يرد في النصوص الإثبات المجمل والنفي المفصل كنفى صاحبة والولد.

والبحث في هذه المسائل يوجب التفصيل في الألفاظ ومعانيها ، فإن كان المراد باللفظ حقاً موافقاً للنصوص ولا يعارضها قبل وإلا رد ، وعلى ذلك يقسم ابن تيمية الألفاظ عموماً إلى نوعين : نوع يوافق ما جاءت به الرسل وهي الألفاظ الشرعية ويراعى فيها اتباع مراد الرسل بها نفيًا وإثباتًا حسب المعنى الذي بيّنه ، ونوع لم يرد فيها دليل شرعي فهذه يستفسر عن مراد المتكلم ، فإن أراد بها معنى يوافق خبر الرسول أقرّ به ، وإن أراد بها معنى يخالف خبر الرسول أنكره<sup>(1)</sup> ، ومن ذلك ما تنازع فيه أهل الفلاسفة والكلام كقولهم : هو متحيز ليس بمتحيز ، هو في جهة ، هو ليس في جهة ، وقولهم هو جسم وجوهر ، ليس بجسم ولا جوهر ، وكلفظ الحلول ، والتركيب والافتقار ولفظ الذات والجزء وغيرها.<sup>(2)</sup> وقد ناقش ابن تيمية عقيدة التثليث ضمن هذه المعايير ، ويتضح لنا ذلك من خلال المباحث النقدية ، وقد أنتج ذلك رفض قاطع للتثليث ، لأنه ينال من مصداقية التوحيد ويهدمه على أساسه. فالإلهيات النصرانية تتبني على ثلاثة أقانيم ، أو ثلاثة أشخاص متميزة إلا أنهم يرون أن هذه الثلاثة المتميزة لا تفيد تعددًا في الذات الإلهية بل تفيد توحيداً<sup>(3)</sup> ، فالتثليث والتوحيد كلاهما حقيقتان بالنسبة للإيمان المسيحي الصحيح. وتتضح هذه المباحث من خلال النقاط التالية :

- **المبحث الأول** : عرض العقيدة النصرانية في التثليث.

- **المبحث الثاني** : مناقشة أدلة التثليث العقلية.

- **المبحث الثالث** : مناقشة أدلة التثليث النقلية.

## المبحث الأول: عرض عقيدة النصارى في التثليث.

كان حرص ابن تيمية منصباً على نقل أقوال النصارى في التثليث قبل دحضها ، ويظهر بالرغم من اختلافهم في المسميات التي يعتبرون بها عن الصيغ الثالوثية تقاربهم في المعنى. فيذكر أن هذه الطوائف كلها-اليقونية والنسطورية والملكية- تقول بالأقانيم الثلاثة، الأب والابن وروح القدس، فتقول إن الله ثالث ثلاثة، وتقول عن المسيح إنه الله، وتقول إنه ابن الله، وهم متفقون على اتحاد اللاهوت بالناسوت، وأن المتحد هو الكلمة، وهم متفقون على عقيدة إيمانهم التي تتضمن ذلك، وهو قولهم: "نؤمن بإله واحد، يسوع المسيح ابن الله الوحيد، المولود من الأب قبل كل الدهور، نور من نور،

(1) أنظر ابن تيمية : مجموع الفتاوى ، ج 6 ، ص 66 ، و ص 36-37 ، 66-67.

(2) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 1 ، ص 170-171 وانظر في هذا الموضوع القرافي : الأجوبة الفاخرة (على هامش الفرق بين المخلوق والخالق) ص 157.

(3) المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 248.

إله حق من إله حق ، مولود غير مخلوق".<sup>(1)</sup>

ويقولهم هذا يلزمهم ابن تيمية القول بثلاثة آلهة وإن حاولوا نفي ذلك لأن القول بثلاثة أقانيم تقتضي لوازمه الكلامية تعددا في الآلهة ، كما يسجل عليهم تناقضا ظاهرا حيث جمعوا بين القول : المسيح هو الله ، وهو ابن الله ، فإنه إن كان هو الله لم يكن ابن الله ، والقولان جميعها يقولها فرق النصارى النسطورية واليعقوبية والملكية.<sup>(2)</sup>

ويبحث ابن تيمية عن علة النصارى في دعوى التثليث فيذكر أنهم أرادوا تصحيح القول بأن الله موجود حي ناطق أي الذات والنطق والحياة ، والثلاثة أسماء هي إله واحد ، فالذات هي الأب الذي هو ابتداء الاثنين ، والنطق الابن الذي هو مولود منه لولادة النطق من العقل ، والحياة روح القدس.<sup>(3)</sup>

فيرد ابن تيمية هذه الدعوى قائلا : "لو كان الأمر كذلك لما احتاجوا إلى هذه العبارة ، ولا إلى جعل الأقانيم ثلاثة ، بل معلوم عندهم وعند سائر أهل الملل ، أن الله موجود حي ، عليم ، قدير ، متكلم لا تختص صفاته بثلاثة ، ولا يعبر عن ثلاثة منها بعبارة لا تدل على ذلك ، وهو لفظ : الأب والابن وروح القدس ، فإن هذه الألفاظ لا تدل على ما فسروها به في لغة أحد من الأمم ولا يوجد في كلام أحد من الأنبياء أنه عبر بهذه الألفاظ عما ذكره من المعاني ، بل إثبات ما ادعوه من التثليث والتعبير عنه بهذه الألفاظ هو مما ابتدعوه لم يدل عليه شرع ولا عقل".<sup>(4)</sup>

فالنصارى لم يثبتوا التثليث بمعقولهم لأنهم يجدون في ذلك نفرة ، وقد سجل الباحثون فشلهم في إيجاد صيغة تفسر قولهم وتقرّب مفهومهم للأذهان ، وقد نحى بهم ذلك إلى القول أن "توحيد الثلاثة وتثليث الواحد" سر مكنون لا نطيق أن نفهمه.<sup>(5)</sup>

ولقد كان من المتوقع لابن تيمية أن يسند النصارى القول بأن الله أب وابن وروح قدس إلى جهة الشرع فقد "زعموا أن الكتب الإلهية نطقت بذلك ، ثم تكلفوا لما ظنّوه مدلول الكتب طريقا عقلية فسّروه بها تفسيراً ظنّوه جائزا في العقل ، ولهذا نجد النصارى لا يلجؤون في التثليث والاتحاد والحلول إلا إلى الشرع والكتب".<sup>(6)</sup>

(1) أنظر ابن تيمية : مجموع الفتاوى ، ج6 ، ص 34-37 و ص 38-40 ، وابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج3 ، ص 84.

(2) أنظر في ذلك : ميشال توماس اليسوعي : مدخل إلى العقيدة المسيحية ، ص 61-62 و الصالح صبحي وجبر فريد : فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية ، ج2 ، ص 289. وانظر :

Masson D. : Monothéisme coranique et Monothéisme biblique , p. 114.

(3) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج2 ، ص 90.

Ehlinger Charle et d'autres : Histoire du christianisme , p162-163.

(4) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج2 ، ص 91.

(5) أنظر في ذلك ميشال توماس اليسوعي : مدخل إلى العقيدة المسيحية ص 65 ، والعثماني محمد تقي : ما هي النصرانية . ص 46-45.

(6) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج2 ، ص 91.

وعمدتهم في ذلك ما حكاه متى في الإنجيل عن المسيح ، أنه قال [ سيروا في البلاد و عمدوا الناس باسم الأب والابن وروح القدس] . فابن تيمية يرى أن النصارى ليس لهم ما يثبتون به التثليث إلا ما ذهبوا إليه من تأويل النصوص على غير مدلولها.

ويهتم "ابن تيمية" في عرضه للتثليث بالفرق الثلاثة الكبرى الملكية<sup>(1)</sup> والنسطورية واليعقوبية<sup>(2)</sup>، فنقل أقوالهم وسجل عليهم مأخذهم وبيّن مناقضتهم للتوحيد الذي يقولون به، كما أنه يشير في بعض المواضع إلى الفرق الثانوية وقد خصّ بالذكر اتباع "أريوس" وذلك لاتخاذ هذه الفرقة حجة على النصارى في عدولهم عن دين المسيح، فقد كان هؤلاء موحدين يقولون "إنّ الله ليس بجسم ولا أقانيم له، وأنّ المسيح لم يقتل ولم يصلب وأنّه نبي".<sup>(3)</sup> وهذا يثبت عليهم تحريفهم لدين المسيح الذي ما جاء إلا بالتوحيد.

وتمتاز طريقة ابن تيمية في نقاشه للخصم بتوظيف دلالة التعريف باللفظ<sup>(4)</sup> كأداة استدلالية يستجلي بها حقيقة محتوى المصطلحات التي يستخدمها النصارى للتعبير عن الإلهيات النصرانية ، وقد سهّل هذا المنهج حصر مجال النقاش ضمن ما تقتضيه اللّوازم الكلامية لتلك الألفاظ ، فيسجل عليهم اختلافا ظاهرا بين أقوالهم فيسألهم : "ما الذي أراد المسيح بلفظ الابن والاب وروح القدس من هذه الأمور التي اختلفتم فيها ، لو كان مراده ما ادّعيتم من الأقانيم؟؟؟".

والأقانيم - لفظا ومعنى - لا يوجد في كلام أحد من الأنبياء، بل قيل فيها إنها لفظة رومية، يفسرونها تارة بالأصل، وتارة بالشخص، وتارة بالذات مع الصفة، ويفسرونها تارة بالخاصة، وتارة بالصفة".<sup>(5)</sup>

(1) الملكية : طائفة مسيحية من الطقس البيزنطي ، سمو الملكيين لأنهم أيدوا القرار الذي اتخذه مجمع خلقدونية عام 451 م ، القائل بطبيعة واحدة للمسيح ، ويسمون الروم الكاثوليك . أنظر ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ج 1 ، ص 110-111 . وابن حزم الأصول والفروع (الهامش) ، ج 2 ، ص 206.

(2) اليعقوبية : وهم أصحاب يعقوب ، قالوا بالأقانيم الثلاثة ، وقالوا إن الكلمة من الله إنقلبت في عيسى عليه السلام لحما ودمما فصار الإله هو المسيح وصلب وقتل ومات ، ابن حزم : الملل والأهواء والنحل ، ج 1 ، ص 111-117 ، و ابن حزم : الأصول والفروع ، ج 3 ، ص 380-381.

(3) - ابن تيمية: الجواب الصحيح ، ج2، ص311.

- ومن الملاحظ أن النصارى الموحدين ما زالوا متواجدين إلى اليوم تيارا في البروتستنتية ويعرفون باسم السوسينيون (Sociniens) نسبة إلى ليليو سوزيني (Lelio Sicin) مؤسس هذا المذهب الذي رفض عقيدتي التثليث والوهية المسيح وذلك منذ القرن السابع عشر ، وقد انضم أتباع هذا الإتجاه إلى البروتستانتيين تحت لواء جمعية دولية منذ سنة 1901م. أنظر :  
- Royston picke. E : Dictionnaire des Religions,(Unitairiens), p 310-311.

(4) انظر عن هذه الآلة الإستدلالية الفصل الثاني مبحث : المنهج الجدلي.

(5) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 3 ، ص 164.

وهذا إنما يشير إلى معرفة تقريبية للمعاني الفلسفية الحاقفة بالصيغ الثالوثية الشائعة بين النصارى، وقد أوقعهم ذلك في التناقض لجهلهم اللوازم الكلامية الناتجة عن المصطلحات الفلسفية المستخدمة في التعبير عن الإلهيات النصرانية والتي يرجع أصلها إلى المجتمع الرومي، لذلك فهم "لا يعقلون مذهبهم في التوحيد، إذ هو شيء متخيل لا يعلم ولا يعقل ، حيث يجعلون الرب جوهرًا واحدًا، ثم يجعلونه ثلاثة جواهر، ويتأولون ذلك بتعدد الخواص والأشخاص التي هي الأقانيم، والخواص عندهم ليست جواهر فيتناقضون مع كفرهم". (1)

وهذا يرجح أن السبب في ذلك راجع لعدم التعود على المصطلحات الخاصة بالإلهيات النصرانية التي استمدت لا محالة من المقولات الفلسفية اليونانية ، ولكنها اكتسبت أبعادًا تتجاوزها. (2) وهذا ما أكد عليه الأب توماس ميشال بقوله: " لقد لجأ المفكرون المسيحيون على مرّ الأجيال إلى المفاهيم والنظم الفلسفية السائدة في أيامهم للتعبير عن سرّ الله الثالوث... وأقرّ البابوات والمجامع الكنيسية أن بعض صيغ التعبير مغلوطة ، ولكنهم لم يقصروا صيغ التعبير الأخرى على ما حدّده". (3) لذلك يولي "ابن تيمية" المصطلحات الخاصة بالإلهيات النصرانية بالشرح المستفيض لبيان معناها اللغوي والاصطلاحي وما يترتب عليها من دلالات كلامية، حتى إذا حدّد مفهومها لدى النصارى نقض عليهم شبهتهم وبيّن أن نزاعهم لفظي وهو ما أوقعهم في الخطأ والتناقض. ويعتبر ذلك نقطة تحول لمنهج الفكر الإسلامي ثم فيه وضوح النظرة لتحديد المفاهيم والمصطلحات الفلسفية اللاهوتية. وقد يسّر هذا العمل على شيخ الإسلام نقد الجانب السلبي للمسيحية ، وذلك بكشفه عن تناقض أقوالهم وعدم تحديدهم للألفاظ الفلسفية المستعملة في غير ما نظام أو ربط منطقي نتج عنه تناقض واختلاف في محاولتهم لتصوير عقيدتهم . " ولما كان قول النصارى في التثليث متناقضًا في نفسه لا حقيقة له صار مجرد تصوّره التام كافيًا في العلم بفساده من غير احتياج إلى دليل ، وإن كانت الأدلة تظهر بفساده". (4)

فينصّب زيادة على العلم بفساد عقيدة النصارى أدلة تثبت بطلان دينهم عقلاً ونقلاً ، وهذا ما سنراه في المبحث القادم من هذا الفصل.

إنّ أهمّ ما يلفت الإنتباه في عرض ابن تيمية لأهم القضايا المتعلقة بعقيدة التثليث هو حرصه على نقل مفهوم النصارى للإله، وبيان الدافع للقول بالأقانيم الثلاثة، الأب والإبن وروح القدس، فكان البحث الموضوعي في مناقشة الأدلة العقلية والنقلية كفيلاً بالتأكيد على أن النظرية الثالوثية هي عملية تأويلية أسقطت على نصوص الكتب المقدسة.

(1) ابن تيمية : مجموع الفتاوى ، ج2 ، ص 173

(2) الشرفي عبد المجيد : الفكر الإسلامي في الرد على النصارى ، ص 200

(3) ميشال توماس : مدخل إلى العقيدة المسيحية ، ص 65.

(4) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج3 ، ص 166.

## المبحث الثاني: مناقشة أدلة التثليث العقلية .

يؤسس "ابن تيمية" رده على عقيدة التثليث النصرانية على مقدمة فاسدة ترفضها المبادئ المنطقية الأولية، فهو لا يرى مسوغاً عقلياً يجوز به إعتقاد ما يدعون انتحاله لتناقضه ، وذلك لزعمهم "إن الثلاثة واحد والواحد ثلاثة ، وهذا لا يصح اعتقاده ، لأنه لا يجوز أن يعتقد المعتقد في الشيء بأنه ثلاثة مع اعتقاده فيه أنه واحد ، لأن ذلك متضاد".<sup>(1)</sup>

فيمثل قول النصارى في جمعهم بين النقيضين بمن يدعي في الشيء أنه موجود معدوم أو قديم محدث ، أو في الجسم أنه قائم قاعد ، متحرك ساكن<sup>(2)</sup> وهم بهذا يمنعون عن إثبات أحد النقيضين ونفي الآخر، فهم يلعنون من أبطل التثليث وقال بالتوحيد ، ويلعنون من قال بالتثليث وأبطل التوحيد فيقال لهم : "رفع النقيضين ، كجمع النقيضين ، والإمتناع عن إثبات أحد النقيضين كالإمتناع عن نفي أحد النقيضين، وكل قول يتضمن جمع النقيضين وإثبات الشيء أو نفيه أو رفع النقيضين بالإثبات والنفي فهو باطل".<sup>(3)</sup>

ويعقد "ابن تيمية" مقارنة بين قولهم وقول الملاحدة من الجهمية والفلاسفة والباطنية "الذين يسلبون عنه النقيضين أو يمنعون عن إثبات أحد النقيضين فيقولون : لا نقول هو حي وليس بحي ، ولا هو عالم ولا ليس بعالم ، ولا قادر ولا ليس بقادر"<sup>(4)</sup> معتبراً قول النصارى من قولهم. ويناقد "ابن تيمية" النصارى باعتبار دعواهم أنهم عبروا بالتثليث على ما تقوم عليه صفات الله بأنه أحادي الذات ثلاثي الصفات ، قائلاً لهم : "لو اقتصرتم على قولكم ، إنه واحد وله صفات متعددة ، لم ينكر ذلك عليكم جمهور المسلمين ، بل ينكرون تخصيص الصفات بثلاثة فإن هذا باطل من وجوه متعددة".<sup>(5)</sup>

ويحصي ذلك ضمن مذهبه السني القائم على التوحيد الحق الذي عليه المسلمون موظفاً دلالة السبر والتقسيم ، فالذات الإلهية ذات واحدة متصفة بصفات الكمال، وهي الموجبة للعبادة لا شيء من صفاته يستحق ذلك فيقول :<sup>(6)</sup>

- منها : أن الأب عندكم هو الجوهر ليس هو صفة ، فلا يكون له صفة إلا الحياة والعلم ، فيكون جوهرًا واحدًا له أقنومان ، وأنتم جعلتم ثلاثة أقانيم.

- ومنها: أن صفات الرب لا تنحصر في العلم والحياة ، بل هو موصوف بالقدرة وغيرها. وهذا لا يجعل الله ثلاثة آلهة فقط بل يقتضي كونه لا متناهيًا ، على اعتبار أن كل صفة هي إله.

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج3 ، ص 166.

(2) المصدر نفسه ج3 ، ص 167.

(3) المصدر نفسه ج3 ، ص 178.

(4) المصدر نفسه ، ج3 ، ص 178.

(5) المصدر نفسه ، ج3 ، ص 168.

(6) المصدر نفسه ، ج3 ، ص 167.

- ومنها: أنكم تارة تفسرون روح القدس بالحياة ، وتارة بالقدرة وتارة بالوجود وتفسرون الكلمة تارة بالعلم ، وتارة بالحكمة ، وتارة بالكلام ، فبطلان قولكم في إثبات ثلاثة صفات كثير ، وأنتم مع هذا تجعلون كل واحد منها إلها. وهذا مبني على دعوى النصارى باستحقاق العبادة للذات وبعض الصفات ومن حل فيه بعضها لجهلهم بمعنى العبودية.

وتجدر الإشارة إلى أن ابن تيمية في مناقشته للصفات، جعل ذلك مناسبة للرد على نفاة الصفات، فينكر عليهم ردهم لقول النصارى وهم يشاركونهم في معناه فيسألهم: "ألسنتم تقولون: إن الأبعاد الكثيرة عشرة واحدة، والأجسام الكثيرة دارا واحدة، ومدينة واحدة، وما جرى هذا المجرى، مما هو أكثر من أن يحصى ، وأظهر من أن يخفى ، فكيف عبتم ذلك من النصارى ؟ ولما أنكرتم أن يكون ثلاثة أقانيم جوهرًا واحدًا؟" (1). فابن تيمية يبطل على المعتزلة إبعاد الصفات لذات الخالق بدعوى تجنب الأشخاص في الإله كما تزعم النصارى و بذلك يكشف عن فساد مذهبهم في التوحيد. (2) وهذا يعطي ميزة لمنهجية الجدل الكلامي عند ابن تيمية ، إذ يجمع بين الطريقة الجدلية والمقارنة - في الوقت نفسه - بين المذاهب والأفكار.

ويكشف ابن تيمية عن الشبهة التي أوقعت النصارى في التناقض ، فهو يرى أن وصفهم للأقانيم بأنها جوهر "إنما ينبئ أنها جملة ، وليس هذا مما يذهبون إليه ، ولا يعتقدونه ولا يجعلون له معنى ، لأنهم لا يعطون حقيقة التثليث فيثبتون الأقانيم الثلاثة متغايرة ، ولا حقيقة التوحيد فيثبتون القديم واحدا ، ليس باثنين ولا أكثر من ذلك". (3)

فما قالوه هو شيء لا يعقل ، ولا يصلح اعتقاده ، وهذا يبطل قناعة ابن تيمية وغيره في رفضهم لعقيدة النصارى ، كونها قولا متناقضا وكفرا صارخا ، وهذا ما سنكتشفه من خلال مناقشته الكلامية لجزئيات هذا الموضوع والذي اهتم فيه بالنقاط التالية :

**المطلب 1 :** مناقشة القول بأن الله جوهر.

**المطلب 2 :** مناقشة القول بأن الله ثلاثة أقانيم.

**المطلب 3 :** علاقة الجوهر بالأقانيم.

## المطلب الأول: مناقشة القول بأن الله جوهر.

يناقش "ابن تيمية" مفهوم الجوهر (4) عند النصارى ويقابله بالإستعمال الشائع لتحديد مدخل

الشبهة

(1) المصدر نفسه ، ج 3 ، ص 168.

(2) أنظر : Masson, D. : Monothéisme coranique et Monothéisme biblique , p. 109.

(3) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 3 ، ص 168.

(4) عن مناقشة أصحاب الردود لمبحث "الجوهر أنظر: الشرفي: الفكر الإسلامي في الرد على النصارى ص 204 وما بعده.

عند الخصم فلا يرد عليه إلا بعد معرفة قصده من كلامه، وهو ما لم نلاحظه في بعض الردود التي تسنى لنا الإطلاع عليها. فيكشف عن خطأ النصارى في استعمالهم لفظ الجوهر للدلالة على الباري عزوجل، فينصب لذلك أدلة عقلية، يرفض بموجبها الدلالات التي عبروا بها عن محتوى إلهيات عقيدة التثليث، لأن ذلك يستوجب أن يكون الله جسماً، مركباً، متحيزاً، حادثاً، مشابهاً لغيره، لا فرق بينه وبين خلقه -تعالى الله عن قولهم- .

أما في الجانب اللغوي، فيستند ابن تيمية إلى تعريف الجوهري الذي يبحث في أصل الكلمة، إذ الجوهر لفظ ليس من العربية العرباء<sup>(1)</sup>، ولما عرب كان معناه في اللغة هو الجوهر المعروف، وتسمية القائم بنفسه، أو الشاغل للحيز جوهرًا، فهو أمر قد اصطلح عليه<sup>(2)</sup>.

" أو قد قيل : سمّوه بذلك لأنّ جوهر الشيء أصله ، والقائم بنفسه هو الأصل ، وقد يسمّون العرض القائم بغيره جوهرًا"<sup>(3)</sup>.

"وقيل : لأنّ لفظ الجوهر، فوعل، من الجهر، وهو الظهور والوضوح، والقائم بنفسه يظهر ويعرف قبل أن يعرف ما قام به من الأعراض"<sup>(4)</sup>.

وهذه الاستعمالات للفظ تدل على أن الجوهر يطلق على الأعيان القائمة والتي تحمل أعراضاً، فهي جوهر أو جسم لا فرق بين ذلك . فيكون الجوهر "ما شغل الحيّز وقبل الأعراض، والله سبحانه وتعالى ليس كذلك" وهو ما ذهب إليه المتكلمون<sup>(5)</sup>.

أما الفلاسفة أمثال ابن سينا وغيره، فقد قالوا بأنّ "الجوهر ما إن أوجد كان وجوده لاقى موضوع"<sup>(6)</sup> وهذا إنّما يكون فيما وجوده زائداً على ذاته، وواجب الوجود وجوده هو عين ذاته، فلا يكون جوهرًا"<sup>(7)</sup>.

فالإستعمال الشائع لهذا اللفظ لا يجوز إطلاقه على الله تعالى لأنه لا يدلّ عليه بل يطلق على الأجسام الحادثة، لهذا لم يكن اللفظ يحمل معنى صحيحاً يدلّ على ذات الله التي من خصائصها الأزل والقدم وعدم الحدوث، وهو محلّ الشبهة التي أثارها على النصارى جدلاً حاداً، والسبب راجع لكونهم وظّفوا هذا اللفظ في غير معناه الشائع، فالجوهر عندهم "هو غير المفتقر في وجوده لذاته"<sup>(8)</sup> أو هو

(1) أنظر في ذلك الجوهري إسماعيل بن عماد : كتاب الصحاح ، تحقيق عطار أحمد عبد الغفور ط3 (بيروت : دار العلم للملايين 1404هـ - 1984م) ج 2 ، ص 619

(2) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 3 ، ص 204.

(3) المصدر نفسه ، ج 3 ، ص 205.

(4) المصدر نفسه ، ج 3 ، ص 205 .

(5) المصدر نفسه ، ج 3 ، ص 204.

(6) من كلمات المناطق التي تبين بها حدود الأشياء ، والموضوع يقصد به الصفات التي تتعلق بالموجود أنظر في ذلك : ابن حزم : الفصل في الملل (الهامش) ، ج 1 ، ص 14.

(7) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 3 ، ص 204.

(8) الصالح صبحي وجبر فريد : فلسفة الفكر الديني بين الاسلام والمسيحية ، ج 2 ، ص 296.



"القائم بذاته".<sup>(1)</sup> والنصاري خالفوا في استعمالهم ما اصطاح عليه المسلمون فما "يفتقر في وجوده لغيره وما لا يفتقر فهو الواجب الوجود لذاته والممكن الوجود لذاته ، فهذا تفسير الواجب والممكن لا تفسير الجوهر والعرض... بل الجوهر والعرض كلاهما من أقسام ما يفتقر في وجوده إلى غيره".<sup>(2)</sup>

وابن تيمية يسند إطلاق الجوهر إلى الفلسفة الأرسطية القديمة وعنها أخذت النصاري هذه التسمية، فإن أرسطو كان قبل المسيح بأكثر من ثلاثمائة سنة وقد ذكرت طائفة أن أفلاطون كان ينكر تسميته جوهرًا.<sup>(3)</sup> وهذا يكشف عن تأثر المصطلحات اللاهوتية للإلهيات النصرانية بالمقولات الفلسفية اليونانية ، وهو ما يجزم به ابن تيمية وذلك في قوله :

"والأظهر أن النصاري إنما أخذوا تسميته جوهرًا عن الفلاسفة ، فإنهم ركبوا قولاً من دين المسيح ودين المشركين الصابئين".<sup>(4)</sup>

وهو بهذا يثير مسألة غاية في الأهمية وكثيرا ما يشير إليها في كتاباته ، وهي خطر الفلسفة على الديانات السماوية . إذ يعتبرها السبب المباشر الذي أدى إلى تحريف اليهودية والنصرانية ، وهي السبب نفسه الذي أدى إلى ظهور الفرق الغالية التي تنتسب إلى الإسلام والإسلام براء منها.

ومن خلال مناقشة ابن تيمية لمفهوم الجوهر عند كل من المسلمين والنصاري ، تبين أن الطرفين يختلفان في معناه ، بالرغم من اشتراكهما في الاعتماد على المقولات المنطقية اليونانية ، والسبب راجع لتباين ثقافة كل منهما مما أضفى تصورا خاصا على المصطلحات الفلسفية<sup>(5)</sup>، فبينما يرفض الفكر الإسلامي تسمية الله جوهرًا ، فإن اللاهوتيين المسيحيين يجيزون ذلك لتلاؤمه مع ما ذهبوا إليه من تأويل، وهذا يؤكد أن المصطلحات اللاهوتية المسيحية قد اكتسبت أبعادا تتجاوزها. وأهم ما

(1) المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 298 ، وانظر الإيجي : الموافق ، ص 273.

(2) القرافي : الأجوبة الفاخرة (على هامش الفارق بين المخلوق والخالق) ، ص 59.

(3) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 3 ، ص 304.

(4) - ابن تيمية : درء تعارض العقل والنقل ، ج 4 ، ص 142.

- الصابئة : تطلق هذه التسمية على فريقين ، أولاهما جماعة المندائيين، أتباع يوحنا المعمدان، وثانيهما صابئة "حران" الذين عاشوا زمنا في كنف الإسلام، وقد ورد ذكرهم في القرآن، وهم يحرمون الختان، ويمنعون تعدد الزوجات، ويؤدون ثلاث صلوات كل يوم، ويتحدثون بلغة سامية قريبة من السريانية .

ويذكر لنا الشهرستاني عن هذه الفرقة أنها كانت تقول إنا نحتاج إلى معرفة الله ومعرفة طاعته وأوامره وأحكامه إلى متوسط، ولكن ذلك المتوسط يجب أن يكون روحانيا لا جسمانيا وذلك لزكاء الروحانيات وطهارتها وقربها من رب الأرباب، ولكن هذا الاتجاه للصابئة لم يكن إلا في أول عهدها، فالصابئة كانوا يقيمون في القدس، ثم انتقلوا إلى "حران" فتأثروا هناك بمن حولهم من عبدة الكواكب والنجوم ومالوا إلى مذهبهم، وقد هاجر معظمهم إلى جنوبي العراق وإيران حيث يعرفون بصابئة البطائع. أنظر: الشهرستاني: الملل والنحل، ج2، ص289، والأمني عبد الله: الفرق والمذاهب القديمة والمعاصرة، ط2 (بيروت: دار الحقيقة، 1991م)، ص 411 وما بعدها وابن حزم الفصل في الملل والنحل (الهامش) ج1، ص 88.

(5) الشرفي عبد المجيد : الفكر الإسلامي في الرد على النصاري، ص 206-207 وانظر في ذلك الصالح صبحي وجبير في: فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية ج2، ص 296.

يمكن استخلاصه من مناقشة ابن تيمية لهذا الجانب نعرضه في النقاط التالية :

1- أن شبهة النصارى لفظية ناتجة عن تسمية الله جوهرًا والتي تؤدي دلالاتها الكلامية للتحيز والحدوث والله عزوجل متصفاً بالقدم .

2- أن تسمية الله جوهر يفضي للذلالة على أنه مفقود لغيره ، وهم يقولون أنه قائم بنفسه غير مفقود لغيره.

3- أن النصارى لا يفرقون بين الجوهر والجسم في خاصيات كل منهما.

4- أنهم خصصوا مصطلحات فلسفية للتعبير عن الإلهيات النصرانية تتعارض مع ما اصطلح عليه.

وعلى هذا الأساس فلفظ الجوهر لا ينطبق على ذات الباري ، لأنه دلالة على العرض والحدوث والتركيب والتحيز والإفتقار وهي نفس النتائج التي أفضت إليها مداخلات الشيخ عند مناقشته للحجج التي استدلوها بها على كون الله جوهرًا فيبطلها في عدة نقاط معترضا على قولهم أن الموجودات إما جوهر وإما عرض.

فقولهم: أنه ليس في الوجود شيء إلا وهو إما جوهر وإما عرض، لأن أي أمر نظرناه وجدناه إما قائم بذاته غير مفقود في وجوده إلى غيره وهو الجوهر، وإما مفقود في وجوده إلى غيره، لا قوام له بنفسه، وهو العرض، ولا يمكن لهذين القسمين قسم ثالث<sup>(1)</sup>.

"ولما كان الباري تقدست أسماؤه أشرف الموجودات إذ هو سبب سائرها ، أوجب أن يكون أشرف الأمور وأعلاها الجوهر"<sup>(2)</sup>.

فيعترض ابن تيمية على قولهم أن الموجودات إما جوهر وإما عرض ، وليس في الموجودات غيرها ، وذلك يتعين أن يكون الله جوهرًا لضرورة الحصر بينهما<sup>(3)</sup>. واسم الجوهر واقع على ما يحتمل التجزئة والتبعيض ، وهذا يجب معه عدم كون الله جوهرًا لأنه لا يحتمل التركيب "وهم إنما يدخلونه تحت الجوهر ، فإذا أدخلوه تحت الجوهر، فقد وجب ضرورة أن يحدثوه بحدّ الجوهر، فإذا كان ذلك ، وجب أن يكون محدثًا ، إذ كل محدود فهو محدث"<sup>(4)</sup>. وهذا يلزم منه أن يكون قابلاً للأعراض ، فيحصى الشيخ جملة من النتائج الفاسدة تترتب عن هذا الإلزام نذكرها في نقاط متتالية :

**أولاً:** " أن هذا الذي ذكره تناقض بين، فإنهم قالوا: الوجود إما جوهر وإما عرض فالقائم بذاته هو الجوهر، والقائم بغيره هو العرض، ثم قالوا إنه موجود حي ناطق له حياة ونطق . فيقال لهم: حياته ونطقه إما جوهر وإما عرض، وليس جوهرًا لأن الجوهر ما قام بنفسه،

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 3 ، ص 202.

(2) المصدر نفسه ، ج 3 ، ص 202.

(3) المصدر نفسه ، ج 3 ، ص 202 و ص 222.

(4) ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج 1، ص 115.

والحياة والنطق لا يقومان بأنفسهما بل بغيرهما، فهما من الأعراض، فتعين أنه عندهم جوهر تقوم به الأعراض، مع قولهم إنه جوهر لا يقبل عرضاً".<sup>(1)</sup>

**ثانياً:** "وإن قالوا نعني بالأعراض الصفات العارضة أو القائمة بالأجسام كان هذا مناقضاً لقولهم: الموجود إما جوهر وإما عرض، مع قولهم: إن الرب جوهر ثلاثة أقانيم، والأقنوم ذات وصفة، مع قولهم إن الرب جوهر، فقولهم يقتضي أن الرب جوهر تقوم به الأعراض فكيف غيره؟".<sup>(2)</sup>

فلو كان البارئ تعالى بعض صفاته ألزمهم القول بأن الله جسماً ولو كانت هذه الصفات واقعة عليه من طريق وجوب وقوعها علينا، كان البارئ حادثاً وألزمهم ذلك القول بأن الله مخلوقاً<sup>(3)</sup>، وهذا لا يجوز على الله فبطل أن يكون جسماً أو جوهرًا.

**ثالثاً:** "وإن عنوا بلفظ العرض شيئاً آخر، لم ينفعهم ذلك، فإن المتكلمين الذين قالوا: الجوهر ما يشغل حيناً ويقبل عرضاً، إنما أرادوا بالعرض ما يقوم بغيره من المعاني، والخالق تعالى عندهم تقوم به الحياة والعلم، فإذا كان الخالق تقوم به المعاني، وهم يسمونه جوهرًا، فكيف لا تقوم بغيره المعاني؟".<sup>(4)</sup>

فابن تيمية يبطل حجج النصارى على كون الله جوهرًا ويشير إلى خطئهم الذي أوقعهم في التناقض بقوله: "وهؤلاء يثبتون جوهرًا لا تقوم به الأعراض، مع قولهم إنه تقوم به المعاني، وهذا الإصطلاح لهم لا يوافقهم عليه أحد".<sup>(5)</sup>

فعلى تفسير النصارى للجوهر يلزم أن لا يكون القابل للعرض والشاغل للحيز جوهرًا، وإذا تقرر هذا ظهر خطأهم في إطلاقهم لفظ الجوهر على البارئ تعالى<sup>(6)</sup>، وقد أدى هذا إلى جملة من المتناقضات في البناء العقدي لنظرية التلث النصرانية، فهم يرون أن الله "جوهر ثلاثة أقانيم، ووصفوه بالصفات الثبوتية، وهي الحياة والنطق، وقالوا: الموجود إما جوهر وإما عرض، فلزمهم أن تكون صفات الله أعراضاً عندهم"<sup>(7)</sup> وهذا يعني أن الله تقوم به الأعراض.

ثم قالوا: "الجوهر اللطيف، لا تقوم به الأعراض، ونزّهوا الرب أن تقوم به الأعراض مع قولهم

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج3 ، ص 224.

(2) المصدر نفسه ، ج3 ، ص 223.

(3) ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ج1 ، ص 115.

(4) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج2 ، ص 221.

(5) المصدر نفسه ، ج2 ، ص 222-223.

(6) أنظر في هذا الموضوع القرافي : الأجوبة الفاخرة (على هامش الفارق) ، ص 60.

(7) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج3 ، ص 223.

إنه جوهر ، فتناقضوا تناقضا بينا ، حيث جمعوا بين كلام الرسل وأتباعهم ، وبين كلام المشركين المعطلين الفلاسفة" (1)

إن ما ينبغي تسجيله لمداخلات ابن تيمية الكلامية ، هو وعيه بتناقض صيغ النظرية التالوثية ، فهي في نظره منافية للتوحيد الذي جاء به الرسل ، ويرجع سبب ذلك لمخالطة فلسفة اليونان لدين المسيح ، فيقول موضحا ذلك :

" إذا قدر أنهم يدعون ثبوت جوهر لا تقوم به الأعراض ، فهذا اصطلاح لهم وافقوا فيه نفاة الصفات من الفلاسفة كأرسطو وأتباعه ، فإنهم يقولون : إن الرب جوهر لا يتصف بشيء من الصفات الثبوتية ، لكن ليس هذا قول النصارى ، فتبين أنهم في قولهم : إن الرب جوهر ، وفي قولهم : إن من الجواهر ما لا تقوم به الصفات ، موافقون للمشركين الفلاسفة ، أرسطو وأتباعه ، لا موافقون للمسيح والحواريين ، وأنهم أثبتوا الصفات له موافقة للمسيح والحواريين ، ثم جعلوه جوهرًا ، ثم قالوا : إن الجوهر اللطيف لا تقوم به الصفات ، وهذا قول الفلاسفة المشركين المعطلين" (2) ليخلص بعد هذا البحث إلى ما أكد عليه في مواضع كثيرة وهو خطر الفلسفة على دين التوحيد ، فالثقافة اليونانية المبنية على الفلسفة الأرسطية قد أدخلت أفكارا فاسدة نحت بدين المسيح لدعوى التثليث والشرك فيقول :

" وهذا تحقيق ما ذكرناه عنهم من أنهم ركبوا دينا من دين المسيح والحواريين ودين الكفار المشركين" (3)

**رابعاً:** يورد ابن تيمية سؤالا على النصارى يوجب به فسادا في عقيدتهم موظفا في ذلك القياس الشكلي بقوله :

"الابن القديم الأزلي الموجود من جوهر أبيه ، الذي هو مولود غير مخلوق الذي تجسد ونزل ، هو جوهر قائم بنفسه ، أم هو عرض قائم بغيره؟ والوجود عندكم إما جوهر وإما عرض ، فإن قلتم : هو جوهر ، فقد صرحتم بإثبات جوهرين ، الأب جوهر والابن جوهر ، ويكون حينئذ أقنوم الحياة جوهرًا ثالثًا ، فهذا تصريح بإثبات ثلاثة جواهر قائمة بأنفسها ، وحينئذ فيبطل قولهم : إنه إله واحد ، وإنه أحادي الذات ، ثلاثي الصفات ، وأنه واحد بالجواهر ثلاثة بالأقنوم ، إن كنتم قد صرحتم على هذا التقدير - بإثبات ثلاثة جواهر" (4)

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 3 ، ص 223.

(2) المصدر نفسه ، ج 3 ، ص 222. وانظر :

BOUAMAMA Ali : La littérature polémique musulmane contre le christianisme , p. 183 - 184.

(3) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 3 ، ص 222.

(4) المصدر نفسه ، ج 3 ، ص 225.

والظاهر أن النصارى يبررون موقفهم بتفريقهم بين نوعين من الجواهر بقولهم "إن الذي يقبل عرضا ويشغل حيزا هو الجوهر الكثيف ، فأما الجوهر اللطيف فما يقبل عرضا ولا يشغل حيزا ، مثل جوهر النفس ، وجوهر العقل ، وجوهر الضوء ، وما يجري مجرى ذلك من الجواهر اللطيفة المخلوقة".<sup>(1)</sup>

فيرفض ابن تيمية تفريق النصارى بين نوعين من الجواهر، جوهر كثيف وجوهر لطيف ويبطل تخصيصهم لله الجوهر اللطيف ، باعتبار أن الجواهر اللطيفة إذا كانت لا تقبل عرضا ، ولا تشغل حيزا، فيكون خالق الجواهر اللطائف والكثائف ومركب اللطائف بالكثائف يقبل عرضا ويشغل حيزا<sup>(2)</sup>، فقولهم إن الجوهر اللطيف ، لا يقبل عرضا كلام ممنوع ، وهو باطل أيضا ، فإن نفس الإنسان تقبل الأعراض القائمة بها ، ولفظ العرض في اصطلاح النظائر يراد به ما قام بغيره سواء كان صفة لازمة أو عارضة، وهذا موجب تقسيم النصارى ، كما هو قول الفلاسفة.<sup>(3)</sup>

" وإن كان الأمر على ما قالوه ، فالضوء القائم بالأرض والهواء ، عرض ليس جوهرًا قائمًا بنفسه ، وهم قد جعلوه جوهرًا وهذا تناقض بين .

وأيضًا فالجواهر اللطيفة تقوم بها الأعراض ، كالحياة والعلم ، بل والرب -على قولهم- تقوم به الحياة والعلم ، فإذا سموه جوهرًا ، لزمهم أن يسموا صفاته أعراضًا ، إذا قالوا : لا موجود إلا جوهر أو عرض ، فهؤلاء إن عنوا بالعرض هذا فكل جوهر يقبل الصفات<sup>(4)</sup> ، وكل جوهر يقبل الصفات العرضية سواء كان لطيفًا أو كثيفًا.

والنتيجة التي نستخلصها من تحليلات ابن تيمية ، هي أن جميع الأدلة التي استدلت بها النصارى على كون الله جوهرًا باطلاً، لأن جميعها لم تنكر على الله أن يكون حاملًا للأعراض ، متحيزًا ، مركبًا، وهو بذلك حادثًا لا يختلف عن غيره من الموجودات ، وهو ما يبرر رفض ابن تيمية تسمية الله جوهرًا.

### المطلب الثاني : مناقشة القول بأن الله ثلاثة أقانيم.

يرى ابن تيمية أن لفظة "الأقانيم" مستحدثة لم ينزل بها شرع كما لم يدل عليها عقل، فكتب النصارى لم تنطق بها كما أن الدلالات العقلية تجزم على خطأ النصارى في استعمالهم لفظ الأقانيم للدلالة على الباري.<sup>(5)</sup>

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج3 ، ص 203.

(2) المصدر نفسه ، ج3 ، ص 203.

(3) المصدر نفسه ج3 ، ص 220.

(4) المصدر نفسه ج3 ، ص 221.

(5) المصدر نفسه ، ج2 ، ص 100.

وكثيرا ما ينبهنا "ابن تيمية" إلى الأصول التاريخية لمقالة النصارى في الإلهيات، وأنها ليست من قول الأنبياء ، وإنما ورثها هؤلاء فلاسفة الرومان ، فيذكر وهو يناقش النظرية الثالوثية للمسيحية أن الأقبوس في لغتهم " معناها الأصل ولهذا يضطرون في تفسير الأقبوس تارة يقولون أشخاص ، وتارة خواص ، وتارة صفات وتارة جواهر ، وتارة يجعلون الأقبوس اسما للذات والصفة معا".(1)

ويظهر أن الأقبوس -على ما ذهب إليه النصارى- أشخاص موصوفة بصفات قائمة بها ومميّزة لها عما سواها(2) ، فإن لفظ الأقبوس لا يطلق على الصفات إن عني به الأصل ، وإن ردّ ذلك للدلالة على الجوهر، أو ذات الله ، فلا يعرف أنهم أرادوا بهذا اللفظ إلا ما دلّ على الجسم والتحيّز " لأنّ قولنا في شيء أنه واحد يقتضي في الوجه الذي صار واحدا لا يتجزأ ولا يتبعّض ، وقولنا ثلاثة يقتضي أنّه متجزئ"(3) كما أنّ ذلك يقتضي أنها مركّبة وذلك ينفي عنها الصفة الأولى للألوهية ، وهي كونها أزلية.

وما يلاحظه ابن تيمية في قول النصارى ، اختلاف فرقه في فهم دلالات لفظ "الأقبوس" فقال قوم منهم : هي جواهر ، وقال قوم : هي خواص ، وقال قوم : هي صفات ، وقال قوم : هي أشخاص ، والأب عندهم الجوهر الجامع للأقبوس ، والابن هي الكلمة التي اتحدت عند مبدأ المسيح ، والروح هي الحياة ، واجتمعوا على أنّ الإتحاد صفة فعل ، وليس بصفة ذات".(4)

ويلاحظ من هذا الطرح تناقض النصارى في اعتبارهم الأقبوس جواهر، لأنّ ذلك يلزمهم أن تكون أزلية وهذا ينفي قولهم كون الأب علّة للأقبوس الآخرين ، أقبوس الابن وأقبوس الروح القدس ، باعتبار أنّ أقبوس الأب هو الجوهر الجامع للأقبوس الثلاثة ، ومع اختلاف النصارى وافتراقهم إلى مذاهب فهم مجتمعون على القول بالتثليث ، فقولهم : "الأب والابن وروح القدس ثلاثة آلهة ، وهي إله واحد ، والمتدرّج بناسوت المسيح هو الإبن ، ويقولون هي الوجود ، والعلم ، والحياة ، والقدرة"(5) ، ولكي يثبت الإمام ذلك يطرح القضية طرحا جدليا يناقش فيه مفهوم النصارى للأقبوس ناهجا طريقة التعريفات لتحديد المصطلحات اللاهوتية المعبر بها عن عقيدة النصارى في التثليث.

فالأقبوس إن كانت " صفات فليست آلهة ، ولا يتصوّر أن يكون المتدرّج بالمسيح إليها ، إلا أن يكون هو الأب ، وإن كانت جواهر ، وجب أن لا تكون إليها واحدا ، لأنّ الجواهر الثلاثة لا تكون جوهرًا واحدا ، وقد يمثلون ذلك بقولنا زيد العالم القادر الحي ، فهو بكونه عالما، ليس هو بكونه قادرا ، فإذا قيل لهم هذا كلّه لا يمنع أن يكون ذاتا واحدا لها صفات متعدّدة،

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج2 ، ص 100.

(2) عرف الأقبوس بأنه : القائم بذاته ، وهو الاكتمال الكلي والاستقلال بالذات والروحانية ، والأقبوس أشخاص مستقلين ، أنظر في ذلك الصالح صبحي وجبر فريد : فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية ج2 ، ص 297 - 298 ، والعثماني محمد تقي : ماهي النصرانية ص 19 ، وميشال توماس اليسوعي : مدخل إلى العقيدة المسيحية ، ص 65.

(3) القاضي عبد الجبار : شرح الأصول الخمسة ، ج5 ، ص 95.

(4) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج2 ، ص 310-311 وانظر في ذلك القرافي : الأجوبة الفاخرة (على هامش الفارق) ، ص 157.

(5) المصدر نفسه ، ج2 ، ص 184.

وأنتم لا تقولون ذلك".<sup>(1)</sup> فهذا نقض لقولهم أنها صفات أو جواهر.

كما يتعرض ابن تيمية في تحليلاته النقدية لتعريف النصارى للأقنوم بأنه الذات مع الصفة فينقض عليهم تمثيلهم فيقول : فالذات مع كل صفة أقنوم ، فصار الأقانيم الثلاثة ، لأن هذا المثال لا يطابق قولكم ، فإن زيدا هنا هو جوهر واحد له صفات : الطب ، والحساب ، والكتابة ، وليس هنا ثلاثة جواهر ، لكن لكل صفة حكم ليس للأخرى".<sup>(2)</sup> وهذا لا يلزم منه تعددا في الذات لأن الذات لا تتعدد بتعدد أوصافها ، وهم قد جعلوه ثلاثة لأنه حي ، عالم ، قادر.

وهذا يجعل قول النصارى بالأقانيم للتعبير عن الذات الإلهية قولا مشكلا متناقضا يؤدي للتثليث كما ينتج عنه التسلسل ، والتحيّز ، والتركيب ، والحدوث على أي اعتبار ذهبوا إليه أو عبروا به عن مذهبهم ، سواء اعتبروا الأقانيم أشخاصا أو أعراضا أو جواهر أو هي الذات مع الصفات ، مؤكدا أن مجرد قول النصارى بالأقانيم الإلهية مرفوضا مهما كان التعريف الذي تلتزمه النصارى للتعبير عن محتوى التثليث. بل إن كلامهم هذا يجعل المتحد بالمشيخ إذا كان إليها ممتعا أن يكون صفة ، وإنما يكون هو الموصوف وهم لا يقولون ذلك ، فما هو الحق لا يقولونه وما يقولونه ليس بحق.<sup>(3)</sup>

فمسألة سر الثالوث لم تكن إذا بسبب مجرد اختلاف في المصطلحات فحسب وإنما اشتبهت معالمها بسبب المعاني التي كانوا يفهمون عليها الألفاظ والمصطلحات. فلا غرو إن أدت هذه الاختلافات في استعمال المصطلحات اللاهوتية إلى تناقض في الصيغ المعبرة عن عقيدة النصارى.<sup>(4)</sup>

وبعد هذا الجدل الكلامي لمفهوم الأقانيم عند النصارى يكشف ابن تيمية عن موضع الشبهة التي أدت إلى تناقضهم في دعوى الأقانيم ، وبعبارة واضحة دون تعقيد منطقي فيقول : فالنصارى حيارى متناقضون ، إن جعلوا الأقنوم صفة ، إمتنع أن يكون المشيخ إليها ، وإن جعلوه جوهرًا ، إمتنع أن يكون الإله واحدا ، وهم يريدون أن يجعلوا المشيخ الله ، ويجعلوه ابن الله ، ويجعلوا الأب والابن وروح القدس إليها واحدا ، ولهذا وصفهم الله في القرآن بالشرك تارة ، وجعلهم قسما غير المشركين تارة ، لأنهم يقولون الأمرين ، وإن كان متناقض".<sup>(5)</sup>

وعلى هذا الأساس يرفض بموجب ذلك أن تكون الأقانيم صفات، فيورد عليهم سؤالا مخاطبا لهم: " ثم جزمتم بأن هذه الصفات أقانيم، وأنه ليس لله صفات ذاتية أو جوهرية أو نحو ذلك إلا هذه الثلاثة، ثم تفرقتم في الثلاثة، هل المراد بالأقانيم الوجود والعلم والحياة أو الحكمة أو الكلام أو النطق

(1) ابن تيمية : مجموع الفتاوى ، ج 2 ، ص 184.

(2) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 2 ، ص 118.

(3) المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 184.

(4) عن بيان الاختلاف في مدلول المصطلحات اللاهوتية بين الآباء اللاهوتيين، أنظر الصالح صبحي وجبر فريد: فلسفة الفكر

الديني بين الإسلام والمسيحية، ج 2، ص 293-302

(5) ابن تيمية : مجموع الفتاوى ، ج 2 ، ص 184-185.

بدل لفظ العلم أو المراد الوجود والعلم والقدرة ؟ إلى أقوال آخر يطول أمرها".<sup>(1)</sup> وهو يلمح بذلك إلى اختلاف وتناقض الصيغ المعبر بها عن النظرية الثالوثية إلا أنه بات من المؤكد بالنسبة إليه غلط النصارى في اعتبار الأقانيم صفات لما يفضي من تعدد في الذات ، لأن الله له صفات كثيرة فيلزم عدها أقانيم أن يكون الله متعددًا بعدد الصفات ، وهو لا يرى مبررا كلاميا لحصرها في ثلاثة دون غيرها ، كما يخص بعض الصفات بالجوهرية دون غيرها وهذا غلط ، وبسه يتعين أن قول النصارى بالأقانيم ليس من قول المسلمين بالصفات.

ويبحث ابن تيمية في هذه المسألة ضمن دلالات مصطلحات علم الكلام الإسلامي ، مؤكدا أن الأقانيم أشخاصا يوماً إليها ويقع عليها الحد وتقبل التحيز والتركيب والتجزئة ، وهذا يلزمهم الإقرار بثلاثة آلهة.

ويحصى ابن تيمية لدعوى النصارى الأقانيم عدد من المسائل النقدية<sup>(2)</sup> نجملها فيما يلي :

- 1 - أسماء الأقانيم
- 2 - عدد الأقانيم
- 3 - أفعال الأقانيم
- 4 - اختصاص الأقانيم

### أولا - أسماء الأقاتيم:

شكلت دراسة أسماء الله مبحثا جدليا في علم الكلام الإسلامي ، وقد افترق العلماء في ذلك بين مجيز لإطلاق مسميات على الله إن دلت على ذاته عقلا ، وبين مانع لذلك ما لم يأتي به شرع ، فإله لا يجوز تسميته إلا بما سمّاه به أنبيأؤه.<sup>(3)</sup>

وكتب النصارى لم تنطق بشيء مما يعتقدونه من الأقانيم ، أو تخصيص صفة بأن تكون أباً ، ولا جعل القديم الأزلي ابناً ، ولا قال إن روح القدس روح الله.<sup>(4)</sup>

لذلك اعترض المسلمون - في نطاق الجدل الديني - على تسمية النصارى الله بثلاث مسميات أب، وابن ، وروح قدس ، لأن قولهم ملزما لهم باعتبارها "حادثة عرضية" فقولهم : "الثلاثة أسماء فهي إله واحد ، ورب واحد ، وخالق واحد ، ومسمى واحد ، لم يزل ولا يزال شيئا حيا ، ناطقا ، أي الذات

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 3 ، ص 163-164 ، وانظر في ذلك الباقلاني : التمهيد ، ص 106-107.

(2) عن هذه المسائل، أنظر الشرفي عبد المجيد : الفكر الإسلامي في الرد على النصارى، ص 207 وما بعدها وعبد الحكيم فرحات : منهج القاضي عبد الجبار، ص 164.

(3) المصدر نفسه ، ج 3 ، ص 203.

(4) المصدر نفسه ، ج 3 ، ص 161-162.



والنطق ، والحياة ، فالذات عندنا : الأب الذي هو ابتداء الاثنين ، والنطق : الذي هو مولود عنه كولادة النطق من العقل . والحياة : هي الروح القدس". (1)

ونرى ابن تيمية في مداخلته الكلامية يبطل دعوى النصارى من عدة وجوه فقولهم الأب الذي هو ابتداء الإثنين ، والابن هو النطق الذي هو مولود منه كولادة النطق من العقل كلام باطل ، فإن صفات الكمال لازمة لذات الرب - عز وجل - أولا وأخرا ، لم يزل ولا يزال حيا عالما قادرا ، لم يصر حيا بعد إن لم يكن حيا ، ولا عالما بعد إن لم يكن عالما. (2)

فإن قالوا : " إن الأب هو الذات ، هو ابتداء الحياة والنطق ، إقتضى ذلك أن يكون الأب قبل الحياة والنطق ، فإن ما كان ابتداء لغيره ، يكون متقدما عليه أو فاعلا له ، وهذا في حق الله باطل". (3) وقد ذهب النصارى في تسمية نطق الله ابنا ، بقولهم : " سمينا ابنا لأنه متولد منه كما يتولد الكلام من العقل ، إذ لا فرق بين علم الرب وحياته". (4)

فيرد عليهم ويعترض على تسمية علم الله ابنا لأن ذلك يلزمهم أنه حادث ليس قديم أزلي. وحين يسأل ابن تيمية عن دعوى النصارى البنوة للكلمة وتخصيصها يقول : " فعلمه لازم له ، فلماذا جعلتم هذا ابنا دون هذا ، وقلتم إنه مولود من الله ، وأنه قديم أزلي ، وأنتم تعترفون بأن أحدا من الأنبياء لم يسم علم الله ولا كلامه ، ولا حكمته مولودا منه ؟.

والذي يعقله الخلق في المولود الذي يولد من غيره ، كما يتولد العلم والكلام من نفس الإنسان ، أنه حادث فيه أو منفصل عنه ، لا يعقل أنه قائم به وأنه متولد عنه قديم أزلي". (5)

فابن تيمية يعترض على استعمالهم أسماء الأب والابن وروح القدس كونها تدل على الحدوث. لأن تسميتهم للأب أبا لأنه ولد بزعمهم ولدا وابنا هي أسماء عرضية، عرضت عند حدوث أولاد بين الوالدين، وعلى هذا الاعتبار فهي ليست أسماء "طبيعية ذاتية جوهرية" ولا هي أسماء شخصية أقتومية، فإطلاق إسم الأبوة والبنوة اللذين هما إسمان يدلان على حادثين عرضيين وفعلين للدلالة على أقتومين إلهيين لا مجال فيهما للحدوث والأعراض، والأفعال ممتنع، وهو تناقض باعتبار الأقسام دالة على ذات الله. (6)

إن تحليلات ابن تيمية الإثباتية حدثت به لاستنتاج عدد من اللوازم الكلامية الفاسدة إستخلصها من مفهوم النصارى للإله، فيحصى ذلك في نقاط نعرضها على التوالي :

(1) ابن تيمية: الجواب الصحيح ، ج2 ، ص 112.

(2) المصدر نفسه، ج2 ، ص 113.

(3) المصدر نفسه، ج2 ، ص 114.

(4) المصدر نفسه، ج3 ، ص 161-162.

(5) المصدر نفسه، ج3 ، ص 162.

(6) الشرفي عبد المجيد: الفكر الإسلامي في الرد على النصارى ص 208.

- تجعلون الابن الذي هو الكلمة ، وهو أقنوم الكلمة فقط .
- وتقولون: تجسم من روح القدس ، ولا تقولون إنه تجسم من الكلمة.
- وتقولون : هو كلمة الله وروحه ، والكلمة والروح أقنومان .
- ولا تقولون : إنه أقنومان بل أقنوم واحد .
- وتقولون: إنه خالق العالم ، والخالق هو الأب ، وتقولون ليس هو الأب .
- وتقولون: إنه حق من إله حق ، وتقولون : إله واحد مساوي الأب في الجوهر ، وتقولون : ليس له مثل. (1) ولا يكتفي الإمام ببيان عيوب النظرية الثالوثية بل إنه يجزم أن هذه الأقوال ليست من كلام أحد من الأنبياء. (2)

كما يرفض تخصيص النطق بالبنوة بدليل التمانع ، ليؤكد عن عدم النسق العقدي للنصارى ، وأن قولهم بالأقنيم الثلاثة يفضي للفساد والتناقض ، فقولهم " إنَّ النَّطْقَ مولود كولد النطق من العقل ، فإنَّ المولود من غيره متولد عنه ، فيحدث بعد أن لم يكن ... إذ كل ما سواه فهو مخلوق لله ، وكمال له منه ، فيمتنع أن يكون هو جاعل الرب سبحانه وتعالى كاملاً، وذلك دور ممتنع في صريح العقل ، إن كان الشيء لا يجعل غيره متصفاً بصفات الكمال ، حتى يكون هو متصفاً بها". (3)

ويكشف ابن تيمية عن تناقض النصارى ، فهم يثبتون في أمانتهم أن الابن تجسم من روح القدس، أو منه ومن مريم وهو إنما تجسم عندهم من الكلمة التي سمّوها الابن دون روح القدس ، وإن كان تجسم من روح القدس ، فيكون هو روح القدس ، لا يكون هو الكلمة التي هي الابن. (4)

كما يورد ابن تيمية في مسألة الأقنيم عند النصارى احتمال أن يكونوا قد حملوا معناها على أنها أسماء ، وقد قالوا : تجري مجرى أسماء " فأسماء الله كثيرة كالعزيز والقدير وغيرها ، والإقتصار على ثلاثة أسماء دون غيرها باطل (5) ، " فإن أرادوا بذلك أسماء أعلام أو جامدة ، وسائر صفات ، فاسم الحي والعالم إسم مشتق يدل على معنى العلم والحياة ، كما يدل القدير على القدرة ، وإن أرادوا أن يسمّى بها فلله تعالى أسماء كثيرة". (6)

لكن ابن تيمية لا يمنع أن يختصّ باسم فيكون أبلغ من غيره، كالقدرة، ولم يقل أحد من العقلاء إنَّ أخصّ وصفه الحياة والعلم، ولا أنّ غيره ليس بحي ولا عالم، فكان جعل القدير إسماً وغيره صفة". (7)

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 3 ، ص 162.

(2) المصدر نفسه ، ج 3 ، ص 162 .

(3) المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 114

(4) المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 162.

(5) المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 113.

(6) المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 152.

(7) المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 152-153.

وهنا يبسط ابن تيمية مذهب السلف معتبرا أسماء الله تعالى صفات ، فالأسماء تدلّ على معاني هي صفاته القائمة به ، فالحي يدلّ على الحياة ، والعلم يدلّ على العلم ، والقدير يدلّ على القدرة.<sup>(1)</sup> فلا يكون هناك مجال للنصاري أن يجعلوا هذه الأسماء دون الصفات ، وهذا يلزمهم بطلان ثلاثة أسماء دون غيرها ، لأنّ أسماء الباري كثيرة لا تتحصر في ثلاثة .  
وسواء حملت الأسماء التي أطلقها النصاري على أنّها أسماء ذات أو صفات فقد بات من المؤكد بالنسبة لابن تيمية أن القول بالأقانيم باطل ، مهما كان الوجه الذي حمل عليه فكانت النتائج الكلامية الفاسدة كفيلا بالتأكيد على ذلك ، وهذا يأذن بإسقاط النظرية الثالوثية للإلهيات النصرانية.

## ثانيا - عدد الأقانيم:

يناقش ابن تيمية قول النصاري الله ثلاثة أقانيم جوهر واحد ، ويجعل ذلك مدخلا نقديا يكفي للرد على النصاري في عدد الأقانيم. " ذلك أنهم يزعمون أنّ الثلاثة واحد والواحد ثلاثة ، وهذا لا يصحّ اعتقاده لأنّه لا يجوز أن يعتقد المعتقد في الشيء أنّه ثلاثة مع اعتقاده فيه أنّه واحد ، لأنّ ذلك متضاد".<sup>(2)</sup>

ويكشف ابن تيمية في نقده لعدد الأقانيم عن توظيفه لعلم الحساب الرياضي ، فهو لا يرى مسوّغا منطقيا مقبولا يسمح بقبول دعواهم في الجمع بين العدد ثلاثة وواحد . ، وذلك لضرورة المغايرة جريا على مبدأ العد الرياضي.

ويعرض عليهم خيارا بين الإقتصار على القول بأقنوم واحد أو القول بثلاثة أقانيم إذ لا معنى لقولهم إله واحد ، ثلاثة آلهة ، لأن الأمر لا يعقل وعليه فهو لا يحتاج لدليل بطلانه.<sup>(3)</sup>  
وزيادة على ذلك فابن تيمية نصّب أدلّة يعارض بها قولهم ، وفرضا منه تجويز القول بذلك ، فإنه ينشأ عن قولهم فسادا في عقائدهم وتكثيرا لآلهتهم حتى تبلغ حد التسلسل ، ومن ذلك :

- أن وصف النصاري للأقانيم بأنّها جوهر ينبئ أنّها جملة ، وليس هذا ممّا يذهبون إليه ، ولا يعتقدونه ولا يجعلون له معنى ، لأنهم لا يعطون حقيقة التوحيد فيثبتون القديم واحدا ليس باثنين ولا أكثر من ذلك.<sup>(4)</sup>

- أنّ اعتقادهم بالأقانيم مبنيا أساسا على فهم خاطئ في كون روح القدس التي خلق المسيح منها ومن مريم هي حياة الله ، وهذا لم تدلّ عليه كتبهم التي بين أيديهم ، واعتبارهم المسيح تجسّد من مريم

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج2 ، ص 153.

(2) المصدر نفسه ، ج3 ، ص 166

(3) المصدر نفسه ، ج3 ، ص 167. أنظر :

MOUAMAMA Ali : La littérature musulmane contre le christianisme , p. 180.

(4) المصدر نفسه ، ج3 ، ص 168.

ينفي قولهم أقنوم الكلمة تجسد من روح القدس، وإلا فالمسيح له أقنومين ، أقنوم الكلمة وأقنوم روح القدس، وعندهم إنما هو أقنوم الكلمة فقط<sup>(1)</sup>. وذلك يلزمهم الترتيب<sup>(2)</sup> لا التثليث.

- قولهم أن الابن مساو للأب في الجوهر يقتضي أن يكون المولود الذي هو الكلمة جوهرًا ، وهذا يقتضي إثبات جوهر ثاني مساو للجوهر الأول ، وهو صريح بإثبات إلهين.<sup>(3)</sup> وحجة ابن تيمية في ذلك ما نصت عليه أمانتهم من اتحاد المسيح باللاهوت وأنه صعد إلى السماء وجلس عن يمين الرب ، وأن الجالس عن يمين الرب اللاهوت هو اللاهوت المتحد بالناسوت ، وهم بهذا يقعون في التبعض إذ يجعلون اللاهوت المجرد منفصل ومباين للاهوت المتحد.<sup>(4)</sup>

- أن الحياة هي صفة الله وليست منبثقة منه ، وحياة الله صفة قائمة به لا تحل في غيره ، ولو اعتبر النصارى أن روح القدس الذي في الأنبياء هو أحد الأقانيم الثلاثة لكان كل من الأنبياء إله معبود<sup>(5)</sup>، وهذا يثبت عليهم التكثير في عدد الأقانيم .

- أن اقتصار النصارى على ثلاثة أقانيم ليس له مبرر موضوعي يستدعي تخصيص ثلاث صفات دون غيرها بالأقنومية ، فصفاة الباري متعددة ، وذلك يلزمهم زيادة عدد الأقانيم بعدد صفات الله تعالى " ومن هذا الموضوع زلّ النصارى ، وذلك أنهم اعتقدوا كثرة الأوصاف واعتقدوا أنها جواهر... قائمة بنفسها كالذات".<sup>(6)</sup>

ويورد ابن تيمية للحسن ابن أيوب توظيفه لهذا الدليل بطريق آخر يثبت من خلاله تسلسل آلهة النصارى ، فتخصيص أقنوما لكل صفة يقتضي أن يكون لكل واحد من الثلاثة أقانيم ، إليها مثله إذا كان من جوهره ، فيتسع الأمر في ذلك حتى لا يكون له غاية ولا نهاية".<sup>(7)</sup>

ويثبت ابن تيمية على النصارى تسلسل آلهتهم موظفا دلالة الإلزام فالنصارى جعلوا الكلمة المتحدة بالمسيح خالقا، وهذا يلزمهم القول عن سائر كلمات الله إنها خالقة مخلوق بها، وحينئذ فيتعدّد الخلق بتعدّد كلمات الله، وإذا كانت كلمات الله لا نهاية لها، كان للخلق خالقون لا نهاية لهم وهذا غاية الباطل والكفر.<sup>(8)</sup>

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج2 ، ص 132 و 119.

(2) ألزم أصحاب الردود النصارى بأربعة آلهة بتوظيف دليل آخر ، ومن ذلك إثبات أن الأقانيم مظروفة في الله وهذا يوجب إثبات أقنوم رابع لأن من صريح قولهم أن الأب وروح القدس غير الله وأن الله طرفا لها ، والثابت أن المظروف غير الطرف لتبيين أن التثليث انقلب تربيعا ، انظر في ذلك باجه جي زادة : ذيل الفارق بين المخلوق والخالق ، ص 6.

(3) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج2 ، ص 250.

(4) المصدر نفسه ، ج2 ، ص 156.

(5) المصدر نفسه ، ج2 ، ص 119-120.

(6) ابن تيمية : درء تعارض العقل والنقل ، ج1 ، ص 228 . وانظر عن هذا الدليل القرافي : الأجوبة الفاخرة ، ص 168-169.

(7) ابن أيوب الحسن : رسالة إلى أخيه : الجواب الصحيح ، ج2 ، ص 351.

(8) المصدر نفسه ، ج3 ، ص 55-56 و ص 58.

فقول النصارى بالأقانيم الثلاثة لا يوجد له دليل عقلي يحصره في هذا العدد بل إن ما يقولون في الجوهر والأقانيم يلزمهم الكثير والتعدد حتى يتجاوز ذلك إلى غاية التسلسل في الآلهة.

### ثالثا - أفعال الأقانيم :

ناقش ابن تيمية قول النصارى إن الأقانيم متفقة في الجوهرية لكنها رغم ذلك فهي مختلفة في الأقدومية، بحيث اختص أحدها بأن كان أباً، والآخر ابناً، والثالث روحاً، فيمنع عليهم ذلك لتناقضه، مورداً عليهم سؤالاً حاسماً: "أخالق العالم -عندكم- خالق واحد وهو إله واحد، أم للعالم ثلاثة آلهة خالقون؟" (1).

ويدرس ذلك ضمن احتمالات كثيرة سابراً رأي النصارى بقوله: "فإن قالوا إن الخالق واحد، وهم ثلاثة آلهة خالقون، كما أنهم في كثير من كلامهم يصرحون بثلاثة آلهة، وثلاثة خالقين، ثم يقولون إله واحد وخالق واحد" (2) فجمع النصارى بين هذين القولين هو تناقض من هذا الوجه.

وابن تيمية يصحح لهم القول فيلزمهم الاقتصار على القول بإله واحد خالق أو ثلاثة آلهة خالقين، ولو قصد النصارى بقولهم الخالق واحد له ثلاث صفات لم ينافهم المسلمون في كون الخالق له صفات، لكن لا يختص بثلاثة (3) "فإن قالوا بثلاثة آلهة، ثلاثة خالقين، كما قد كثر عنهم في كثير من كلامهم بأن كفرهم وعظم شركهم" (4).

ويعقد ابن تيمية مقارنة بين قول النصارى وقول الثنوية ليلزمهم القول بالتعدد "فغاية المجوس الثنوية إثبات اثنين، نور وظلمة، وهؤلاء يثبتون ثلاثة" (5) وذلك يوجب عليهم أن يكون كل واحد فاعلاً، أزلياً، قادراً، وهذا يفضي للقول بالتعدد فضلاً عن صدور الأفعال عن غير واحد وهذا محال.

أما إن حصروا قولهم كون الخالق واحداً له صفات، فهذا يقتضي القول بالتوحيد لكنه مناقض لقولهم "فاحتجبت الكلمة الخالقة بإنسان مخلوق، خلقته لنفسها بمسرة الأب وموازرة الروح" (6).

ومن النتائج الكلامية اللازمة للنصارى من هذا القول أن تكون الكلمة خالقة والروح خالقة، وأنها خلقت بمسرة الأب الخالق، وموازرة الروح الخالقة، وهذا الخالق هبط، والأب لم يهبط (7) وفي

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج3 ، ص 53 .

(2) المصدر نفسه ، ج3 ، ص 53 .

(3) المصدر نفسه ، ج3 ، ص 53 .

(4) المصدر نفسه ، ج3 ، ص 54 .

(5) المصدر نفسه ، ج3 ، ص 54 .

(6) المصدر نفسه ، ج3 ، ص 54 .

(7) المصدر نفسه ، ج3 ، ص 54 .

هذا الكلام تناقض ظاهر فكيف يكون المسيح خلق بالكلمة والكلمة هي الخالقة " فإنها إن كانت هي الخالقة، لم تكن هي المخلوق به ، فالمخلوق به ليس هو الخالق".<sup>(1)</sup>

وهذا يقتضي أن الآلهة متغايرة.<sup>(2)</sup> وفي ذلك نقض لزعم النصارى أن الأقانيم متفقة في الجوهرية وهي إله واحد ، كما يلزمهم تعددا في الآلهة وذلك لقولهم "إن المسيح بعض كلمات الله ، فحينئذ لله كلمات أخر غير المسيح ، فاجعلوا كل كلمة خالقا، كما جعلتم الكلمة المتحدة بالمسيح خالقا إن كنتم تقولون: إنها خالقة مخلوق بها ، وحينئذ فيتعدد الخالق بتعدد كلمات الله، وإذا كانت كلمات الله لا نهاية لها كان للخلق خالقون لا نهاية لهم ، وهذا غاية الباطل والكفر".<sup>(3)</sup>

ويتتبع ابن تيمية قول النصارى أن المبعوث الهابط الملثم ليس هو الأب، بل هو كلمة الأب ليلزمهم ضرورة جعله خالقا، فيكون هناك خالقان، خالق أرسل فهبط والتحم، وخالق أرسل ذلك ولم يهبط ولم يلتحم، زيادة على إثباتهم لخالق ثالث وهو الروح، وهذا تصريح بثلاثة آلهة خالقين.<sup>(4)</sup> وقولهم هذا يثبت أن الله ليس مستقلا بالخلق بل يكون فيه شريك، كما يقضي إلى التعدد في الآلهة، بل يجعل الآلهة كثيرة بعدد الكلمات، وهذا فيه من التسلسل الذي يثبت عليهم عدم نهاية الآلهة على ما بيننا من قبل.

ويستكر ابن تيمية على النصارى جعل صفة الله خالقة ، وأنها مولودة قديمة أزلية فيبسط ما تلزمه المسألة من فساد في التقدير فيقول: "كيف يكون المسيح مولود قديم أزلي ؟ وهل يعقل مولود إلا محدثا؟! "<sup>(5)</sup> وما كان محدثا لا يمكن أن يكون خالقا ولا يقف ابن تيمية عند ذلك بل يتخذ من قول النصارى باتفاق الأقانيم دليلا على اختلافها في الفعل، لتناقضه ونقض قولهم " فجعله إحدى الصفتين الأزليتين مولودة من الأزل غير منبثقة والأخرى ليست مولودة من الأزل بل منبثقة ، مع كونه باطلا فهو متناقض وتفریق بين المتماثلين".<sup>(6)</sup> فنكون الأقانيم بهذا مشتركة في الألوهية، ومختلفة متغايرة، وكل أقنوم خالق أزلي فيثبتون أنها مستقلة في فعلها، وهذا يؤكد أن النصارى لا يقفون على معنى عقيدتهم ولا يفهمون مذهبهم.

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج3 ، ص 55.

(2) أنظر الصالح صبحي وجبر فريد : فلسفة الفكر الديني بين الاسلام والمسيحية ، ج2 ، ص 285 وانظر :

Ehlinger Charle et d'autres : histoire du christianisme, p 163.

(3) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج3 ، ص 55-56.

(4) المصدر نفسه ، ج3 ، ص 57.

(5) المصدر نفسه ، ج3 ، ص 58.

(6) المصدر نفسه، ج3 ، ص 58 .

## رابعا - اختصاص الأقانيم :

يعني النصارى باختصاص الأقانيم أن الأب ليس هو الابن ولا الروح القدس ، والابن ليس هو الأب ولا الروح القدس ، والروح القدس ليس هو الابن ولا الابن ، والثلاثة متحدون في واحد.<sup>(1)</sup> وتكشف المداخلات الكلامية لابن تيمية عند مناقشته لهذا الموضوع عن رفضه للقول باختصاص الأقانيم ، وقد اعتبر ذلك مدخلا تنتج لوازمه الكلامية فسادا في محتوى الإلهيات النصرانية ، ذلك أنهم جعلوا الابن والروح ابنا وروحا خاصين للأب مع أن الأب جوهره من جوهر الابن وجوهر الروح من جوهرهما ، فإن ذلك يوجب أن كل واحد من الأقانيم يمتاز بصفة لم تكن في غيره ، وهذا نقص في كمال كل واحد من هؤلاء الآلهة الثلاثة.<sup>(2)</sup>

فيحتج ابن تيمية على دعوى النصارى أن الكلمة متولدة من الأب ، بأن الكلمة صفة المتكلم وقائمة به ، ليست هي رب ولا إله ، وقولهم مساوي الأب في الجوهر يقتضي أن يكون المولود الذي هو الكلمة جوهرًا وأنه مساو الأب في الجوهر ، والمساوي ليس المساوي ، وهذا يقتضي إثبات جوهر ثان مساو للجوهر الأول ، وهو صريح بإثبات إلهين<sup>(3)</sup> منفصلين غير متحدين .

وإن كانت الأقانيم متساوية " فما شارك القديم في كونه قديما يستحيل أن يختص بذاته بما يفارق به الآخر"<sup>(4)</sup> وذلك يبطل اختصاص أحدهما بما يستحيل على الآخر ، ويوجب كون الابن أبا وكون الأب ابنا وكون الأب روحا ، والروح أبا لمشاركتها في القدم الموجب للتماثل في الماهية.

كما يستخلص ابن تيمية من قولهم جوهر الأقانيم الثلاثة جوهرًا واحدا مع رفضهم إستحقاق كل أقنوم من الصفات ما يستحقه الأقبومان الآخران من حيث كان جوهره كجوهره " بقولهم في الابن إنه مولود من الله إن أرادوا به أنه صفة لازمة له ، فكذلك الحياة صفة لازمة لله ، فيكون روح القدس أيضا ابنا ثانيا ، وإن أرادوا به أنه حصل منه بعد أن لم يكن ، لزم أن يكون عالما بعد أن لم يكن عالما ، وهذا مع كونه باطلا وكفرا فيلزم مثله في الحياة ، وهو أنه صار حيا بعد أن لم يكن حيا."<sup>(5)</sup>

فإن كان الابن والروح من جوهر الأب ، كان الأب محدثا لأن الرب كان قبل حدوث ذلك الجوهر لا أبا ولا مستحقا للأبوة ، و "إن قالوا : إن الأب هو الذات ، هو ابتداء الحياة والنطق إقتضى ذلك أن يكون الأب قبل الحياة والنطق ، فإن ما كان ابتداء لغيره يكون متقدما عليه أو فاعلا له"<sup>(6)</sup> وهذا يقتضي أن الابن والروح حادثين ، فلا سبيل للقول باختصاصهما ، كما أن هذا ينقض دعواهم أنها

(1) باجه جي زاده : ذيل الفارق بين المخلوق والخالق ، ص 7.

(2) المصدر نفسه ، ص 7.

(3) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 2 ، ص 250.

(4) الشرفي عبد المجيد : الفكر الاسلامي في الرد على النصارى ص 218.

(5) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 2 ، ص 114-115.

(6) المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 14.

قديمة أزلية لجوهر الأب ، وإلا لزم النصارى على حسب ما ذهب إليه "ابن تيمية" أن تكون ثلاثة جواهر وهذا تصريح منهم بتعدد الآلهة.

ومن جهة أخرى يلزمهم "ابن تيمية" من قولهم " إنَّ المتحد بالمسيح هو الكلمة الذي هو العلم ، وهذا إن أرادوا به نفس الذات العالمة الناطقة ، كان المسيح هو الأب ، وكان المسيح نفسه هو الأب ، وهو الإبن ، وهو روح القدس ، وهذا عندهم وعند جميع الناس باطل وكفر".<sup>(1)</sup>

على أن تخصيص أقنوم بصفة أو وصف دون الأقنوم الآخر هو في الحقيقة إقرار بوجود اختلاف في الأقانيم رغم أن النصارى يؤكدون على تساويها واتفاقها.

ويذهب ابن تيمية إلى أبعد من ذلك فيعتبر القول باختصاص الأقانيم بوصف أو صفة هو في حقيقته قول بالتركيب والتبويض ، فاعتبارهم أقنوم الأب هي الذات المجردة عن العلم لأن أقنوم الإبن قد اختص بذلك ، فالابن أكمل من الأب ، وهو الذات مع العلم ، والأب بعض العلم.<sup>(2)</sup>

" وكذلك يلزمهم أن يكون الإبن هو بعض روح القدس ، فإنهم في أمانتهم جعلوا روح القدس الرب المحيي هو الذات المتصفة بالحياة ، والذات المجردة بعض ذلك ، فإن كان الأب هو الذات المجردة فالأب بعض روح القدس".<sup>(3)</sup> وهذا نقض لقولهم باختصاص الأقانيم بل هي من هذه الأوجه مشتركة بما يوجب التبويض والتركيب في الآلهة.

فاللوازم الكلامية تقتضي فسادا وتناقضا في النظرية الثالوثية للنصارى ، فهم يقولون باختصاص الأقانيم ، وبساويها مع أنها مركبة ، فكان جدل ابن تيمية بإيراده لهذه الأوجه كقيل لبيان بطلان عقيدة التثليث ، والتأكيد على انعدام النسق العقدي للإلهيات النصرانية ، وعدم ثبوتها أمام التمهيص المنطقي الذي يوجب رفض دعوى التوحيد مع التأكيد على التمايز الصريح بين الأقانيم الثلاثة.<sup>(4)</sup>

والنتيجة التي نخلص إليها هو أنه لا يوجد مجال لقول النصارى باختصاص الأب بالأبوة ، واختصاص الابن بالبنوة ، واختصاص روح القدس بالروحانية ، لأن فكرة القول باشتراك الأقانيم في الجوهرية واختصاصها في الأقنومية في نطاق النظرية الثالوثية المسيحية، قول غير معقول لأنه يوجب نتائج فاسدة ومتناقضة بدلالة الإلزام على أي وجه حملت دعوى النصارى في قولهم بالأقانيم . فضلا على إلزامهم الخروج عن القول بالتثليث إلى التعدد والتركيب.

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج2 ، ص 115.

(2) المصدر نفسه ، ج2 ، ص 250.

(3) المصدر نفسه ، ج2 ، ص 251.

(4) يعتبر أئمة علم اللاهوت المسيحي أن الأقانيم الثلاثة ليسوا فقط ذاتا أو جوهرًا واحدا بل إن كلا منهم يختلف عن الآخرين بالذات والجوهر، ولقد اكتفوا بالتمايز الصريح بين الأقانيم الثلاثة ظنا منهم أنهم ما يزالون محافظين على عقيدة التوحيد بلجونهم إلى ضرب من المرتبة بين هؤلاء الأقانيم ، أنظر في ذلك : الصالح صبحي وجبر فريد : فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية ، ج2 ، ص 284-285.



## المطلب الثالث: علاقة الجوهر بالأقانيم .

في بحث ابن تيمية لعلاقة الجوهر بالأقانيم كان الرد موجّه لجميع النصارى ، إلا أننا لاحظنا إلى جانب ذلك إهتمامه ببعض الردود الخاصة بالملكية من جهة وباليعقوبية والنسطورية من جهة أخرى ، فينقل أقوالهم في ذلك وقد اختلفوا "فذهبت اليعقوبية والنسطورية إلى أن الجوهر ليس بغير الأقانيم ، ولا يقال إنه هي صرحت الملكانية بأنه غير الأقانيم ، وآخرون قالوا هو الأقانيم ، قالوا : وافترقت النصارى من وجه آخر، فذهبت الروم إلى التصريح بإثبات ثلاثة آلهة ، وامتنعت اليعقوبية والنسطورية عن ذلك من وجه والترمويه من وجه ، وذلك أنهم قالوا : الكلمة إله ، والأب إله ، والثلاثة الأقانيم التي كل أقنوم إله ، إله واحد".<sup>(1)</sup>

ويظهر من قول النصارى أنه لا معنى لزعمهم إله واحد وقد جعلوا الإلهية لكل أقنوم ، فهي ثلاثة آلهة بهذا الاعتبار ، وهي نفس النتيجة التي أسفرت عنها المداخلات الكلامية في المباحث الخاصة بمناقشة الجوهر والأقانيم ، وهذا العرض لمذهب النصارى يكشف عن تناقض هذه المعادلة الكلامية ، فالبداهة المنطقية ترفض أن تكون الأقانيم هي الجوهر، وكون الجوهر غيرها<sup>(2)</sup> ، إذ الإحتمال الذي يبني على الاعتبار الأول ينبئ عن إتفاق العلاقة بين الجوهر والأقانيم ، بينما يدل الثاني على الاختلاف والإفتراق ، وهو ما يلزم الملكانية .

وابن تيمية يبحث في مدلول الألفاظ المعبر بها لدى الطّرف المسيحي فيدرس الوجه الذي حملت عليه النصارى لفظي الجوهر والأقانيم ، حتى يتسنى له حصر مجال النقاش وتأسيس جوانب الرد على مبادئ كلامية منطقية ، فيورد عليهم سؤالاً في الصفات هل هي الذات ؟ فإذا كانت الأقانيم هي الذات مع الصفة فذلك يلزمهم "أن يكون الخالق جسماً لأنه يكون هناك صفة وموصوف ، وحامل ومحمول ، وهذه هي حال الجسم ، وذلك أن الذات لا بد أن يقولوا : إنها قائمة بذاتها ، والصفات قائمة بها ، أو يقولوا : إن كل واحد منها قائم بنفسه ، أو يقولوا : إن الذات تقوم بالصفات".<sup>(3)</sup>

وتكشف تحليلات ابن تيمية الإثباتية في مناقشة هذه المسألة عن توظيفه دلالة السبر والتقسيم لبيان فساد قول النصارى في علاقة الجوهر بالأقانيم ، كما يتفحص اللوازم الكلامية المترتبة عن الألفاظ الفلسفية المستخدمة في الإلهيات النصرانية ، ليؤكد فساد النظرية الثالوثية المسيحية ، وتبدأ مداخلته

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 2 ، ص 309. قارن بعبد الجبار المعتزلي، منهج القاضي عبد الجبار في الرد على النصارى، ص 175.

(2) أنظر عن مذاهب النصارى في علاقة الجوهر بالأقانيم الصالح صبحي وجبر فريد : فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية، ج 2 ، ص 96.

(3) ابن تيمية : درء تعارض العقل والنقل ، ج 10 ، ص 226.

الكلامية بقوله : " فإن قالوا : إن كل واحد منها قائم بنفسه فالآلهة كثيرة ، وهذا قول النصارى الذين زعموا أن الأقانيم ثلاثة ، أقنوم الوجود والحياة والعلم".<sup>(1)</sup>

" وإن قالوا : أحدهما قائم بنفسه والآخر قائم به ، فقد أوجبوا أن يكون جوهرًا وعرضًا ، لأن الجوهر هو القائم بذاته ، والعرض هو القائم بغيره ، والمؤلف من جوهر وعرض جسم ضرورة".<sup>(2)</sup> وهذا نقض لما نزهوا به الله من الجسمية ونقض لما اتفقت عليه فرقتهم أنه جوهر ثلاثة أقانيم ، وأن كل من الأقانيم جوهر خاص يجمعها الجوهر العام.

كما يوجب ذلك على النصارى أن يزيد عدد الآلهة بعدد الصفات ، لأنهم يعبرون عن الأقنوم بأنه الذات والصفة معا ، فتكون كل صفة مع الذات هي أقنوم وقد أثبتوا أن الأقانيم جواهر ، وهذا باطل من وجوه ، فيسبر ابن تيمية ذلك في النقاط التالية<sup>(3)</sup> :

- أن الصفة ليست مساوية للموصوف في الجوهر .

- أن الذات مع الصفة لا تساوي الذات مع الصفة الأخرى في الجوهر ، لأن الذات واحدة ، والمساوي ليس هو المساوي .

- أن الذات مع الصفة هي الأب ، فإن كان هذا هو الذي إتحد مع المسيح فالمتحد به هو الأب ، وذلك يقتضي أن يكون الإله الحق المساوي للأب في الجوهر صلب وتألّم فيكون اللاهوت مصلوبا متألّما .

وأمام هذه الملزمات التي تجب على النصارى من قولهم يثبت ابن تيمية عليهم معنى التحيز والجهة والجسمية إن قالوا بالجواهر وقسموا الموجودات إلى جوهر وعرض ، كما يثبت عليهم التركيب والافتقار والتعدد إن قالوا بالأقانيم ، وعندها تبطل دعوى النصارى في الأقانيم أنها جواهر ، وأن الأقنوم هو الذات مع الصفة .

ويكشف ابن تيمية عن زلل النصارى في اعتقادهم كثرة الأوصاف على أنها جواهر قائمة بنفسها كالذات ، واعتقادهم أن الصفات التي بهذه الحال صفتان : العلم والقدرة<sup>(4)</sup> ، فيبطل هذه الدعوة لأنهم لا يحتكمون لمبرر موضوعي في تخصيصهم صفتين دون ما سواهما من الصفات ، لهذا اضطربت النصارى في وصفها للأقانيم الدالة على الإله بأنه موجود حيّ عالم ، وتارة يقولون موجود عالم قادر ، فيجعلون القادر مكان الحيّ ، ويجعلون روح القدس هو القدرة.<sup>(5)</sup>

(1) ابن تيمية : درء تعارض العقل والنقل ، ج 10 ، ص 226 .

(2) المصدر نفسه ، ج 10 ، ص 226 .

(3) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 2 ، ص 118-119 .

(4) ابن تيمية : درء تعارض العقل والنقل ، ج 10 ، ص 228 .

(5) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 2 ، ص 151 .

ويرد ابن تيمية سبب هذا الاضطراب ، لحيرة النصارى وضلالهم في اختيار ثلاثة معان تكون هي المستحقة للجوهرية دون غيرها من الصفات ، سواء فسرت الجوهرية بأنها جواهر أو بأنها ذاتية مقومة أو بغير ذلك.(1)

على أننا نرى بجانب هذا النقد المنطقي الذي ألزم به بطلان عقيدة النصارى ، جانباً إيجابياً وظف فيه منهجه الكلامي الخاص بالتوحيد الإسلامي وقد سلك في ذلك مذهبه السلفي في إثبات الصفات فيقول مخاطباً النصارى :

" وصفة الإله ليست بإله ، كما أن قدرته وسمعه وبصره وسائر صفاته ليست بآلهة ، ولأن الإله واحد ، وصفاته متعدّدة ، والإله ذات متّصفة بالصفات قائمة بنفسها ، والصفة قائمة بالموصوف ، ولأنكم سمّيتم الإله جوهرًا وقلتم هو القائم بنفسه"(2) وبذلك تبطل دعوى النصارى في العلم والروح بأنهما أفنومين جوهرين .

فإذا كان قصد النصارى نسبة العلم والحياة إلى الله تنزيهاً له عن النقص فهذا يوجب عليهم في نظر ابن تيمية إثبات باقي الصفات ، فالله له صفات كثيرة ، وعليه فلا يكون هناك معنى من التركيز على صفة القدرة دون غيرها ، لأن ذلك يحدث ثغرة في البناء الثالوثي وينتج عنه فساد وتناقض لمقولة النصارى في علاقة الجوهر بالأقانيم .

فالجدل الكلامي يلزم النصارى إرجاع مفهوم الأفنوم إلى مفهوم الصفة على أنه يعدم أن يكون لهم مبرر لحصر عدد الأقانيم في ثلاثة دون غيرها . وليس هذا من أثر الثقافة الإسلامية بل إن المنطق يفرض هذا التصور في ذات الله ، ويدعم ذلك ما وجدناه على لسان نصراني أسلم مثل الحسن ابن أيوب، فهو يضع أمام النصارى خيارين : إما أن تكون الأقانيم -الصفات- غير مقتصرة على الحكمة والحياة أو أن تكون الأقانيم آلهة - وهم قد أثبتوا ثلاثة أقانيم فيكون كل أفنوم منها سميع حي بصير عالم حكيم منفرد بذاته ، فيحمل على قولهم قياساً على صفة الكلمة وصفة الروح ، أن تكون صفته مثله ، فإذا كانت هذه الأقانيم آلهة ، وكل صفة إله ، وهي من جوهره فيجب أن تكون كل صفة لكل واحد من الثلاثة الأقانيم بأنها مثله إن كان من جوهره ، فيتسع الأمر في ذلك حتى لا يكون له نهاية.(3)

لكن هذا الطرح لا يتفق مع المنظومة المسيحية بأكملها لأنه يمسّ بأصول عقيدة التثليث والمسيحولوجيا وهو ما لا ترضى به النصارى وتلمس ذلك في النص التالي: "إن قول النصارى مضطرب متناقض فإنهم لا يثبتون ثلاثة جواهر قائمة بأنفسها، ولا يجعلون الأقانيم كالصفة من كل

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج2 ، ص 152

(2) المصدر نفسه ، ج2 ، ص 117.

(3) ابن أيوب الحسن : رسالته إلى أخيه ، الجواب الصحيح ، ج2 ، ص 351-352.

وجهه ، فإنهم يقولون المتحد بالمتحد هو أقنوم الكلمة ، فإن جعلوا الكلمة هي الذات الموصوفة ، لزم أن يكون المسيح هو الأب ، وهم ينكرون ذلك ، وإن جعلوه صفة الذات لزمهم أن لا يكون المسيح إليها خالقا رازقا ، لأن الصفة ليست إليها خالقا رازقا. وأيضاً فالصفة لا تفارق الموصوف وهم يقولون المسيح إله حق ، من إله حق من جوهر أبيه".<sup>(1)</sup>

و واضح أن اللوازم الكلامية تبطل على النصارى حجتهم في التثليث والأقانيم كما تبطل دعواهم في الإتحاد والحلول .

وعلى الرغم من وعي ابن تيمية بمقالات الفرق النصرانية الخاصة في علاقة الجوهر بالأقانيم ، فإنه لم يفرد لذلك بحثاً مستقلاً في الموضوع بل اقتصر رده على مسائل عامة تخص جميع الفرق ، وذلك عند مناقشته لعقيدة التثليث والمسيحولوجيا ، مما دفعنا للبحث في ثنايا الرد على النصوص التي تصلح لهذا الغرض والتي خص بها ابن تيمية مقالة اليعقوبية والنسطورية ، ومقالة الملكية من جهة أخرى.

ومن ذلك مناقشته لمسألة العدد ، فقول اليعقوبية والنسطورية أن الأقانيم هي الجوهر والجوهر هو الأقانيم يلزمهم " أن الثلاثة واحد والواحد ثلاثة ، وهذا لا يصح إعتقاده ، لأنه لا يجوز أن يعتقد المعتقد في الشيء أنه ثلاثة مع اعتقاده فيه أنه واحد لأن ذلك متضاد".<sup>(2)</sup> وذلك جريا على مبدأ العد الرياضي الذي يفرض المغايرة بين العدد واحد والعدد ثلاثة.

وهذا المبدأ المنطقي يفرض على النصارى أن يكون معبودهم إما واحد وإما ثلاثة ، لأن الجمع بين قولهم الواحد ثلاثة ، والثلاثة واحد ، لا يحتاج لدليل بطلانه لأنه لا يعقل.<sup>(3)</sup>

وهذا يكشف عن توظيف ابن تيمية لعلم الرياضيات كأداة إستدلالية في نقده لعلاقة الجوهر بالأقانيم ، وتفاعل عملية الرد الكلامية مع العلوم المنطقية البرهانية.

كما ينقض على فرقة اليعقوبية والنسطورية وصفهم للأقانيم بأنها جوهر لأن ذلك ينبئ أنها جملة ، وليس هذا مما يذهبون إليه ولا يعتقدونه ولا يجعلون لله معنى لأنهم لا يعطون حقيقة التثليث فيثبتون الأقانيم الثلاثة متغايرة ، ولا حقيقة التوحيد فيثبتون القديم واحداً ، ليس باثنين ولا أكثر من ذلك".<sup>(4)</sup>

وهذه المسائل قد رد عليها ابن تيمية في مناقشته للجوهر والأقانيم<sup>(5)</sup> ويخصص ابن تيمية للملكية رداً ، إذ هو المذهب الذي نال حظاً أوفر في الردود الإسلامية في هذا الموضوع ، وذلك لفساد مقولة الملكية في النظرية القائلة إن الأقانيم هي الجوهر ، والجوهر غير الأقانيم.

(1) ابن تيمية : درء تعارض العقل والنقل ، ج10 ، ص 237.

(2) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج3 ، ص 166.

(3) المصدر نفسه ، ج3 ، ص 166.

(4) المصدر نفسه ، ج3 ، ص 168.

(5) أنظر في ذلك المبحثين السابقين.

فيقرر أن الأقانيم إذا كانت هي الصفات ، فالصفات قائمة بالذات الإلهية ليست زائدة على هذا المسمى ، فإن أرادوا بالغير أنها ليست هي هو ، فليست الصفة هي الموصوف فهي غيره بهذا الاعتبار، وهذا لا يصح لأن اسم الرب تعالى إذا أطلق يتناول الذات المقدسة بما يستحق من صفات الكمال. (1)

وابن تيمية ينقض على الملكية دعواهم أن الجوهر غير الأقانيم على اعتبار كون الأقانيم هي الصفات ، لأن ذلك يجعل الذات مجردة عن صفات الكمال ، وهذا عين ما تثبته نفاة الصفات " فأولئك لما زعموا أنه ذات مجردة قال هؤلاء بل الصفات زائدة على ما أثبتوه من الذات". (2)

وهذا يعكس مذهب ابن تيمية في الإلهيات وإثباته للصفات ، كما يكشف عن ازدواجية الرد الكلامي فهو يناقش النصارى كما يعرض لمناقشة المذاهب العقديّة الموجودة في الساحة الإسلامية والتي يراها ابن تيمية مناقضة لأصول التوحيد ، لذلك نراه يقارب بين هذا المذهب (3) ومذهب النصارى في نفي الصفات.

إن ابن تيمية لا يكتفي ببيان عيوب النظرية المسيحية في علاقة الجوهر بالأقانيم ، بل يقدم بديلا إسلاميا لنظرية الطرف المقابل في علاقة الذات الإلهية بالصفات، ليكشف من خلال ذلك عن فساد الصيغ الثالوثية للإلهيات النصرانية وعدم ثباتها أمام النقد الموضوعي، ناهجا طريقة الجدل الكلامي وقد أسس مبادئها على آليات استدلالية منطقية كدلالة الإلزام والسبر والتقسيم.

والنتيجة التي نخلص إليها هو أن منهج ابن تيمية قد انعكست عليه المفاهيم الإسلامية ، كما أن الخاصية التي برزت في هذا الرد هو ظهور مذهب ابن تيمية السلفي الذي ينسب للمدرسة السلفية وقولها في الذات والصفات.

وابن تيمية قبل إيراده للمباحث النقدية التي ناقشها ، نراه يعرض عقيدة التثليث ويفصل في شرح المصطلحات الكلامية ، كما يشرح الدلالات اللغوية للفظ قبل الدخول في مناقشة الطرف الآخر، فيوظف لذلك دلالة التعريف كأداة استدلالية لتحديد المفاهيم ، وحصر مجال النقاش مع الخصم.

وهو يرفض تلك المصطلحات لأنها قول بلوازم كلامية ينتج عنها فساد في الإلهيات النصرانية، من جهة أن تلك الألفاظ لا تصلح للدلالة على ذات الباري وصفاته ، كونها تؤدي للتجسيم والتشبيه والتناقض ، وهو ما يرفضه الفكر الإسلامي رفضا تاما .

وقد دعم ابن تيمية هذا الموقف بأدلة عقلية منطقية كنا قد بسطنا أهم قضاياها . وفيما يلي نقدم الأدلة النقلية التي وظفها لهذا الغرض ، لنكشف عن الطريقة التي نهجها في دراسته للنصوص.

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 2 ، ص 154.

(2) المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 154.

(3) يقصد ابن تيمية بنفاة الصفات المعتزلة.

## المبحث الثالث: مناقشة أدلة التثليث النقلية.

إهتم ابن تيمية بنتبع الأدلة النقلية التي تستدل بها النصارى لإثبات التثليث ، فيخصص لذلك دراسة تحليلية مفصلة إهتم باللفظ والمعنى على السواء ، وأبطل بموجبها حججهم ، وقد وظفت النصارى لهذا الغرض نصوص كتابية وأخرى قرآنية ، لذلك قسمنا هذا البحث لمطلبين :

المطلب الأول : مناقشة الأدلة الكتابية

المطلب الثاني : مناقشة الأدلة القرآنية.

### المطلب الأول: مناقشة الأدلة الكتابية.

يكثر ابن تيمية من الإستشهاد بالنصوص الكتابية فيورد نصوصاً إنجيلية وأخرى توراتية ، ونلاحظ ذلك في معرض مناقشة النصارى في حججهم وإبطالها أو لتأييد مواقفه ، وبسبب تفصيله في نقاشه لهذه الأدلة فقد شقّ نقلها وتتبعها كلها لكثرتها ، لذلك اقتصرنا على البعض منها والتي تكفي لأن تكون نماذج لإبطال عقيدة النصارى في التثليث :

### أولاً- عرض الأدلة الكتابية في التثليث والرد عليها :

وظف ابن تيمية مجموعتين من النصوص الكتابية بعضها ناقش فيها النصارى وأبطل من خلالها دعواهم في التثليث لأنّ ظاهرها لم يدل عليه ولم ينص على ما أطلقوه من الأقانيم ، والبعض الآخر إستشهد به لإبطال المسميات التي عبّروا بها عن أطراف الثالوث وهي : إسم الأب ، والابن ، وروح القدس ، محتجّين على ذلك بأنّ الشرع قد نطق بها ليست من ذات أنفسهم.<sup>(1)</sup> ويعتبر ابن تيمية وغيره من علماء المسلمين أنّ أصل تثليث النصارى مبني على ما جاء في إنجيل متى : [إذهبوا إلى جميع العالم وعمدوهم باسم الأب والابن وروح القدس إله واحد ، وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به]<sup>(2)</sup>

فهذا النص هو عمدة النصارى في التثليث ومدار النقاش الذي دارت حوله جلّ الردود الإسلامية عند مناقشة أدلة النصارى الكتابية، كما احتجت النصارى في قولهم ثلاثة أقانيم بل إله واحد بأنّ الله نطق به وأوضحه في التوراة وفي كتب الأنبياء، ومن ذلك ما جاء في السفر الأول من التوراة [ لنخلق خلقاً على شبهنا ومثالنا ]<sup>(3)</sup> فمن هو شبهه ومثاله سوى كلمته وروح قدسه.

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج2 ، ص 121

(2) - المصدر نفسه ، ج2 ، ص 246-247 ، وانظر كذلك ص 97 و ص 131 و 121.

- سبق الإشارة لهذا النص.

(3) سفر التكوين ، الإصحاح 1/28 ، والنص [فخلق الله الإنسان كصورته كصورة الله خلقه ذكراً وأنثى خلقهما] ، العهد القديم

(نسخة واطس) ص2 ، وانظر العهد القديم (نسخة جمعيات الكتاب المقدس) ص4.

وحين خالف آدم وعصى ربه قال الله تعالى : [ ها آدم قد صار كواحد منا ]<sup>(1)</sup> ، وهو قول واضح أن الله قال هذا القول لابنه وروح قدسه ، ونص آخر [وأمر الرب من عند الرب من السماء على سدوم وعمورة نارا أو كبريتا]<sup>(2)</sup> ، وأوضح بهذا ربوبية الأب والابن بذكر ثالث<sup>(3)</sup> ، وقد ناقش ابن تيمية هذه النصوص ، مقررًا أنها لا تدلّ على شيء من التثليث .

فقوله [سنخلق على صورتنا شبهنا] ، لم يخص به المسيح " فإن أرادوا بالكلمة التي هي شبيهه ومثاله وصفته فالصفة لا تكون مثالاً للموصوف ، إذ الموصوف هو الذات القائمة بنفسها والصفة قائمة بها. والقائم بغيره لا يكون مثل القائم بنفسه" وإن أرادوا مثل بدن المسيح وروحه ، فذلك مخلوق له ، والمخلوق لا يكون مثل الخالق.

فالنص ممتنع من أن يكون المراد به كلمته وروحه لأنها عندهم غير مخلوقة ، ولفظ هذه العبارة يدلّ على أنه مخلوق.<sup>(4)</sup>

وبعد تحليل مفصل يقرر ابن تيمية أن المراد بالنص آدم أبو البشر وليس المسيح ، كما أنه لا يدلّ على التثليث بوجه من الوجوه، فيذكر في معرض ذلك أن " شبه الشيء بالشيء يكون لمشابهته له من بعض الوجوه وذلك لا يقتضي التماثل الذي يوجب أن يشترك فيما يجب ويجوز ويمتنع"<sup>(5)</sup> ، ولفظ التوراة فيه [سنخلق بشرا على صورتنا شبهنا] لم يقل على مثالنا. ويرى ابن تيمية أن معناه وما جاء في السنة شيء واحد ، وهو كقول النبي -صلى الله عليه وسلم- في الحديث الصحيح : " لا يقولن أحدكم قبح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك ، فإن الله تعالى خلق آدم على صورته"<sup>(6)</sup> فلم تذكر الأنبياء إلا لفظه "شبه" دون لفظه "مثل".<sup>(7)</sup>

(1) سفر التكوين ، الإصحاح 26/1 ، والنص [ وقال فلنعمل إنسانا على صورتنا ومثالنا وليتسلط على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى البهائم وجميع الأرض وجميع الذئب الذي يتحرك على الأرض ] ، العهد القديم (نسخة واطس ، ص 2 ، وانظر سفر التكوين الإصحاح 28/1) ، العهد القديم (نسخة جمعيات الكتاب المقدس) ، ص 4

(2) النص من سفر التكوين ، الإصحاح 24/19 ، العهد القديم (نسخة جمعيات الكتاب المقدس) ص 28.

(3) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 2 ، ص 231-236.

(4) المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 231.

(5) المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 232

(6) - أخرجه أحمد بن حنبل عن أبي هريرة قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : (إذا ضرب أحدكم فالتجنب الوجه ولا تقل قبح الله وجهك...) الحديث بلفظه.

ابن حنبل أحمد: المسند ( بهامشه منتخب كنز العمال في سنن الأفعال والأفعال ) د ط ( المكتب الإسلامي للطباعة والنشر ) ج 2 ، ص 251.

- أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب باب النهي عن ضرب الوجه عن أبي هريرة قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ... الحديث بمعناه.

أنظر صحيح مسلم (شرح النووي)، مج 8 ، جزء 16 ، ص 165-166 .

(7) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 2 ، ص 233.

ويستعرض ابن تيمية في النص الثاني شبهة النصارى في قوله "منا" فقد عبر في الآيتين بصيغة الجمع وهي حجتهم على التثليث، وهذا مما احتج به وفد نجران على النبي-صلى الله عليه وسلم- في قوله تعالى "إنا" و "نحن" بأن هذا دلالة على ما يذهبون إليه من التثليث<sup>(1)</sup> وكان هذا من المتشابه الذي اتبعوه وتركهم للمحكم المبين، وقد بين الله في جميع كتبه الإلهية أنه إله واحد، وأنه لا شريك له، ولا مثل له<sup>(2)</sup> وقوله " إنا " و " نحن " لفظ يقع في جميع اللغات<sup>(3)</sup> على من كان له شركاء وأمثال، وعلى الواحد المطاع العظيم الذي له أعوان يطيعونه وهو سبحانه يدبر أمر العالم من السماء إلى الأرض بنفسه وملائكته التي هي رسله في خلقه وهو سبحانه أحق من قال "إنا" و"نحن" بهذا الاعتبار.

على أننا نجد في موضع آخر مجموعة من النصوص تستدل بها النصارى على التثليث، من ذلك:

1 - [أنا إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب]<sup>(4)</sup>، فكرر إسم الإله ثلاث دفعات تحقيقاً لمسألة التثليث . فرد عليهم ابن تيمية بأن قولهم يستلزم أن يكون ثلاثة آلهة لا ثلاثة أقانيم ، ولكل نبي من هؤلاء الأنبياء إله ، وهذا ينقض قولهم أنه إله واحد.<sup>(5)</sup> ، ويذهب في تفسيره لهذا النص -حسب ما دل عليه ظاهره- إلى أن لفظة " إله " لا يختص بثلاثة بل يختص بالصفات.<sup>(6)</sup>

2- ما روي في التوراة [نقدسك ، ونعظّمك وتثّلت لك تقديساً مثلاً كالمكتوب على لسان نبيك أشعيا]<sup>(7)</sup>، فيصرّخ الجميع مجاوبين [قدوس ، قدوس ، قدوس ، رب القوات ورب السموات والأرض]<sup>(8)</sup>

فقالوا إن هذا يدل دلالة واضحة على الثالوث وهو جوهر واحد ، أب وابن وروح قدس ، فرد ابن تيمية عليهم زعمهم مؤكداً أن تسمية الرب عند إضافته إلى مخلوق آخر من نمط تسمية إسم الإله ، وهذا لا يقتضي تعدد الأرباب والآلهة ، ولهذا يقتضي جعلهم إثنيين وأربعة إذا

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج2 ، ص 235.

(2) المصدر نفسه ، ج2 ، ص 235.

(3) المصدر نفسه ، ج2 ، ص 235.

(4) المصدر نفسه ، ج2 ، ص 339. النص من سفر الخروج ، الإصحاح 3/ 16 بلفظ [وقال الله أيضا لموسى هكذا تقول لبني إسرائيل الرب إله آبائكم إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب أرسلني إليكم هذا اسمي إلى الدهر وهذا هو ذكري إلى جيل الأجيال] العهد القديم (نسخة واطس) ص 67 ، وانظر سفر الخروج الإصحاح 3/ 15 ، العهد القديم (نسخة جمعيات الكتاب المقدس) ص90.

(5) المصدر نفسه ، ج2 ، ص 339

(6) المصدر نفسه ، ج2 ، ص 339.

(7) المصدر نفسه ، ج2 ، ص 241 ، وانظر كذلك ، ص 243. وجدت في سفر أشعيا الإصحاح 5/ 17 [ويتعالى رب الجنود بالعدل ويتقدس الإله القدوس بالبر] ، العهد القديم (نسخة جمعيات الكتاب المقدس) ، ص 997.

(8) المصدر نفسه ، ج2 ، ص 242. النص في سفر أشعيا الإصحاح 6/ 4 [ويصرخان الواحد إلى الآخر ويقولان قدوس قدوس قدوس الرب إله الجنود كل الأرض مملوءة من مجده] العهد القديم (نسخة واطس) ص 134 ، وانظر العهد القديم (نسخة جمعيات الكتاب المقدس) ، ص 998.



ذكر اللفظ مرتين وأربعة.<sup>(1)</sup> ويبدو أن ابن تيمية يلزم النصارى على هذه الدعوى تناقض أدلتهم العقلية مع حججهم الشرعية ، وإلزامهم القول بالتعدد فهو يرى :

- أن تفسيرهم هذا قد أوقعهم في التناقض لتصريحهم بثلاثة آلهة مع قولهم هو إله واحد.

- أن ما ذهبوا إليه لم تدل عليه كتبهم ، بل تعلقهم بمجرد دعوى لم يدل عليها ظاهر اللفظ ، وإنما هو من تأويلهم ، وتفسيرهم لكتبهم.<sup>(2)</sup>

فيلزمهم بأن ما احتجوا به هو حجة عليهم لأن النص صريح في أن التثليث هو نفس التقديس لا نفس الإله المقدس ، وكذلك قولهم [قدوس قدوس قدوس]. قدسوه ثلاث مرات ، فهو صريح في أنهم يسبحونه ثلاث مرات لا يسبحون ثلاث آلهة ، ولا ثلاث أقانيم ، ومثله قولنا : سبحانك تسبيحا مثلثا ، أي سبحانك ثلاث مرات ، لا يسبحون ثلاثة آلهة ، ولا ثلاثة أقانيم.<sup>(3)</sup>

ويستأنس ابن تيمية كعادته ، بما جاء في نصوص السنة النبوية كقول الرسول -صلى الله عليه وسلم- : " إذا قال العبد في ركوعه : سبحان ربي العظيم ثلاثا فقد تم ركوعه ، وذلك أدناه ، وإذا قال في سجوده : سبحان ربي الأعلى ثلاثا فقد تم سجوده وذلك أدناه".<sup>(4)</sup>

وابن تيمية في تفسيره لنصوص النصارى يسقط المفاهيم الإسلامية على النص بدلالة ظاهره دون تكلف في حمل الكلام معاني تنوء به العبارات، مذكرا بفساد تأويل النصارى وخطئهم في فهم نصوص الوحي .

كما أنه لا يبتعد عن مجال الجدل الكلامي ، فنراه يوظف أدلة عقلية في معرض نقاشه للنصوص الكتابية ، ليكشف عن تناقض النصارى ، وانعدام النسق الموضوعي بين أدلتها الشرعية والعقلية ، وكان نتيجة ذلك فساد المنظومة اللاهوتية وإبطال دعوى النصارى في التثليث والأقانيم.

## ثانيا - إبطال تأويل النصارى للنصوص الكتابية :

و من خلال تعرض ابن تيمية لمسألة التأويل عند النصارى يقرّر أنهم سلكوا مع نصوصهم دلالة التأويل على المعنى الذي هو صرف اللفظ عن ظاهره إلى معنى يخالف ذلك . وهو التأويل الذي

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 2 ، ص 242.

(2) المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 242.

(3) المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 243.

(4) - أخرجه ابن ماجه في كتاب : إقامة الصلاة والسنة ، باب التسييح في الركوع والسجود عن حذيفة ابن اليمان أنه سمع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول : (سبحان ربي العظيم ...) ، الحديث بمعناه. أنظر : - سنن ابن ماجه (الألباني محمد ناصر الدين) ط3 (الرياض : مكتب التربية العربي لدول الخليج 1408هـ - 1988م) مج 1 ، ص 147.

- أخرجه أبي داود في كتاب الصلاة ، باب ما يقوله الرجل في ركوعه وسجوده ، الحديث بمعناه. سنن أبي داود ، ضبط وتعليق : محمد محي الدين عبد الحميد ، د ط (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع) ، ج 1 ، ص 230 .

أكد مرارا على خطورته في تعطيل مدلول النصوص وصرافها عن حقيقتها.<sup>(1)</sup> وهذا النوع من التأويل هو الذي قاد الكثيرين ممن ينتسبون إلى الإسلام لتفسير القرآن بغير ما دل عليه .  
فاين تيمية يعطي للتأويل مدلول التفسير ومعرفة معانيه<sup>(2)</sup> وهو المنهج الذي توخاه في رده على الأدلة النقلية ، إذ تأمل نصوص النصارى فوجد مقالاتهم في العقيدة لا تتفق مع كتبهم ونصوص أناجيلهم بل دلت على نقيض ذلك.

وفي مناقشته لهذه المسألة يهتم بالنص الذي عليه مدار احتجاج النصارى في التثليث ، وهو ما روى عن متى أنه قال : [عمدوا الناس باسم الأب والابن وروح القدس].<sup>(3)</sup>

فهو يرى أن هذا كلام ظاهر نصه ، وهو حجة على خلاف دعواهم في التثليث والأقانيم ، وأنه أراد الإبن نفسه وهو الناسوت ولم يرد به صفة الله ، وأراد بروح القدس ما أيده الله به ، وروح القدس الذي نفخ في أمه حتى حبلت به ، ولم يرد به صفة الله.<sup>(4)</sup>

ويكشف ابن تيمية عن الخطأ المنهجي الذي إرتادته النصارى في فهم نصوص الوحي، وذلك في مخاطبتهم : " فتأولتم كلامه على خلاف ظاهره تأويلا يخالف صريح المعقول وصحيح المنقول ، فكيف تدعون أنكم تمسكتكم بظاهر كلامه؟! "<sup>(5)</sup>

وهو بذلك يشير إلى ضوابط التعامل مع نصوص الوحي فيشرط في التفسير أن يكون موافقا للمعقول ، متفقا مع ما جاء في الشرع.

على أنه يجعل مرد العقائد إلى الشرع ، ويؤكد أن للنصارى في الكتب من النصوص ما يقوم مقام الآيات الصريحة، فإن صحت عبارة متى عن المسيح المعصوم عليه السلام، فإنه أراد بذلك ما يناسب سائر كلامه، وفي الموجود في كتبهم تسمية الرب أبا وتسمية عباده أبناء، كما يذكرون أنه قال في التوراة [أنت إبنى بكري]<sup>(6)</sup> وقال لداود في الزبور [أنت إبنى حبيبي]<sup>(7)</sup> وفي الإنجيل في غير موضع يقول المسيح [أبي وأبيكم] و [إني أذهب إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم]<sup>(8)</sup> "قالمراد بذلك الرب الربوبي الرحيم، فإن الله أرحم بعباده من الوالدة بولدها، والابن هو المرابي المرحوم، فإن تربية الله لعبده أكمل

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 2 ، ص 304-306 . وانظر ابن تيمية : موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول ، ج 1 ص 160. وقارن موقف ابن تيمية بموقف القاضي عبد الجبار المعتزلي من مسألة التأويل، منهج القاضي عبد الجبار، في الرد على النصارى، ص 154.

(2) المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 305.

(3) المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 97 ، سبق الإشارة إلى هذا النص.

(4) المصدر نفسه ، ج 3 ، ص 166

(5) المصدر نفسه ، ج 3 ، ص 165 و ج 2 ، ص 237.

(6) سبق الإشارة إلى هذا النص.

(7) سبق الإشارة إلى هذا النص.

(8) سبق الإشارة إلى هذا النص، انظر عن هذه النصوص ص 157.

من تربية الوالدة لولدها، فيكون المراد بالأب الرب، والمراد بالإبن عنده المسيح الذي رباة<sup>(1)</sup>. أما روح القدس فقد وردت في الكتب المقدسة في عدة مواضع، ولم يرد بها حياة الله باتفاق النصارى بل روح القدس تحل في إبراهيم وموسى وداود وغيرهم من الأنبياء والصالحين<sup>(2)</sup> ولو دللت على صفة الله لحقت دعوى الإلهية في حق هؤلاء.

ويستشهد ابن تيمية في ذلك بما شهد به القرآن للمسيح في قوله تعالى : ﴿وَأَيُّنَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ

الْبَيِّنَاتِ وَأَيُّنَا بُرُوحُ الْقُدُسِ﴾<sup>(3)</sup>.

كما يوافق ذلك ما قاله الرسول -صلى الله عليه وسلم- لحسان بن ثابت "اللهم أيده بروح القدس" "وروح القدس قد يراد بها الملك المقدس كجبريل، ويراد بها الوحي، والتأييد الذي ينزله الله بواسطة الملك أو بغير واسطة"<sup>(4)</sup>.

وبناء على هذا التحليل يذهب ابن تيمية في تفسيره لنص متى ، تفسيراً يتفق وعقيدته الإسلامية ويستنتج أنه "إذا كان روح القدس معروفاً في كلام الأنبياء المتقدمين والمتأخرين أنها أمر ينزله الله على أنبيائه وصالحيه عباده سواء كانت ملائكته تنزل بالوحي والنصر ، أو وحياً وتأييداً مع الملك وبدون ملك، ليس المراد بروح القدس أنها حياة الله القائمة به ، فيكون مراده من نص "متى" مروا الناس أن يؤمنوا بالله ونبيه الذي أرسله بالملك الذي أنزل عليه الوحي الذي جاء به ، فيكون ذلك أمراً لهم بالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ، وهذا هو الحق الذي يدل عليه صريح المنقول"<sup>(5)</sup>.

وكان من النتائج المستخلصة من تحليلات ابن تيمية النقدية لأدلة التثليث النقلية ، هو كشف عن فساد منهج النصارى في تأويل نصوص الوحي فيخاطبهم في قوله :

" إنكم إنما ضللتكم بعدولكم عن صريح كلام الأنبياء وظاهره إلى ما تأولتموه عليه من التأويلات، التي لا يدل عليه لفظ، لا نصاً ولا ظاهراً، فعدلتكم عن المحكم وأتبعتم المتشابهة إبتغاء الفتنة وابتغاء تأويله"<sup>(6)</sup>.

لذلك يرفض ابن تيمية الاستدلال بنصوص الكتب المقدسة على التثليث والأقانيم ويرى أنها حجة

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج2 ، ص 97.

(2) المصدر نفسه ، ج2 ، ص 97، وانظر :

BOUAMAMA Ali : la littérature polémique contre le christianisme , p. 181.

(3) سورة البقرة : آية 87.

(4) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج2 ، ص 97.

(5) المصدر نفسه ، ج2 ، ص 97-98، وانظر :

BOUAMAMA Ali : la littérature polémique contre le christianisme , p. 179-180.

(6) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج3 ص 165، وانظر ابن تيمية : الرسالة القبرصية ، ص 27.

على خلاف قولهم، لأنهم بنوا مذهبهم على مجرد ألفاظ محتملة خالفوا بها ما جاء عن الأنبياء  
والمسيح. (1)

ويستشهد ابن تيمية بما ابتدعوه من لفظ الأقانيم ، وعبروا به بما جعلوه مدلول كتب الله وهي لا  
تدل على ذلك ، فكانوا بذلك مترجمين لكلام الله وهم لم يفهموا معناه. (2)  
والخلاصة ، أن ابن تيمية يرفض الإستدلال بالكتب المقدسة على التثليث والأقانيم ويؤكد أن  
النصوص لا تدل على مذهب النصارى بوجه من الوجوه ، لذلك فليس هناك حاجة لتأويلها على خلاف  
من يرى وجوب تأويل ما ورد من النصوص في العهدين على سبيل المجاز والإستعارة (3)، وحجة ابن  
تيمية في ذلك أن لغة الكتب ظاهرة بعبودية المسيح وعبادته لله وحده .

### ثالثا - دراسة دلالات الألفاظ :

إن أهم ما يلفت نظرنا في دراسة ابن تيمية للنصوص الكتابية هو اهتمامه بالألفاظ إذ يعطي  
اللغة أهمية كبرى ويشترط في التفسير الإلتزام بالدلالات اللغوية للنص، وإلا اعتبر ذلك التفسير خروجا  
عن معنى النص ، فيرده ويبطله.

لذلك نراه يحصي نصوصا إعتمدت عليها النصارى في إطلاق لفظ "الأب" و "الابن" و "روح  
القدس" ، مستدلين بذلك على مذهبهم في التثليث والإتحاد. ومن هذه النصوص (4) ما يلي :  
قول المسيح : [ إذهبوا إلى جميع العالم ، وعمدوهم باسم الأب والابن وروح القدس إله واحد ،  
وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيكم به ] . (5)  
وما روي عن موسى [ليس هذا الإله الذي صنعك وبراك واقتاك] (6) وعلى لسانه [وكان روح  
الله ترف على الماء] (7)

وقوله على لسان داود [روحك القدس لا تنزع مني] (8) وقوله : [بكلمة الله تشددت السموات

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، أنظر ج3 ، ص 169 و ص 134 .

(2) المصدر نفسه ، ج2 ، ص 237-238 .

(3) أنظر مثلا : باجه جي زاده : الفارق بين المخلوق والخالق ص 216 .

(4) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج2 ، ص 121 .

(5) سبق الإشارة لهذا النص

(6) سبق الإشارة لهذا النص

(7) النص من سفر الخروج ، الإصحاح 3/1 بلفظ [وكانت الظلمة على وجه الغمر، وروح الله يرف على المياه] العهد القديم (نسخة  
واض) ص 1 ، وانظر سفر الخروج الإصحاح 1/2 ، العهد القديم (نسخة جمعيات الكتاب المقدس) ص 3 .

(8) مزامير داود الإصحاح 11/51 بلفظ [لا تطرحني من قدام وجهك وروحك القدس لا تنزعه مني] ، العهد القديم (نسخة جمعيات  
الكتاب المقدس) ص 37 .

والأرض وبروح فاه جميع قواتهن<sup>(1)</sup> وقوله على لسان اشعيا [يببس القنادر ويجف العشب ، وكلمة الله باقية إلى الأبد].<sup>(2)</sup>

ونلفت الإنتباه هنا أن ابن تيمية في تحليلاته النقدية يناقش أدلة النصارى النقلية على احتمال كون هذا الكلام منقولاً عن المسيح ملمحاً بذلك إلى ضرورة دراسة النصوص دراسة تاريخية سندا ومتنا لإثبات نسبتها إلى المسيح. ثم يذكر بضرورة تفسير النصوص بالتزام لغة المسيح وعادته في الخطاب وعادة سائر الأنبياء<sup>(3)</sup> بحيث لا يخالف كلامه أصلاً من الأصول المثبتة التي جاءت بها كل الشرائع ، ليشير إلى منهجه في التعامل مع النص ، وهو طريقه الذي إرتاده في رده على الأدلة النقلية ويبدأ مداخلاته النقدية بنص متى كونه عمدة النصارى في التثليث فيبطل تخصيص المسيح بالبنوة ، وروح القدس بأنها حياة الله فيخاطبهم : "هذا عمدتكم على ما تدعون من الأقانيم الثلاثة ، وليس فيه شيء يدل على ذلك ، لا نصاً ، ولا ظاهراً ، فإن لفظ الإبن لم يستعمل قط في الكتب الإلهية في معنى صفة من صفات الله ، ولم يسم أحد من الأنبياء علم الله إبنه ، ولا سموا كلامه إبنه ، ولكن عندهم أنهم سموا عبده أو عباده إبنه أو بنيه ، وإذا كان كذلك فدعواهم بأن المسيح أراد بالعلم ابن الله وكلامه دعوى في غاية الكذب على المسيح ، وهو حمل اللفظ على ما لم يستعمله هو ولا غيره فيه لا حقيقة ولا مجازاً ، فأى كذب وتحريف لكلام الأنبياء أعظم من هذا".<sup>(4)</sup>

إن ابن تيمية في مناقشته للنصوص يوظف بعض المداخلات الكلامية والتي يستعين بها لبيان فساد ما تأولته النصارى ، إذ لا يرى تعارضاً بين أدلة الشرع وأدلة العقول.

فعلى اعتبار أن الله سمى نفسه أو شيئاً من صفاته إبناً أو روح قدس ، فإن ذلك يلزمهم فساداً في عقيدتهم، على احتمال أنه لو كان لفظ الإبن يستعمل في صفة الله لسميت حياته إبناً ، وقدرته إبناً ، فتخصيص العلم بلفظ الإبن دون الحياة خطأ ثاني لو كان لفظ الإبن يستعمل في صفة الله ، فكيف إذا لم يكن كذلك ، وكذلك روح القدس لم يستعملوها في حياة الله ، ولا أرادوا بهذا اللفظ حياة الله هي صفته ، وإنما أرادوا بذلك الصديقين والأنبياء ، وما يؤيدهم به.<sup>(5)</sup>

ويؤسس ابن تيمية هذا الموقف على جملة من النصوص الكتابية يستشهد بها كحجة على قوله ومن ذلك أن لفظ الأب والإبن وروح القدس قد استعملت بالمعاني الآتية :

(1) المزامير الإصحاح 5/33 بلفظ [كلمة الرب صنعت السموات وبنسمة فيه كل جنودها] العهد القديم (نسخة جمعيات الكتاب المقدس) ص 23.

(2) سفر اشعيا الإصحاح 8/40 بلفظ [يبس العشب ، ذبل الزهر وأم كلمة إليها فتثبت إلى الأبد] العهد القديم (نسخة واطس) ص 166. وانظر العهد القديم (نسخة جمعيات الكتاب المقدس) ص 139 .

(3) ابن تيمية ، الجواب الصحيح ، ج 2 ، ص 67.

(4) المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 131.

(5) المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 131-132

- أن لفظ الأب أطلقت على غير المسيح وقد جاء على لسان موسى قوله : [ أليس هذا الأب الذي صنعك وبراك واقتناك ]<sup>(1)</sup> فهذا فيه أنه سماه أبا لغير المسيح ، وهذا نظير قوله لإسرائيل [ أنت ابني بكري ] ولداود [ أنت ابني بكري ] وقول المسيح [ أبي وأبيكم ] فجعله أبا للجميع وهم يسلمون بأن المراد بهذا في غير المسيح بمعنى الرب لا بمعنى التولد الذي يخصون به المسيح.<sup>(2)</sup>

- أما لفظ الابن في لغة الكتب فيراد بها المصطفى المحبوب عبد الله<sup>(3)</sup>، وقد وردت في حق غير المسيح، فيذكرون عن الحواريين أنهم يقولون أن المسيح قال لهم<sup>(4)</sup> [ أنا ذاهب إلى أبي وأبيكم ، وإلهي وإلهكم ]<sup>(5)</sup>، وقال إذا صليتم فقولوا: [ يا أبانا الذي في السماء قدوس إسمك، إفعل بنا كذا وكذا ]...<sup>(6)</sup>

- وكذلك لفظ روح القدس، موجود في غير موضع من كلام الأنبياء عليهم السلام لا يراد بهذا حياة الله ولا صفة قائمة، وإنما يراد به ما أيد الله به الأنبياء والأولياء، ويجعله في قلوبهم من هداه ونوره ووحيه وتأنيده، ومن ينزل بذلك من الملائكة، وهذا الذي تسميه الأنبياء روح القدس لم يختص به المسيح باتفاق المسلمين وأهل الكتاب، ومثله موجود في كتبهم كقولهم أن روح القدس حلت في الأنبياء والقديسين والصالحين<sup>(7)</sup>، كما في قول داود [روحك القدس لا تنزع مني]<sup>(8)</sup>، وعندهم أن روح القدس حلت في الحواريين، وقد جاء في بعض النبوات [وفي تلك الأيام أسكب من روحي على كل قديس]<sup>(9)</sup> وفي زبور داود: [روحك الصالح يهديني في أرض مستقيمة]<sup>(10)</sup> فهذه النصوص تدل دلالة واضحة أن جميع ما تستدل به النصارى من ألفاظ الأب والابن وروح القدس مشتركة بين المسيح وغيره.<sup>(11)</sup>

وابن تيمية يرى أن هذا المعنى الذي فسر به نصوص النصارى وما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية شيء واحد، ففي القرآن أن الله أرسل روحه (أي الملك) إلى مريم فنفخ فيها فحملت

(1) سبق الإشارة لهذا النص وما بعده من النصوص .

(2) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 2 ، ص 68 و ص 125.

(3) المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 68.

(4) المصدر نفسه ، ج 3 ، ص 197.

(5) سبق الإشارة لهذا النص.

(6) إنجيل متى الإصحاح 9/6-10 بلفظ [فهكذا تصلون أنتم : أبونا الذي في السموات ليتقدس إسمك ، لتأت ملكوتك لتكن مشيئتك

كما في السماء وعلى الأرض] العهد الجديد (نسخة واطس) ص 7 ، وانظر العهد الجديد (نسخة جمعيات الكتاب المقدس) ص 10.

(7) المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 132 و ج 3 ، ص 197.

(8) سبق الإشارة لهذا النص.

(9) أعمال الرسل الإصحاح 2/19 بلفظ [وعلى عبيدي وإماي أسكب من روحي في تلك الأيام ويتوبون] العهد الجديد (نسخة واطس)

ص 134 ، وانظر العهد الجديد (نسخة جمعيات الكتاب المقدس) ص 190.

(10) المزمير الإصحاح 143/10 [علمني أن أعمل رضاك لأنك أنت إلهي روحك الصالح يهديني في أرض مستوية] العهد القديم

(نسخة جمعيات الكتاب المقدس) ص 102.

(11) انظر عن هذا الموضوع ابن قيم الجوزية : هداية الحيارى (على هامش الفارق بين المخلوق والخالق) ص 91

بالمسيح عليه السلام، قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ، قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ نَقِيًّا ، قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ۝﴾ (1).

وقال تعالى: ﴿وَالَّتِي أَحْصَيْتُ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ۝﴾ (2).

وقال تعالى ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَيْتُ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَقْتُ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا مِنَ الْقَاتِنِينَ ۝﴾ (3) وهذا الروح هو الرسول كما قال: ﴿إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ۝﴾ فالمسيح خلق من هذه الروح وليس هي روح الله كما تزعم النصارى. (4) أما ما يستدل به من السنة فقول الرسول لحسان بن ثابت (5): "إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ مَعَكَ مَا دَمْتَ تَنَافَحَ عَنِ نَبِيِّهِ" (6) ويقول: "اللهم أيده بروح القدس" (7)، ويقصد به ما أيد الله به عباده من الهدى والنور، وقد قال الله تعالى عن المؤمنين: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ ۝﴾ (8).

(1) سورة مريم : آية 17-19.

(2) سورة الأنبياء : آية 91.

(3) سورة التحريم : آية 12.

(4) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 2 ، ص 133.

(5) المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 68.

(6) - أخرجه الإمام أحمد عن البراء بن عازب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لحسان ابن ثابت أهج المشركين فإن...).

أنظر مسند الإمام أحمد ، المجلد 4 ، ص 298 و 301.

- أخرجه الإمام مسلم في كتاب فضائل الصحابة ، باب حسان بن ثابت عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله -صلى

الله عليه وسلم- : (إن روح القدس... ) الحديث بلفظ قريب . أنظر صحيح مسلم بشرح النووي ، ج 16 ، ص 48-49.

(7) - أخرجه الإمام أحمد أنظر عن أبي هريرة قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم... الحديث بهذا اللفظ

أنظر مسند الإمام أحمد ، المجلد 5 ، ص 222 .

- أخرجه الإمام مسلم في كتاب فضائل الصحابة باب فضائل حسان ابن ثابت ، عن أبي هريرة قال رسول الله -صلى الله عليه

وسلم- ... الحديث بهذا اللفظ.

صحيح مسلم بشرح النووي ، مج 8 ، ج 16 ، ص 45.

- أخرجه الإمام النسائي في كتاب المساجد ، باب الرخصة في إنشاد الشعر الحسن في المسجد ، عن أبي هريرة أن رسول الله

صلى الله عليه وسلم- قال ... الحديث بلفظه.

صحيح سنن النسائي ، صحح أحاديثه : محمد ناصر الألباني ، ط 1 (الرياضي : مكتب التربية العربي لدول الخليج 1409 هـ -

1988م) ، ج 1 ، ص 154 .

(8) سورة المجادلة : آية 22.

وابن تيمية يحسم الموقف باستقراء النصوص الكتابية التي تستدل بها النصارى ويقف على معناها من خلال الدلالات اللغوية المستعملة في كتبهم، فلم يجد منها ما يدل على الأقانيم وعلى تخصيص المسيح بالبنوة ، أو روح القدس بأنها حياة الله ، بل غاية ما دلت عليه لغة المسيح ولغة الأنبياء أن "هذه الألفاظ أب وابن وروح قدس لا تدل على ما فسروها به في لغة أحد من الأمم ، ولا يوجد في كلام أحد من الأنبياء ، أنه عبر بهذه الألفاظ عما ذكروه من المعاني بل إثبات ما ادعوه من التثليث والتعبير عنه بهذه الألفاظ، هو مما ابتدعوه لم يدل عليه شرع ولا عقل".<sup>(1)</sup>

وهنا نشير إلى خطر الترجمة على النصوص الكتابية إذ عن طريقها تم نقل اللفظ من المعنى الحقيقي إلى معنى آخر يتعارض مع مفهوم النص ، وقد بحث ابن تيمية عن لفظ الابن بمعنى التولد والالهية ، وعن لفظ روح القدس بأنها حياة الله ، فلم يجد لها أصل في لغة الكتب المقدسة ، وهذا يوضح أن تطور مدلول هذه الألفاظ شاع في جوف بعيد عن المجال اللغوي، وكان سبب ذلك هو إسقاط مفاهيم محدثة أدت إلى تأويل المعنى ، مما كان له أثر بالغ على المدلول الحقيقي للألفاظ ، وهذا يفسره لنا الاختلاف الموجود بين لفظ الإبن الدال على الألوهية في المفهوم العقدي للنصارى ، وبين مفهوم لفظ البنوة في لغة الكتب والذي يدل على العبودية والاصطفاء والمحبة<sup>(2)</sup> ، ويؤكد أنه " لا يوجد عن الأنبياء لفظ "الأقانيم" ولا لفظ "التثليث" ولا "اللاهوت" ولا "الناسوت" ولا تسمية الله "جوهرًا" بل هذا كله مما ابتدعوه، كما ابتدعوا أيضا تسمية الله إينا وروح القدس ، فهم ابتدعوا ألفاظا لم ينطق بها الأنبياء ، أثبتوا لها معاني باطلة وابتدعوا استعمال ألفاظ الأنبياء في غير مرادهم وحملوا مرادهم عليها".<sup>(3)</sup>

وبهذا يؤكد ابن تيمية مقولة تأثر النظرية اللاهوتية المسيحية باصطلاحات ترجع إلى أصول فلسفية وثنية ، وقد رأينا ذلك في دراستنا للمصادر التاريخية .

## رابعا - إثبات آيات التوحيد :

يؤكد ابن تيمية مرارا عند مناقشته للنصوص الكتابية على أن دين النصارى دين محرف وأن عيسى ما جاء إلا بالتوحيد، وهو الدين الذي جاء به جميع الأنبياء ، فيوظف لإثبات ذلك شواهد نقلية صريحة في الدلالة على عبودية المسيح ونفي ما عدا ذلك من التثليث والإتحاد ، ومن ذلك ما يلي<sup>(4)</sup> :

- قول المسيح عندما سئل عن علم الساعة: [ لا يعلمها إنسان ولا الملائكة الذين في السماء ولا

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج2 ، ص 91.

(2) المصدر نفسه ، ج2 ، ص 67 و ج1 ، ص 240.

(3) المصدر نفسه ، ج3 ، ص 198-199.

(4) ابن تيمية: الجواب الصحيح، ج2، ص218 وقارن هذا المبحث بمنهج القاضي عبد الجبار في الرد على النصارى، ص155.



الإبن إلا الأب فقط<sup>(1)</sup>.

- وقوله لتلاميذه [أمونا بالله وآمنوا بي]<sup>(2)</sup>

- وأيضا : [ من يؤمن بي فليس يؤمن بي فقط ، بل وبالذي أرسلني]<sup>(3)</sup> ، فهذه بعض الآيات الصريحة التي رد بها ابن تيمية دعوى النصارى في التثليث ، والحقيقة أن ما تأولته النصارى كان موجبا للجسمية والتشبيه ، فكان منهجه في رفض النصوص التي يستدلون بها أو قبولها هو رفضه للتثليث والتجسيم والتشبيه بدلالة الآيات الصريحة الدالة على التوحيد والتنزيه، ناهجا بذلك منهجه في التفسير الذي يعتمد على تقديم الآيات الصريحة على ما تشابه من النصوص عند معرض الاستدلال.

وهو يرى أن النصارى لديهم " في هذه الكتب ما يناقض قولهم من الأقوال الصريحة الكثيرة ما هو أكثر وأصرح مما احتجوا به على قولهم ، والواجب حينئذ التمسك بالصريح المحكم ورد المتشابه ، لا يجوز التمسك بالمتشابه به ورد المحكم إليه"<sup>(4)</sup> ، وعلّة ابن تيمية في ذلك أن النصوص الصريحة الدالة على التوحيد قد عارضتها النصارى بدلائل عقلية قد بين فسادها إثر تناولنا للأدلة الكلامية وبيننا من خلال ذلك بطلان معتقداتهم بحجة التركيب والتشبيه والاختصاص وتعارض المشيئة بين الأنانيم وغيرها.<sup>(5)</sup> ومن جهة أخرى فإن الدلائل العقلية والنقلية لا تتعارض، بل تتوافق في بيان الحق والباطل، وهو ما يعود لحديثه عن موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول ، على أنه لا ينقض على العقل دوره عند تعارض النصوص الصريحة فالواجب عندها أن ينظروا بنور الله الذي أيد به عباده المؤمنين فيتبعون أحسن ما أنزل الله ، وهو المعنى الذي يوافق صحيح المعقول سائر كتب الله إن كان ثابتا عن الأنبياء.<sup>(6)</sup>

لكن ابن تيمية لا يرى أن النصارى بحاجة لذلك لأن كتب التوراة والإنجيل وسائر ما أُنزِلَ عن الأنبياء ، فيه نصوص كثيرة صريحة ظاهرة واضحة في وحدانية الله ، وأنه لا إله غيره وهو مسمى فيها بالأسماء الحسنى ، موصوف بالصّفات العليا ، وأن كل ما سواه مخلوق له ، ليس فيها تثليث ولا اتحاد الخالق بشيء من المخلوقات ، لا المسيح ولا غيره.<sup>(7)</sup>

(1) إنجيل متى الإصحاح 36/24 بلفظ [أما ذلك اليوم والساعة لا يعرفها أحد ولا ملائكة السموات إلا الأب وحده] العهد الجديد (نسخة واطس) ص 34 ، وانظر العهد الجديد (نسخة جمعيات الكتاب المقدس) ص 45 ، وانظر كذلك إنجيل مرقس 22/13 ، العهد الجديد (نسخة جمعيات الكتاب المقدس) ص 82

(2) أنظر إنجيل يوحنا الإصحاح 34/12.

(3) يوحنا الإصحاح 34/12 بلفظ [فصرخ يسوع وقال من يؤمن بي ليس يؤمن بي بل بالذي أرسلني] ، العهد الجديد (نسخة واطس) ص 138 ، وانظر العهد الجديد (نسخة جمعيات الكتاب المقدس) ص 172.

(4) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 2 ، ص 219.

(5) أنظر المبحث السابق من هذا الفصل.

(6) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 2 ص 169.

(7) المصدر نفسه ، ج 2 ص 169.

والنتيجة التي نستخلصها هو أن ابن تيمية درس النصوص ضمن معايير وشروط التفسير ، وهو بذلك يضع لنا منهجا علميا لدراسة نصوص الوحي يصلح أن يكون مادة طيعة تبحث في مفردات الأدلة النقلية في مجال الجدل الديني.

و يؤكد ابن تيمية على أن دين المسيح هو دين توحيد لا تثليث وليس للنصارى من كلام الأنبياء ما يدل على مذهبهم، بل كل الكتب صريحة بإثبات هذا الأصل.

وخلاصة ما يقرره ابن تيمية أن النصارى ليس لهم على ما يثبتون من التثليث أدلة عقلية ولا سمعية<sup>(1)</sup> ليخلص إلى حسم مادة الشرك عندهم والتعدّد وخروجهم عن التوحيد الذي جاء به المسيح إلى دين التثليث والتعدّد.

ويظهر من خلال المنهج التحليلي النقدي الذي توخاه ابن تيمية في مناقشته للأدلة النقلية التي تستدل بها النصارى على التثليث، توظيفه لمعارفه الإسلامية في تفسيره للنص القرآني ، فنراه يتحدّث عن المحكم والمتشابه ، وشروط التأويل ، ودلالات الألفاظ ، وإثبات آيات التوحيد ، وهي مباحث استخدمها في دراسته للنص القرآني عند رده على الفلاسفة والمتكلمين الذين تأولوا القرآن على غير ما دلّ عليه .

### المطلب الثاني: مناقشة الأدلة القرآنية:

يرفض ابن تيمية تفسير النصارى للقرآن رفضا قاطعا لأنهم أسقطوا مفهوم الآيات على عقائدهم، وفسروه دون إلتزام بشروط التفسير المطلوبة وتأولوه على غير ما دلّ عليه لفظه ومعناه ، فكان تفسيرهم للقرآن من جنس تفسيرهم لنصوصهم الكتابية ، وطريقتهم في ذلك ترك المحكم من النصوص واتباعهم المتشابه المحتمل<sup>(2)</sup>. بل إن النصارى تجاوزت ذلك إلى تحريف المحكم الذي معناه ظاهر لا يحتمل إلا معنى واحدا ، فكانوا من الجهل والمعاندة أبعد عن الصواب ممن حرف معنى المتشابه.<sup>(3)</sup>

ويدرس ذلك ضمن مسألتين :

1- رده على تأويل النصارى للقرآن.

2- إبطال دعوى تأييد القرآن لهم.

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 2 ، ص 245.

(2) المصدر نفسه ، ج 2 ص 64.

(3) المصدر نفسه ، ج 2 ص 64 و ج 1 ص 248-249.

## أولاً : رده على تأويل النصارى للقرآن .

### 1- إبطال دعوى النصارى في التثليث :

يعتبر ابن تيمية دعوى النصارى في أن القرآن دل على ما هم عليه من التثليث والأقانيم تحريفاً لمدلول الآيات ، فيصرح بلفظ العبارة أن هذا العمل هو تجاوز لنصوص القرآن فيقول : " ثم أخذوا يزعمون أن فيما أنزل على محمد -صلى الله عليه وسلم- حجة لهم على الأقانيم التي ادعواها ، وهم ابتدعوا القول بالأقانيم والتثليث قبل أن يبعث محمد -صلى الله عليه وسلم-".<sup>(1)</sup> ومن النصوص التي وظفها النصارى في الاستدلال على التثليث نذكر ما يلي :

قول الله تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ .<sup>(2)</sup>

﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴾ .<sup>(3)</sup>

﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ ﴾ .<sup>(4)</sup>

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾<sup>(5)</sup> فقالت النصارى أن صيغة الجمع في هذه الآيات وغيرها من النصوص القرآنية دلالة على تعدد الآلهة.

وقوله : ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾<sup>(6)</sup> ، ﴿ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾<sup>(7)</sup> ،  
<sup>(8)</sup> قالوا أن لفظ الكلمة والروح دلالة على أفنومي الإبن والحياة .

فيعترض ابن تيمية عليهم وغايته أن ذلك ليس فيه ما يدل على التثليث والأقانيم، وليس للنصارى إلا ما تأولوه من سوء فهمهم للأنبياء ، بل جميع ما أثبتوه من التثليث والحلول والاتحاد ليس في كتب الأنبياء التي بأيديهم ما يدل عليه، بل فيها أقوال كثيرة صريحة ينقض ذلك مع القرآن والعقل، فهم مخالفون للمعقول وكتب الله المنزلة.<sup>(9)</sup>

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 2 ، ص 133.

(2) سورة القدر : آية 1.

(3) سورة يوسف : آية 3

(4) سورة النحل : آية 44

(5) سورة الحجر : آية 9 .

(6) سورة طه : آية 129

(7) سورة النساء : آية 164

(8) سورة البقرة : آية 253.

(9) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 2 ص 245.

و يؤكد ابن تيمية على خطأ النصارى في فهم نصوصهم الكتابية ، وأن منشأ ذلك التأويل الفاسد لما اشتبه عليهم من ألفاظ من نحو "إنا" و "منا" و "نحن" فاستدلوا به على التثليث ، فلما وجدوا مثل ذلك في القرآن جعلوه حجة لهم على عقيدتهم ، وكان هذا مما احتج به وفد نجران على النبي -صلى الله عليه وسلم- (1).

فبين أن صيغة الجماعة لفظ يقع في جميع اللغات على من كان له شركاء وأمثال ، كما يستعمل للدلالة على الواحد المطاع العظيم (2) ، فيكون لفظ الجماعة في هذه الآيات يدل على الواحد المطاع وهو من المتشابه ، ويسند ابن تيمية هذه المسألة إلى الإستعمالات اللغوية ، فيرى أنه إذا جاز أن يكون في حق الواحد من الملوك القول "إنا" و "نحن" ولا يريدون أنهم ثلاثة ملوك ، فملك الملك رب العالمين ورب كل شيء ومليكه هو أحق بأن يقول "إنا" و "نحن" مع أنه ليس له شريك ، ولا مثل ، بل له جنود السموات والأرض. (3) كما قال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ (4) لكن النصارى لم تلتزم في تفسيرها لهذا النص بهذا الشرط ، والذي حدى بهم إلى صرفه عن دلالاته ، وبذلك تبين أنهم يريدون أن يحرفوا القرآن كما حرفوا غيره من الكتب المتقدمة وأن كلامهم في تفسير المتشابه من الكتب الإلهية من جنس واحد. (5) ويتعجب ابن تيمية من إقدام النصارى على تفسير القرآن بغير علم وحمله على المعنى الذي يوافق مذهبهم ، ولفظه لا يدل عليه ، معتبرا ذلك من التحريف لكلمات الله والإلحاد في أسمائه وهو المنهج الذي سلكوه مع الكتب الإلهية (6) وهو بذلك يلمح إلى خطأ النصارى في تعاملهم مع نصوص الوحي لعدم التزامهم بشروط التفسير والتأويل. وهي الطريقة التي حدث بهم إلى تحريف النصوص القرآنية والكتابية على حد سواء.

ويعتبر ابن تيمية تحريف النصارى للقرآن وتبديل معناه -وقد نقل عن الرسول -صلى الله عليه وسلم- نقلا متواترا حتى عرف معناه علما يقينيا اضطراريا - حجة يقيمها عليهم في تأكيده على مسألة التحريف في كتب التوراة والانجيل ، ذلك أنه لم ينقل لفظها ومعناها كما نقل القرآن ، وليس في أهل تلك الكتب من يذب عن ذلك ، كما يذب المسلمون عن لفظ القرآن ومعناه (7) ، وهو ما يعود بنا للحديث عن ضرورة التثبت من صحة تلقي الخبر ، وأن ذلك شرطا من شروط التفسير ، وهي تعمد عند النصارى.

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج2 ص 235.

(2) المصدر نفسه ، ج2 ص235

(3) المصدر نفسه ، ج2 ، ص 235 .

(4) سورة الفتح : آية 7.

(5) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج2 ص 140.

(6) المصدر نفسه ، ج2 ، ص 48.

(7) المصدر نفسه ، ج1 ص 299-300.

## 2- إبطال دعوى النصارى في أسماء الأقاتيم :

من المسائل التي أثار انتباه ابن تيمية في مناقشاته الرديّة دعوى النصارى أنّ القرآن شهد لهم على ما أطلقوه من مسميات الأقاتيم كلفظ "الكلمة" و "روح القدس"، فينقل تفسيراً مفصلاً في معنى عيسى كلمة الله وروحه ليردّ بها دعواهم ، وقد تناول ذلك ضمن مسألتين :

### أ - دعواهم أن لفظ "الكلمة" في القرآن أريد بها لاهوت المسيح:

فقد استدلوا بقوله تعالى : ﴿ وَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴾<sup>(1)</sup> وقوله ﴿ وَلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا... ﴾<sup>(2)</sup> فجعلوا "الكلمة" هي المسيح ، وليس في اللفظ ما يدل على ذلك بوجه من الوجوه ، ولا في كون المسيح سبق لعبادنا المرسلين في معنى صحيح<sup>(3)</sup>. كما يرفض حجّتهم في قوله : ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾<sup>(4)</sup> إذ معناها أنّ الله كلم موسى تكليماً ، وكلام الله الذي سمعه موسى عليه السلام ليس هو المسيح فعلم أنّ المسيح ليس هو كلام الله ، وعندهم هو كلمة الله ، وهو علم الله ، وهو الله . ومعلوم أنّ كلام الله كثير كالتوراة والإنجيل والقرآن ، وغير ذلك من كلامه ، وليس المسيح شيئاً من ذلك ، والمسيح عندهم خالق ، وكلام الله ليس بإله وإنما هو صفة من صفاته، ولو جوزت النصارى ألوهية المسيح بهذا الاعتبار لجاز أن نقول : يا علم الله اغفر لي ، ويا كلام الله اغفر لي.<sup>(5)</sup> وابن تيمية بهذا الطرح يلمح لفساد المنظومة اللاهوتية ، ودعوى الألوهية في المسيح من جهة العقل ، لأنّ المسيح عندهم خالق ولو كان المسيح نفس كلام الله لم يكن خالفاً ولا معبوداً فإنّ كلام الله ليس هو الإله المعبود.<sup>(6)</sup> وعيسى قد خصّ بالكلمة لأنه خلق بها ، فيكون المعنى في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ﴾<sup>(7)</sup> أي أنّ الكلمة التي ألقاها إلى مريم حين قال له : كن فكان عيسى بـ "كن" ، وليس عيسى هو الكن ، ولكن بالكن كان ، فالكن من الله.<sup>(8)</sup>

(1) سورة الصافات : آية 171.

(2) سورة طه : آية 129.

(3) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج2 ص 137.

(4) سورة النساء : آية 164.

(5) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج2 ، ص 140-141 و ج1 ، ص 172-173.

(6) المصدر نفسه ، ج2 ، ص 140.

(7) سورة النساء : آية 171.

(8) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج2 ، ص 173.

## ب - دعواهم أن لفظ "روح القدس" في القرآن أريد بها روح الله:

استدلّ النصارى بقوله تعالى: ﴿ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أُيدُنَاكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ... ﴾ (1)

وقد ردّ ابن تيمية هذه الدعوى بحجة عدم اختصاص المسيح بذلك ، فقد أطلق ذلك في حق غيره، من الأنبياء ومن أمثلة ذلك [روحك القدس لا تتزع مني] ، ومثله ما جاء في السنة من قول الرسول -صلى الله عليه وسلم- لحسان بن ثابت ، (اللهم أيدع بروح القدس) ، وفي لفظه (روح القدس معك ما دمت تتأفح عن نبيه). (2)

فالروح على ما جاءت به الآيات هي جبريل الروح الأمين الذي تنزل بالكتاب ، كما تدلّ على الروح التي أوحاها والتي تنزل بها الملائكة على عباده.

ويذكر ابن تيمية أن الآية ﴿ وَأَيُّدُنَا بِرُوحِ الْقُدُسِ... ﴾ (3) فسرت بكلا القولين ، ولم يثبت عن أحد أن روح القدس تدل على حياة الله. (4)

وهذا المعنى قد ذهب إليه أصحاب الردود ممن كتبوا قبل ابن تيمية ، فيذكر الجاحظ في وصف عيسى أنه روح الله كونه سمي على حسب ما سمي جبريل روح الله ، وروح القدس ، وعلى حسب ما سمي القرآن بذلك في قوله : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا... ﴾ (5) وقال ﴿ يَنْزِلُ الْمَلَائِكَةُ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴾ (6) ولم يوجب هذا بأن جبريل والقرآن إنا لله. (7)

ويدرس ابن تيمية دعوى النصارى دلالة القرآن على دعواهم ضمن احتمالين يفضي كل منهما لفساد في التقدير (8) :

- إما أن يسلموا أن روح القدس في حق غيره ليس المراد بها حياة الله ، وذلك يلزمهم عدم ثبوت ألوهية المسيح .

(1) سورة المائدة : آية 110

(2) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 2 ، ص 139 ، سبق الإشارة لهذين الحديثين.

(3) سورة البقرة : آية 87

(4) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 2 ، ص 139.

(5) سورة الشورى : آية 52.

(6) سورة النحل : آية 2.

(7) الجاحظ : المختار في الرد على النصارى ، ص 122-124.

(8) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 2 ص 140.

- وإما أن يدعوا أن المراد بها حياة الله ، وذلك يلزمهم حلول اللاهوت في حق الأنبياء والحواريين ، وبه يرتفع الفرق بين هؤلاء وبين المسيح فلا يكون له اختصاص بالألوهية. كما يسجل عليهم مأخذا كلاميا يثبت فساد ما استدلوا به على مذهبهم ، حيث يمتنع من قوله تعالى: ﴿ وَأَيُّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾ أن يراد بها حياة الله ، فإن حياة الله صفة قائمة بذاته لا تقوم بغيره ، ولا تختص ببعض الموجودات غيره ، وأما عندهم فالمسيح هو الله الخالق ، فكيف يؤيد بغيره.<sup>(1)</sup> ويتعجب ابن تيمية من إقدام النصارى على تفسير القرآن بغير علم " وحمله على المعنى الذي يوافق مذهبهم ولفظه لا يدل عليه ، معتبرا ذلك من التحريف لكلمات الله ، والاحاد في أسمائه ، وهو المنهج الذي سلكوه مع الكتب الإلهية.

وهذا يأذن بالقول أن الطابع الذي ميز المداخلات الكلامية لابن تيمية سواء في باب الأدلة العقلية أو النقلية هو فساد تقدير النصارى للذات الإلهية ، فكانت اللوازم الكلامية من الأدوات المستعان بها في التأكيد على النتائج المترتبة.

## ثانيا - إبطال دعوى تأييد القرآن لهم :

يوظف النصارى بعض الآيات القرآنية على دعوى أن نصوصه شهدت لهم بما هم عليه من التثليث والأقانيم ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ إِفِدْنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ... ﴾<sup>(2)</sup> ففسروا الآية على أنها مدح لدينهم واستدلوا بها على صحة ما هم عليه من تثليث ، فأبطل ابن تيمية هذه الدعوى محتجا عليهم بما تواتر عن النبي -صلى الله عليه وسلم- من تجهيل النصارى وتظليلهم وجهادهم ، فكيف يكون لديهم مستند فيما جاء به محمد -صلى الله عليه وسلم- ، وقد كفرهم في غير موضع<sup>(3)</sup> ، ومن ذلك : قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ كَرَّرْنَا لِلَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ﴾<sup>(4)</sup> وقوله : ﴿ لَقَدْ كَرَّرْنَا لِلَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ تَالِثُ ثَلَاثَةٍ ﴾<sup>(5)</sup>.

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 2 ، ص 140.

(2) سورة الفاتحة : آية 6-7.

(3) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 2 ، ص 82 وج 2 ، ص 134

(4) سورة المائدة : آية 17.

(5) سورة المائدة : آية 73.

وقوله: ﴿ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ، ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ (1).

كما يحتج ابن تيمية عليهم بشهادة القرآن على وحدانية الله، ووصفه بخصائص الربوبية ما يطول وصفه ، ونفى عنه كل شريك أو ند (2) ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ ، سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ، بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (3).

وهذا يدل دلالة واضحة أن نصوص القرآن تنقض دعوى النصارى في قيام دينهم على الشرك والتعدد.

والنتيجة التي نستخلصها من مناقشة ابن تيمية للأدلة النقلية للإلهيات النصرانية أنه طبق نفس المنهجية في دراسته للنص القرآني، مطالباً النصارى بضرورة الإلتزام بمعايير وشروط التعامل مع نصوص الوحي .

(1) سورة التوبة : آية 30

(2) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 2 ، ص 289.

(3) سورة الأنعام : آية 100.



## **الفصل الخامس**

**منهج ابن تيمية في الرد**

**على المسيحيين.**

جامعة الأمير  
القادر للعلوم الإسلامية

تمثل عقيدة التجسد الحقيقة الرئيسية في الإيمان المسيحي، وعليه يعتمد كل بناء اللاهوت المسيحي<sup>(1)</sup>، وهذا يكشف لنا عن أهمية هذا الغرض، إذ هو منشأ القول بثلاثة أقانيم، أب وابن وروح قدس، لذلك كان محور الرحي الذي تدور عليه جل المسائل الجدلية في الردود الإسلامية، وهذا يعني أن المناقشات الخاصة في المباحث اللاهوتية تابعة لهذا الغرض.<sup>(2)</sup>

فالنصارى تعتقد في المسيح عليه السلام أنه كلمة الله (أي أقنوم الإبن) حلت فيه لأجل سعادة البشر. وظل الأَقنوم الإلهي حالاً في جسده إلى أن صلبته اليهود، فانفصل عنه، ثم قام من قبره في اليوم الثالث. ثم ذهب إلى السماء. ولما صلبه اليهود كان ذلك كفارة لذنب المؤمنين بالمسيحية، وإذا فقد كان المسيح - كما تقرر هذه العقيدة - إلهاً وإنساناً في وقت واحد<sup>(3)</sup>. ويمكن القول أن عقيدة النصارى في المسيح تبنى على العناصر التالية:

- عقيدة الحلول والإتحاد - عقيدة الصلب - عقيدة القيامة - عقيدة الفداء.

وابن تيمية في تحليلاته النقدية يكشف عن تناوله لمبحث المسيحولوجيا<sup>(4)</sup>، ويذكر في معرض ذلك اتفاق النصارى على جميع عناصرها وهو ما يشكل عقائد المسيحولوجيا العامة، واختلافهم في فروع تتدرج تحت هذه العناصر لتشكل مسيحولوجيا الفرق النصرانية الخاصة<sup>(5)</sup> وفيما يلي نعرض أنواع المسيحولوجيا ونبين مواقف ابن تيمية الرديّة:

المبحث الأول: عرض عقيدة المسيحولوجيا النصرانية:

المطلب الأول: المسيحولوجيا النصرانية:

لا شك أن البحث الموضوعي في أي حادث يتوقف على دراسته تاريخياً والرجوع به إلى مصادره وأصوله الأولى، لأن ذلك يضع أمامنا نتائج علمية دقيقة. وهذا المنهج نجده ماثلاً في دراسة ابن تيمية إذ يبحث عن الجذور التاريخية المؤصلة للعقائد النصرانية، وقد أثبت من خلال ذلك على أثر العقائد السابقة في تكوين نظرية الإلهيات النصرانية الخاصة بالمسيح، ونرى ذلك جلياً في عرض ابن تيمية للخصومات التي ضمنت مقررات المجامع ويخص بالذكر مجمع "نيقية" المنعقد سنة 325 هـ، والذي

(1) أنظر والفورد جون ف : يسوع المسيح ربنا ، ص 113 .

(2) الشرفي عبد المجيد: الفكر الإسلامي في الرد على النصارى (مبحث المسيحولوجيا)، ص 282 وما بعدها.

(3) العثماني محمد تقي: ما هي النصرانية، ص 57-59.

(4) المسيحولوجيا مصطلح وظفه علم اللاهوت المسيحي لدراسة المسائل المتعلقة بالمسيح ومن أهم عناصر هذه العقيدة عقيدة الحلول والاتحاد الصلب القيامة الفداء وانظر عن ذلك العثماني محمد تقي: ما هي النصرانية، ص 57، وانظر ميشال توماس : مدخل إلى العقيدة المسيحية ، ص 55 وما بعدها.

Lauret Bernard et Refoule François et d'autres : Initiation à la pratique de la théologie TS , p 1-15. و

Ehlinger Charle : Histoire du christianisme, p 156 .

(5) الشرفي عبد المجيد: الفكر الإسلامي في الرد على النصارى ص: 288-289.

اعتبر المسيح ربا ومخلصا وابنا لله ، إذ هو مبدأ القول بألوهية المسيح وتجسد اللاهوت بالإنسوت. (1) ويعتبر ابن تيمية الخلافات المسيولوجيا والتي كان مفادها سنّ قانون الإيمان الذي تجتمع عليه جميع النصارى في أصول دينها ، سندا يثبت به نسبة تلك العقائد إلى أكابرهم ، فقد كانوا مختلفي الآراء والأديان و كان ذلك دافعا لعقد مجمع ثان هو مجمع "القسطنطينية" للفصل في اختلاف مقالاتهم في المسيح (2) ، وقد أفضى إلى مناقشات في تحديد طبيعة المسيح ، ولم تنته الكنيسة إلى تحديد العقائد الخاصة بالمسيولوجيا إلا بعقد مجمع "خلقونيا" (451) ، حيث أثبت اجتماع الطبيعة الإلهية والإنسانية في شخص المسيح (3) ملمحا إلى الدافع لترجيح قول على آخر ونسخ مذهب بآخر ، مما يؤكد أنّ السلطة السياسية كانت تؤدّي دورا في توجيه المذاهب ، ومما يجزم لنا ذلك أنّ عقد تلك المجمع كان بأمر من قسطنطين الملك وتحت إشرافه ليجمع كلمة النصارى على مذهب واحد. (4)

وحديث ابن تيمية عن الدافع التاريخي لدعوى النصارى في إلهية المسيح قد أعطى قوة للجدل الكلامي أدت نتائجها إلى نفس ما توصل إليه العلم الحديث الذي أكد على احتواء المسيولوجيا على عناصر تاريخية أسطورية (5) يرجع أصلها إلى المجتمع الروماني. (6) واستقراء الواقع التاريخي للتكوين المسيحي ، يكشف عن مصدرية فكرة الإتحاد الإلهي وتأليه الإنسان ، الذي ساد في الفكر الشرقي القديم ، المصري والسوري واليوناني وغيره (7) مما يؤكد أنّ فكرة التجسد الإلهي لا تعدو أن تكون من المفاهيم الوثنية التي أسقطت على دين المسيح خلال عهود تاريخية شكّلت المجمع صيغتها بالتدريج حتى أخرجت قول النصارى بتجسد اللاهوت في شخص المسيح. والذي يمكن أن نستنتج من عرض ابن تيمية هو أنّ النظرية النصرانية في المسيح متجذرة في الفكر المسيحي ، فالظروف التاريخية الخاصة جعلت من الإنسان ربا ، وإلها ، وظهرت عقيدة التجسد على النحو الذي

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج3 ، ص 22-24 ، وانظر عن المجمع والخصومات المسيحية ، الفصل الخاص بمصادر النصارى ، مطلب : صياغة قانون الإيمان . وانظر :

Bardy, G. et Tricot, A. : Le christ , Encyclopedie Populaire des connaissances christologique, (paris : Librairie Bloud et Gay 1947) , p 394-418.

(2) المصدر نفسه ، ج3 ، ص 22-24.

(3) أنظر : BARDY, G. et Tricot, A. : Le christ , Encyclopedie Populaire des connaissances christologique, (Paris : Librairie Bloud et Gay, 1947) , p. 393.

(4) المصدر نفسه ، وانظر : Ehlinger Charle et Genet Jean-philipe et d'autres : Histoire du christianisme, p 133-134.

(5) انظر غرويه و قنواني : أسطورة تجسد الإله في السيد المسيح ، خاصة ، ص 243 ، وشارل جنبيير : المسيحية نشأتها وتطورها ، ص 100.

(6) وعن فكرة تأليه المجتمع الروماني للإمبراطور باعتباره الممثل الأرضي لـ (logos) انظر :

Algrain. R. : Ecclesia : p 729, et Ehlinger Charle : Histoire du christianisme p 161 .

(7) انظر جنبيير شارل : المسيحية نشأتها وتطورها ، ص 91 وما بعدها ، غرويه وقنواني : أسطورة تجسد الإله في السيد المسيح ، ص 268 و 289.

عرفناه عند عرض المجامع التي عدلت في نظرية المسيحولوجيا ، وقد مكن الإطلاع الواسع لابن تيمية تتبّع نشأة تلك النظرية وبالخصوص تطوّرها ، فأولاها عناية فائقة ساعدته على عرضها في كثير من الموضوعية ، فكانت نتائج العملية التنظيرية مفحمة للخصم ومبطلّة لدعواه في التّجسّد ، تماما كما فعل في نقاشه لعقيدة التثليث .

وتوظيف ابن تيمية لمعرفته التاريخية في مجال النقد الجدلي دليل على حيوية فكره ، وفي هذا ما يؤكّد على صلاحية منهجه في البحث الخاص بالأديان.

ومما يسجله ابن تيمية كما أخذ على النّصارى صعوبة تحصيل مذهبهم في المسيح<sup>(1)</sup> فإنه ليس في الأمم أكثر اختلافا وتناقضا في ربّ العالمين منهم "لأنّ الغالب عليهم الجهل بالدين ، وأنهم يتكلّمون بكلام لا يعقلون معناه [إذ هو] ليس منقولا عن الأنبياء حتى يسلم لقائله ، بل هم ابتدعوه ، وإذا سألتهم عن معناه قالوا : هذا لا يعرف بالعقل ، فيبتدعون كلاما يعرفون أنهم لا يعقلونه ، وهو كلام متناقض ينقض أوله آخره ، ولهذا لا تجدهم يتفقون على قول واحد في معبودهم ، حتى قال بعض الناس : لو اجتمع عشرة نصارى ، افترقوا على أحد عشر قولاً"<sup>(2)</sup>

لكن ذلك لم يمنع ابن تيمية من عرض المسيحولوجيا ضمن إطار جدليّ محكم بدقّة متناهية . فنجدّه يخصّص كلامه على ما اتفقت عليه جميع فرق النّصارى من عقائد مسيحولوجيا عامة ، وقد ألزمهم في ذلك بنصّ الأمانة.

فالنّصارى "متفقون على أنّ المتحد بالمسيح والحال فيه هو أقنوم الكلمة ، وهو السّذي يسمّونه الابن دون الأب".

" وهم يقولون : إنّ المسيح إله خلق السموات والأرض لاتحاد ناسوته بهذا الابن المولود قبل كلّ الدهور ، المساوي الأب في الجوهر"<sup>(3)</sup>.

"والنّصارى يدعون أنّ اسم المسيح اسم اللاهوت والنّاسوت ، وأنه إله تام وإنسان تام ، وهذا يمتنع شرعا وعقلا ، ثمّ يصفونه بالصفات المتناقضة ، يصفونه بأنّ طائفة من شرار اليهود ، وضعوا الشوك على رأسه وبصقوا في وجهه وأهانوه وصلبوه ، وفعلوا به ما لا يفعل بأخسّ الناس ، ويقولون مع هذا إنّ ربّ السموات والأرض وما بينهما"<sup>(4)</sup>.

" ويقولون أيضا : إنّه إتحد بالمسيح وإنه صعد إلى السماء ، وجلس عن يمين الأب ، وعندهم أنّ اللاهوت منذ اتّحد بالنّاسوت لم يفارقه ، بل لما صعد إلى السّماء وجلس عن يمين الأب ، كان الصاعد عندهم هو المسيح ، الذي هو ناسوت ولاهوت ، إله تام وإنسان تام ، فهم لا يقولون : إنّ

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 1 ، ص 247.

(2) المصدر نفسه ، ج 1 ، ص 247.

(3) المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 158.

(4) المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 69.

الجالس عن يمين الأب هو الناسوت فقط ، بل اللاهوت المتحد بالناسوت جلس عن يمين اللاهوت، فأى تبويض وتجزئة أبلغ من هذا".(1)

ويستخلص ابن تيمية من هذا العرض أهم العناصر التي تقوم عليها المسيحولوجيا وهي اعتبار المسيح إلهًا ، وكانت هذه الحقيقة التي تتبني عليها العقائد النصرانية ، حافزا قد نشط الردود الإسلامية ، فالفكر الإسلامي يرفض دعوى تأليه الإنسان ، ويثبت صفات الكمال لله وتنزيهه عن الشبه والتجسيم ، وهي المفارقة التي تفصل بين دين التوحيد ودين الشرك .

ونلاحظ هذا الموقف في تناول ابن تيمية لهذه المسألة فهو يرى أن "النصارى يشبهون المخلوق بالخالق في صفات الكمال المختصة بالخالق التي ليس له فيها مثل، كقولهم أن المسيح هو الله، وابن الله".(2)

وهم أيضا "يصفون اللاهوت بصفات النقص التي يجب تنزيه الرب عنها ، ويسبون الله سبًا ما سبه إياه أحد من البشر"(3)، وذلك بدعواهم لله ولدا. فالمقارنة بين الإسلام والمسيحية في التوحيد تقضي إلى وجود هوة كبيرة تطيح بكل دعوى للقول بتقارب الدينين أو المقابلة بينهما.

وعلى هذا الأساس يرفض ابن تيمية ، دعوى النصارى في حلول اللاهوت في الناسوت، لأنها دعوى مجردة لا تستند إلى دليل " فلو قدر أن بعض الناس قال شيئا من المقالات التي لا تدل عليها الكتب الإلهية ، ولا تعلم بالعقل، لم يكن قوله حجة إذ لا يحتاج إلا بنقل ثابت عن الأنبياء، أو بما يعلم بالعقل".(4) فالنصارى ليس لهم دليل على دعواهم، وأن سندهم في ذلك لا يعدو أن يكون فكر بشري، مما يجزم بأثر العقائد السابقة في تكوين نظرية المسيحولوجيا العامة.

على أن ابن تيمية يعود مرة ثانية للحديث عن المسيحولوجيا بصورة تفصيلية ، فيخص كل فرقة ببحث لعلمه باختلاف الفرق في طبيعة هذا التجسد ، ومتى حصل وكيف ؟ وذلك راجع لتفاوتهم في العملية التأويلية لنصوص الكتب . ويمثل هذا الجانب "مسيحولوجيا الفرق النصرانية الخاصة"(5) ونتعرض لهذا الموضوع في المطلب التالي :

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج2 ، ص 158 .

(2) المصدر نفسه ، ج2 ، ص 52 .

(3) المصدر نفسه ، ج2 ، ص 52 .

(4) المصدر نفسه ، ج2 ص 274 .

(5) قسم الباحثون عقائد النصارى إلى : عقائد عامة يشرك فيها كل النصارى ، وعقائد خاصة تختلف عليها الفرق ، انظر في ذلك كتاب الشرفي عبد المجيد : الفكر الاسلامي في الرد على النصارى ص 288-289 ، والصالح صبحي وجبر فريد : فلسفة الفكر الديني بين الاسلام والمسيحية ، ج2 ، ص 283-285 .

## المطلب الثاني: مسيولوجيا الفرق النصرانية.

يهتم ابن تيمية بإحصاء قول العلماء في المسيولوجيا النصرانية إذ يرى ذلك من باب إنصاف الخصم ، فيقول : " فهذا نقل طائفة من نظار المسلمين ، وهذا قول لمن قاله من النصارى ، وفيه ما هو مخالف لصريح أمانتهم ، وما عليه جمهورهم مثل قولهم : إنهم لا يسمون العلم قبل تدريعه بالمسيح ابنا ، بل المسيح مع ما تدريعه به ابن الله ، فإن هذا خلاف ما عليه فرق النصارى من الملكانية واليعقوبية والنسطورية ، وخلاف ما تضمنته أمانتهم ، إذ صرحوا فيها بأن الكلمة ابن قديم أزلي مولود قبل الدهور ، وهذا صفة اللاهوت عندهم ، وفيها أشياء يقولها بعض النصارى لا كلهم".<sup>(1)</sup>

ويعرض نقاشاته الكلامية ضمن ما جاء في قانون الأمانة ، فهو النص الذي يلزم جميع فرق النصارى ، مبيّنا تناقض أقوالهم ، فيحيل ذلك عقلياً إذ قانون الأمانة الذي يسمون به كلهم لم ينص على عقائدهم ، وهذا يثبت أن ما ذهبوا إليه في المسيح سببه تأويلهم الفاسد .

والذي يلاحظه ابن تيمية في نقل العلماء المسلمين لمذاهب النصارى اختلافهم ، إذ أن الناقل قد يخطئ في نقله ، فيقول : ونقلت طائفة أخرى منهم أبو الحسن الزاغوني<sup>(2)</sup> منهم ما يوافق هذا من وجه دون وجه".<sup>(3)</sup>

والظاهر أن هذا الاختلاف ليس معوزاً لخطأ العلماء المسلمين ولكن سببه راجع للاختلاف بين فرق النصارى ، بل إن الفرقة الواحدة تدرج تحتها مذاهب مختلفة ومتناقضة ، لهذا يقسم ابن تيمية المسألة الواحدة إلى وجوه عديدة ليكون الرد شاملاً لكل المذاهب على اختلافها .

ويهتم بما اشتهر من أقوال الملكية واليعقوبية والنسطورية ، مشيراً إلى الفرق الثانوية ، وقد اعتبر خصوماتهم وتناقض أقوالهم حجة تلزمهم الاعتراف بترك دين المسيح قائلاً : "وكل فريق منهم يكفر الآخر ، إذ كانوا ليسوا على مقالة تلقوها عن المسيح والحواريين ، بل هي مقالات ابتدعها من ابتدعها منهم ، فضلوا بها وأضلوا".<sup>(4)</sup>

كما قال تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾<sup>(5)</sup>

ونلاحظ في عرض ابن تيمية للمسيولوجيا إسناده للأقوال إلى فرقها بذكر أسمائها إلا أنه في بعض المواضع يكتفي بذكر صيغ عامة من مثل قوله: وقال بعضهم ومنهم من قال، وقد ذهب آخرون،

(1) ابن تيمية: الجواب الصحيح، ج ، ص 309. عن مسيولوجيا الفرق أنظر الفكر الإسلامي في الرد على النصارى، ص 289

وما بعدها، ومنهج القاضي عبد الجبار في الرد، ص 193 وما بعدها.

(2) انظر ترجمته في الفصل الأول مبحث مصادر فكر ابن تيمية .

(3) المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 309 .

(4) المصدر نفسه ، ج 3 ، ص 125 .

(5) سورة المائدة : آية 77 .

وغيرها مما صعب علينا نسبة الأقوال إلى فرقة بعينها، وفيما يلي نعرض آراء الفرق في شأن المسيحيين :

### أولاً - المسيحيون الملكية:

يعرف ابن تيمية بهذه الفرقة منبها للحدود الجغرافية لتواجدها ، فهي أعظم فرق النصارى ، ومذهب عامة أهل مملكة النصارى حاشا النوبة والحبشة ، ومذهب جميع نصارى إفريقيا ، وصقلية والأندلس وجمهور الشام .

وقولهم "أن الله -تعالى الله عن قولهم - ثلاثة أشياء ، أب وابن وروح القدس كلها لم تزل ، وأن عيسى إله تام كله وإنسان تام ليس أحدهما غير الآخر ، وأن الإنسان منه هو الذي صلب وقتل ، وأن الإله منه لم ينله شيء من ذلك ، وأن مريم ولدت الإله والإنسان ، وأنهما معا شيء واحد ابن الله تعالى الله عن كفرهم".<sup>(1)</sup>

- فالإتحاد على مذهب الملكية صير الآهوت والناسوت واحدا ، وصارت الكثرة قلة.<sup>(2)</sup>
- أن المسيح جوهران أقنوم واحد أو شخص واحد لا تعدد فيه، كما حكي عن بعضهم أنه أقنومان جوهر واحد.<sup>(3)</sup>
- أن مريم ولدت إلهها ومسيحا واحدا أقنوما واحدا.<sup>(4)</sup>
- أن الإله ولد ولم يصلب.<sup>(5)</sup>

### ثانياً - المسيحيون النسطورية:

تتمركز فرقة النساطرة على عهد ابن تيمية في الموصل والعراق وفارس وخراسان ، وتنسب إلى نسطور ، وكان بطرياركا بالإسكندرية.<sup>(6)</sup>

- وترى أن الإتحاد اختلاط وامتزاج الكلمة بالناسوت كاختلاط الماء بالخمير وامتزاجهما وكذلك الخمر باللبن وهي توافق في هذا اليعقوبية.<sup>(7)</sup>

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 2 ، ص 312.

(2) المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 311.

(3) المصدر نفسه : ج 2 ، ص 310 و ج 3 ، ص 128.

(4) المصدر نفسه : ج 3 ، ص 48.

(5) المصدر نفسه : ج 3 ، ص 45.

(6) المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 312-313.

(7) المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 311.

- أما عن طبيعة المسيح فقد افرقت النساطرة إلى طوائف :

\* منهم من زعم أن الطبيعة الإلهية ، والطبيعة الناسية ، اختلطا في المسيح الواحد ، فهو ذو قوام واحد بطبيعة واحدة ، مختلطة من طبيعتين مختلفتين إلهية وناسية.(1)

\* وقال بعضهم : " أن المسيح جوهران أقنومان قديم ومحدث ، وأن اتحاده إنما هو المشيئة وأن مشيئتهما واحدة ، وإن كانا جوهرين".(2)

- " أن مريم ولدت المسيح من جهة ناسوته لا من جهة لاهوته ، وهي لم تحمل إلهاً".(3)

- أن الإله لم يولد ولم يصلب.(4)

فالنسطورية توافق ما ذهبت إليه الملكية ولا تخالفها إلا في قولها : " إن مريم لم تلد الإله وإنما ولدت الإنسان ، وأن الله لم يلد الإنسان وإنما ولد الإله -تعالى الله عن كفرهم-".(5)

### ثالثا - المسيحولوجيا اليعاقبية:

تنتشر هذه الفرقة في أعمال مصر وجميع النوبة ، وجميع الحبشة وملوك الأمتين المذكورتين(6) ، ومن مذهب اليعاقبة :

- الإتحاد هو أن كلمة الله انقلبت لحما ودما بالاختلاط وهو مذهب بعضهم.(7) وأكثرهم قد وافق النسطورية -كما أشرنا من قبل- في قولهم إن الإتحاد هو اختلاط وامتزاج كاختلاط الماء بالخمير والخمير باللبن .

- "أن المسيح هو الله نفسه ، وأن الله -تعالى عن كفرهم- مات وصلب وقتل ، وأن العالم بقي ثلاثة أيام بلا مدبر ، ثم قام ورجع كما كان ، والله عاد محدثا ، والمحدث عاد قديما ، وأنه تعالى كان في بطن مريم محمولا به"(8) لأن اليعاقبة تقول أن الجوهران ، الجوهر القديم والجوهر المحدث صارا

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 3 ، ص 106

(2) المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 310-312 و ج 3 ص 106 . وتعني النسطورية القول بالجوهرين أن المسيح ذو طبيعتين متباينتين كاملتين تحتفظ كل منهما بخواصها وملكانها التي بها تتحرك وتعمل على أن المسيح مع ذلك واحد ، وهذا نتيجة الإتحاد . أنظر في ذلك : الصالح صبحي وجبر فريد : فلسفة الفكر الديني ، ج 2 ، ص 304.

(3) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 3 ، ص 126.

(4) المصدر نفسه ، ج 3 ، ص 45

(5) المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 312.

(6) المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 313

(7) المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 311.

(8) المصدر نفسه ، ج 2 ص 313.



جوهرًا واحدًا بالإتحاد<sup>(1)</sup>. على أن هذه الفرقة اختلفت في هذا القول، فبعضهم يقول: " الجوهر المحدث صار قديماً، وزعم آخرون أنهما لما إتحدَا صارَا جوهرًا واحدًا قديماً من وجه محدثًا من وجه"<sup>(2)</sup>.  
- أن مريم ولدت اللاهوت والناسوت، وأن المسيح اسم يجمع اللاهوت والناسوت، وهو إله تام وإنسان تام.<sup>(3)</sup>  
- أمّا الصلب فاليعقوبية تعتبر الإله ولد وصلب.<sup>(4)</sup>

### رابعاً- نظريات أخرى في المسيح:

يشير "ابن تيمية" في عرضه للمسيحولوجيا إلى فرق أخرى لها نظريات مختلفة في المسيح على أنه يسترعي اهتمامه الفرق التي أنكرت ألوهية المسيح إذ يرى فيها الممثل الشرعي لدين المسيح عليه السلام ومنهم :<sup>(5)</sup>

### - الأريوسية:

تقول هذه الفرقة " أن المسيح مرسل كسائر الرسل صلوات الله عليهم وسلامه ، فأريوس قد وافق النصارى على لفظ الأب والابن وروح القدس ، ولا يفسر ذلك بما يقوله منازعوه من الحلول والإتحاد.<sup>(6)</sup>

فهم يفسرون بنوة عيسى لله على جهة الكرامة ، فكما اتخذ إبراهيم خليلاً ، كذلك اتخذ عيسى ابناً.<sup>(7)</sup> وهم يقولون : " إن الله ليس بجسم ، ولا أقانيم له ، وأن المسيح لم يصلب ولم يقتل وأنه نبي ، وحكي عن بعضهم أنه قال : المسيح ليس بابن الله ، وحكي عن بعضهم أنه ابن الله على التسمية والتقريب".<sup>(8)</sup>

### - أصحاب بولس الشمشاطي :

" وكان بطرياركا بإنطاكية قبل ظهور النصرانية ، وكان قوله بالتوحيد المجرد الصحيح ، وأن

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج2 ص 310-312 و ج3 ص 128.

(2) المصدر نفسه، ج2 ، ص 310

(3) المصدر نفسه ، ج3 ، ص 128.

(4) المصدر نفسه ، ج3 ، ص 45.

(5) عن بعض المذاهب المسيحية القديمة انظر :

Algrain , R. et d'autres : Ecclesia encyclopedie populaire des connaissances religieuse : p 409.

(6) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج2 ، ص 94-95.

(7) المصدر نفسه ، ج2 ، ص 309.

(8) المصدر نفسه : ج2 ، ص 310، وانظر عن هذا المذهب الصالح صبحي وجبر فريد : فلسفة الفكر الديني ، ج2 ، ص 287.

عيسى عبد الله ورسوله كأحد الأنبياء عليهم السلام ، خلقه الله في بطن مريم من غير ذكر ، وأنه إنسان لا إلهية فيه ألّبتة ، وكان يقول : لا أدري ما الكلمة ولا روح القدس".<sup>(1)</sup> وهذه الفرقة تتفق مع النظرة الإسلامية.

### - أصحاب مقدونيوس :

وكان مقدونيوس بطريركا بالقسطنطينية بعد ظهور النصرانية ، أيام قسطنطين باني القسطنطينية ، وكان من قوله التوحيد المجرد ، وأنّ عيسى عليه السلام عبد مخلوق إنسان نبي رسول كسائر الأنبياء عليهم السلام ، وأنّ عيسى هو روح القدس وكلمة الله وأنّ روح القدس وكلمة الله مخلوقان.<sup>(2)</sup>

### - البربرانية :

وهم يقولون إنّ عيسى وأمّه إلهان من دون الله تعالى.<sup>(3)</sup> وذكر ابن تيمية منهم من يدعي الإلهية في مريم وأنها أمّ الإله ، وكثير منهم لا يدعون ذلك لكن "يطلب منها كل ما يطلب من الله حتى يقول لها: إغفري لي وارحمني وغير ذلك ، بناء على أنّها تشفع في ذلك إلى ابنها ، فتارة يقولون : يا والدة الإله اشفعي لنا إلى الله ، وتارة يسألونها الحوائج التي تطلب من الله ولا يذكرن شفاعته ، وآخرون يعبدونها كما يعبدون المسيح.<sup>(4)</sup>

### - المرماتية :

وهذه الفرقة تثبت الألوهية للمسيح وأمّه ويقولون أنّهما إلهين من دون الله، وفيهم من يزعم أنّ مريم زوجة الله - تعالى الله عن قولهم-، وفيهم من يقول في المسيح ابن الله الولادة المعروفة من الحيوان.<sup>(5)</sup>

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 2 ، ص 312 ، وانظر الصالح صبحي وجبر فريد : فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية، ج 2 ، ص 284.

(2) المصدر نفسه ، وانظر الصالح صبحي وجبر فريد : فلسفة الفكر الديني ، ج 2 ، ص 289.

(3) المصدر نفسه .

(4) المصدر نفسه ، ج 3 ، ص 43. بحثنا عن هذه الطائفة بهذا الإسم لكننا لم نعثر عليها.

(5) المصدر نفسه ، ج 3 ، ص 43 و ص 180.

المرماتية نعت على طائفة من الكاثوليك تعتقد في أن مريم هي ثالث شخص للأقانيم الثلاثة، انظر:

Royston pike . E : Dictionnaire des Religions (Mariolatric) p 206 et Algrain . R. et d'autres : Ecclesia : encyclopedie populaire des connaissances religieuses. p. 421-422 et Masson D. Monothéisme coranique et Monothéisme biblique. p 103-104.

والملاحظ أن القرآن أنكر دعوى الإلهية في مريم وعيسى فنفي عنهما ذلك في قوله تعالى:

﴿ وَإِنْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ، ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي آلِهَتَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالِ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ، مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُمْ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مِمَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ .<sup>(1)</sup> وهذه الآية دليل على أن دعوى الألوهية في

عيسى ومريم عليهما السلام قامت مما استدعى نفي هذه الدعوى.

ويهتم ابن تيمية بهذه الفرقة فيحصى لها آراءها ، فمنهم من يقول : إن المسيح من الأب بمنزلة شعلة نار تعلقت من شعلة نار ، فلم تنقص الأولى لإيقاد الثانية منها .

" ومنهم من كان يقول : لم تحبل مريم لتسعة أشهر ، وإنما مرّ نور من بطن مريم كما يمر الماء في المزاب ، لأنّ كلمة الله دخلت من أذننها وخرجت من حيث يخرج الولد من ساعتها .

ومنهم من كان يقول: إن المسيح إنسان خلق من اللاهوت، كواحد منّا في جوهره، وأنّ ابتداء الابن من مريم، وأنه اصطفى ليكون مخلصاً للجوهر الإنسي صحبته النعمة الإلهية فحلت فيه المحبة والمشية، فلذلك سمّي "ابن الله" يقولون: إن الله جوهر واحد، وأقنوم واحد يسمونه بثلاثة أسماء، ولا يؤمنون بالكلمة ولا بروح القدس، وهي مقالة "بولس الشمشاطي بطرك انطاكية وأشياعه البوليانيون.<sup>(2)</sup> "ومنهم من كان يقول بثلاثة آلهة، لم يزل صالح وطالح وعدل بينهما، وهي مقالة مرقيون<sup>(3)</sup> وأشياعه. ومنهم من كان يقول ربنا هو المسيح، وهي مقالة بولس الرسول، ومقالة الثلاثمائة وثمانية عشر أسقفا<sup>(4)</sup>. مشيراً بذلك إلى تأثير هذا المذهب على قرار مجمع نيقية إذ به تقرّر القول بألوهية المسيح من بين ألفان وثمانية وأربعون أسقفاً، حضروا هذا المجمع وكانوا مختلفي الآراء والمذاهب<sup>(5)</sup> على ما بسطنا من قبل .

(1) سورة المائدة : آية 116-117.

(2) هذه الفرقة بادت في حوالي (430) وعن رفضها للإعتراف بألوهية المسيح انظر :

- Royston pike . E : Dictionnaire des Religions , (Apollinaristes) p 21. et Algrain R. et d'autres : Ecclesia , encyclopedie des connaissances religieuse, p. 421.

انظر الصالح صبحي وجبر فريد : فلسفة الفكر الديني ، ج 2 ، ص 290-291.

(3) مرقيون (100-165) لاهوتي مسيحي ، وهو مؤسس مذهب المرقيونية ، وعن آرائه انظر :

Royston pike . E : Dictionnaire des Religion (Marcion) p 204.

(4) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 3 ، ص 23

(5) المصدر نفسه ، ج 3 ، ص 22-23.

وإذا كانت هذه الفرق قد بادت فإنّه من السهل أن تتبنى أي فرقة من الفرق الثلاثة الملكية واليعقوبية والنسطورية هذه العقائد ، فيحتج ابن تيمية عليهم بنص الأمانة قائلا :  
" والأمانة التي جعلوها عقيدتهم وأصل إيمانهم في زمن قسطنطين بعد المسيح بأكثر من ثلاثمائة سنة، هي وغيرها من أقوالهم الظاهرة ، تدلّ على هذه الأمور المنكرة القبيحة ، دلالة بيّنة".<sup>(1)</sup>  
فالنصارى قد اتفقوا كلّهم على لفظ الأب والابن وروح القدس ، لكنهم تنازعوا في تفسير معناه ، كما يختلفون هم وسائر أهل الملل في تفسير بعض الكلام الذي يعتقدون أنّه منقول عن الأنبياء عليهم السلام.<sup>(2)</sup>

فهو يرى أنّ قول النصارى "مرادنا بالأب والابن، غير أبوة وبنوة نكاح، ومن أراد ولادة زوجة لعنائه"<sup>(3)</sup>، إنّما هو تمويه من علمائهم حاولوا معه تأويل أمانتهم تأويلات تناقض مدلولها، مع فساد تلك المعاني التي يحملونها عليها عقلا وشرعا.<sup>(4)</sup>

وهذا يؤكد أنّ موقف النصارى من الردود الإسلامية كان يتغيّر في مواقفه ليتسنى لهم الإطاحة بالانتقادات التي توجه لمحتوى عقائدهم<sup>(5)</sup> ، لكن ذلك يبقى دعوى مجردة ، إذ أنّ عقيدة المسيحية قد نالت نقدا لاذعا من طرف الفكر الإسلامي أسقطت بها دعوى النصارى في تجسد اللاهوت بالناسوت ، ويمكن أن نتابع ذلك من خلال عرض منهج ابن تيمية في نقده للمسيحية بالأدلة العقلية والنقلية وقد تناولنا ذلك في مبحثين :

1- رده على عقيدة التجسد .

2- رده على عقيدة الصلب والفداء .

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج3 ، ص 180.

(2) المصدر نفسه ، ج2 ، ص 94-95.

(3) المصدر نفسه ، ج3 ، ص 180.

(4) المصدر نفسه ، ج3 ، ص 180.

(5) يحاول الباحثون الغربيون تبرير القول بالوهية مريم، أن اطلاق أم الله على مريم لا يعني أنها أم اللاهوت، وإنما هي صيغة معنوية ما دام المسيح ابنها إلها حقا يجمع بكونه أقنوما واحدا بين الطبيعتين، الصالح صبحي وجبر فريد ؛ فلسفة الفكر الديني، ج2، ص292-293.

وانظر ميشال توماس: مدخل إلى العقيدة المسيحية ، ص 69-70.

## المبحث الثاني: منهج ابن تيمية في الرد على عقيدة التجسد.

### المطلب الأول: مناقشة الأدلة العقلية.

يعكس رد ابن تيمية في رفضه لبنوة عيسى عقيدته الإسلامية القائمة على تفرّد الله في الألوهية والربوبية ، بما ينفي عنه أن يكون حادثاً أو مشابهاً لخلقه ، فيورد على النصارى جملة من الإلزامات تفرضها عليهم نصوص شريعتهم أو تأويلاتهم الفاسدة. مؤكداً من خلال تنظيره على استحالة الأبوة الإلهية والبنوة معا ، لأنّ القول بها يفضي إلى نتائج فاسدة فضلا عن مناقضتها لتزويه الله وتوحيده ، فدعوى النصارى في البنوة تقتضي ولادة مادية أو طبيعية فيستكر عليهم ذلك بقوله: " وأما هذا المعنى الذي يثبت من يثبته من علماء النصارى ، ويسمونه ولادة وبنوة ، فيسمونه الصفة القديمة الأزلية القائمة بالموصوف إينا ، ويسمونها تارة النطق بالكلمة ، وتارة العلم وتارة الكلمة ، ويقولون هذا مولود من الله وابن الله . فهذا لم يقله أحد من الأنبياء وأتباعهم ، ولا من سائر العقلاء غير هؤلاء المبتدعة من النصارى ، ولا يفهم أحد من العقلاء من اسم الولادة والبنوة هذا المعنى".<sup>(1)</sup> إلاّ البنوة المعقولة بانفصال جزء من الولد، "وهذا ينكره من ينكره من علمائهم ، لكنهم لم يتبعوا الأنبياء، ولم يقولوا ما تعقله العقلاء، فضلوا فيما نقلوه عن الأنبياء ، وأضلوا أتباعهم فيما قالوه وعوامهم ، وإن كانوا لا يقولون إنّ ولادة الله مثل ولادة الحيوان ، بانفصال شيء يوجد، فيقولون : ولادة لاهوتية بانفصال جزء من اللاهوت حل في الناسوت، لا يعقل من الولادة غير هذا".<sup>(2)</sup>

ويلزم "ابن تيمية" النصارى بمقتضى دعواهم الولد لله، وجوب علاقة زوجية فإنّ هذه العبارة يفهم منها العبارة الباطلة ، ولهذا يوجد كثير من عوام النصارى يعتقدون أنّ المسيح ابن الله البنوة المعروفة في المخلوقات ، وهذا لازم لعامة النصارى وإن لم يقولوه ، فإنّ الذي يلد لا بد له من زوجة".<sup>(3)</sup> ولهذا قال تعالى : ﴿ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَاكِدٌ وَكَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾<sup>(4)</sup> ويورد قواعد منطقية يبطل بها دعوى النصارى بنوة المسيح لله لأنه قول بلوازم كلامية فاسدة بدلالة ثبوت الأصل اللازم للفرع ، فالنصارى بقولهم : المسيح متحد بالابن بلاهوته ، وأنّ مريم أم اللاهوت لا الناسوت ، وهي صاحبة للأب بالناسوت واللاهوت زوج مريم بلاهوته ، فكيف يثبت الفرع الملزوم (أي لاهوت المسيح ) بدون ثبوت الأصل اللازم ( وهو لاهوت مريم واعتبارها زوجة الأب).<sup>(5)</sup>

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 2 ، ص 158.

(2) المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 158. وهي النتيجة التي ألزمت أعلام الفكر الغربي لرفض نسبة الولد والولادة لله تعالى ، أنظر :  
Masson, D. : Monothéisme coranique et Monothéisme biblique , p. 101.

(3) المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 95-96 .

(4) سورة الأنعام : آية 101.

(5) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 2 ، ص 96.

فمسألة بنوة المسيح بالنسبة لابن تيمية تقتضي أن مريم زوجة اللاهوت ، على ما ذهبنا إليه النصارى، والنتائج الكلامية المترتبة لدعوى بنوة المسيح لله توجب فسادا في التقدير لمفهوم النصارى للإله ، وذلك كونه عرضا محدودا، يقع عليه ما يقع على البشر، ومما يثير الإنتباه في تحليلات ابن تيمية النقدية لهذه المسألة هو أنه لم يكتف ببيان عيوب نظرية التجسيد الإلهي للفكر الكنسي الرسمي، بل كانت ردوده تشمل التصورات الشعبية<sup>(1)</sup>، وهذا يكشف عن البعد الفكري لمنهج ابن تيمية في مجال الجدل الديني. وكل هذا يدل على أن ابن تيمية كان مطلعاً على مسائل المسيحولوجيا النصرانية، ويتضح ذلك من خلال عرضنا للمباحث النقدية الخاصة بعقيدة التجسد والصلب والفداء.

## أولاً- رده على النظرية العامة للتجسد :

كانت الأدلة العقلية لابن تيمية في الرد على النظرية العامة للتجسد من أجل الإطاحة بدعوى النصارى بنوة عيسى الإلهية تنحصر ضمن عدد من المسائل<sup>(2)</sup> نذكرها فيما يلي:

### 1 - دواعي تأليه عيسى :

- كونه ولد من غير أب .
- إتيانه الآيات العجيبة.
- صعوده إلى السماء .

### أ - كونه ولد من غير أب :

يحتج النصارى على إلهية عيسى لكونه خلق من غير أب، فينفي ابن تيمية أن يكون هذا الأمر دليلاً على إلهية المسيح. فالمسيح خلق بالكلمة لذلك خصّ بتسمية كلمة الله دون سائر البشر، فلم يخلق على الوجه المعتاد من ماء الرجل، بل لما نفخ روح القدس في أمه حبلت به، وقال الله له "كن فكان"<sup>(3)</sup>. ولهذا شبهه الله بآدم في قوله: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ، خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾<sup>(4)</sup>، فإنه سبحانه خلق هذا النوع البشري على الأقسام الممكنة ليبين عموم قدرته، فخلق آدم من غير ذكر ولا أنثى، وخلق زوجته حواء من ذكر بلا أنثى كما قال: ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾، وخلق المسيح من أنثى

(1) انظر مثلاً في مسألة دعوة مريم بـ "أم الإله" واختلاف نظرة الأوساط التقليدية عن فكر الكنيسة ،

Algrain, R. et d'autres : Ecclesia : encyclopedie populaire des connaissances religieuses, p 422.

(2) يشترك أصحاب الردود في معظم المباحث الردية، انظر عن هذه المسائل، الشرفي: الفكر الإسلامي في الرد على النصارى، ص 346 وما بعدها.

(3) ابن تيمية : الجواب الصحيح : ج 2 ، ص 165-166.

(4) سورة آل عمران : آية 59.

بلا ذكر، وخلق سائر الخلق من ذكر وأنثى، وكان خلق آدم وحواء أعجب من خلق المسيح في بطن مريم، فخلق آدم أعجب من خلق حواء - إذ خلقت من ضلع آدم- وخلق المسيح، إذ خلق من تراب، والتراب ليس من جنس بدن الإنسان.<sup>(1)</sup> فالمقارنة بين خلق آدم وعيسى عليهما السلام تفضي إلى كون آدم خلق من غير أب ولا أم، ولم يكن ذلك داعياً لدعوى الإلهية فيه، مع أن خلقه أكثر خرقاً للعادة من خلق عيسى، ولو جوّز عقل إلهية المسيح لقيام هذا السبب لشاركه في ذلك آدم من باب أولى.

## ب - إتيانه الآيات:

يرفض ابن تيمية استدلال النصارى على ألوهية المسيح بما أوتي من العجائب والآيات ، فيدرس هذه المسألة من وجهة نظر الطرف المسيحي ، ثم يقسمها إلى نتائج عديدة تقتضي لوازم كلامية تنقض القول بألوهية المسيح ، فالنصارى لا يستدلون على ألوهية المسيح بالعجائب مع أنه كان الإله متحداً به قبل أن يظهر العجائب ، وحينئذ فلا يلزم من عدم ظهور العجائب من شيء، الجزم بأن الرب لم يتحد به مع إمكان الإتحاد .

ويلزم من أن كلّ حامل وحي ظهرت منه العجائب ، أن يكون ذلك دليلاً على أن الرب اتحد به، وحينئذ فعباد العجل أعذر من النصارى.<sup>(2)</sup>

وأعظم آيات المسيح عليه السلام إحياء الموتى، وهذه الآية قد شاركه فيها غيره من الأنبياء كالإياس وغيره، فيحتجّ ابن تيمية بما أوتي موسى -عليه السلام- من الآيات، فهي أعظم مما جاء به المسيح، ومع ذلك لم يدع فيه أحد الألوهية<sup>(3)</sup>، ويخصّ بالذكر قلب العصا حية تسعى، فهو يرى أن "انقلاب خشبة تصير حيواناً ثم تعود خشبة مرة بعد مرة وتبتلع الحبال والعصي، فهذا أعجب من حياة الميت".<sup>(4)</sup>

فيورد ابن تيمية احتمالاً على تقدير قول القائل "إن موسى ابن عمران كان هو الله" لم يكن هذا أبعد من قول النصارى، فإن معجزات موسى كانت أعظم ، وانتصاره على عدوّه أظهر، وقد سمّاه الله في التوراة إلهاً لهارون وفرعون، ولم يدع فيه أحد أنه إله، ولو قدر قيام دعوى الإتحاد في عيسى لإتيانه الآيات لزم ذلك موسى وغيره من الأنبياء والقدايس، ولم يمكن دفع ذلك بدليل خاص.<sup>(5)</sup> ويردّ ابن تيمية مخاطباً النصارى في قوله: " فإن قلتم إنكم استدلتتم على ربوبيته بأنه أحيا الموتى وأبرأ

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 2 ، ص 294-295، وابن تيمية : الرسالة القبرصية ، ص 25-26.

(2) المصدر نفسه ، ج 3 ، ص 64.

(3) المصدر نفسه، ج 2، ص 173-174.

(4) المصدر نفسه، ج 2، ص 173-174، وانظر الهندي رحمة الله: إظهار الحق، ص 433.

(5) المصدر نفسه، ج 2، ص 174 وانظر في ذلك باجه جي زاده: كتاب الفارق بين المخلوق والخالق ص 346، والباقلاني: كتاب

التمهيد ، ص 119 والغزالي : الرد الجميل ، ص 136.

الأكمه والأبرص، ومشى على الماء، وصعد إلى السماء ، وصير الماء خمرًا ، وكثر القليل ، فيجب الآن أن ينظر إلى كل من فعل من هذه الأمور فعلا ، فنجعله ربًا وإلهًا ، وإلا فما الفرق ؟" (1) ويحتج ابن تيمية في ذلك بما أخبرت به كتب النصارى عن الأنبياء وإتيانهم هذه الآيات ، ولم يكن واحد منهم بذلك ربًا. (2) وهذا يكشف عن بعد النظرتين للمعجزة ، فالفرق بين الفكر الإسلامي والمسيحي لا يكمن في إتيان عيسى الآيات بل في تأويلها لتبرير دعوى النصارى في ألوهية المسيح ، فكان تأكيد ابن تيمية على اشتراك الأنبياء في الآيات الدالة على نبوتهم كقيل بإبطال ألوهية المسيح .

### ج - صعوده إلى السماء:

يعتبر ابن تيمية صعود عيسى إلى السماء حجة واهية لا تصلح أن تكون دليلا على هذا الأصل ، ولو كان دليلا على الألوهية لألزمهم ذلك تأليه كل من شارك المسيح في هذا الأمر، وهم يعترفون لإلياس بذلك. (3) وهو بذلك يقارن المسيح بغيره من الأنبياء ليثبت اشتراكهم في دلائل النبوة، مما يثبت أن المسيح لا يدعو أن يكون إنسانا ونبيا .

وابن تيمية يعزو دعوى الألوهية في المسيح لخطأ منهجي قد أسس على إتيانه بالمعجزات ، في حين " أن الأنبياء والرسل معروفون بظهور العجائب على أيديهم ، فإذا ظهرت على يد من يقول : إني نبي مرسل ، كانت دليلا على نبوته لا على إلهيته ، والمسيح كان يقول : إني نبي مرسل كما ذكر ذلك في الإنجيل " (4).

ويلاحظ أن ابن تيمية يعرض وجهة نظر الطرف المسيحي والإسلامي للمعجزة ، فالنصارى جعلوا منها دليلا على ألوهية المسيح ، بينما هي بالنسبة للمسلمين ليست إلا فعلا لله أظهره على يد نبيه تأييدا لرسالته ، وعلى ذلك فعيسى لا يدعو أن يكون نبيا مرسلًا كسائر الأنبياء.

و يخلص ابن تيمية إلى نتيجة منطقية يقرّر فيها أن المسيح ظهرت على يديه معجزات كما ظهرت لسائر المرسلين، ومعجزات بعضهم أعظم من معجزاته، ومع هذا فلم تكن دليلا على اتحاد اللاهوت بالنبي الذي ظهرت على يديه ، فعلم أن الاستدلال بظهور المعجزات على يديه في غاية الفساد. (5)

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 2 ، ص 331.

(2) المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 331-332.

(3) المصدر نفسه ، ج 4 ، ص 170 و ج 2 ، ص 332.

(4) المصدر نفسه ، ج 3 ص 64.

(5) المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 277 و ج 2 ، ص 233.



## 2- إتحاد الكلمة بالإنسان:

يكشف ابن تيمية في تحليله لعقيدة النصارى في المسيولوجيا عن تناقض في محتوياتها الكلامية، إذ لا يفرقون بين خاصيات الذات والصفات ، وقد أدى ذلك إلى فساد في نتائج المنظومة العقديّة للنصارى، فيناقش ذلك ضمن بحثه عن العلة في تجسد الكلمة في عيسى ، على فرض إمكان وقوع هذا التجسد فيقول : " وما نقوله النصارى في غاية التناقض ، فإنهم يزعمون أنّ المسيح هو الكلمة ، وهو الخالق لأنّ الكلمة والذات شيء واحد ، فلا يفرقون بين الصفة والموصوف ، ثم يقولون المتحد بالمسيح هو الكلمة دون الذات التي يسمونها الأب ، ويقولون مع ذلك : إنه لم يتبعص ولم يتجزأ".<sup>(1)</sup>

وابن تيمية يقارن قول النصارى في المسيولوجيا بقولهم السابق في التثليث ، فيجده مناقضا لبعضه ، إذ قولهم أنّ الكلمة دون الذات ، يقتضي أنّ المسيح بعض الإله لا كلّه ، وهذا يلزمهم التعدد والتجزئة ، وهذا نفي لإثباتهم كون الإله واحد ، فهم يقولون : " إن المتحد أخذ عيسى حجابا احتجب به ، ومسكنا يسكن فيه خاطب الناس فيه ، ويقولون مع ذلك ، إنه اتحد به والأب لم يحتجب به ، ولم يكن فيه ، ولم يتحد به ، فلزم قطعاً أن يكون منه شيء اتحد ومنه شيء لم يتحد ، فالأب لم يتحد والابن اتحد وهذا يناقض قولهم لم يتبعص".<sup>(2)</sup>

كما أنّ قولهم " إن الكلمة اتحدت بالمسيح ، وأنها ليست هي الأب الجامع للأقانيم ، وهي مع ذلك الربّ الذي يخلق ويرزق ، وهي جوهر ، والجوهر عندهم واحد ليس إلاّ الأب"<sup>(3)</sup> ، وهذا معلوم الفساد بالضرورة .

وهذا التناقض في البناء اللاهوتي المسيحي ، يبطل كل دعوى في التثليث والإتحاد على السواء ، لانعدام النسق العقائدي لأصول دينهم . فيكون ابن تيمية بهذا المنهج قد أحسن تتبع الخصم إذ يناقشهم ضمن منظومة كلية لا يمكن الفصل بين جزئياتها ، لأنّ الإدراك العقلي يرفض كل بناء كلامي أسس على جزئيات متناقضة .

فالكلمة التي هي الصفة لا يمكن مفارقتها للموصوف ، ولا تتحد وتحلّ دون الموصوف ، لاسيما والمتحد الحال عندهم هو الخالق ، فيجب أن يكون هو الأب وهم لا يقولون : المتحد الحال هو الأب ، بل هو الابن ، وإن قالوا : إنّ الابن هو المتحد الحال دون الأب ، فالمتحد ليس هو الذي اتحد ، والابن اتحد والأب ما اتحد.<sup>(4)</sup>

ويبحث "ابن تيمية" في طبيعة الكلمة المتحدة أم الذات أم الصفة معتبرا قولهم : " كلمة الله الخالقة "

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج2 ، ص 276.

(2) المصدر نفسه ، ج2 ، ص 276

(3) ابن تيمية : ذرة تعارض العقل والنقل ، ج 6 ، ص 270.

(4) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج2 ، ص 276.

كمدخل لنقد هذه الدعوى، فيورد عليهم عددا من الأسئلة مجيبا عن كل منها في وجوه، ضمن مقدمات منطقية تفضي نتائجها إلى بطلان قول النصارى، وتعرض لذلك في النقاط التالية:

" كلمة الله الخالقة " أهي كلام الله أم هي الذات المتكلمة ؟

1- " فإن كانت هي الذات المتكلمة ، فهي الأب والرب ، وتكون هي الموصوفة بالحياة ، فلا يكون هناك كلام مولود ، ولا كلمة أرسلت ولا غير ذلك مما ذكروه ، وهذا خلاف قولهم كلهم فإن الكلمة المتحدة بالمسيح ليست هي الأب عندهم ، وإن قالوا : بل هي كلام الله كله ، قيل لهم : فيكون المسيح هو التوراة، والإنجيل والقرآن ، وسائر كلام الله ، وهذا لا يقولونه ، ولم يقله أحد ولا يقوله عاقل".<sup>(1)</sup>

2 - " وإن قلتم إن المسيح بعض كلمات الله، فحينئذ لله كلمات آخر غير المسيح، فاجعلوا كل كلمة خالقا، كما جعلتم الكلمة المتحدة بالمسيح خالقا، إن كنتم تقولون: " الكلمة هي الخالقة وهي المخلوق بها، فقولوا عن سائر كلمات الله، إنها خالقة مخلوق بها، وحينئذ فيتعدد الخالق بتعدد كلمات الله، وإذا كانت كلمات الله لا نهاية لها كان للخلق خالقون لا نهاية لهم، وهذا غاية الباطل والكفر".<sup>(2)</sup>

3 - " وإن كانت هي الخالقة بمسرة الأب الخالق على الخلق، فالأب لم يخلقه بل سرّ بذلك ، وروح القدس وازرت ذلك، والخالق خلق الخلق، ومعلوم إذا كان الخالق من يوارره على الخلق، لم يكن مستقلا بالخلق بل يكون له فيه شريك".<sup>(3)</sup>

ويحصى لهم ابن تيمية إضافة إلى ذلك عددا من النتائج الفاسدة يظهر بها تناقضهم منها :

- أن الكلمة تارة يقولون هي الخالقة.

- وتارة يقولون خلق بها الخلق فخلقت

- وتارة يقولون: إن روح القدس وازرها في الخلق.<sup>(4)</sup>

ليخلص إلى نتيجة يثبت بها قولهم بحدوث الخالق فيخاطبهم: " مَنْ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ سَمِيَ شَيْئًا مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ مَوْلُودًا قَدِيمًا أَزْلِيًّا ؟ فَكَيْفَ يَكُونُ مَوْلُودًا قَدِيمًا أَزْلِيًّا إِلَّا مُحَدَّثًا؟! لِأَنَّ الْقَدِيمَ لَا يَكُونُ مَوْلُودًا، وَلَوْ كَانَ مَوْلُودًا انْتَفَتَ عَلَيْهِ صِفَةُ الْقَدِيمِ وَنَعْتَهُ بِالْحَدُوثِ".<sup>(5)</sup>

فيستدرج الخصم ليثبت عليه هذه النتيجة في شكل طرح سؤال عن خلق الكلمة للإنسان هل كان قبل الإتحاد أم حين ذلك؟ " فإن كان معه، لزم كون المخلوق متحدًا بالخالق دائما، لم تمر عليه لحظة إلا وهو متحد به".<sup>(6)</sup>

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج3 ، ص 55.

(2) المصدر نفسه ، ج3 ، ص 55-56.

(3) المصدر نفسه ، ج3 ، ص 56.

(4) المصدر نفسه ، ج3 ، ص 56.

(5) المصدر نفسه ، ج3 ، ص 56.

(6) المصدر نفسه ، ج3 ، ص 63.

فإن أمكن أن يفارق المخلوق خالقه، وعندهم أنه أقام تسعة أشهر حملاً كعامة الناس، فإذا كان كذلك، كان الرب متحدًا بالمضغطة والجماد، وإذا جاز عليه هذا، جاز أن يتحد بسائر الجمادات. (1)  
 وإذا جاز عندهم أن يحلّ الرب ببعض الأجسام، ولم يقيموا دليلاً يثبت ذلك، فليس لهم أن ينكروا على عبّاد العجل، ولا عبّاد شيء من الأصنام (2) وهذه النتيجة تلزمهم القول بالتجسيم .  
 ويظهر على ما ذهب إليه ابن تيمية أنّ النصارى خصوا المسيح بالتّجسد لأنّه كلمة الله، فيسلم لهم هذا الأمر لينفي عنه الألوهية، لأنّ كلام الله صفة له "قلو قدر أنّ المسيح هو صفة الربّ لم تكن الصّفة هي الخالق، فكيف والمسيح ليس هو صفة الله نفسها، بل هو مخلوق بكلمة الله، وسمي كلمة الله لأنّ الله كونه "بكن". (3)

وقد جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ مَا كَانَ لَهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَدِدِ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (4).

ويقسّم ابن تيمية هذه المسألة إلى فروع ليصل إلى نتائج فاسدة تلزم النصارى، مدّلاً في كلّ منها عن بطلان اتحاد الكلمة بالإنسان، فإن كانت كلمة الله التي يدعون ظهورها في المسيح هي نفس كلام الله فذلك يستوجب:

- إمّا أن يراد به أنّ الله أنزل كلامه على المسيح، كما أنزله على غيره من الرسل، فهذا حقّ اتفق عليه أهل الإيمان، ونطق به القرآن.
  - وإمّا أن يراد به أنّ كلام الله فارق ذاته وحلّ في المسيح وغيره، وهذا لا ينفهم القول به، لأنّ المسيح عندهم خلق السموات والأرض .
  - وإمّا أن يكون القصد من حلول كلامه ظهوره في قلوب المؤمنين، كما جاء ذلك في القرآن.
  - أمّا إن أرادوا أنّ ذات الربّ حلّت في المسيح، أو في غيره فهذا محلّ النزاع (5). فيطالبهم ابن تيمية بالدليل على إمكان وقوع ذلك، ثم إثبات وقوعه؟ مع امتناع ذلك وعدم وقوعه. (6)
- ويظهر من خلال هذا الطرح المنطقي بطلان تجسّم كلمة الله الخالقة بإنسان مخلوق، وفساد تركيبه وانعدام دلالاته التي تثبت وقوعه، فيحتجّ عليهم ابن تيمية ويؤكد بطلان ما ذهبوا إليه إذ هم "لم

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج3 ، ص 63.

(2) المصدر نفسه ، ج3 ، ص 175.

(3) المصدر نفسه ، ج2 ، ص 157.

(4) سورة مريم : آية 34-35.

(5) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج2 ، ص 171.

(6) المصدر نفسه ، ج2 ، ص 171.

يألفوا الحجّة تأليفا متّبعا، ولا دلّوا على مقدماتها بدليل، فلا أتوا بصورة الدليل ولا مادته، بل مغاليط لا تروج على جاهل يقلدهم".<sup>(1)</sup>

وعلى هذا الأساس ردّ عليهم قولهم بتجسّم كلمة الله الخالقة بإنسان مخلوق و ولادتهما معا، أي الكلمة مع الناسوت،<sup>(2)</sup> لأنها دعوى مجردة عن الدليل، محتجّا عليهم بقوله أنّ "الله لم يكلم أحدا من الأنبياء إلاّ وحيّا أو من وراء حجاب، وليس فيما ذكروه قطّ دلالة قطعية ولا ظنية على تجسيم كلمة الله الخالقة وولادتها مع الناسوت".<sup>(3)</sup>

ويبحث ابن تيمية كعادته عن النتائج الكلامية التي تلزم النصارى، ليجعلها منفذا نقديا، إذ القسمة المنطقية تقتضي من قول النصارى: "إنّ الكلمة الخالقة هي طبت فالتحمت من مريم ، واحتجبت بإنسان مخلوق خلقته لنفسها".<sup>(4)</sup> وقولهم: "إنّ مريم حملت بالإله الخالق وولدتّه ، الذي هو الابن"<sup>(5)</sup>، يلزمهم بنتائج غاية في الفضاضة والقبح فيخاطبهم قائلا:

"فإذا جوزتم أن تكون مريم هي أمّا للخالق الذي هو الابن حملته وولدتّه، فلم لا يجوز أن تكون زوجة للخالق الذي هو الأب، مع أنّ الخالق التحم من مريم و وقد قلتم : لم يكن الله بلا كلمته ولا روحه قط ، ولا كانت الكلمة بريّة منه قط ، ولا من روحه الخالقة ، ولا من جوهره ؟.

فإذا كانت مريم متّصلة بكلّ واحد ممّن جعلتموه أبا للمسيح ، أو قلتم : إنّ الخالق التحم من مريم، فهذا أبلغ ما يكون من جعل الخالق زوج مريم".<sup>(6)</sup>

فابن تيمية يرى أنّ ما ذهب إليه النصارى من تفسير الإتحاد يوجب أن تكون مريم زوجة اللاهوت عند التحامه بناسوتها من باب أولى ، فيثبت ذلك منطقيا موظفا دلالة القياس الشكلي الذي يقتضي من مقدماته الكلامية ثبوت نتائج عقلية فيقول : "فإذا جعلتم اللاهوت الخالق القديم الأزلي إينا لناسوت مريم بحكم الإتحاد مع كونه خالقا لها بلاهوتّه وابتا لها بناسوتّه ، ولم يكن هذا ممتنعا عندكم ولا قبيحا ، فإن تكون مريم صاحبة له وزوجة وامرأة بحكم الالتحام بالناسوت أولى وأحرى".<sup>(7)</sup>

ويذهب ابن تيمية إلى أبعد من ذلك ليؤكد أنّ هذه النتيجة المنطقية -وهي القول بأنّ مريم زوجة الله - ليست من اللوازم الكلامية البحتة المترتبة عن دعوى النصارى الولد لله ، بل إنّ طوائف منهم تقول إنّ مريم امرأة الله وزوجته ، وقالوا ما هو أكبر من ذلك حتى ذكروا شهوة النكاح.<sup>(8)</sup> ومن خلال

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج2 ، ص 173.

(2) المصدر نفسه ، ج2 ، ص 173.

(3) المصدر نفسه ، ج2 ، ص 173.

(4) المصدر نفسه ، ج3 ، ص 61.

(5) المصدر نفسه ، ج3 ، ص 61.

(6) المصدر نفسه ، ج3 ، ص 61.

(7) المصدر نفسه ، ج3 ، ص 61.

(8) المصدر نفسه، ج3، ص 62، وانظر في هذه المسألة: القاضي عبد الجبار: تثبيت دلائل النبوة، ج1، ص 148.

هذا السياق ندرك مدى حرص الشيخ على تتبّع دقيق مسائل النصارى ، فنراه يميز بين المواقف الرسمية المعتمدة من الكنائس وبين التصورات الشعبية لتلك المعتقدات ، وهذا يكشف عن سعة إطلاعه على المذاهب .

ويربط ابن تيمية قول النصارى بالإتحاد بهذه النتيجة ليخلص إلى أنّ ادعاء الولد لله والقول بالإتحاد أقبح وأشنع من دعوة الزوجة له ، وتجويزهم للقول الأول يلزمهم الثاني<sup>(1)</sup>.

لذلك استنكر الله عز وجل على من ادعى له الولد في قوله : { **بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ ، وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً ، وَخَلَقَ كُلُّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** }<sup>(2)</sup> فبين سبحانه في استفهام استنكاري أن يكون له ولد ولم تكن له صاحبة لأن ذلك ممتنع ويقر به صريح العقل<sup>(3)</sup>.

ويبسّط ابن تيمية قول النصارى في كلام الله وما يقصد منه عارضا آراء الناس في هذه المسألة على اختلاف مذاهبهم ليظهر أنّ قول النصارى باطل على جميع الأقوال التي قالها الناس في كلام الله ؟ فثبت بطلانه على كل تقدير<sup>(4)</sup> . ومن جملة ذلك :

1- أن يكون كلام الله صفة له قائمة به ، فيقال : إنّ الكلام قديم النوع ، بمعنى أنّه لم يزل متكّما بمشيئة أو قديم العين ، وهو القول المعروف عن سلف الأمة وأئمتها ، أمّا من قال بقدم العين " فهم يقولون الكلام لا يتعلّق بمشيئته وقدرته لاعتقادهم أنّه لا تحلّه الحوادث ، وما كان بمشيئته وقدرته لا يكون إلّا حادثا"<sup>(5)</sup> . وهذا هو قول الجهمية .

2 - أن يكون كلام الله مخلوقا بائنا عنه وهو قول الفلاسفة والصابئة<sup>(6)</sup> " وعلى هذين القولين فليس لله كلام قائم به حتّى يتحد بالمسيح أو يحلّ به ، والمخلوق عرض من الأعراض ، ليس بإله خالق ، وكثير من أهل الكتاب ، اليهود والنصارى من يقول بهذا وهذا"<sup>(7)</sup>.

3 - أن يكون الله متكّما بمشيئته وقدرته كلاما قائما بذاته ، وقد منع هؤلاء أن تكون كلمات الله لا نهاية لها في الأزل ، لأنّ الكلام حادثا ليس قديما " وما لم يخل عن الحوادث فهو حادث ، لامتناع وجود ما لا نهاية عندهم ، وإذا امتنع ذلك تعيّن أن يكون لنوع الحوادث ابتداء ، كما للحادث المعني ابتداء ولم يسبق الحوادث كان معه أو بعده فيكون حادثا"<sup>(8)</sup>.

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 3 ، ص 62.

(2) سورة الأنعام : آية 101.

(3) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 3 ، ص 62.

(4) المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 162.

(5) المصدر نفسه ، ج 3 ، ص 162-163.

(6) المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 162.

(7) المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 162.

(8) المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 162.

وابن تيمية يقبل هذا التعليل إلا أنه يرى أنّ كلمات الله لا نهاية لها مع أنها قائمة بذاته ، مؤكداً بذلك على مذهبه السلفي .

وهذا ينقض قول النصارى إذ أنّ جمهور الناس، يجعلون لله كلمات كثيرة " فالمسيح ليس هو الكلمات التي لا نهاية لها، وليس هو كلمات كثيرة، بل إنّما خلق بكلمة من كلمات الله".<sup>(1)</sup> ولقد أخبر الله في القرآن بخلقه للأشياء بكلماته في غير موضع، كقوله ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾<sup>(2)</sup> كما ورد مثل ذلك في التوراة: [ليكن كذا ليكن كذا].<sup>(3)</sup>

ويخلص ابن تيمية من هذا النقاش إلى نتيجة يستتكر فيها قول النصارى "المسيح كلمة الله الخالقة" لأنّ "الكلام صفة قائمة بالموصوف ، لا يتصور أن يكون جوهرًا قائمًا بنفسه ، ولا يتصور أن يكون خالقًا ، ولا للكلام مشيئة ، ولا جوهر آخر غير جوهر المتكلم ، ولا يتحد بغير المتكلم ، بل جمهورهم يقولون : إنه لا يحلّ أيضا بغير المتكلم".<sup>(4)</sup>

وبذلك يتعين خطأ النصارى في قولهم بتجسد كلمة الله الخالقة ويمكن أن نحصيه في النقاط التالية :

- 1- أنّ المسيح عندهم جوهر قائم بنفسه ، والكلام صفة قائمة بالمتكلم ، والأب هو الرب المتكلم ، والمسيح هو الابن وليس الأب .
- 2- جعلهم الصفة خالقة والصفة لا تخلق .
- 3- قولهم المسيح نفس الكلمة والمسيح خلق بالكلمة .

والجدير بالذكر أنّ ابن تيمية يفصل بين قول المسلمين بخلق القرآن وقول النصارى في المسيح، ولا ينكر أنّ من المسلمين جهال مبتدعة منهم من يقول مثل قول النصارى من بعض الوجوه لا كلّها، فيكون الردّ عليهم في هذه المسألة هو إبطال لمثل هذه الأقوال.<sup>(5)</sup> لكن يبقى الفرق بين القولين كبير وبائن "فإنّ النصارى جعلوا لله ولدا قديما أزليا سمّوه "كلمة" وقالوا إنه إله يخلق ويرزق ، وأنه اتحد بالمسيح، فجعلوا المسيح -الذي هو الكلمة عندهم - إلهًا يخلق ويرزق . وليس في طوائف المسلمين المعروفة من يقول : إنّ كلام الله إله يخلق ويرزق".<sup>(6)</sup>

والذي يمكن استخلاصه هو أنّ ابن تيمية يوظف في جدله مصطلحات علم الكلام كلفظ الذات والصفة ، كما يكشف في نقاشه عن مذهبه السلفي وقد رأينا ذلك عند حديثه عن كلام الله، وهذا يعني

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج2 ، ص 163 .

(2) سورة يس : آية 82 .

(3) أنظر سفر التكوين الإصحاح 3/1 ، العهد القديم (نسخة واطس) ص 1 ، و (نسخة جمعيات الكتاب المقدس) ص3 .

(4) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج2 ، ص 164 .

(5) أنظر في هذه المسألة ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج3 ، ص 93-94 .

(6) المصدر نفسه ، ج3 ، ص 94 .

أن الرد عملية تتفاعل مع المذهب والإتجاه والمعارف العامة لصاحب الرد. كما تتميز منهجية ابن تيمية بالشمولية إذ نراه يناقش النصارى فيبطل عقائدهم ويجعل ذلك مناسبة للرد على المذاهب والطوائف المبتدعة ، التي تنسب إلى الاسلام وهو براء منها وهو الغاية من دراسة علم مقارنة الأديان

### 3 - مكان الإتحاد وزمانه:

أدى البحث في جزئيات مسألة اتحاد الكلمة بالإنسان إلى إثارة مداخل نقدية استغلها ابن تيمية وغيره للطعن في المنظومة المسيحولوجيا فهتم من خلالها دعوى الإتحاد بين اللاهوت والناسوت ، فيناقشهم في مكان الإتحاد وزمانه ليلزمهم على القولين بنتائج فاسدة مؤكداً عليهم القول بأن الإتحاد قد وقع على المسيح وشمل كل من الروح والبدن، وعليه لا يمكن تخصيص أحدهما دون الآخر.<sup>(1)</sup> فينكر قول النصارى أن الله حل في الروح دون البدن ، لأنهم نقضوا ذلك ، إذ هم يصرحون أنه اتخذ الجسد حجاباً قبل نفخ الروح فيه ، وخالط الجسد والدم ، وهذا فيه تصريح باختلاط اللاهوت بالناسوت.<sup>(2)</sup>

ويورد عليهم في هذه المسألة قواعد منطقية أولية تقتضي نتائجها بطلان القول بالإتحاد والصلب فيستقصي لأجل ذلك زمن الإتحاد هل هو قبل الولادة أو في حال الولادة ؟

أ - فإن كان قبل الولادة وقبل الحمل على ما ذهب إليه النسطورية ، فقد زعموا أنه اتحد قبل أن يكون إنساناً وقبل أن يصور ، وهذا ينقض قولهم إن القديم اتحد بإنسان كلياً.<sup>(3)</sup> لأن تصور وقوع الشركة فيه ينقض عنه كونه إنساناً كلياً. " فإن المسيح بشر معين جزئي ، يمنع تصوّره من وقوع الشركة فيه ، لم يكن إنساناً كلياً"<sup>(4)</sup> ، وإذا كان جزئياً كان محدثاً فيمتنع عليه اتحاده بالقديم ، وهذا لازم للطوائف الثلاثة فإنهم يقولون بالإتحاد.<sup>(5)</sup>

وقول النسطورية متناقض باطل ، وابن تيمية يرى أن قولهم يلزمهم أن يكون اللاهوت حل مع الناسوت تسعة أشهر من بدء الحمل إلى أن ولداً معاً ، وهذا خلاف قولهم : إن مريم ولدت المسيح من جهة ناسوته لا من جهة لاهوته كما هو لازم الملكية . فالنسطورية تقول " إنه ولد الناسوت دون اللاهوت" والملكية تقول " إنه صلب الناسوت دون اللاهوت".<sup>(6)</sup>

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج2 ، ص 172. وانظر عن اتحاد الكلمة بالإنسان ، الباقلائي : التمهيد ، ص 95

(2) المصدر نفسه ، ج3 ، ص 67.

(3) المصدر نفسه ، ج3 ، ص 46.

(4) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج3 ، ص 46 ، وانظر في هذا الموضوع الشهرستاني : الملل والنحل ، ص 254-255.

(5) المصدر نفسه ، ج3 ، ص 46.

(6) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج3 ، ص 46-47.

على أنه يرى أن النساطرة أقل تناقضا ، لأن الملكية يقولون "إنهما شخص واحد ، أقنوم واحد ، فقد اتحد أحدهما بالآخر ، فإذا جاز أن يفارق أحدهما الآخر في الأكل والشرب والصلب والموت ، فمن قال أنهما جوهران ، أقنومان ، هو أولى ممن يقول : ولد أحدهما دون الآخر ، ويعني بذلك النساطرة.(1)

أما القول بالإنحاد قبل الولادة وهو حمل فابن تيمية يلزم كل الفرق بجواز أن يكون الإله محمولا مولودا.(2)

وقد يبرر النصارى القول بوقوع الإنحاد على زعم أن مريم ولدت ناسوتا لا لاهوتا على حد ما ذهبت إليه النساطرة ، وقول الملكية إن الصلب وقع على الناسوت لا اللاهوت كونهم "لا يقولون بأنهما صارا شخصا واحدا ، أقنوما واحدا ، بل يقولون : جوهران أقنومان ، وحينئذ فلا يقولون : حملت بإله ، ولا ولدت إله ، كما لا تقول الملكية "صلب اللاهوت ومات اللاهوت ، مع قولهم بأن اللاهوت والناسوت إتحد".(3)

وهذا خلاف ما ذهبت إليه اليعاقبة من أن مريم ولدت إله ، وأن المسيح قديم من وجه محدث من وجه لأنها تعتقد أن المسيح جوهر واحد.(4)

وهذا يكشف عن تناقض أقوالهم كما يرفع دعواهم أن مريم ولدت ولادة روحانية ، بل ولدت المسيح وهو الإنسان ، وهو غير اللاهوت الذي تزعم النصارى أن الأب ولده ، وليس في ذلك مسيحيان بل مسيح واحد إنسان مخلوق.(5)

ب - وإن كان الإنحاد في حال الولادة فابن تيمية يلزمهم القول أن مريم ولدت الكلمة مع الإنسان ، والكلمة عند النساطرة والملكية إله ، فقد ولدت مريم إذا إله ، وهذا يجوز معه أن يكون الإله حملا ، وأن تكون مريم ولدت المسيح الذي ليس هو إنسان وحده. وهذا نقض لما ذهبت إليه النسطورية من أن مريم ولدت الإنسان وحده ، بل ولدت الإله مع الإنسان(6) ، وهذا يوجب أن الإنحاد كان قبل الولادة ، كما يوجب على النساطرة أن مريم ولدت اللاهوت والناسوت وهذا يكشف عن تناقض النصارى في دعواهم.

ويرى ابن تيمية أن قول الملكية أكثر تناقضا وإحالة من قول النساطرة "فإنهم مع قولهم باتحاد اللاهوت بالناسوت ، وأنهما شخص واحد ، يقولون "إن أحدهما كان يأكل ويشرب ، ويصوم ويصلي ويتصرف ، وأنه أخذ وصنع ، ووضع الشوك على رأسه ، وصلب وألم ومات دون الآخر... فإن كان

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج3 ، ص 47.

(2) المصدر نفسه ، ج3 ، ص 47 وانظر ذلك في : - ابن أيوب الحسن : رسالة إلى أخيه ، الجواب الصحيح ، ج2 ، ص 318 - الجاحظ : المختار في الرد على النصارى ، ص 26-27.

(3) المصدر نفسه ، ج3 ، ص 47 .

(4) أنظر في ذلك الشهرستاني : الملل والنحل ، ص 254.

(5) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج3 ، ص 40.

(6) المصدر نفسه ، ج3 ، ص 47. وانظر :



قول النسطورية متناقضا كان قول الملكية أعظم تناقضا ، فإذا منعوا أن تحمل المرأة ، وتلد الناسوت دون اللاهوت لأجل الإتحاد الذي بينهما ، وجب أن يمنعوا أن يأكل ويشرب ، ويصلب ويقتل أحدهما دون الآخر ، لأجل الإتحاد بطريق الأولى".<sup>(1)</sup>

فثبوت المقدمة الأولى تقتضي ثبوت ما شابهها، وكان ذلك من اللوازم الكلامية المترتبة بدلالة القياس الشكلي .

والنصارى إن جوزوا وقوع الصلب والقتل على اللاهوت ، لزمهم عقلا جواز حمل مريم به وولادتها إياه لكون الصلب والقتل أعظم منافاة للربوبية ، وأشد إمتناعا على الله عز وجل. ومن جوز عقله أن يكون رب العالمين خرج من حيث يخرج الولد ، فقد جعل رب العالمين حادثا ، وهذا أعظم ما يكون من الإمتناع.<sup>(2)</sup>

وقد يبرر النصارى القول بالإتحاد ، على زعم منهم " إن كونه الله مولودا من [...] مريم غير كونه مولودا في الأزل من الأب، بل هما ولادتان روحانية وجسمانية".<sup>(3)</sup> فيبطل عليهم هذا التفسير الفاسد، لأن مريم لم تلد ولادة روحانية ، بل خرج الولد من حيث تخرج أولاد النساء ، كما أن المسيح ابن واحد ، أقنوم واحد ، مسيح واحد ، لا يمكن أن يولد ولادتين على ما ذهبوا.<sup>(4)</sup>

ويمكننا أن نلاحظ أن الحوار كان ينحى بالنصارى إلى خلق الأعداء وإيجاد المبررات لتجنب هذه المتناقضات ، وهذا يؤكد أن الجدل الديني كان يجدد في نوع الأدلة حسب الحجج الواردة من الطرف المسيحي<sup>(5)</sup> فكانت تختلف بين عصر وآخر ، وهذا يتطلب متابعة رؤية الطرف المقابل.

ويلزم ابن تيمية بطلان اتحاد اللاهوت بالناسوت على كل اعتبار ذهبت إليه طوائف النصارى ، إذ ذلك يوجب أن يكون عيسى مسيحا مند كان في بطن مريم إلى حين وضعته وأرضعته وشب وصلب وقتل ، أو أن يكون ثلاثين سنة وهو واحد من الناس ثم اتحد بعد ذلك اللاهوت بالناسوت فكان مسيحا.<sup>(6)</sup> فيثبت بطلان الإتحاد على هذا التقسيم ، فالنصارى إن أقرّوا بوقوع الإتحاد من حين حملت مريم كما تقول ذلك النسطورية " فقد أقرّوا أن مريم ولدت إلهام مسيحا واحدا ، أقنوما واحدا"<sup>(7)</sup> والنصارى ترفض القول بهذا أو تنكره.

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج3 ، ص 48-49.

(2) المصدر نفسه ، ج3 ، ص 48-49.

(3) المصدر نفسه ، ج3 ، ص 49.

(4) المصدر نفسه ، ج3 ، ص 40

(5) أنظر عن اختلاف حجج النصارى بين المتقدمين والمتأخرين ذيل كتاب: الفارق بين المخلوق والخالق لباجه جي زاده، ص 14 .

(6) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج3 ، ص 43.

(7) المصدر نفسه ، ج3 ، ص 44.

وإن قالوا أن مريم ولدت إنسانا ، ثم اتحد بعد ذلك اللاهوت بالناسوت فكان مسيحا ، تركوا قولهم ، وكذبوا كتبهم وخرجوا عن قول النصرانية<sup>(1)</sup> . فالإتحاد غير ممكن الوقوع كما قرره ابن تيمية ، ولو كان ذلك ممكنا لظهر أثره .

وحين يتحدث عن مكان الإتحاد يلزم النصارى بنتائج فاسدة ، وذلك بموجب قولهم أن المسيح إله تام وإنسان تام ، والإله إله قبل الإتحاد ، والإنسان إنسان قبل الإتحاد . " فلو كان الإتحاد حقا لوجب أن يقال : إن المسيح نصفه لاهوت ونصفه ناسوت وهو مركب من هذا وهذا .

لا يقال إن المسيح إنسان تام ، والمسيح نفسه إله تام ، فإن تصور هذا القول على الوجه التام يوجب العلم الضروري ، حيث جعلوا المسيح الذي هو المبتدأ ، الموضوع ، المخبر عنه ، المحكوم عليه ، هو إنسان تام وهو إله تام ، يوجب أن يكون نفس الإنسان هو نفس الإله"<sup>(2)</sup> .

وجمع النصارى بين القولين المسيح إله تام وإنسان تام تناقض ظاهر ، فكأنهم قالوا : هو الخالق ليس هو الخالق ، هو مخلوق ليس هو مخلوقا<sup>(3)</sup> .

" فجمعوا بين النقيضين ، وهذا حقيقة قول النصارى ، لا سيما واتحاد اللاهوت بناسوت المسيح -عندهم- إتحاد لازم لم يفارقه البتة . فيكون ذلك أبلغ من الإتحاد العارض"<sup>(4)</sup> .

وهذا يثبت عليهم من وجهة نظر عقلية كون اللاهوت متحد بالناسوت وهو جسد قبل نفخ الروح فيه ، وبعد نفخ الروح فيه ، وبعد مفارقة الروح له ، وحيث دفن في التراب ووضع التراب عليه<sup>(5)</sup> .

#### 4- اختصاص الابن بالاتحاد :

يستنكر ابن تيمية دعوى النصارى في اختصاص الابن بالاتحاد ، دون أقنومي الأب ، وروح القدس ، فيناقش قولهم " إن الكلمة هي مولودة منه ، فيجعلون علمه القديم الأزلي متولداً منه ولا يجعلون حياته القديمة الأزلية متولدة منه"<sup>(6)</sup> فيبطل عليهم ذلك لأن هذا القول يفضي بهم إلى التناقض وجعل الله أنواعا كثيرة "فإنه إن كانت صفة الموصوف القديمة اللازمة لذاته ، يقال إنها ابنه وولده ومتولدة عنه ونحو ذلك فتكون حياته أيضا ابنه وولده ومتولدا عنه ، وإن لم يكن كذلك ، فلا يكون علمه ابنه ولا ولده ، ولا متولدا عنه"<sup>(7)</sup> .

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج3 ، ص 43-44 .

(2) المصدر نفسه ، ج3 ، ص 110 .

(3) المصدر نفسه ، ج3 ، ص 110 .

(4) المصدر نفسه ، ج3 ، ص 111 .

(5) المصدر نفسه ، ج3 ، ص 111 .

(6) المصدر نفسه ، ج3 ، ص 182 .

(7) المصدر نفسه ، ج3 ، ص 182 .

على أنّ النصارى لا يقولون إنّ روح القدس المنفصلة عنه القائمة بالأنبياء والصدّيقين بأنّها ولده، ولا أنّها متولّدة عنه ، بل يخصّون ذلك بالكلمة<sup>(1)</sup> دون أن يكون لهم مبرر عقلي . فيقسّم ابن تيمية المسألة إلى احتمالات كلامية يترتب عنها القول بنتائج فاسدة :

- فقولهم في الابن أنّه مولود من إله إن أرادوا به صفة لازمة له ، فكذلك الحياة صفة لازمة لله ، فيكون روح القدس أيضا ابنا ثانيا ،<sup>(2)</sup> بل الأمر يتجاوز ذلك إلى جعل كلّ صفة هي ابن الله ، وبذلك فلا اختصاص للمسيح بالإتحاد دون غيره .

- وإن أرادوا أنّه حصل منه بعد أن لم يكن لزم أن يكون حيّا بعد أن لم يكن ، فيكون المسيح محدثا والمحدث ليس بإله .

- أنّ المتحد بالمسيح هو الكلمة الذي هو العلم -كما تقوله النصارى - يستلزم منه أن يكون المسيح هو الأب والابن وروح القدس ، لأنّ العلم صفة لا تفارق الذات ولا تفارق الصفة الأخرى التي هي الحياة.<sup>(3)</sup>

وكلّ هذه اللوازم الكلامية تلزم النصارى الإقرار ببطان الإتحاد ، وتخصيصه بالابن دون سائر الأقانيم "فإذا قدر أنّ اللاهوت والناسوت جوهران أقنومان لا اتحاد بينهما ، لم يلزم أن يكون اللاهوت مسيحا ، ولا هناك مسيح هو إله ، ولا مسيح هو ابن إله"<sup>(4)</sup>

وهي النتيجة المنطقية التي تفرض نفسها على النصارى ، ولا يمكنهم دفعها بأيّ حال من الأحوال ، وهي لازمة لليعقوبية والنسطورية . وإن قيل : صاروا جوهرًا واحدًا ، كما يقول من يقول منهم: إنّهما صاروا كالنار مع الحديد أو اللبن مع الماء<sup>(5)</sup> ، ويقصد بهم الملكانية . " فهذا يستلزم استحالة كلّ منهما ، وانقلاب صفة كلّ منهما ، بل حقيقته كما استحالة الماء واللبن إذا اختلطا ، والنار مع الحديد ، وحينئذ فيلزم أن يكون اللاهوت استحال ، وتبدلت صفته وحقيقته ، والاستحالة لا تكون إلاّ بعدم شيء واستحالة آخر ، فيلزم عدم شيء من القديم الواجب الوجود لنفسه... والواجب بنفسه يمتنع عدمه ، ولازمه لا يعدم إلاّ بعدمه ، فإنه يلزم انتفاء اللازم انتفاء الملزوم"<sup>(6)</sup>.

فابن تيمية يوظف دلالة الإلزام ليبطل الإتحاد ، لأنّ المقدمات المنطقية تفرض أن يكون الله قديما ، موجودا ، قائما بذاته ، واتّحاده بالمسيح يجعله محدثا ، معدوما ، قائما بغيره .

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 3 ، ص 182.

(2) المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 114.

(3) المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 114 - 115 . وانظر :

BOUAMAMA Ali : La littérature polémique musulmane contre le christianisme, p. 181.

(4) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 3 ، ص 40 ، انظر عن هذه النتيجة التي أفضت ببعض أعلام الفكر المسيحي إلى إنكار حقيقة المسيح إله ، الصالح صبحي وجبر فريد : فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية ، ج 2 ، ص 283.

(5) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 2 ، ص 161.

(6) المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 161-162.

ويعود ابن تيمية للحديث عن اختصاص الابن بالاتحاد ليمتثل الفروق الموضوعية بين الخالق والمخلوق ، والتي تمنع إمكان وقوع الإتحاد ، فالمسيح عند النصارى اسم اللاهوت والناسوت ، واسم للخالق والمخلوق ، وأحدهما متحد بالآخر ، فهو بتوحيد ذلك القوام ، قوام لكلمة الله الخالقة ، وسواء أريد بذلك أن الناسوت واللاهوت قوام للآهوت ، أو أن الناسوت قوام للآهوت ، وهم يمثلون ذلك بالروح والجسد ، والنار والحديد.(1)

ويدلّل منطقياً على بطلان ذلك ، فيخاطبهم بمساءلتهم مستكراً عليهم بقوله : " الخالق الأزلي الذي لم يزل ولا يزال ، هل يكون المحدث المخلوق قواماً له ؟ فيكون المخلوق ، المصنوع ، المحدث ، المفتقر إلى الله من كل وجه قواماً للخالق الغني عنه من كل وجه ؟ وهل هذا إلا من أظهر الدور الممتنع ؟

فإنه من المعلوم بصريح العقل واتفاق العقلاء ، أن المخلوق لا قوام له إلا بالخالق ، فإن كان الخالق قوامه بالمخلوق ، لزم أن يكون كل من الخالق والمخلوق قوامه بالآخر ، فيكون كل منهما محتاج إلى الآخر ، إذ ما كان قوام الشيء به ، فإنه محتاج إليه".(2)

ويستنتج ابن تيمية من هذه المقدمة فساد قول النصارى في نتائج متعددة ، من بينها :

- أن المخلوق إن قدر أنه موجود بنفسه قديم أزلي ، فليس هو مخلوقاً .
- أنه يمتنع أن يكون كل من القديمين الأزليين محتاجاً إلى الآخر ، وما كان كذلك ليس بوجوده لانتفاء لوازم وجوده.(3)

ويوظف في هذا المجال دلالة الدور القبليّ ليدلّل على امتناع توقّف وجود الخالق بالمخلوق أو جعل قوام الخالق تعالى بالمخلوق(4) ، لأنّ "المخلوق مفتقر في جميع أموره إلى الخالق ، فيمتنع -مع فقره في وجوده وتمام وجوده إلى الخالق - أن يكون قوام الخالق به ، لأن ذلك يقتضي أن يكون مقيماً له ، وأن يكون تمام وجوده به ، فيكون المخلوق لا وجود لشيء منه إلا بالخالق".(5)

والمثير للانتباه في مناقشة ابن تيمية لموضوع اختصاص الابن بالإتحاد ، هو عقده لمقارنة بين قول النصارى في المسيح وما تدعيه بعض الفرق الغالية ، فهو يرى أنّ هذا الإتحاد الخاص من النصارى يشبه -من بعض الوجوه- قول أهل الوحدة والإتحاد العام ، مستشهداً بقول ابن عربي صاحب "الفصوص" و"الفتوحات المكية" ، فإنه يقول : " إن أعيان المخلوقات ثابتة في العدم ، ووجود الحق

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج3 ، ص 71-72.

(2) المصدر نفسه ، ج3 ، ص 71-72.

(3) المصدر نفسه ، ج3 ، ص 71-72.

(4) المصدر نفسه ، ج3 ، ص 73.

(5) المصدر نفسه ، ج3 ، ص 73.

فاض عليها، فهي مفتقرة إليه من حيث الوجود المشترك العام ، وهو وجوده وهو مفتقر إليها من حيث الأعيان الثابتة في العدم ، وهو ما يختص به كل عين ، فيجعل كل واحد من الخالق مفتقرا إلى الآخر".<sup>(1)</sup>

فلهذا يضطرون إلى ما تضطرّ إليه النصارى من إثبات الوحدة مع الكثرة ، فهم ينشدون "فيعبدني وأعبده ويحمدني وأحمده"<sup>(2)</sup> فهم "جعلوا نفس وجود ربّ العالمين الخالق القديم الواجب بنفسه ، هو نفس وجود المربوب المصنوع الممكن".<sup>(3)</sup>

فيبرئ ابن تيمية ساحة الإسلام من هذه الدعوى وأمثالها معتبرا هؤلاء أكثر إلحادا من النصارى الذين قالوا بالإتحاد والحلول في المسيح ، لأنّ المسيح أفضل من هؤلاء "فإنّ النّصيرية أتباع أبي شعيب محمد بن نصير" يقولون في علي ابن أبي طالب نظير ما يقوله النصارى في المسيح ، كذلك سائر الغلاة في عليّ أو في أحد من أهل بيته ، أو في الإسماعيلية بني عبيد المنتسبين إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر ، كالحاكم وغيره ، أو في الحلاج ، أو في بعض الشيوخ من الذين يقولون في واحد من هؤلاء باتحاد اللاهوت به أو حلوله فيه ، نظير ما تقوله النصارى في المسيح".<sup>(4)</sup>

فابن تيمية يقابل بين قول النصارى وقول المبتدعة ممّن ينتسبون للإسلام ليثبت أنّ النّصرانية كانت بمثابة الجسر الذي عبرت من خلاله مثل هذه الأفكار الغالية والتي تتناقض مع جوهر التوحيد الإسلامي ، فيبحث عن العامل التاريخي الذي أحدث هذا التأثير فيرده لوقت دولة التتار وكانت مخالطة النصارى للمسلمين في زمن المأمون دافعا قويا لذلك.<sup>(5)</sup>

ويمكننا القول أنّ دراسات ابن تيمية تعتمد على تحليل مفصل للقضايا المطروحة ، ناهجا طريقة المقارنة بين العقائد والمذاهب المسيحية الإسلامية ، وهي الغاية من دراسة الأديان . وابن تيمية كان شاعرا بأهميّة هذا الجانب في عملية الرد ، فهو يرى أنّ الهدف من معرفة دين النصارى هو معرفة بطلان ما يشبه أقوالهم<sup>(6)</sup> ، وهذه المنهجية تصلح أن تكون نموذجا للتطبيق في العصر الحديث، خاصة والمجتمع الإسلامي يتلقّى التأثير المباشر عن طريق وسائل الإعلام.

## ثانيا - نقد مقالات الفرق الكبرى في التجسد:

دراسة علاقة اللاهوت بالناسوت من أهمّ المباحث التي نشطت في عملية الردّ خاصة في

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 3 ، ص 73.

(2) المصدر نفسه ، ج 3 ، ص 74.

(3) المصدر نفسه ، ج 3 ، ص 74.

(4) المصدر نفسه ، ج 3 ، ص 75-76 ، وانظر كذلك مجموع الفتاوى، ج 2 ، ص 171-172.

(5) ابن تيمية : مجموع الفتاوى ، ج 2 ، ص 171-172.

(6) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 1 ، ص 18-19.

النظريات الخاصة بالفرق<sup>(1)</sup> ، إذ أن القول بالإتحاد ، يترتب عنه ضرورة البحث في طبيعة العلاقة القائمة بين جوهر الإله وجوهر الإنسان من جهة ، وبين مشيئة اللاهوت ومشيئة النذاسوت من جهة أخرى ، فينقل ابن تيمية مذاهبيهم في ذلك مسجلا اختلافهم في هذا الموضوع قائلا : " ثم يقال على هؤلاء قولهم : " طبيعتان " ويقولون أيضا " له مشيئتان " ويقولون أيضا ، إنه شخص واحد لم يزد عدده ، فإنهم يقولون : " إنهما اتحدا " كما ذكروه في كتابهم هذا ، لا يقولون بشخصين ، لئلا يلزمهم القول بأربعة أقانيم ، ومنهم من يقول : " هما جوهران " ومنهم من يقول : هو جوهر واحد ".<sup>(2)</sup>

وابن تيمية لم يفرّد ردوده الخاصة بالفرق في مباحث مستقلة بل كان ذلك مبعوثا في ثنايا النصوص ، فكان العمل يقتضي ترتيب مواقفه النقدية وذلك فيما يلي :

## 1 - نظرية النسطورية :

### أ - مناقشة علاقة اللاهوت بالناسوت من جهة الجوهر :

يناقش "ابن تيمية" نظرية النسطورة في التجسد ويؤسس ردوده على قولهم : " إن المسيح جوهران ، وأقنومان ، إله تام بأقنومه وجوهره ، وإنسان تام بأقنومه وجوهره ".<sup>(3)</sup>

وأول ما يثير انتباه ابن تيمية في هذا البناء هو فساد عبارة النسطورة ، فالقول بالإتحاد أو بعدمه ينتج نفس العلاقة بين اللاهوت والناسوت وهذا يستوي القول فيه بإثبات الشيء أو نفيه ، إذ لو قدر أن اللاهوت والناسوت جوهران أقنومان لا اتحدا بينهما ، لم يلزم أن يكون اللاهوت مسيحا ، ولا هناك مسيح هو إله ، ولا مسيح هو ابن إله.<sup>(4)</sup>

وهذه النتيجة تلزم النسطورة مع قولهم بالإتحاد ، وهذا ينبئ عن فساد هذا القول .

ويستنتج "ابن تيمية" من جهة أخرى ضرورة القول باستحالة اللاهوت بالناسوت واختلاطهما ، وهذا يلزم منه وجود جوهر ثالث ، لذلك فهو لا يرى فيما ذكره من التمثيل بصفيحة الحديد

(1) طبيعة واحدة (Monophysite) هي التسمية التي عبر بها المسيحيون في القرن 5 و 6 على العقيدة التي تقول بالطبيعة الواحدة في المسيح ، بينما كان الأرثوذكس يقولون بالطبيعتين في المسيح ، كل واحدة حقيقية ومتميزة ومتحدة في الوقت نفسه في شخص واحد إله وإنسان ، وقد ضبطت عقيدتهم في مجمع خلقدونية (451)

Royston Pike. E : Dictionnaire des Religions , (Monophysites) p 218.

(2) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج3 ، ص 126 ، وانظر في ذلك ابن تيمية : دقائق التفسير ، تحقيق : الجليند محمد السيد ، ط2 (بيروت : مؤسسة علوم القرآن) ج2 ، ص 331. وانظر عن اختلاف النصارى في هذه المسألة :

Bardy, G. et Tricot, A. : Le christ encyclopedie populaire des connaissances christologique, p. 393-394.

(3) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج3 ، ص 38.

(4) المصدر نفسه ، ج3 ، ص 40.

مثل مطابق لصحة قولهم ، إذ الإتحاد ينتج عنه بقاء الجوهرين على حالهما. (1) " فإن الحديد إذا اتحدت به نار ، كان الحديد قد استحال عن صفته لم يبق حديدا محضا ، وليست نارا محضة . والخشب وغيره إذا أحرقت وصار نارا ، فليس هو خشبا محضا ، وليس هو نارا محضة بسيطة". (2) وهذا لازم لطبيعة العلاقة بين اللاهوت والناسوت بفعل الإتحاد "فمن شأن المشيئتين -إذا اتحدا- أن يستحيل كل منهما إلى جوهر ثالث وطبيعة ثالثة ، ليست لا هذا ولا هذا ". (3)

ويثير ابن تيمية مسألة أخرى على النسطرة ، يكشف بها عن تناقضهم ، فقولهم باقتران اللاهوت بالناسوت من حين الحمل تأكيدا على الإتحاد ، وقولهم لم يلزم أن يكون قد ولدت إلهما وهما جوهران أقنومان ولدت أحدهما ولم تلد الآخر إنما يكون عند انعدام الإتحاد. (4) وهو نظير ما تقوله الملكية أنه صلب أحدهما ولم يصلب الآخر ، ومات أحدهما ولم يميت الآخر ، وتآلم أحدهما ولم يتآلم الآخر. فيستنكر عليهم ذلك قائلا : " فكيف جوز الملكية حين الموت أن يحل الموت والصلب ، والأكل والشرب ، وسائر الأمور البشرية بأحد الجوهرين دون الآخر ، ولم يجوزوا حين الولادة أن تلد مريم أحد الجوهرين دون الآخر ، وما هذا إلا من تناقضهم". (5)

## ب - علاقة اللاهوت بالناسوت من جهة المشيئة :

يبحث ابن تيمية في مسألة المشيئة الواحدة للمسيح ، ليلزم النصارى بنتائج فاسدة ، فيقلب المسألة من وجهين : - إذا اعتبروا المشيئة صفة : فإن اللاهوت والناسوت قد اتحدا - كما زعموا - فقد استحالت صفة اللاهوت ، واستحالت صفة الناسوت ، فلم يبق اللاهوت لاهوتا ، ولا الناسوت ناسوتا ، بل صارا جوهرًا ثالثًا ، لا لاهوت ولا ناسوت ، وهم ينكرون هذا القول وهو باطل ممتنع على الله (6) ، لأن "رب العالمين لا يتبدل ، ولا تستحيل صفاته بصفات المحدثات ، ولا ينقلب القديم محدثًا ، ولا شيء من صفاته محدثًا ، ولا يستحيل القديم الرب الخالق والمخلوق المحدث إلى شيء ثالث". (7)

فالإحتمال المنطقي يلزم النصارى الحكم بأن نفس القديم استحالت إلى نفس المحدث وأصبحت لهما مشيئة واحدة ، وهذه النتيجة فاسدة لأن صفات الرب التي لم يزل ولا يزال موصوفا بها لا تتبدل ، ولا تنقلب ، ولا تستحيل ، فضلا عن أن تستحيل إلى أمر ثالث. (8)

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج3 ، ص 40.

(2) المصدر نفسه ، ج3 ، ص 40.

(3) المصدر نفسه ، ج3 ، ص 41.

(4) المصدر نفسه ، ج3 ، ص 45.

(5) المصدر نفسه ، ج3 ، ص 45.

(6) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج3 ، ص 41.

(7) المصدر نفسه ، ج3 ، ص 41.

(8) المصدر نفسه ، ج3 ، ص 41.

أما إذا اعتبروا المشيئة فعل ، فقولهم بمشيئة اللاهوت هي مشيئة الناسوت إقرار بوجود خالقان قديمان ، إن كان الثالث الذي استحال من اتحاد اللاهوت والناسوت إلى قديم خالق.<sup>(1)</sup> أما إن كان استحال إلى مخلوق محدث "كان الخالق قد صار مخلوقا محدثا ، ومعلوم أن استحالة الخالق إلى خالق آخر أو إلى مخلوق ممتنع ظاهر الإمتناع".<sup>(2)</sup>

ويناقش ابن تيمية أفعال المسيح هل هي له بكامله أم مشتركة بينه وبين اللاهوت ، لأن قول الناسطرة بوجود جوهرين وأقنومين يوجب تميز فعل اللاهوت عن فعل الناسوت<sup>(3)</sup> ، فيبطل هذا الأصل ، لأن اللاهوت إن كان متحدًا بالناسوت لم يتميز فعله عن فعل الناسوت ، محتجًا عليهم بما مثلوا من اتحاد النار بالحديد "ومعلوم أن الحديد إذا أدخلت في النار حتى صارت بيضاء كالنار البيضاء ففعلها فعل واحد ، ليس لها إعلان متميزان ، أحدهما بالحديد ، والآخر بالنار ، بل فيها قوة الحديد وقوة النار ، بل فيها قوة ثالثة ليست قوة الحديد ولا قوة النار ، إذ ليست حديدا محضا ولا نارا محضا".<sup>(4)</sup>

ويترتب على ذلك وقوع التطريق على نارها كما هو واقع على حديدها ، وكذلك إن مدت أو بصق عليها "فإن كان التمثيل مطابقا ، لزم أن يكون ما حل بالناسوت قد حل باللاهوت ، فيكون رب العالمين هو الذي كان يأكل ويشرب ، ويبول ويتغوط ، وهو الذي صفع عندهم ، وبصق في وجهه ، وجعل الشوك على رأسه ، وضرب بالسياط ، وصلب ومات ، وتألّم ، كما يحكى مثل هذا عن اليعقوبية".<sup>(5)</sup>

وهذه النتيجة الفاسدة لازمة النذسطورية ، كما تلزم كل الفرق القائلة بالإتحاد ، لأن قولها أنهما متحدان بالمشيئة يعني أن مشيئة هذا عين مشيئة هذا<sup>(6)</sup> ، وفي ذلك إقرار بأن فعل الإنسان هو فعل الإله ، وفعل الخالق هو فعل المخلوق ، وما يصح على أحدهما يصح على الآخر ، وهذا ممتنع من وجهة نظر منطقية.

## 2 - نظرية الملكية:

### أ - علاقة اللاهوت بالناسوت من جهة الجوهر :

يعتبر ابن تيمية قول الملكية إن اللاهوت اتحد بالناسوت بأن صارا جوهران مع كونهما عندهم شخصا واحدا أو أقنوما واحدا لا تعدد فيه ، كلام متناقض لا يثبت أمام النقد العقلي.<sup>(7)</sup>

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج3 ، ص 41.

(2) المصدر نفسه ، ج3 ، ص 41.

(3) عن تمايز طبيعة اللاهوت عن الناسوت واحتفاظ كل منهما بصفاتهما الخاصة ، انظر والفورد جون ف. : يسوع المسيح ربنا ، ص 135-136.

(4) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج2 ، ص 278.

(5) المصدر نفسه ، ج3 ، ص 42.

(6) المصدر نفسه ، ج3 ، ص 42.

(7) المصدر نفسه ، ج3 ، ص 129.



وتبدأ مداخلة ابن تيمية الكلامية بطريق القياس ليقرب طبيعة هذا الإتحاد وما يترتب عليه من علاقة جوهرية بين الله والإنسان ، فيمثل ذلك بالشخص الواحد الذي لا تعدد فيه ، فهو يعرف بأنه جوهر واحد ، ولهذا حدّ بأنه جسم ، وإن شَبَّهوا ذلك بالنفس مع الجسد لزمهم المحدود.<sup>(1)</sup>

وكلّ محدود فهو محدث ، وهم بذلك يثبتون لله الحدوث من جهة حلوله بجسم المسيح ، ومن جهة أخرى يلزمهم من هذا الإتحاد أن يكون الله جوهرًا واحدًا لا جوهرين ، لأن الإنسان كما يقال فيه : إنه شخص واحد ، يقال : إنه جوهر واحد بما بينهما من الإتحاد . ولهذا حدّ بأنه جسم حسّاس ، تام متحرك الإرادة ، ناطق ، وهذا يتناول جسده وروحه ، والنفس والبدن مشيئة واحدة<sup>(2)</sup> ، وهذا قول اليعقوبية . ومن اللوازم الكلامية المترتبة عن هذا القول وقوع الصلب والصفع والبصق والألم والموت على اللاهوت بوقوعه على المسيح ، لأنهم يسلمون لله أنه حلّ بنفس المسيح وبدنه.<sup>(3)</sup> وهذا يلزمهم ضرورة أن يكون الله جسمًا ، متحيزًا ، حادثًا ، وهذا لا يصحّ على ذات الله .

ويظهر من هذا الطرح الجدلي أنّ ابن تيمية يعيب على النصارى استخدام المصطلحات اللاهوتية في غير مدلولها الكلامي ، ممّا حدى بهم إلى إثبات لوازم كلامية فاسدة لا تتفق مع طبيعة الله وجوهره . فيكون الخيار المطروح على الملكية أمام هذا التناقض :

- إمّا أن لا يكون الإتحاد أصلاً .

- وإمّا أن يكون الله متحدًا بإنسان في جوهر واحد ، مع ضرورة إثبات اللوازم الكلامية المترتبة عن هذا اللفظ ، من تحييز ، وتجسيم ، وحدوث ، وهذا يثبت بطلان مذهبهم .

## ب - علاقة اللاهوت بالناسوت من جهة المشيئة :

أمّا مقالة الملكية في شأن طبيعة المسيح ومشيئته ، فقد رأينا إثر عرضنا للمسيحولوجيا أنها تؤسس مذهبها على كون مشيئة القديم سبحانه غير مشيئة المسيح عليه السلام ، فهما إرادتان مختلفتان ، فيبين فساد مذهبهم وتناقضهم ، إذ القول بالمشيئتين لا يتفق مع القول بالإتحاد في عدة نقاط :

- أنّ الجوهر القادر يصحّ عليه أن يختصّ بالإرادة والمشيئة فيكون مستقلًا بفعله عن الجوهر الآخر ، وعندما تعدم حاجة الناسوت لجوهر اللاهوت الذي يختصّ بمشيئة غير مشيئته<sup>(4)</sup> ، وهذا يلزمهم إبطال القول بالإتحاد .

- يلزم ابن تيمية قياسهم هذا الإتحاد بالنفس والبدن ، كون النفس عند إتصالها بالبدن تتغيّر وتتبدل صفاتها وأحوالها ، وبصير لها من الصفات والأفعال ما لم يكن دون البدن ، وعند مفارقة

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج3 ، ص 129.

(2) المصدر نفسه ، ج3 ، ص 129.

(3) المصدر نفسه ، ج3 ، ص 129.

(4) المصدر نفسه ، ج3 ، ص 129.

البدن تتغير صفاتها وأفعالها. (1) " فإن كان تمثيلهم مطابقا لزم أن يكون الرب قد تغيرت أوصافه وأفعاله ، لما اختلط بالمسيح ، كما تتغير صفات النفس وأفعالها ويكون الرب قبل هذا الإختلاط كالنفس المجردة التي لم تختلط ببدن". (2)

فيكون رب العالمين مجردا عن صفاته وأفعاله ، وهذا يتناقض مع قولهم له جوهر ومشية وإرادة غير جوهر ومشية وإرادة المسيح .

- لا يرى ابن تيمية مسوغا عقليا يجوز للنصارى القول بالإنحداد إلا أن تتفق المشيقتان ، وهذا يعني أن فعل أحدهما هو فعل للآخر كاشتراك النفس والبدن في الأعمال الصالحة والفاصلة. (3) "فإن كان الرب كذلك كان جميع ما يفعله المسيح باختياره فعل الرب ، كما أن جميع ما يفعله البدن باختياره فعل النفس ، فإن كان الرب مع الناسوت كذلك ، كان الرب هو المأمور والمنهي بما يؤمر به المسيح ، وكان الرب هو المصلي ، الصائم ، العابد الداعي". (4) فيبطل قولهم يخلق ويرزق بلاهوته ، ويأكل ويعبد بناسوته. (5)

وإن شبهوا الإنحداد بالنفس والبدن لزمهم إثبات جوهر واحد ، ومشية واحدة ، وبه خرجوا إلى قول اليعقوبية. (6)

- أن اللاهوت إن كان متحدًا بالناسوت لم يتغير فعله عن فعل الناسوت ، فإنهما إذا صارا شيئا واحدا ، صار فعل المتحد شيئا واحدا. (7) فابن تيمية يرفض تمايز الإرادتين وعندهم اتحاد اللاهوت بالناسوت أتم وأكمل من اتحاد النفس بالجسد ، فيورد عليهم سؤالا في شكل إستفهام استنكاري قائلا : "فهل يقول عاقل -مع هذا الإنحداد - إنهما جوهران ، لكل منهما أفعال إختيارية ، لا يشركه الآخر فيها؟!"

فتحليل ابن تيمية لمسألة الإنحداد مع القول ببقاء الجوهرين على حالهما ، مسألة تنتج عددا من المتناقضات والمحالات ، فيثبت ذلك بطريق الإلزام الكلامي . فقولهم عن الإنحداد أنه بمثابة تعلق النفس بالبدن يعني أنهم يثبتون :

- جميع ما يجب للإله وما يستحيل عليه .

(1) ابن تيمية: الجواب الصحيح ، ج3 ، ص 111.

(2) المصدر نفسه، ج3 ، ص 111.

(3) المصدر نفسه، وانظر والفورد جون ف . : يسوع المسيح ربنا ، ص 138.

(4) المصدر نفسه، ج3 ، ص 111.

(5) المصدر نفسه، ج3 ، ص 112.

(6) المصدر نفسه، ج3، ص 129، وانظر في ذلك القرافي: الأجوبة الفاخرة (على هامش الفارق بين المخلوق والخالق) ص154.

(7) المصدر نفس ، ج2 ، ص 278.

- مركب وله أجزاء وكل جزء مفتقر لغيره ، فاللآهوت مفتقر للناسوت وذلك محال على الله .
- أن الإله حادث لأنهم يقولون أن المسيح حدث له صفة بعد خلقه.(1)

### 3- نظرية اليعقوبية :

#### أ - مناقشة علاقة اللاهوت بالناسوت من جهة الجوهر:

يهتم ابن تيمية بمناقشة قول اليعقوبية أن المسيح جوهر واحد من جوهرين(2)، فيورد عليهم احتمالا يلزمهم فسادا في هذا الأصل الذي بنوا عليه عقيدتهم في الإتحاد " فإذا كان جوهر واحد لزم ذلك أن يكون اللآهوت قد استحال وتغير، وكذلك الناسوت ، فإن الإثنين إذا صاروا شيئا واحدا ، فذلك الشيء ليس هو إنسانا محضا ، ولا إلها محضا ، بل اجتمعت فيه الإلهية والإنسانية"(3) بفعل الإتحاد الذي يلزم منه الإستحالة والاختلاط .

ورغم تناقض قول اليعقوبية فابن تيمية يسلم لهم القول بذلك ليلزمهم بطلان النتيجة التي بنوا عليها مذهبهم " مع أنه قد كان الإنسان والإله اثنين متباينين -وهما في اصطلاحهم جوهران - فإذا صار الجوهران جوهر واحد لا جوهرين فقد لزم ضرورة أن يكون هذا الثالث ليس هو إلها محضا ولا إنسانا محضا ، ولا هو جوهران إنسانا وإلها ، فإن هذا جوهران لا جوهر واحد ، بل هو شيء ثالث ، اختلط وامتزج واستحال من هذا وهذا ، فتبدلت حقيقة اللآهوت وحقيقة الناسوت"(4) فيعترض عن كون الجوهرين صاروا جوهر واحد من عدة وجوه :

- أن الشئين يستحيل أن يصيرا شيئا واحدا، لما بينهما من التباين والاختلاف وهذا لا يوجب الإتحاد.(5)

- أن الدلالات الكلامية تمنع من إتحاد جوهرين جوهر اللآهوت وجوهر الناسوت وأن يصيرا جوهر واحد إنسانا وإلها في الوقت نفسه .

- أن هذا الإتحاد ينتج شيء ثالث ليس هو إله محض، وليس هو إنسان محض لأن حقيقة اللآهوت والناسوت استحالت وامتزجت واختلطت. ويستدل على ذلك بما ضربوه من أمثلة "فإن كل اثنين اتحدا فصارا جوهر واحد، فلا بد في ذلك من الإستحالة في اتحاد الماء واللبن والخمر وسائر ما يختلط بالماء".(6)

(1) انظر في ذلك كتاب الغزالي : الرد الجميل ، ص 165-166.

(2) انظر في ذلك الصالح صبحي وجبر فريد : فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية ، ج2 ، ص 301-305.

(3) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج3 ، ص 126.

(4) المصدر نفسه ، ج3 ، ص 126.

(5) أنظر في هذه المسألة القرافي : الأجوبة الفاخرة (على هامش الفارق) ، ص 154.

(6) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج3 ، ص 127.

فإن أنكر النصارى القول بذلك ألزمهم بإحدى النتيجتين المنطقيتين الفاسدتين :

- إما القول بالثنوية لما ذكروه من إيجاب الجوهرين ، وهذا يتناقض مع قولهم صاروا جوهرًا واحدًا ، كما يثبت عليهم العدد والاتحاد ينقض ذلك.

- وإما استحالة الإثنين واختلاطهما وهم ينكرون ذلك.<sup>(1)</sup>

## ب - علاقة اللاهوت بالناسوت من جهة المشيئة :

يناقش ابن تيمية النصارى في أفعال المسيح فيأخذ بمبدأ قولهم ثم ينفذ من خلال ذلك لما يحتمله من افتراضات كلامية فينقضها ، مبطلًا دعوى التجسد والاتحاد .

فهو يرى "أن اللاهوت إن كان متحدًا بالناسوت ، لم يتميز فعله عن فعل الناسوت ، فإنهما إذا صارا شيئًا واحدًا ، كان كل فعله من عجز ومعجز ، هو ذلك الواحد كالأمثال التي يضربونها لله تعالى ، فإنهم يمثلون ذلك بالنار مع الحديد والماء مع اللبن والخمر".<sup>(2)</sup> ومعلوم أن الحديد إذا أدخلت النار حتى صارت بيضاء كالنار البيضاء ، ففعلها فعل واحد ، ليس لها إعلان متميزان ، أحدهما بالحديد ، والآخر بالنار ، بل فيها قوة الحديد وقوة النار ، إذ ليست حديدًا محضًا ولا نارًا محضًا.<sup>(3)</sup>

"وكذلك الماء إذا اختلط باللبن والخمر ، فالمتحد عنهما شيء واحد ، فعله فعل واحد منه ، ليس ماء محضًا ولا لبنًا محضًا ، لا يقول عاقل : إن له فعلين يتميز أحدهما عن الآخر ، فعلا بكونه لبنًا محضًا ، وفعلا بكونه ماء محضًا" فقولهم بالاتحاد يوجب استحالة اللاهوت بالناسوت ، وأن يصير فعل المتحد شيئًا واحدًا ، وإن كان اللاهوت لم يتحد به ، فهما إثنان شخصان جوهران وطبيعتان ومشيتان ، وليس هذا دين النصارى مع أن حلول الرب عز وجل في البشر ممتنع.<sup>(4)</sup> ويظهر من تحليل ابن تيمية أن طريق التعريفات يكشف عن عدم مطابقة مصطلح الاتحاد لمحتوى نظرية التجسد ، وقد ترتب عن ذلك عدة مداخل نقدية تنقض على اليعقوبية دعوى أن إرادة اللاهوت هي إرادة الناسوت ، فهو يرى أن الاتحاد إذا قيل فيه طبيعة الإثنين ومشية الإثنين ، كما في الماء واللبن وقوة اللبن ، قيل : لا بد -مع ذلك- أن تتغير كل قوة عما كانت عليه ، فتتكسر الأخرى ، كما يعرف في سائر صور الاتحاد ، إن اتحد هذا مع هذا كسر كل منهما قوة الآخر عما كانت عليه .

كما إن اتحد الماء البارد بالماء الحار إنكسرت قوة الحر وقوة البرد عما كانت ، فيبقى المتحد مرتبة متوسطة بين البرد المحض والحر المحض ، وكذلك الماء واللبن وسائر صور الاتحاد.<sup>(5)</sup>

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج3 ، ص 127 ، أنظر في ذلك والفورد جون ف : يسوع المسيح ربنا ، ص 138 .

(2) المصدر نفسه ، ج2 ، ص 277-278 .

(3) المصدر نفسه ، ج2 ، ص 278 .

(4) المصدر نفسه ، ج2 ، ص 272 .

(5) المصدر نفسه ، ج3 ، ص 127 .

ونرى ابن تيمية يستدل ببعض النتائج العلمية البحتة ليثبت فساد القول بالإتحاد مع بقاء المشيئتين اللاهوتية والناسوتية على حالها ، وهو يكشف بذلك عن توظيفه لعلم الطبيعيات في مجال الجدل الديني مع النصاري .

وعلى هذه الفرضيات المنطقية يثبت ابن تيمية فساد القول بالإتحاد إذ بطلان هذه المقدمات يستلزم القول "باتحاد اللاهوت بالناسوت" إمتزاجهما ، وذلك يستلزم نقص اللاهوت عما كان ، وسلب كماله الذي يختص به ، وبطلان صفاته التامة ، بحسب ما حصل له من ذلك الناسوت بحكم الإتحاد<sup>(1)</sup> ، كما أنه يوجب من كمال الناسوت ما لم يكن.<sup>(2)</sup>

وإلا فإن كان اللاهوت كما كان فلا اتحاد بوجه من الوجوه ، بل الناسوت كما كان ، وهما بذلك إثتان، لم يتحد أحدهما بصاحبه ولا صارا شيئا واحدا.<sup>(3)</sup> وهذا يبطل اختصاص المسيح بالإتحاد ، لأنه مع كون الجوهر واحد يجب معه أن تكون مشيئته واحدة وطبيعته واحدة ، وهم يقولون بمشيئتين.

ويتضح من هذه المسألة حرص ابن تيمية على إقامة الدليل على تناقض أقوال اليعقوبية، فكان منهجه يعتمد على إيراد جملة من اللوازم الكلامية توجب التضاد والتمايع<sup>(4)</sup> من عدة وجوه نجمها في النقاط التالية :

- إن كان محل إحدى المشيئتين محل للأخرى ، لزم اجتماع الضدين ، وهذا ممتنع .
- أن الإرادة الناسوتية تطلب الأكل والشرب ، وأن تعبد وتصوم وتصلي واللاهوتية توجب امتناعه من إرادة هذه الأشياء .
- أن إرادة اللاهوت أن يخلق ويرزق ويدبر العالم ، والناسوتية تمتنع من هذه الإرادة ، فإن قامت الإرادتان والكراهتان بمحل واحد ، لزم أن يكون ذلك الجوهر الموصوف بهذا وهذا مريدا للشيء ممتنعا عن إرادته ، غير مريد له كارها للشيء ، غير كاره له ، فتكون رغبات الطبيعتين الإلهية والإنسانية متعارضة.
- كما يمتنع أن يقوم بالموصوف الواحد إرادتان جازمتان بالشيء ونقيضه أو كراهيئتان جازمتان بالشيء أو نقيضه ، والفعل لا يقع إلا بإرادة جازمة مع القدرة . وهذا يتعين معه أن يصير الشيء الواحد مريدا للشيء إرادة جازمة قادرا عليه ليس مريدا له إرادة جازمة ، بل هو عاجز عنه.<sup>(5)</sup>

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج3 ، ص 127.

(2) قارن هذه النتيجة بما جاء عن القاضي عبد الجبار المغني ، ج5 ، ص 137-139.

(3) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج3 ، ص 127.

(4) أنظر عن تمايز الطبيعتين الإلهية والإنسانية : والفورد جون ف : يسوع المسيح ربنا ، ص 143.

(5) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج3 ، ص 128.

ويتضح من هذه الوجوه التي تترتب عن قول اليعقوبية تناقض أقوالهم وفساد دعواهم في حق الله تعالى .

ويتبع ابن تيمية رده على المسيحولوجيا اليعقوبية بالحديث عن الصلب ، فالقول بأن المسيح أصبح جوهرًا واحدًا ينتج عنه القول بصلب الإله وضربه والبصق عليه ، وهذا لازم للنسطورية والملكية . فكثير منهم يصرح أن هذا فعل باللاهوت والناسوت جميعا ، وشريعة إيمانهم تدل على ذلك ، فبيان فساد مقالته هو بيان فساد ذلك القانون<sup>(1)</sup> وتبقى اليعاقبة أكثر وفاء بذلك لأنها تصرح بوقوع الفعل على اللاهوت والناسوت ، وهو ما عبر عليه الحسن بن أيوب بقوله : " فإن كانت الشريعة - بمعنى الأمانة - عندهم حقا ، فالقول ما قال يعقوب"<sup>(2)</sup> وهذا القول لازم لمن أنكره من النسطورية والملكية ، فإنه مع الإتحاد يمتنع أن تحل هذه العقوبات في هذا دون ذلك ، فلا يمكن أن يحل في الناسوت دون اللاهوت ، فإنما هذا يتصور إذا كانا إثنين.<sup>(3)</sup>

" وحينئذ فما قالوه من التعدد والموت الذي يوجب المباينة، وأنه لا يتصف أحدهما بما يتصف به الآخر، ولا يحل به ما حل به ، فيكون متناقضا لهذا."<sup>(4)</sup>

فابن تيمية يربط بين أقوال النصارى في التثليث وفي المسيحولوجيا ليذكرنا أن قولهم باتفاق الأقانيم يتناقض مع ما ذكروه من المباينة بين اللاهوت والناسوت لكي لا يلزمهم من ذلك نسبة الموت والتعدد لللاهوت ، ليؤكد عن تناقض الإلهيات النصرانية، فيخلص إلى أن أحسن أحوالهم أن يتناقضوا في الإتحاد كما تناقضوا في التثليث، وهذا حقيقة قول خيار هؤلاء يتكلمون بالكفر وبما يناقضه وبالتوحيد وبما يناقضه.<sup>(5)</sup> " كقولهم جميعا أنه صعد إلى السماء وقعد عن يمين أبيه مع قولهم إن اللاهوت مع الناسوت قعد عن يمين الأب .

ويقولون مع ذلك إن اللاهوت القاعد عن يمين الآخر هو ذلك الآخر، وهما جوهر واحد وإله واحد مع قوله إنه إله حق من إله حق فمناقضاتهم كثيرة."<sup>(6)</sup>

إن أهم ما نستخلصه من تحليلات ابن تيمية لمسيحولوجيا الفرق النصرانية ، هو رفضه لدعوى تجسد اللاهوت بالناسوت، وقد تفحص أقوالهم من وجهة نظر كلامية فلم يجد لها أساسا لتناقضها ونقضها لدلائل العقول ، فكان طريق الإلزام ، والتعريف ، وبناء النتائج على المقدمات من الآليات المستعان بها في التأكيد على ذلك.

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 3 ، ص 172.

(2) ابن أيوب الحسن : رسالته إلى أخيه ، المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 329.

(3) المصدر نفسه ، ج 3 ، ص 172.

(4) المصدر نفسه ، ج 3 ، ص 172-173.

(5) المصدر نفسه ، ج 3 ، ص 173.

(6) المصدر نفسه ، ج 3 ، ص 45.

## المطلب الثاني : مناقشة الأدلة النقلية .

يحرص النصارى على إثبات ما يعتقدونه باستنادهم على حجج نقلية ، وينصب اهتمامهم على النصوص الانجيلية والتوراتية ، كما أنّ جدلهم مع المسلمين قد دفع بهم للبحث عما يكون صالحا من النصوص القرآنية لتبرير دعواهم الألوهية والتجسد في المسيح ، فكان ذلك دافعا لتقسيم هذا المبحث إلى عنصرين

1- مناقشة الأدلة الكتابية.

2- مناقشة الأدلة القرآنية.

### أولا- مناقشة الأدلة الكتابية:

أولى ابن تيمية الحجج الكتابية عناية فائقة ، إذ يورد العديد من النصوص الإنجيلية والتوراتية ، وقد أوردنا البعض منها مما كان له علاقة مباشرة في إبطال دعوى الإتحاد ودلّ عليه بصريح العبارة ، على أنّ ذلك لم يمنع من التعرّيج على البعض الآخر أو الإشارة إليه إشارة خفيفة.

و "ابن تيمية" في مناقشته للأدلة الكتابية التي استدلّ بها النصارى لإثبات ألوهية المسيح واتّحاد اللاهوت بالناسوت ، قد ركّز على ثلاث نقاط نعرضها فيما يلي :

1- إبطال دلالة الكتب على الإتحاد.

2- إبطال الإستدلال بالمتشابه.

3- إبطال ألوهية المسيح بنصوص الكتب .

### 1- إبطال دلالة الكتب على الإتحاد :

يتفق أصحاب الردود الإسلامية على إبطال دعوى النصارى في إثبات ألوهية المسيح وإتحاد اللاهوت بالناسوت ، ورفض استدلالهم بنصوص كتبهم ، إذ الأمر بالنسبة إليهم لا يعدو أن يكون خطئا فادحا في فهم النصوص الكتابية وتأويلها تأويلا فاسدا لا يتفق مع مجمل الآيات الصريحة التي تنطق بعبودية المسيح.(1)

وقد سعى " ابن تيمية " إلى التأكيد على احتمالها معنى يختلف عن مفهوم النصارى لها، وهذه

نماذج منها :

(1) أنظر في هذا الموضوع على سبيل المثال :

- القاضي عبد الجبار : تثبيت دلائل النبوة ص 113-114

- رد ابن أيوب الحسن : الجواب الصحيح ج2 ص 361-362.

- ابن قيم الجوزية : هداية الحيارى من اليهود والنصارى ، ص 94-97.

## النص الأول:

ما يذكر عن المسيح أنه قال : [ أنا وأبي واحد من رأني فقد رأى أبي. ]<sup>(1)</sup>  
 فالنصارى تستدل بهذا النص لإثبات ظهور الرب بالمسيح واتحاده به غير أن ابن تيمية يرى أنه يدل على ظهور نوره ومعرفته لا على الحلول والاتحاد، وحجته في ذلك أن "هذا أمر مشترك بين المسيح وغيره ، فلا اختصاص للمسيح بهذا ، وهذا أيضا قد يسمى حلولا وعندهم أن الله يحل في الصالحين".<sup>(2)</sup> فيستدل ابن تيمية على ما ذهب إليه من نصوص الكتب الالهية :  
 يقول داود عليه السلام في مناجاة ربه : [ليفرح المتوكلون عليك إلى الأبد ويبتهجون ، وتحل فيهم ويفتخرون].<sup>(3)</sup>

وهذا النص يدل على أنه يحل في الصالحين وأنه لا اختصاص للمسيح بهذا الحلول ، وليس المراد بهذا حلول ذات الله نفسه واتحادها بالبشر، ويصير اللاهوت والناسوت شيئا واحدا كالنار والحديد والماء واللبن ، بل هذا يراد به حلول الإيمان به ومعرفته ومحبته وذكره وعبادته ، ونوره وهده.<sup>(4)</sup>  
 كما يستدل على إمكانية وقوع هذا الحلول بحق موسى الذي قال :

- قال أشعيا النبي : [قل لصهيون هنا نفرح وننتهل ، فإن الله يأتي ويخلص الشعوب ، ويخلص من آمن به ، ويشيعه ، ويخلص مدينة بيت المقدس ، ويظهر الله ذراعه الطاهر فيها لجميع الأمم المبددين، ويجعلهم أمة واحدة ، ويصترون جميع أهل الأرض من خلاص الله ، لأنه يمشي معهم ، وبين يديهم ، ويجمعهم إله إسرائيل].<sup>(5)</sup>

(1) نص من إنجيل يوحنا الاصحاح 14-10 بلفظ [من رأني فقد رأى أيضا الأب فكيف تقول أنت أننا الأب ، أما تؤمنون أنني في الأب والأب هو في ...] العهد الجديد (نسخة واطس) ، ص 141 ، وانظر انجيل يوحنا الاصحاح 14/10-11 ، العهد الجديد (نسخة جمعيات الكتاب المقدس) ، ص 175.

وفي انجيل يوحنا الاصحاح 10/30 [أنا والأب واحد] العهد الجديد (نسخة واطس) ، ص 134 ، والعهد الجديد (نسخة جمعيات الكتاب المقدس) ، ص 167.

(2) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج2 ، ص 175.

(3) المصدر نفسه ، ج2 ، ص 175 ، النص من سفر المزامير الاصحاح 5/11-12 بلفظ [وليفرح بك جميع المتكلمين عليك ، إلى الأبد يبتهجون وتحل فيهم ويفتخر بك كل الذين يحبون اسمك] ، العهد القديم (نسخة واطس) ص 2 وانظر : العهد القديم (نسخة جمعيات الكتاب المقدس) ص 5.

(4) المصدر نفسه ، ج2 ، ص 185.

(5) المصدر نفسه ، ج2 ص 189. والنص من سفر أشعيا الاصحاح 52/9-12 بلفظ [افرحوا وسبحوا جميعا يا خرابي اورشليم فإن الرب عزى شعبه فذا اورشليم ، هيا الرب ذراعه المقدس في أعين جميع الأمم ويرون جميع حدود الأرض خلاص إلهنا ، انصرفوا انصرفوا أخرجوا من هناك لا تمسوا النجس أخرجوا من وسطها تطهر يا حاملي أنية الرب لأنكم لا تخرجوا بحقه ولا في هرب تسعون فإن الرب يسبقكم ويجمعكم إله إسرائيل] العهد القديم (نسخة واطس) ص 179 ، وانظر العهد القديم (نسخة جمعيات الكتاب المقدس) ص 1057.



- قال موسى لبني إسرائيل: [لا تهابوهم ولا تخافوهم، لأن الله ربكم سائر بين أيديكم هو محارب عنكم].<sup>(1)</sup>

وفي المزمور قال: [وليفرح المتكلمون عليك إلى الأبد ويبتهجون ويحل فيهم ويفتخرون].<sup>(2)</sup>  
فأخبر أنه يحل في جميع الصديقين أي معرفته ومحبهه فإنهم متفقون على أن ذات الله لم تحل في الصديقين ، وكذلك في رسائل يوحنا الإنجيلي : [إذا أخفى بعضنا بعضا نعلم أن الله يلبث فينا]<sup>(3)</sup> أي محبهه.<sup>(4)</sup>

- جاء في سفر الملوك : [والآن يا رب إله إسرائيل لتحقق كلامك لداود ، لأنه حق أن يكون ، إنه سيسكن الله مع الناس على الأرض ، إسمعوا أيتها الشعوب كلكم ، ولتتصت الأرض، وكل من فيها فيكون الرب عليها شاهدا من بيته القدوس ، ويخرج من موضعه وينزل ويطأ على مشارق الأرض في شأن خطيئة بني يعقوب هذا كله].<sup>(5)</sup>

فقالوا أن سكونه هو ظهوره في المسيح عليه السلام . فرد ابن تيمية هذه الدعوى واعتبر النص دالا على الظهور الممكن المعقول ، كظهور معرفته ومحبهه ، ونوره وذكره وعبادته . وهذا لا فرق فيه بين المسيح وغيره ، وليس في حلول معرفته ومحبهه ومثاله العلمي ما يوجب اتحاد ذاته به.<sup>(6)</sup>  
- قال حبقون النبي: [ إن الله في الأرض يتراى ويختلط مع الناس ، ويمشي معهم].<sup>(7)</sup>

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج2 ص 160. والنص من سفر التثنية ، الاصحاح 29/1 بلفظ [فقلت لكم لا تخشوا ولا تفزعوا منهم ، فإن الرب الإله يسير أمامكم فهو يقاتل عنكم] العهد القديم (نسخة واطس) / ص 210 ، وانظر العهد القديم (نسخة جمعيات الكتاب المقدس) ص 178.

(2) المصدر نفسه ، ج2 ص 194. النص سبق تخريجه .

(3) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج2 ص 194. والنص من رسالة يوحنا الأولى ، الاصحاح 12/4 بلفظ [أما الله فلم يره أحد قط وإن نحن أحببنا بعضنا بعضا فإن الله حال فينا ومحبهه تكون فينا كاملة]. العهد الجديد (نسخة واطس) ص 325 ، وانظر العهد الجديد (نسخة جمعيات الكتاب المقدس) ص 389.

(4) المصدر نفسه ، ج2 ، ص 194.

(5) المصدر نفسه ، ج2 ص 196. النص من سفر أخبار الأيام الثاني ، الاصحاح 17/6-18 بلفظ [والآن أيها الرب إله إسرائيل فليتحقق كلامك الذي كلمت به عبدك داود ، لأنه هل يسكن الله حقا مع الانسان على الأرض...] العهد القديم (نسخة جمعيات الكتاب المقدس) ص 687.

(6) المصدر نفسه ، ج2 ص 197.

(7) المصدر نفسه ، ج2 ص 205 . النص انظر سفر حبقون الاصحاح 4/3-5 بلفظ [الله يأتي من النسيم والقدوس من جبل فاران ستر مجده السموات والأرض ممثلية من حمده وشعاعه يكون مثل النور بيده القرون هناك مختفية جيروته...] العهد القديم (نسخة واطس) ص 387، وانظر العهد القديم (نسخة جمعيات الكتاب المقدس) ص 1321. وانظر سفر التثنية ، الاصحاح 3/9 العهد القديم (نسخة واطس) ص 222.

- وقال "أرميا" النبي : [ الله بعد هذا في الأرض يظهر وينقلب مع البشر فيقول : أنا الله رب الأرباب].<sup>(1)</sup>

وفي دراسة ابن تيمية للنصين الأخيرين يذكرنا بضرورة ثبوت هذه النصوص تاريخياً قبل تفحص معناها ، ومن ذلك "إثبات نبوة هذين ، وإلى ثبوت النقل عنهما ، وثبوت الترجمة المطابقة ، وبعد هذا يكون حكم هذا الكلام حكم نظائره ، ففي التوراة ما هو من هذا الجنس ، ولم يدل ذلك باتفاق المسلمين واليهود والنصارى على أن الله حل في موسى ، ولا في غيره من أنبياء بني إسرائيل ، بل قوله يتراى بمنزلة يتجلى ويظهر ، وقد ذكر في التوراة أنه تجلى وترأى لإبراهيم وغيره من الأنبياء عليهم السلام من غير أن تكون ذاته حلت بأحد منهم".<sup>(2)</sup>

فقراء "ابن تيمية" لنصوص الإنجيل تثبت أن ما تستدل به النصارى على حلول الله في المسيح واتحاد ذات اللاهوت به، هي نظير ما في التوراة من النصوص الدالة على مثل ذلك ، ومع ذلك لم تدل على اتحاد الرب بموسى وحلوله فيه ، "وكذلك هذا اللفظ لا يدل على أنه حال في المسيح ومُتحد به ، إذ كلاهما سواء ، وإذا قيل : المراد قربه ودنوه كتكليم موسى ، وظهور نوره وهدهد وكتابه ، ودينه ، ونحو ذلك من الأمور التي وقعت ، قيل : وهكذا في المسيح عليه السلام".<sup>(3)</sup>

ويدعم ابن تيمية رأيه بقياس هذه النصوص بما جاء في القرآن الكريم مثل قوله تعالى : ﴿ وَكَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ... ﴾<sup>(4)</sup> ، "فهو سبحانه له المثل الأعلى في قلوب أهل السموات وأهل الأرض".<sup>(5)</sup> وعلى هذا المعنى يفسر ابن تيمية ما استدلل به النصارى على الاتحاد من قول المسيح [أنا وأبي واحد ، من رأيي فقد رأي أبي].

وخلاصة ما نذهب إليه أن ابن تيمية لا ينكر النصوص الدالة على الحلول لكنه يؤكد على أن اللفظ لا يدل على حلول ذات الله في المسيح بدليل إطلاقه على غير المسيح كالأنبياء والصالحين بشهادة الكتب ، ولا يوجد مبرر لاختصاص المسيح بهذا الحل دون غيره ، ولو أثبتوا ذلك للمسيح للزم إثباته لغيره .

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج2 ، ص 205 . لم نعثر على هذا النص في العهد القديم ولعل ذلك راجع لاختلاف النسخ.

(2) المصدر نفسه ، ج2 ، ص 205.

(3) - ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج2 ، ص 189-190 .

- يشير صاحب الفارق بين المخلوق والخالق إلى خطأ المترجم في نسبة هذه التسمية للمسيح ويؤكد أن المراد من هذا اللفظ هو النبي أشعيا . ص 27.

(4) سورة الروم : آية 27.

(5) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج2 ، ص 175.

## النص الثاني:

وقال اشعيا النبي : [ ها هي العذراء تحبل وتلد ابنا ، ويدعى اسمه عمانوئيل].<sup>(1)</sup> فاستدلت النصارى بهذا النص على الإتحاد بشهادة النبي "أشعيا" أنّ مريم ولدت اللاهوت المتحد بالناسوت كلاهما.<sup>(2)</sup>

فردّ عليهم ابن تيمية الاستدلال بهذا النص ، لأنّ كلمة "عمانوئيل" كلمة عبرانية معناها "إلهنا معنا".<sup>(3)</sup>

لذلك فليس في هذا النص ما يدل على أنّ مريم ولدت اللاهوت المتحد بالناسوت أو أنّها ولدت خالق السموات والأرض ، بل إنّ هذا الكلام يدلّ على أنّ المولود ليس هو خالق السموات والأرض بدلالة قوله : "تلد ابنا".<sup>(4)</sup>

وهذا نكرة في الإثبات وهذا يدلّ على أنّه ابن من البنين ليس هو خالق السموات والأرض ، ثم قال: ويدعى اسمه "عمانوئيل" فدلّ بذلك على أنّ هذا إسم يوضع له ، ويسمى به كما يسمّى الناس أبناءهم بأسماء الأعلام أو الصفات التي يسمونهم بها.<sup>(5)</sup>

فيكون المراد بهذا اللفظ أحد معنيين : إمّا أن يكون معناه إلهنا معنا بالنصر والإعانة، وإمّا أن يطلق على المسيح تسمية إله ، كما كان يطلق على موسى بأنه إله فرعون وهذا يعني به الأمر النهائي له، المسلط عليه.<sup>(6)</sup>

ويحتج ابن تيمية بنص آخر من الإنجيل ينفي فيه المسيح عن نفسه ما تأولته النصارى وهو قوله [إنك أنت الإله الحق وحدك الذي أرسلت يسوع المسيح]<sup>(7)</sup> ، فإنّ إدعوا إلهية المسيح وقالوا أنّه الربّ ولا إله غيره وأنه يحيي ويميت ألزمهم بطلانه وإثبات ما جاء في الإنجيل ، وتكذيب من كتب في الانجيل أنّ "عمانوئيل" تأويله "الله معنا" بل تأويله "معنا إله" . وهو اسم لم يختص بالمسيح وحده بل النصارى يتسمون به وتسمّى به اليهود قبلهم.<sup>(8)</sup>

(1) ابن تيمية: الجواب الصحيح، ج2، ص211. النص من انجيل متى الإصحاح23/1. بلفظ [ها هو ذا العذرى تحبل وتلد ابنا ويدعون اسمه عمانوئيل الذي تفسيره الله معنا] العهد الجديد(نسخة واطس) ص2. والعهد الجديد(نسخة جمعيات الكتاب المقدس)ص4.

(2) المصدر نفسه ، ج2 ، ص 211.

(3) المصدر نفسه ، ج2 ، ص 211.

(4) المصدر نفسه ، ج2 ، ص 212.

(5) المصدر نفسه ، ج2 ، ص 212.

(6) المصدر نفسه ، ج2 ، ص 212.

(7) المصدر نفسه ، ج2 ص 213.

(8) المصدر نفسه ، ج2 ، ص 213 . وانظر عن هذا النص ، ابن القيم : هداية الحيارى . ص 94-95.

### النص الثالث:

استدلّ النَّصَارَى بما جاء عن "أرميا" النبي إذ يذكر عن ولادته في ذلك الزمان أنّه: [يقوم لداود ابن ، وهو ضوء النور يملك الملك ، ويعلم ويفهم ويقم الحق والعدل في الأرض ، ويخلص من آمن به من اليهود ، ومن بني إسرائيل ، وغيرهم ، ويبقى بيت المقدس بغير مقاتل ، ويسمى الإله]<sup>(1)</sup> فهذا النص ليس للنَّصَارَى ما يقيم لهم حجّة على الإتحاد أو ألوهية المسيح إلّا ما تأولوه من سوء فهمهم مع أنّ النص صريح بأنّ المسيح :

- [ ابن لداود] لأنّ مريم كانت من نسل داود ولأجل ذلك قال [يقوم لداود ابن] ولم يدلّ على أنّه ابن الله.

- إنّ قوله [واسمه الإله] لا يدلّ على أنّه هو الله ربّ العالمين ، وإنّما لفظ الإله إسم سميّ به كما سمي موسى إله لفرعون عندهم في التوراة .

- أنّ قوله [يقوم لداود ابن هو ضوء النور] يدلّ على أنّ الابن من نسل داود والآهوت ليس من نسل بشر وهذا إشارة للمخلوق لا الإله الخالق.

- أمّا وصفه بأنّه ضوء النور فإنّه لم يجعله النور كلّّه ، كما أنّ ذلك ليس فيه ما يدلّ على الإتحاد والألوهية، فقد ثبت لمحمد -صلى الله عليه وسلم- أنّ سماه الله سراجا منيرا ، ولم يكن ذلك داعيا لإثبات الحلول فيه.<sup>(2)</sup>

والملاحظ أنّ ابن تيمية يستنتج في كلّ مرّة التناقض واللبس في الصيغ المسيولوجيا ، ليؤكد التّعارض القائم بين تصوّر الفكري العقدي الذي ينسب الألوهية للمسيح ، وبين النصوص الإنجيلية التي تثبت عبودية المسيح .

على أنّ ابن تيمية يعتبر هذا الأمر ممتنعا لأنّ صريح العقل يحيل مجيء الربّ نفسه وحلوله ، أو اتّحاده بناسوت بشري . ولو كان هذا الأمر ممكنا<sup>(3)</sup> "لكان الأنبياء يخبرون بذلك إخبارا صريحا بيّنا ، لا يحتمل التأويلات ولكان الرب يظهر في ذلك من الآيات ما لم يظهر على يد رسول ولا نبي ، فكيف والأنبياء لم ينطقوا في ذلك بلفظ صريح ، بل النصوص الصريحة تدلّ على أنّ المسيح مخلوق ، ولم تأتي آية على خلاف ذلك ، بل إنّما تدلّ الآيات على نبوة المسيح."<sup>(4)</sup>

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج2 ص 167 ، النص من نبوة "أرميا" الإصحاح 5/23-6 بلفظ [ما أياما تأتي يقول الرب وأقيم لداود نسلا عادلا ، ويملك ملكا ويكون حكما ويصنع قضاء وعدلا في الأرض ، في تلك الأيام يخلص يهوذا واسرائيل يسكن مطمنا وهذا هو الإسم الذي به يدعو به الرب صديقنا] . العهد القديم (نسخة واطس) ص 219 وانظر العهد القديم (نسخة جمعيات الكتاب المقدس) ص 1109 .

(2) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج2 ص 187-188 .

(3) المصدر نفسه ، ج2 ، ص 188 .

(4) المصدر نفسه ، ج2 ص 189 .

### النص الرابع:

يستدل النصارى على ألوهية المسيح بشهادة "أشعيا" إذ قال : [من أعجب الأعجاب أن رب الملائكة يولد من البشر].<sup>(1)</sup>

فيرفض "ابن تيمية" أن يكون قد أراد بهذا القول أنه رب العالمين يولد من البشر، لأنه لو أراد ذلك لم يقيد ربوبيته للملائكة فقط لأن الله رب كل شيء لكن قد يريد أنه ولد من البشر من يكون سيد الملائكة تخدمه وتكرمه ، كما سجدت الملائكة لأبي البشر آدم.<sup>(2)</sup>

"والنصارى يسلمون أن اللاهوت ما هو متولد من البشر، وإنما المتولد من البشر هو الناسوت وليس هو رب العالمين بالإتفاق ، فعلم أنه لا حجة لهم في ظاهر اللفظ إن قدر سلامته من التغيير"<sup>(3)</sup> ملمحا بذلك لتناقض الصيغ التي يعبرون بها عن عقائدهم ، فالنصارى تثبت للمسيح تولده من البشر من جهة ناسوته وتأولها لهذا النص يثبت أنه متولد من البشر من جهة لاهوته.

وبالرغم من تفسير "ابن تيمية" لهذا النص بمعنى يليق بالله ويصرفه عن دعوى الحلول والاتحاد فإنه يؤكد من جهة أخرى على ضرورة تفحص سلامة النصوص من التحريف .  
و يفسر ابن تيمية هذا النص ضمن منظومة كلية للكتاب المقدس ، فيوظف عددا من الشواهد الإنجيلية يدعم بها موقفه ومن ذلك :

- ما جاء في إنجيل متى : [أن ابن الإنسان يرسل ملائكته ويجمعون كل الملوك على الأمم فيلقونهم في أتون النار]<sup>(4)</sup>

ويستشهد في تفسيره هذا النص بقول أحد علماء النصارى إذ قال : "لم يرد بذلك أن المسيح رب الأرباب ، ولا أنه خالق الملائكة ، بل رب الملائكة أوصى الملائكة بحفظ المسيح"<sup>(5)</sup> بشهادة النبي القائل: [إن الله يوصي ملائكته بك ليحفظوك]<sup>(6)</sup>

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج2 ، ص 216 ، لم نعثر على هذا النص في سفر أشعيا وربما يكون في نسخ أخرى قديمة.

(2) المصدر نفسه ، ج2 ، ص 216.

(3) المصدر نفسه ، ج2 ، ص 216.

(4) المصدر نفسه ، ج2 ، ص 216 ، النص من إنجيل متى ، الإصحاح 13/31-32 بلفظ [فيرسل ابن الإنسان ملائكته ، ويجمعون من مملكته جميع الشوك وفاعلي الإثم ، فيلقونهم في أتون النار هناك يكون البكاء وصرير الأسنان]. العهد الجديد (نسخة واطس) ص 18. وإنجيل متى الإصحاح 13/41-42. العهد الجديد (نسخة جمعيات الكتاب المقدس) ، ص 25.

(5) المصدر نفسه ، ج2 ، ص 216.

(6) المصدر نفسه ، ج2 ، ص 216. النص من سفر المزامير الإصحاح 111/90 بلفظ [لأنه يوصي ملائكته بك ليحفظوك في سائر طرقك] العهد القديم (نسخة واطس) ص 51. وسفر المزامير 111/91 ، العهد القديم (نسخة جمعيات الكتاب المقدس) ، ص 67.

- ثم شهادة "لوقا" أن الله أرسل له ملكا من السماء ليرقبه.<sup>(1)</sup>  
" وإذا شهد الإنجيل باتفاق الأنبياء والرسل بأن الله يوصي ملائكته بالمسيح فيحفظونه ، علم أن الملائكة تطيع المسيح بالأمر، وهو والملائكة في خدمة رب العالمين."<sup>(2)</sup>  
والخلاصة أن ابن تيمية بعد هذه الدراسة التحليلية للنصوص الكتابية يؤكد أن جميع النبوات بما فيها الإنجيل والتوراة والزبور وسائر نبوات الأنبياء لم تخص المسيح بشيء يقتضي اتحاد اللاهوت بالناسوت وحلوله فيه - كما يقوله النصارى - بل لم تخصصه إلا بما خصه به محمد - صلى الله عليه وسلم -<sup>(3)</sup> في قوله : ﴿ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ... ﴾ .<sup>(4)</sup>  
ودحض هذه النصوص الإنجيلية التي تعتبر الأساس في إثبات النصارى لألوهية المسيح هو تأكيد على التأويل الفاسد لأقوال الأنبياء ، وهو من جهة أخرى يدعم مقولة كون هذه العقيدة لا تعدو أن تكون نظرية بشرية تفتقر إلى الدليل الإلهي.  
فيعسى نبي مرسل كغيره من الأنبياء لا يلزم من ذلك اختصاصه بالألوهية ، فكل ما ادعته النصارى فيه من نبوة وإلهية باطل ، لأن الكلمات التي بنت عليها دعواها في الحلول والاتحاد مشتركة بين المسيح وغيره ، وهي من المتشابه الذي لا يستدل به في إثبات العقائد .

## 2- إبطال الاستدلال بالمتشابه:

سعى "ابن تيمية" للتأكيد على عدم قيام الدليل الذي يثبت للنصارى دعوى الاتحاد، موظفا نصوصا كتابية . ليبرز الإشارات والقرائن الصارفة عن إرادة حقائقها الظاهرة كإطلاق لفظ الابن والولد على المسيح ، ومن بين تلك النصوص : [أنا وابي واحد].<sup>(5)</sup>  
وابن تيمية يرفض تأويل النصارى للمتشابه من النصوص لأنها توهم الحلول في حق المسيح ، فيعمد إلى نصوص صريحة تصرفها عن هذا المعنى بدلالة اشتراك هذا اللفظ بين المسيح وغيره ، فقد

(1) نص شهادة "لوقا" إنجيل لوقا ، الإصحاح 27/7 بلفظ [هذا هو الذي كتب من أجله هذا مرسل أنا ملاكي قدام وجهك فيصلح طريقك أمامك] . العهد الجديد (نسخة واطس) ص 83 . والعهد الجديد (نسخة جمعيات الكتاب المقدس) ص 104 .

(2) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج2 ، ص 217 .

(3) المصدر نفسه ، ج2 ، ص 191 .

(4) سورة النساء : آية 171 .

(5) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج3 ، ص 50 . سبق تخريج هذا النص .

سمي داود ابنه كما جاء في المزمور الثاني [الذي قال لي أنت ابني وأنا اليوم ولدتك]<sup>(1)</sup> وسمى اسرائيل ابنا فقال [أنت ابني بكري].<sup>(2)</sup> فاسم الابن ليس مختصاً بالمسيح عليه السلام ، بل سمي غيره من عباده أبناء ، وحينئذ فلا يكون تسميته ابنا لكون الرب أو صفته اتحدت به.<sup>(3)</sup> وبمثل هذا يحكم على ما أطلق على المسيح من لفظ "كلمة" و "روح" و "إلهها" وكذلك ما أطلق من حلول روح القدس فيه وظهور روح الرب فيه.<sup>(4)</sup>

ويقيس ابن تيمية مثل هذا بما يتداوله الناس كقولنا : الله في قلب فلان ، وفلان ما عنده إلا الله ، ومن أراد الله فيذهب إلى فلان ، وليس مرادهم أن ذات الله في قلبه ، بل مثاله العلمي ومعرفته ومحبته، وأنه لا يريد إلا الله ، ولا يرجو إلا إياه . فما قيل في المسيح عليه السلام حق لكن لا اختصاص للمسيح بهذا.<sup>(5)</sup>

ويلاحظ ابن تيمية خطأ منهج النصارى في تفسير النصوص مما حدى بهم لتأويلها على غير وجهها الصحيح وحملها على معنى الإتحاد فيقول : " وإذا كان مثل هذا الكلام كثيرا موجودا في كلام الأنبياء وغيرهم ، بل هو المعروف في كلامهم ولا يوجد قط عن أحد من الأنبياء أنه جعل ذات الله في قلب أحد من البشر علم أن النصارى تركوا المحكم من كلام الأنبياء عليهم السلام وتمسكوا بالمتشابهة كأمثالهم من الضلال ، فاشتبه عليهم المعلوم بالقلوب ، المذكور بالألسن ، بالموجود في نفسه ، فظنوا أن نفس المثال العلمي هو الوجود العيني."<sup>(6)</sup>

ومع بطلان ذلك فابن تيمية لا ينكر وجود مثل هذه الدعوى في بعض المبتدعين المنتسبين للإسلام وذلك لما اشتبه عليهم من نحو قوله تعالى لمحمد - صلى الله عليه وسلم- : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ...﴾<sup>(7)</sup> وقوله : ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ...﴾<sup>(8)</sup> فإذا قال بعض ملاحدة المسلمين من الشيعة، أو المتصوفة، أو غيرهم: (إن الله اتحد بمحمد) لقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾ .

- 
- (1) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 2 ص 288. النص من سفر المزامير ، الاصحاح 7/2 بلفظ [الرب قال لي أنت ابني وأنا اليوم ولدتك] ، العهد القديم (نسخة واطس ص 1 . والعهد القديم (نسخة جمعيات الكتاب المقدس) ص 3.
- (2) المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 288. سبق تخريج هذا النص.
- (3) المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 288. وانظر في ذلك بالتفصيل الهندي رحمة الله : إظهار الحق ، ج 1 ص 420-424.
- (4) عن النصوص الكتابية الخاصة بإطلاق هذه الألفاظ على غير المسيح ، أنظر باجه جي زاده عبد الرحمن : الفارق بين المخلوق والخالق ، ص 344-345.
- (5) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 2 ، ص 209.
- (6) المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 209.
- (7) سورة الفتح : آية 10.
- (8) سورة النساء : آية 80.

كان هذا من جنس قول النصارى ، والآية لم تدلّ على ذلك ، بل مبايعة الرسول مبايعة لله ، لأنّ الرسول أمر بما أمر الله به ، ونهى عما نهى الله عنه. (1)

وهذا يبرّر قناعة ابن تيمية لرفضه استدلال النصارى بالمتشابه فيطالبهم بتفسيره ، والجمع بينه وبين المحكم على وجه صحيح معلوم وعندهم من الألفاظ الصريحة التي تبين أنّ المولود إنّما هو بشر. (2) وهي النتيجة التي توصلت إليها أبحاث حديثة أكّدت على أنّ المسيح لم يدع الألوهية وذلك إنّما هو عملية تأويلية لاحقة لنصوص الأناجيل. (3)

والإفان حاول النصارى تبرير ذلك بقولهم : "هذا فوق العقل لا نفهمه قبل لهم : فدعوا المتشابه لا تحتجون به ، ولا تذكرون له معنى تزعمون أنّكم لا تعقلونه." (4) فلا تقوم لهم حجة على ذلك وتبقى دعواهم في الإتحاد والحلول مجردة عن أي دليل.

ويتضح من خلال مناقشة ابن تيمية لنصوص النصارى اعتماده على نصوص الأنبياء اعتمادا كلياً في إثبات أصول العقائد ، فهذا ممّا اتفقت عليه جميع الكتب والرسول ، وهو من المحكم الذي لا يجوز أن تأتي شريعة بخلافه ولا يخبر نبي بخلافه ، إذ أنّ المفترض بالنسبة إليه أن يكون كلام الأنبياء مصدقاً لبعضه البعض. (5) وهذا يعكس موقفه في تقديم الدليل النقلى في مجال الإستدلال.

وطريقة "ابن تيمية" موضوعية للغاية ، فهو يرفض تأويل النصوص المقدسة على غير وجهها ، لأنّ في ذلك فتح المجال لإعمال الرأي فيها - وهو عين ما اتبعته النصارى في تفسير نصوصها - لهذا يؤكد في منهجه على شرعية الفهم المستمدة من النص ، وقد وضع لذلك ضوابط ، بحيث لا نخرج بالفهم عن المنظومة الكلية للكتاب المقدس ، ومن ذلك :

- تفسير ما تشابه من الألفاظ وفق ما دلت عليه النصوص الصريحة.
- تقديم النصوص الصريحة في مجال الإستدلال .
- تفسير النص وفق لغة النبي وعادته في الخطاب .
- قياس نصوص الكتب المقدسة بنصوص القرآن لثبوته بالتواتر.

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج3 ، ص 50.

(2) المصدر نفسه ، ج3 ، ص 50-51.

(3) جنبير : المسيحية نشأتها وتطورها ، ص 39 وما بعدها .

(4) المصدر نفسه ، ج3 ، ص 51.

(5) المصدر نفسه ، ج3 ، ص 51.



### 3- إبطال إلهية المسيح بالأدلة الكتابية :

وظف ابن تيمية عددا من الآيات الإنجيلية يبطل بها دعوى الألوهية في المسيح ، وهي تقوم مقام الآيات المحكمة والصريحة التي تثبت أن عيسى مرسل ، متضرع إلى ربه ، وخالق ، وداع ربه ، وهذه ألفاظ تدل بصريح العبارة أن عيسى تعتريه الأعراض الحادثة ، وهذا يلزمهم الإعراف له ببشريته ، ومن بين تلك النصوص :

قول المسيح عليه السلام لما سئل عن علم الساعة فقال : [ لا يعلمها إنسان ، ولا الملائكة الذين في السماء ، ولا الابن إلا الأب فقط ]<sup>(1)</sup> وهذا النص يعتبره ابن تيمية بمثابة الدليل القاطع على نفي إلهية عيسى وإثبات إنسانيته ، لأنه شهد على نفسه<sup>(2)</sup> عدم علمه بالساعة وهذا يدل على شيئين : "على أن اسم الابن إنما يقع على الناسوت دون اللاهوت ، فإن اللاهوت لا يجوز أن ينفي عنه علم الساعة. ويدل على أن الابن لم يكن يعلم ما يعلمه الله ، وهذا يبطل قولهم بالإتحاد، فإنه لو كان الإتحاد حقاً كما يزعمون ، لكان الابن يعلم ما يعلمه الله ، ويقدر على ما يقدر عليه ، فإنه هو الله عندهم والناسوت لا يتميز عندهم عن اللاهوت."<sup>(3)</sup>

ويدعم ابن تيمية رأيه بشواهد إنجيلية أخرى كقول المسيح عليه السلام لتلاميذه : [ آمنوا بآسائه وآمنوا بي ]<sup>(4)</sup> ، وقال أيضا : [ من يؤمن بي فليس يؤمن بي فقط بل وبالذي أرسلني ]<sup>(5)</sup> وهم يذكرون أن المسيح عليه السلام استصرخ لله قائلاً : [ إلهي ، إلهي ، أنظر لماذا تركتني وتباعدت عن خلاصي ]<sup>(6)</sup> وبمثل هذه الشواهد يستدل ابن تيمية على تحريف النصارى لمعاني الكتب التي عندهم ، وهو يضعها موضع النصوص الصريحة التي تدل على أن المسيح عبد الله ليس هو الله ، وليس لهم من الحجج سوى ما تشابه من الآيات فيؤكد على ذلك بشهادة علمائهم ممن اهتموا إلى الإسلام.<sup>(7)</sup>

(1) ابن تيمية: الجواب الصحيح، ج2، ص 218. النص من انجيل متى الإصحاح 36/24، بلفظ [فأما ذلك اليوم والساعة لا يعرفها أحد ولا ملائكة السموات إلا الأب وحده]، العهد الجديد (نسخة واطس) ص 34. وكذلك انجيل مرقس الإصحاح 32/13، ص 64. وانظر انجيل متى العهد الجديد (نسخة جمعيات الكتاب المقدس) ص 45، وكذلك انجيل مرقس الإصحاح 28/13، ص 82.

(2) أورد صاحب الفارق بين المخلوق والخالق عددا هائلا من الشواهد الإنجيلية التي يصرح فيها المسيح بعبوديته لله وأنه نبي مرسل ، انظر في ذلك ص 346-351.

(3) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج2 ، ص 218

(4) المصدر نفسه ، ج2 ، ص 217. النص سبق تخريجه.

(5) المصدر نفسه ، ج2 ، ص 217. النص سبق تخريجه.

(6) المصدر نفسه ، ج2 ، ص 217. النص من إنجيل متى الإصحاح 27 / 36 بلفظ [إلهي إلهي لماذا تركتني ] العهد الجديد (نسخة واطس) ص 41 والعهد الجديد (نسخة جمعيات الكتاب المقدس ) ص 53-54.

(7) المصدر نفسه ، ج2 ، ص 217. من بين علمائهم ممن اهتموا إلى الإسلام وكتبوا في الرد على النصارى انظر مثلا : أبي أيوب الحسن : رسالة إلى أخيه بكتاب الجواب الصحيح لابن تيمية.

وفي خاتمة هذا التحليل لاستدلال "ابن تيمية" على بشرية المسيح بالنصوص الإنجيلية نسجل حرصه على بيان تهافت الحجج التي بنيت عليها ألوهية المسيح ، ويعتبر ذلك معارضة للخصم بسلاحه، وهي طريقة لها حظوظ أوفر للنجاح في مجال الجدل الديني .  
وهذا لا يعني أن "ابن تيمية" يسلم لهم صحة نقلهم عن الأنبياء بل إنه كثيرا ما يذكرنا بضرورة إثبات صحة النقل والترجمة عن الأنبياء ، خاصة في معرض الاستدلال بالآيات المتشابهة ، وذلك لعدم ثبوتها تاريخيا ، فإن عامة بيان صحة الإسناد دون بيان دلالة المتن ، وكلا المقدمتين باطلة.<sup>(1)</sup>

## ثانيا - مناقشة الأدلة القرآنية :

### 1- إبطال دلالة القرآن على ألوهية المسيح :

يعرض ابن تيمية النصوص القرآنية التي استدلّت بها النصارى لإثبات الإتحاد ثم يناقشها مبطلا من خلال ذلك تأويل النصارى للقرآن ، وتعرض لذلك فيما يلي :

أ- استدلال النصارى بقوله تعالى : ﴿ فَيَكُونُ طَبْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ... ﴾<sup>(2)</sup> إذ فسروه أنه : "بإذن اللاهوت الذي هو كلمة الله المتحدة في الناسوت."<sup>(3)</sup> فرد ذلك بقوله :

" وأما قولهم : إن محمدا -صلى الله عليه وسلم- كان يقول : إن المراد بأن اللاهوت كلمة الله المتحدة في الناسوت ، فهذا من البهتان الظاهر على محمد -صلى الله عليه وسلم-."<sup>(4)</sup>

فابن تيمية ينسب الكذب والافتراء والجهل والمعاندة للنصارى ، إذ زعموا نسبة هذا القول للرسول -صلى الله عليه وسلم- وأنهم فسروا ذلك بالمعنى الذي أراد . وهذا الطريق قد سلكوه في تفسير كتبهم مما أدى إلى تحريف الكلم عن مواضعه تحريفا ظاهرا "ومثل هذا التأويل غير مستنكر من النصارى ، فإنهم قد فسروا مواضع كثيرة من التوراة ، والانجيل والزبور والنبوات بنحو هذه التفاسير التي حرقوا فيها الكلام الذي جاءت به الأنبياء."<sup>(5)</sup>

ويرد ابن تيمية سبب ذلك لتركهم المحكم واتباعهم المتشابه لتأويله على غير ما دل عليه ، لكنهم

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 1 ، ص 357.

(2) سورة آل عمران : آية 49. عن اختلاف أصحاب الردود في سوق الآيات التي تستدل بها النصارى قارن بين ابن تيمية ومنهج القاضي عبد الجبار في الرد على النصارى، ص 200.

(3) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 1 ، ص 248.

(4) المصدر نفسه ، ج 1 ، ص 248.

(5) المصدر نفسه ، ج 1 ، ص 248.

في هذا الموضع حرفوا المحكم الذي معناه ظاهر لا يحتمل إلا معنى واحد ا فكانوا أبعد عن الصواب ممن حرف معنى المتشابه<sup>(1)</sup> "وذلك أنه قد علم بالإضطرار من دين محمد -صلى الله عليه وسلم- أنه كان يقول : إن المسيح عند الله مخلوق كسائر المرسلين وأنه يكفر النصارى الذين يقولون : هو الله وابن الله."<sup>(2)</sup>

ب- دعوى النصارى أن الله سمي المسيح في القرآن "خالقا" حيث قال : ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِأُذُنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِأُذُنِي...﴾<sup>(3)</sup> "فذكروا في هذا النص أنه أشار بالخالق إلى كلمة الله المتحدة في الناسوت المأخوذة من مريم ، لأنه كذا قال على لسان داود النبي : [بكلمة الله خلقت السموات والأرض ، ليس خالق إلا الله وكلمته وروحه]<sup>(4)</sup> فقالوا هذا مما يوافق رأينا واعتقادنا في السيد المسيح لذكره ، لأنه حيث قال : ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِأُذُنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِأُذُنِي...﴾ فقالوا : أي بإذن اللاهوت الكلمة المتحدة في الناسوت."<sup>(5)</sup>

فأبطل عليهم ابن تيمية تفسيرهم هذه الآية وبين وجه الخطأ فيه من عدة وجوه :

- أن الله لم يذكر عن المسيح خلقا مطلقا ، ولا خلقا عاما ، كما ذكر عن نفسه تبارك وتعالى ، إذ أول ما أنزله الله على محمد -صلى الله عليه وسلم- قوله : ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾<sup>(6)</sup> . أما المسيح عليه السلام فقال : ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِأُذُنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِأُذُنِي وَبُرِّي الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِأُذُنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِأُذُنِي...﴾<sup>(7)</sup> فلم يذكر إلا خلق شيء معين خاص بإذن الله ، فكيف يكون هذا الخالق هو ذلك؟<sup>(8)</sup>

- أنه خلق من الطين كهيئة الطير ، والمراد به تصويره بصورة الطير ، وهذا الخلق يقدر عليه عامة الناس ، والمعجزة أنه ينفخ فيه الروح فيصير طيرا بإذن الله عز وجل.<sup>(9)</sup>

(1) المصدر نفسه ، ج 1 ، ص 249.

(2) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 1 ، ص 249.

(3) سورة المائدة : آية 110

(4) النص من مزمو داود الإصحاح 6/33 . والنص بلفظ [بكلمة الرب صنعت السموات ، وينسمة فيه كل جنودها] .

(5) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 2 ، ص 287.

(6) سورة العلق : آية 1-5.

(7) سورة المائدة : آية 110.

(8) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 2 ، ص 285.

(9) المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 290.

- أن قول النصارى في قوله [ياذن الله] أي بإذن الكلمة المتحدة في الناسوت، يظهر تناقضهم وافتراءهم على القرآن ، لأن الله أخبر في القرآن أن المسيح خلق من الطين كهيئة الطير بإذن الله ، ففرق بين المسيح وبين الله ، وبين أن الله هو الأذن للمسيح فيكون زعمهم أن اللاهوت المتحد بالمسيح هو الخالق وهو الأذن تفسيرا للقرآن بما يخالف صريح القرآن.(1)

- "أن اللاهوت إذا كان هو الخالق ، لم يحتج إلى أن يأذن لنفسه ، فإنهم يقولون : هو إله واحد وهو الخالق ، فكيف يحتاج أن يأذن لنفسه وينعم على نفسه؟".(2) فابن تيمية يستكر من خلال سؤاله الإستفهامي عن خطأ النصارى في فهمهم للقرآن.

ج - وهو زعمهم أن الله ألقى كلمته إلى مريم معتبرين ذلك من جنس قولهم : "إن كلمة الله الخالقة الأزلية حلت في مريم واتحدت بإنسان كامل"(3) وذلك تفسيرا لقوله تعالى : ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ، وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ، قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرًا قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (4) فقالوا : " هذا يوافق قولنا ، إذ قد شهد أنه إنسان مثلنا بالناسوت الذي أخذ من مريم ، وكلمة الله وروحه المتحدة فيه ، وحاشا أن تكون كلمة الله وروحه الخالقة مثلنا نحن المخلوقين".(5)

" وأيضاً قوله تعالى : ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ ﴾ (6) فأشار بهذا القول إلى اللاهوت الذي هو كلمة الله التي لم يدخل عليها ألم ولا عرض ، وقوله : ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ﴾ (7) فأشار بهذا إلى اللاهوت الذي هو كلمة الله الخالقة .

فالنصارى تقول : إن المسيح صلب وتألم بناسوته ، ولم يصلب ولا تألم بلاهوته.(8) فيعترض "ابن تيمية" لسوء فهمهم للقرآن وتأويله على غير معناه ، مبطلا دعواهم على محمد -صلى الله عليه وسلم-

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 2 ، ص 290-291.

(2) المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 292.

(3) المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 299.

(4) آل عمران : آية 45-47.

(5) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 2 ، ص 279.

(6) سورة النساء : آية 157.

(7) سورة النساء : آية 157-158.

(8) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 2 ، ص 279 .

أنه أثبت في المسيح اللاهوت والناسوت ، ويحتج عليهم بما علم من دينه بالإضطرار من تصديقه للمسيح عليه السلام وإثبات رسالته ، وإخباره فيما بلغه عن الله - عز وجل - بكفر من قال بذلك . فتكون مثل هذه الدعوى من كذب النصارى على الرسول - صلى الله عليه وسلم .<sup>(1)</sup>

ويفصل في شرح الآية التي استدلوا بها على لاهوت المسيح ، ويعتبرها حجة عليهم في إثبات بشريته لا حجة لهم وذلك من عدة وجوه :

- أن قوله ( بكلمة الله ) يقتضي أنه كلمة من كلمات الله وليس كلامه كله كما تقول النصارى.<sup>(2)</sup>
- أن القرآن دل على أنه مخلوق ، ويؤيد ذلك فلفظ العديد من الآيات صراحة منها قوله تعالى : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ﴾<sup>(3)</sup> فلفظ عيسى إشارة إلى البشرية وهو اسم الناسوت فقط، كما ذكر موضع آخر اسم المسيح فخص بالبشرية المأخوذة من مريم الطاهرة بدليل أنه قال : ﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ . . . ﴾<sup>(4)</sup> فأخبر أنه ليس المسيح إلا رسولا وأنه ابن مريم.<sup>(5)</sup>
- أن القرآن دل على أن المسيح عليه السلام ابن مريم ، وأخبر أنه وجيها في الدنيا ومن المقربين ، وهذه كلها صفة مخلوق.<sup>(6)</sup>
- أن مريم قالت : ﴿ أَنَّى يَكُونُ لِي وَكَدٌّ ﴾ فبين أن المسيح الذي هو الكلمة هو ولد مريم ، لا ولد الله سبحانه وتعالى.<sup>(7)</sup>

فيعيب على النصارى سوء تفسيرهم للقرآن ، بسبب محاولتهم إسقاط مفاهيم العقيدة على النص ، وتأوله بما يوافق مذهبهم في المسيحولوجيا ، وهو نفس الطريق الذي سلكوه مع نصوصهم ، فكانت تفاسيرهم للكتب الإلهية فيها من التحريف لكلمات الله ، والإلحاد في أسماء الله وآياته ما يطول وصفه ، ولا ينقضى التعجب منه ، ولكن إقدامهم على تفسير القرآن بالإلحاد والتحريف أعجب وأعجب.<sup>(8)</sup>

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 2 ، ص 280.

(2) المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 299.

(3) سورة آل عمران : آية 59 .

(4) سورة المائدة : آية 75.

(5) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 2 ، ص 294.

(6) أنظر على سبيل المثال ، سورة آل عمران : آية 45-47.

(7) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 2 ، ص 300.

(8) المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 48.

فابن تيمية لا يخفي تعجبه من إقدام النصارى على تحريف القرآن وتفسيره بالإلحاد ، رغم مخالفتهم لما ثبت خبره يقينياً ، وكان علمه علماً ضرورياً لا يمكن لأحد نفيه إلا إذا كان جاحداً مكابراً ، وقد شهد القرآن الذي ثبت بالتواتر على كفر هؤلاء وكذبهم.(1)

و ابن تيمية يضع للتفسير ضوابط يحترز بها على الخروج عن مفهوم النص ودلالاته ، فإنه يجب أن يفسر كلام المتكلم بعبءه ببعض ، ويؤخذ كلامه ما هنا وما هنا ، وتعرف ما عادته يعنيه ويريده بذلك اللفظ إذا تكلم به ، وتعرف المعاني التي عرف أنه أرادها في موضع آخر ، فإذا عرف عرفه وعادته في معانيه وألفاظه ، كان هذا مما يستعان به على معرفة مراده.(2)

كما أنه يشير من جهة أخرى لما ينتج عن عدم الالتزام بمثل هذه الشروط ملمحاً بذلك لسبب خطأ النصارى في فهمهم للقرآن ، وتفسيره على غير وجهه فيقول : " وأما إذا استعمل لفظه في معنى لم تجر عادته باستعماله فيه ، وترك استعماله في المعنى الذي جرت عادته باستعماله فيه ، وحمل كلامه على خلاف المعنى الذي قد عرف أنه يريد به ذلك اللفظ يجعل كلامه متناقضاً ، ويترك كلامه على ما تناسب كلامه ، كان ذلك تحريفاً لكلامه عن موضعه ، وتبديلاً لمقاصده ، وكذباً عليه.(3)

ليبين مرة أخرى الطريق الذي ارتادته النصارى في تعاملهم مع نصوص الوحي ، وهو الاعتماد على إعمال الرأي في تأويل كلام الأنبياء وفق عقائدهم دون تقيد بأي شرط أو ضابط يحفظ للنص معناه الحقيقي ، ويعتبر ذلك إخلالاً بمنهج التفسير ، مما يكون له خطر بالغ على نصوص الوحي

## 2 - دلالة القرآن على بشرية المسيح :

يوظف ابن تيمية عدداً كبيراً من الآيات القرآنية التي يكفر بها النصارى في دعواهم الولد لله عز وجل ، ويثبت بها بشرية المسيح وعبوديته ، ومن أمثلة تلك الآيات ما يلي :

- قوله تعالى : ﴿ قَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ، قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ، وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَمَا بَيْنَهُمَا ، يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ، وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ (4) .

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 2 ، ص 49.

(2) المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 288.

(3) المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 288.

(4) سورة المائدة : آية 17.

و قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ، وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ ، وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ، لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثُ ثَلَاثَةٍ ، وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ ، وَإِنْ لَمْ يَنْهَوْا عَمَّا يَقُولُونَ ، لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ، أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ ، وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ، مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ، وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ، انظُرْ كَيْفَ بُيِّنَ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤفَكُونَ ﴾ . (1)

فالمسيح ليس إلا رسول ، وهو وأمه ﴿ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ ﴾ وهذا من أظهر الصفات النافية للإلهية لحاجة الأكل إلى ما يدخل في جوفه ولما يخرج منه مع ذلك من فضلات. (2)  
وقوله تعالى : ﴿ وَكَلَّمَا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مِثْلًا إِذَا قَوْلُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ، وَقَالُوا ءَأَلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ، مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ، إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَحَمَلْنَاهُ مِثْلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ (3)  
فهذه الآيات وغيرها (4) تدل دلالة واضحة على عبودية المسيح وأنه رسول مبعوث كغيره من الرسل.

"فإذا كان قد علم بالإضطرار من دين محمد -صلى الله عليه وسلم- ، وبالنقل المتواتر عنه ، وبإجماع أمته إجماعا يستندون فيه إلى النقل عنه ، وبكتابه المنزل عليه ، وسنته المعروفة عنه أنه كان يقول : إن المسيح عبد الله ورسوله ليس هو إلا رسول ، وأنه يكفر النصارى الذين يقولون : هو الله وهو ابن الله ، والذين يقولون : ثالث ثلاثة وأمثال ذلك ، كان بعد هذا تفسيرهم لقول الله الذي بلغه نبيه محمد -صلى الله عليه وسلم- فيكون طيرا بإذن الله ، أي بإذن اللاهوت الذي هو كلمة الله المتحدة بالناسوت كذا ظاهرا على محمد -صلى الله عليه وسلم-". (5) وهذا الحكم يطبق على سائر ما احتجوا به من نصوص القرآن في الإتحاد ودعوى الألوهية في المسيح ، إذ لا يعقل أن يأتي الرسول -صلى الله عليه وسلم- بما يوافق ما هم عليه ثم يأمر بقتال من يعتقد ذلك ، ويوجب جهاده ، ويصفه بالكفر والشرك.

وابن تيمية يبطل عقائد النصارى في نسق منطقي يربط فيه بين الأدلة النقلية والأدلة العقلية موظفا دلالة "الدور الممتنع" فيخاطبهم :

(1) سورة المائدة : آية 73-75

(2) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 1 ، ص 250

(3) سورة الزخرف : آية 57-59.

(4) عن باقي الآيات التي وضعها ابن تيمية في هذا الموضوع أنظر ج 1 ، ص 249-250.

(5) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 1 ، ص 250-251.

"أنتم لا يمكنكم إثبات كون المسيح هو الله إلا بهذه الكتب ، ولا يمكنكم تصحيح هذه الكتب إلا بإثبات أن الحواريين رسل الله معصومون ، ولا يمكنهم أنهم رسل الله إلا بإثبات أن المسيح هو الله ، فصار ذلك دورا ممتعا." (1)

فيؤسس بذلك موقفه اتجاه ما تعتقده النصارى في المسيح ليؤكد عن تهافت المنظومة المسيولوجيا أمام النقد الموضوعي الذي يبنيه على منهجه العام في تحفص الأدلة العقلية والنقلية. ومما يدعم موقف ابن تيمية من نظرية التجسد النصرانية أن تاريخ الكنيسة لم يخل من أعلام الفكر الغربي اللاهوتي ممن أبطل ألوهية المسيح ورفض الإعتراف بتجسد اللاهوت في الناسوت. (2) إن ابن تيمية بهذا المنهج النقدي للتأويل النصراني يضع أمامنا تصورا لأصول التفسير والتي تعتمد أساسا على فهم اللفظ والمعنى وعادة المتكلم في الخطاب وما يعنيه ، وتفسير الكلام وفق المحكم من النصوص ، وموافقته لبعضه البعض بحيث لا يكون متناقضا ، وأن يكون موافقا لمقاصد الأنبياء. وأهم ما يثيره الإمام في هذا الموضع هو تأكيده على خبر محمد -صلى الله عليه وسلم- وتوظيفه كمعيار لتفحص موقف النصارى من نصوص الأنبياء لكونه ثبت بالتواتر، وهو بذلك يكشف عن أصل مرجعي لنقد الكتب المقدسة ، ويقرر ضوابط التعامل مع نصوص الوحي.

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 1 ، ص 357.

(2) أنظر عن تيودور (Théodote) ورفضه لألوهية المسيح واعتماده مذهب القيني ، وكذلك عن فرقة الظهرانية في أواخر القرن الأول ونفيها لتجسد المسيح .

Bordy, G. et Tricot, R. et d'autres : Le christ , Encyclopedie populaire des connaissances christologique, p. 402-403.



### البحث الثالث : مناقشة عقيدة الصلب والفداء .

لم يحظ هذا الغرض باهتمام كبير من طرف المفكرين المسلمين<sup>(1)</sup> -مقارنة مع موقفهم اتجاه عقيدتي التثليث والتجسد- رغم أنه غرض محوري في المنظومة اللاهوتية المسيحية ، فهو يمثل في زعمهم جانبا من ألوهية المسيح ويكشف عن علاقته الفريدة بالله .  
وتخضع هذه العقيدة لسلسلة من الفرضيات التاريخية والعقائدية أساسها نظرية الخلاص ، لذلك فهي ترتبط بحدث تاريخي معين هو موت المسيح تكفيرا عن الخطيئة ، وقد تم ذلك بصلب المسيح على يد اليهود بأمر من "بيلاطس النبطي" وهذه العقيدة وجدت صيغتها النهائية في مجمع نيقية ودل عليها نص أمانتهم، وهذا يبرر لنا اهتمام أصحاب الردود بالجانب التاريخي لهذه المسألة فعدم ثبوت الرواية تاريخيا كفيلا بإبطال دعوى النصارى في الصلب والفداء دون أن تكون هناك حاجة للإفاضة في المناقشات الكلامية ، خاصة وأن إبطال دعوى تجسد اللاهوت بالناسوت قد نال حظا أوفر من الأدلة بما يطيح بنظرية المسيحولوجيا بأكملها، ونحن نعرض أهم الجوانب التي تعرّض لها ابن تيمية في تحليلاته لعقيدة الصلب والقيامة والفداء .

### المطلب الأول : عقيدة الصلب .

يناقش ابن تيمية دعوى النصارى صلب المسيح تكفيرا عن خطيئة البشر، ويبطل ذلك بالأدلة الآتية:

#### أولا - الأدلة العقلية :

يعرض ابن تيمية عددا من اللوازم الكلامية يثبت بها فساد دعوى النصارى الألوهية في المسيح مع وقوع الصلب عليه ، إذ فساد هذه المقدمة أدى إلى فساد نتائجها ، فالقول بأن ما وقع على الناسوت من ضرب وبصاق ، وصلب ، يلزمهم إثبات وقوعه على اللاهوت وإن نفاه بعضهم ، لأن القول بالإتحاد الذي تثبته جميع طوائفهم الملكية والنسطورية واليعقوبية يلزمهم هذا<sup>(2)</sup> ، لأنه يمتنع أن تحل هذه العقوبات في هذا دون ذلك ، فلا يمكن أن يحل في الناسوت دون اللاهوت، فإن هذا إنما يتصور إذا كانا إثنين.<sup>(3)</sup>

(1) أنظر الشرفي : الفكر الاسلامي في الرد على النصارى ، ص 392-393 . وانظر :

BOUAMAMA Ali : La littérature polémique musulmane contre le christianisme, p. 184.

(2) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج3 ، ص 172 .

(3) المصدر نفسه ، ج3 ، ص 172 .

ومذا الاعتراض يدغمه ما ضربوه من أمثلة للإتحاد ، فلو كان التمثيل مطابقا - كما تراهم النصرى - كان الضرب والصلب والإهانة وقع على اللاهوت ، وهذا من أعظم الكفر ، وكذلك إن كان تمثيله بالبدن لزم تألم اللاهوت بآلام البدن وأن يكون متألما بجوع البدن وعطشه وضربه وصلبه.<sup>(1)</sup> فابن تيمية يناقش النصرى ضمن منظومة كلية يثبت تناقض جزئياتها ، فهو يرى أن انعدام النسق العقلي بين عقيدتي الإتحاد والصلب يهدم عقيدة المسيحولوجيا بأكملها ، وهذا يؤكد على تهاافتها ، فيعترض على تناقض النصرى في أصول عقائدهم قائلا : " ومن عجائب النصرى أنهم يدعون فيه الإلهية مع ادعائهم فيه غاية العجز حتى صلب.<sup>(2)</sup> فيلزمهم من هذه المقدمة بعدد من اللوازم الكلامية الفاسدة منها : 1- ادعاؤهم في المسيح أنه أخذ وبصق على وجهه ، ووضع الشوك على رأسه ، وصلب بين لصين وهو بذلك يستغيث ويقول : [إلهي إلهي لم تركتني].<sup>(3)</sup>

فرد عليهم هذه الدعوى بقوله إن "الكلام إنما يكون بمشيئة المتكلم فيلزم أن يكون المتكلم الداعي المستغيث المصلوب هو اللاهوت هو المستغيث المتضرع وهو المستغاث به ، وأيضا فهم يقولون : إن اللاهوت والناسوت شخص واحد ، فمع القول بأنهما شخص واحد ، إما أن يكون مستغيثا وإما أن يكون مستغاثا به ، وإما أن يكون داعيا وإما أن يكون مدعوا.<sup>(4)</sup> فإذا قالوا أن الداعي هو غير المدعو لزم أن يكون اثنين لا واحدا ، وألزمهم ذلك التعدد ، وإذا قالوا هو واحد فالداعي هو المدعو وذلك يلزمهم أن الناسوت المصلوب هو نفس اللاهوت الذي وقع عليه الفعل.<sup>(5)</sup>

2- زعمهم أنه جزع عند الصلب ، واستغاث واستصرخ ، فرد عليهم أنه لا ينبغي عليه ذلك ، كونه نبي يلزمه الصبر كغيره ممن أرسل قبله ، فضلا عن دعواهم فيه الإلهية ، كما أن ما ذكروه من جزعه وهربه واستصراخه يقتضي أنه كل ما جرى عليه كان بغير اختياره ، كما ينبغي عنه أن يكون له ولللاهوت مشيئة واحدة كما يذكرون ذلك ، وهذا يقتضي التباين بينهما كما يلزمهم غاية النقص لما يدعون فيه من الإلهية.<sup>(6)</sup>

3- أن القسمة الكلامية توجب على النصرى حصر القول في كون اللاهوت كان قادرا على دفعهم عن ناسوته ، أو أن يقولوا لم يكن قادرا ؟

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 2 ، ص 258 .

(2) المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 277 .

(3) المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 297 . النص سبق تخريجه ، أنظر ص 266 .

(4) المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 297 .

(5) المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 298 .

(6) المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 298 .

فإن قالوا لم يكن قادرا لزم أن يكون أولئك اليهود أقدر من رب العالمين، وأن يكون رب العالمين مقهورا مأمورا مع قوم من شرار اليهود،<sup>(1)</sup> وهذا من أعظم الكفر والتقص برب العالمين ، وهذا أعظم من دعواهم لله الولد ، ونسبة البخل والفقر له.<sup>(2)</sup> " وإن قالوا كان قادرا ، فإن كان ذلك من عدوان الكفار على ناسوته وهو كاره لذلك ، فسنة الله في مثل ذلك نصر رسله المستغيثين به ، فكيف لم يغث ناسوته المستصرخ به ، وهذا بخلاف من قتل من النبيين وهو صابر."<sup>(3)</sup>

4- أن الناسوت عندهم استغاث وقال : [إلهي إلهي لما تركتني] ، وإن كان هو قد فعل ذلك مكررا ، كما يزعمون أنه مكر بالشيطان وأخفى نفسه حتى يأخذه بوجه حق ، فناسوته أعلم بذلك من جميع الخلق. فكان الواجب أن لا يجزع ، ولا يهرب لما في ذلك من الحكمة . وهم يذكرون من جزع الناسوت وهربه ودعائه ما يقتضي أن كل ما جرى عليه كان بغير اختياره ، وبعضهم يقول أن مشيئتها واحدة ، فكيف شاء ذلك وهرب مما يكرهه الناسوت ؟. والجواب عن هذا السؤال الاستكاري يوجب أن يكونا متباينين.<sup>(4)</sup>

5- كما يثبت من دعواهم وقوع الصلب على الإله غاية العجز لله ، فكثير من الناس يؤخذون ويصلبون وهم ثابتون وصابرون "فما بال هذا يجزع الجزع العظيم الذي يصفون به المسيح ، وهو يقتضي غاية النقص العظيم مع دعواهم فيه الإلهية."<sup>(5)</sup>

ويبدو من هذا الطرح الكلامي الجدلي فساد ما تدعيه النصارى في عقيدة الصلب ، لأن البحث في الجزئيات الداخلية للمنظومة الكلية للمسيحولوجيا يفضي إلى تناقض ظاهر بين القول بالإنقاذ ووقوع الصلب ، كما ينتج فسادا يرفضه العقل، إذ المفترض أن يتصف الله بالكمال والنصارى تتسبب إليه العجز والنقص.

## ثانيا - الأدلة النقلية :

مثلت عملية الصلب بالنسبة للفكر الإسلامي خبرا يحتاج إلى إثبات وقوعه تاريخيا حتى يحق للنصارى القول به ، فكان اهتمامهم منصبا على نقل رواية الصلب نقلا موضوعيا من المصادر الكتابية

(1) أورد القرافي نفس الدليل في نسبة النصارى العجز لله أنظر في ذلك كتاب : الأجوبة الفاخرة ، ص 151.

(2) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج2، ص 298.

(3) المصدر نفسه ، ج2، ص 298 .

(4) المصدر نفسه ، ج2 ، 298 .

(5) المصدر نفسه ، ج2 ، ص 298 .

تحرياً للموضوعية<sup>(1)</sup> وقد كان هذا دافعا لأخذ هذه الرواية من الأناجيل إلا أننا عرضناها في شكل ملخص وقد تعمّدنا في ذلك التركيز على النصوص التي اعتمد عليها "ابن تيمية" في نقده لجزئيات قصة الصلب ، فنجدّه يوظف الأدوات التاريخية النقدية في تحليل أحداث هذه الرواية ، ليؤكد عدم ثبوتها تاريخياً مما يقدح في قيام الدليل السمعي لعقيدة الصلب ، وقد دعم هذا الجانب بخبر القرآن الكريم في نفي وقوع الصلب على المسيح عليه السلام . لهذا قسمنا هذا الموضوع للعناصر التالية :

1- خبر الصلب كما ورد في الأناجيل .

2- الطعن في خبر الأناجيل .

3- إنكار القرآن لصلب عيسى .

### 1- خبر الصلب كما ورد في الأناجيل :

تنص الأناجيل على أن اليهود وقت مجيئهم لأخذ المسيح للصلب لم يعرفوه حتى دفعوا لأحد تلاميذه ثلاثين درهماً ليذلهم عليه، فيذكر متى أنه [ذهب واحد من الإثني عشر الذي يدعى يهوذا الأسخريوطي إلى رؤساء الكهنة وقال ماذا تريدون أن تعطوني وأنا أسلمه إليكم ، فجعلوا له ثلاثين من الفضة ومن ذلك الوقت كان يطلب فرصة ليسلمه]<sup>(2)</sup>

وكان ذلك في بستان حيث يجتمع المسيح وتلاميذه ، يقول يوحنا : [وكان يهوذا مسلماً يعرف الموضع لأن يسوع اجتمع هناك كثيراً مع تلاميذه ، فأخذ يهوذا الجند وخداماً من عند رؤساء الكهنة والفريسيين ، وجاء إلى هناك بمشاعل ومصاييح وسلاح فخرج يسوع وهو عالم بكل ما يأتي عليه وقال لهم من تطلبون ، أجابوه يسوع الناصري أجاب يسوع أنا هو فإن كنتم تطلبونني فدعوا هؤلاء يذهبون...]<sup>(3)</sup> . فهذه الرواية تدل على التناقض إذ تذكر أن يهوذا هو الذي أسلم المسيح إلى اليهود لأنهم

(1) - أنظر في ذلك : باجه جي زاده عبد الرحمن : الفارق بين المخلوق والخالق ، ص 207-272 حيث ذكر الرواية بالتفصيل من بداية أخذ المسيح إلى غاية وقوع الصلب ودفنه مع التعقيب على الرواية ووقوع الاختلاف والاضطراب والكذب بين الرواة وناقلي الخبر . وانظر كذلك :

- القاضي عبد الجبار : تثبيت دلائل النبوة ، ص 121-122 .

- القرافي : الأجوبة الفاخرة ، ص 78-81 .

(2) متى الاصحاح 14/26 العهد الجديد (نسخة جمعيات الكتاب المقدس) ص 47 .

اضطرب أصحاب الأناجيل في نقل هذه الرواية قارن مع :

- رواية مرقس الاصحاح 14 / 10 .

- رواية لوقا الاصحاح 22 / 3 .

- رواية يوحنا الاصحاح 13 / 21 .

(3) انجيل يوحنا : الاصحاح 2/18 العهد الجديد ( نسخة جمعيات الكتاب المقدس) ص 181 .

لم يعرفوه كما تذكر أن المسيح هو الذي قدم نفسه وعرقهم عليه .<sup>(1)</sup>  
وبعد القبض عليه أخذ المسيح إلى المحاكمة<sup>(2)</sup> فيذكر يوحنا ما حدث إذ [أن الشرط ضفروا إكليلا من شوك ووضعوه على رأسه وألبسوه ثوب أرجوان، وكانوا يقولون السلام يا ملك اليهود ، وكانوا يلطمونه ، فخرج بيلاطس أيضا خارجا وقال لهم: ها أنا أخرجكم إليكم لتعلموا أنني لست أجد فيه علة واحدة فخرج يسوع خارجا وهو حامل إكليل الشوك وثوب الأرجوان فقال لهم بيلاطس: هو ذا الإنسان، فلما رآه رؤساء الكهنة والخدام صرخوا قائلين أصلبه أصلبه ، قال لهم بيلاطس خذوه أنتم واصلبوه لأنني لست أجد فيه علة، أجابه اليهود : لنا ناموس وحسب ناموسنا يجب أن يموت لأنه جعل نفسه ابن الله]<sup>(3)</sup>.  
و روايات الأناجيل تتناقض وتختلف فيما تذكره عن سبب الصلب، فبينما يرجع يوحنا سبب ذلك لدعواه أنه "ابن الله" يذكر لوقا أن السبب راجع للشكوى التي رفعها اليهود إلى بيلاطس فيقول [وابتدأوا يشتكون عليه قائلين إننا وجدنا هذا يفسد الأمة ويمنع أن تعطى جزية لقيصر قائلا أنه هو مسيح ملك . فسأله بيلاطس قائلا : أنت ملك اليهود ؟ فأجابه وقال أنت تقول]<sup>(4)</sup>.

على أن مرقس يعتبر ذلك شهادة زور على المسيح حتى يسلموه للقتل فيقول [وكان رؤساء الكهنة والمجمع كله يطلبون شهادة على يسوع ليقتلوه ، فلم يجدوا لأن كثيرين شهدوا عليه زورا ولم تتفق شهاداتهم! ثم قام قوم وشهدوا عليه زورا قائلين نحن سمعناه يقول إنني أنقض هذا الهيكل المصنوع بالأيادي وفي ثلاثة أيام أبني آخر غير مصنوع بأيادي . ولا بهذا كانت شهادتهم تتفق فقام رئيس الكهنة في الوسط وسأل يسوع قائلا أما تجيب بشيء ماذا يشهد به هؤلاء عليك. أما هو فكان ساكتا ، ولم يجب بشيء فسأله رئيس الكهنة أيضا وقال له : أنت المسيح ابن المبارك فقال يسوع أنا هو وسوف تبصرون ابن الانسان جالسا عن يمين القوة وأتيا في سحاب السماء. فمزق رئيس الكهنة ثيابه وقال ما حاجتنا بعد إلى شهود ، قد سمعتم التجاديف ما رأيكم ، فالجميع حكموا عليه أنه مستوجب الموت فابتدأ قوم يبصقون عليه ويغطون وجهه ويكلمونه ويقولون له تتبأ وكان الخدام يلطمونه]<sup>(5)</sup>.  
ثم أخرجوه وساقوه إلى الموضع الذي يقال له موضع الجمجمة حيث صلبوه ونكّلوا به وطعنوه بالرمح.<sup>(6)</sup> فما زال يصيح وهو مصلوب على خشبة [إلهي إلهي انظر لماذا تركتني وتباعدت عن

(1) يستدل بعض أصحاب الردود في هذا النص على عدم قبض اليهود على المسيح لأنهم لم يتعرفوا عليه بالرغم أنه كان المسيح ويستدلون على ذلك كون المسيح أعطي قوة التحول عن صورته وكما دل على ذلك الأناجيل صراحة.

(2) عن قصة محاكمة المسيح كما تروها الأناجيل. انظر بالتفصيل باجه جي زاده : الفارق بين المخلوق والخالق : ص 229-

234، وانظر كذلك : والفورد جون ف : يسوع المسيح ربنا ، ص 154-155 ، وانظر:

Algrain, R. : Ecclesia , encyclopedie populaire des connaissances religieuses, p 396-397

(3) انجيل يوحنا : الإصحاح 71/19 العهد الجديد (نسخة جمعيات الكتاب المقدس) ص 138.

(4) انجيل لوقا : الإصحاح 2/23 العهد الجديد (نسخة جمعيات الكتاب المقدس) ص 139.

(5) إنجيل مرقس : الإصحاح 14 / 55 ، العهد الجديد (نسخة جمعيات الكتاب المقدس) ص 84-85.

(6) إنجيل يوحنا : الإصحاح 19 / 17-18 العهد الجديد (نسخة جمعيات الكتاب المقدس) ص 184.

خلاصي<sup>(1)</sup> ثم أسلم روحه فنزلوا به ودفنوه.

ونلاحظ من هذا السرد لقصة الصلب كما وردت في الأناجيل الاختلاف والتناقض بين الرواة مع زعمهم أنهم تلاميذ المسيح المقربين له ، والشهادة المناقضة لبعضها البعض ساقطة ولا يعتد بها ، خاصة في مسائل العقيدة ، وهذا يسقط دعوى النصارى في صلب ذات المسيح ، وثبوت الكذب منهم ، وهو ما اثبتته ابن تيمية في تحليلاته النقدية لجزئيات رواية الصلب من خلال توظيفه للمنهج التاريخي.

## 2- الطعن في خبر الأناجيل .

يبحث "ابن تيمية" في خبر الرواية التاريخية المتعلقة بالصلب ، والساندة في أوساط أهل الكتاب ، فيؤكد أنه مع اعتقادهم أن المسيح نفسه صلب ، كانوا مخطئين في ذلك ، ولم يكن هذا الخطأ مما يقدر في إيمانهم بالمسيح إذا آمنوا بما جاء به ، ولا يوجب لهم النار.<sup>(2)</sup>

لكن النصارى بنوا على هذا الخطأ أصول النصرانية وخالفوا دين المسيح ، ومستندهم في ذلك السمع ، فإن الأناجيل التي بأيدي أهل الكتاب فيها ذكر صلب المسيح ، وعندهم أنها مأخوذة من الأربعة ، مرقس ، ولوقا ، ويوحنا ، ومتى ، ولم يكن في الأربعة من شهد صلب المسيح ، ولا من الحواريين ، بل ولا في أتباعه من شهد الصلب ، وإنما الذين شهدوا الصلب طائفة من اليهود ، فمن الناس من يقول : إنهم علموا أن المصلوب غيره وتعمدوا الكذب في أنهم صلبوه ، وشبهه صلبه على من أخبروهم.<sup>(3)</sup> فخير الصلب ليس له دليل يؤكد ثبوته ، وليس للنصارى سوى الأدلة الكتابية من نصوص الأناجيل<sup>(4)</sup> وهذه الأخيرة مقدوح في صحتها وعدم ثبوتها تاريخيا ، وذلك يبطل عليهم دليلهم النقل على عقيدة الصلب.

كما أن ابن تيمية يجرح في ناقل الخبر ويرفض روايته ، إذ الذين تولوا صلبه على زعمهم "هم اليهود ، ولم يكن أحد من النصارى شاهدا معهم ، بل كان الحواريون خائفين ، غائبين فلم يشهد أحد منهم الصلب ، وإنما شهد اليهود وهم الذين أخبروا الناس أنهم صلبوا المسيح ، والذين نقلوا أن المسيح صلب من النصارى وغيرهم إنما نقلوه أولئك اليهود وهم شرط من أعوان الظلمة لم يكونوا خلقا كثيرا

(1) إنجيل متى : الإصحاح 27 / 45 ، العهد الجديد (نسخة جمعيات الكتاب المقدس) انجيل لوقا الإصحاح 23 / 44 ، ص 53-54.

إنجيل مرقس الإصحاح 15/33 ، العهد الجديد (نسخة جمعيات الكتاب المقدس) ص 87.

إنجيل لوقا الإصحاح 23/44 ، العهد الجديد (نسخة جمعيات الكتاب المقدس) ص 141.

(2) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج1، ص 313.

(3) المصدر نفسه ، ج 1 ، ص 313 . وانظر :

BOUAMAMA Ali : la littérature polémique musulmane contre le christianisme, p. 184

(4) شهادة الأناجيل ضعيفة في مسألة رؤية المسيح مصلوبا ، أنظر : Algrain. R. : Ecclesia , encyclopedie populaire des connaissances religieuse , p397.

يمنتع تواطؤهم على الكذب.<sup>(1)</sup> فابن تيمية يرفض نقل خبر صلب المسيح لأنه غير متواتر ولا تتوفر فيه شروط القبول ، إذ ناقل الخبر هم اليهود ، وهم أعداء للنصارى وهذا لا يمتنع معه الكذب عليهم ، فلا تقبل شهادتهم ، زيادة على اضطراب الوضع السياسي الذي دفع بالحواريين ومن بينهم رواة الأناجيل إلى التخفي<sup>(2)</sup> فلم يشهدوا عملية الصلب ولا عاينوها ، كما أن الخبر لم ينقله خلق كثير يمتنع تواطؤهم على الكذب<sup>(3)</sup> ومثل هذا الخبر لا يلزم من نقله علما ضروريا ، بل هو من خبر الأحاد الذي لا يثبت أمام النقد الموضوعي.

ويهتم ابن تيمية من جهة أخرى بالبحث في هوية المصلوب ، ليقيم الدليل على أن المصلوب ليس هو المسيح ، معتمدا في ذلك على التّدين التاريخي لقصة الصلب ، إذ الرواية تثبت أن الصلب وقع وأن الحواريين لم ير أحد منهم المسيح مصلوبا ، بل أخبرهم بصلبه بعض من شهد ذلك من اليهود.<sup>(4)</sup>

ويستدل ابن تيمية في قراءته التحليلية على أن المصلوب ليس هو المسيح بمضامين نصوص رواية الصلب ، وما ينقل عن طائفة من النصارى يقولون أنه لم يصلب ، فإن الذين صلبوا المصلوب هم اليهود ، وكان قد اشتبه عليهم المسيح بغيره ، كما دل عليه القرآن.<sup>(5)</sup> وشيوع هذا الخبر في بني اسرائيل يدعّم مسألة نفي وقوع الصلب على المسيح "وكذلك عند أهل الكتاب أنه اشتبه بغيره ، فلم يعرفوا من هو المسيح من أولئك حتى قال لهم بعض الناس : أنا أعرفه فعرفوه."<sup>(6)</sup>

ويدعّم ابن تيمية تأكيده على بطلان صلب المسيح بكثرة اختلاف طوائفهم "فمنهم من يقول المصلوب لم يكن المسيح ، بل الشبه كما يقول المسلمون ، و منهم من يقرّ بعبوديته لله وينكر الحلول

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج2 ، ص 283 وابن تيمية : دقائق التفسير ج2 ص 95. وانظر في ذلك كتاب ابن حزمه الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ج1 ، ص 57-60.

(2) يذكر يوحنا بانجيله إصحاح 20 / 19 أنه قال (وكانت الأبواب مغلقة ، حيث كان التلاميذ مجتمعين بسبب الخوف من اليهود) العهد الجديد (نسخة جمعيات الكتاب المقدس) ص 186.

(3) عن اضطراب الأناجيل في نقل رواية الصلب وإثبات الوضع فيها ، انظر باجه جي زاده : الفارق بين المخلوق والخالق ص122-123.

(4) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج2 ، ص 14.

(5) المصدر نفسه ، ج2 ، ص 286. ومن الأمور التي وقع بها الإشتباه في هوية المصلوب انظر ما يلي :  
- يذكر ابن حزم في رواية الأناجيل أن المصلوب أخذ ليلا عند افتراق الناس من الفصح وأنه لم يصلب إلا في مكان نازح عن المدينة ليس موضعا معروفا بصلب من يصلب ، أنظر الفصل في الملل والأهواء والنحل ج1 ، ص 58.

ويؤكد القرافي أن المصلوب شوهد بصورته بالضرب والسحب ومثل هذه الحالة توجب اللبس بين الشيء وخلافه ، فليس للنصارى واليهود القطع بأن المصلوب هو عين عيسى دون شبهه ، بل يحصل الظن في ذلك ، انظر القرافي : الأجوبة الفاخرة (على هامش الفارق بين المخلوق والخالق) ، ص 79.

(6) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج2 ، ص 286 .

والإتحاد كالأريوسية ، ومنهم من ينكر الإتحاد وإن أقرّ بالحلول كالنسطورية.<sup>(1)</sup> ولو كان ذلك قد حدث بالفعل -أي صلب ذات المسيح- لأجمعوا كلهم على ذلك ولما عرف عنهم هذا الإختلاف.<sup>(2)</sup>

### 3 - إنكار القرآن لصلب عيسى :

أشار القرآن الكريم إلى مسألة الصّلب واقتصر على نفي وقوعه على المسيح -عليه السلام- دون

أن يذكر الوقائع الحافة بها ، وقد أدى هذا إلى بعض الإختلاف في معنى (شبه لهم) في قوله تعالى :

﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ ، وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ ، وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ، وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ .<sup>(3)</sup>

فينقل ابن تيمية هذه الإختلافات فيقول :

" فمن الناس من يقول : إنهم علموا أن المصلوب غيره وتعمدوا الكذب في أنهم صلبوه وشبهه صلبه

على من أخبروهم ، وهذا قول طائفة من أهل الكلام والمعتزلة وغيرهم وهو قول ابن حزم وغيره .

ومنهم من يقول : بل اشتبه على الذين صلبوه ، وهذا قول أكثر الناس الذين أخبرهم أولئك بصلبه .

والجمهور يقولون : بل شبهه للذين يقولون صلبوه كما قد ذكرت القصة في غير هذا الموضع.<sup>(4)</sup>

ويبدو من هذا أن المسلمين فسروا قوله "شبه لهم" على معنيين<sup>(5)</sup> :

الأول : أنه شبه لليهود خبر قتل المسيح ، أي اشتبه عليهم الكذب بالصدق وليس ثمة شبهة بعيسى ، ولكن

الكذب بخبره شبيه بالصدق ، فأدخل الشبهة على عامتهم .

وممن يؤيدون هذا الرأي القاضي عبد الجبار المعتزلي فهو يفضل تفسير "ولكن شبه لهم" بفساد

النقل على إلقاء شبه عيسى على المصلوب ، إذ أنه "لا يصح أن يكون النقل قد وقع على وجه يوجب

العلم ، لأن ذلك يوجب إبطال الأصل الذي توصله في الأخبار ، وإنما اشتبه الحال فيه لأن ذلك

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 2 ، ص 15 .

(2) انظر عن إختلاف النصارى في هذه المسألة وأشهر الطوائف التي رفضت حصول الصلب على عيسى عليه السلام .

باجه جي زاده : الفارق بين المخلوق والخالق ، ص 280-281 .

(3) سورة النساء : آية 157-158 .

(4) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 1 ، ص 313 .

(5) أنظر في ذلك ابن عاشور محمد الطاهر : التحرير والتوير دط (تونس : الدار التونسية للنشر • الجزائر : المؤسسة الوطنية

للكتاب 1984م) ج 6 ، ص 21 .



المصلوب وافق حال فقدهم لعيسى فقوي في الظن أنه المصلوب.<sup>(1)</sup>  
 والثاني : أنه قد شبه لليهود مشبه بالمسيح فقتلوه ، ونجى الله المسيح عن إهانة القتل . وهو ما يذهب إليه ابن تيمية كما دل عليه القرآن ، وكذلك عند أهل الكتاب أنه أشتبه بخيره . وقوله : ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴾ "معناه نفي قتله يقينا لا ريب فيه بخلاف الذين اختلفوا بأنهم في شك منه من قتله وغير قتله فليسوا مستيقنين أنه قتل إذ لا حجة معهم بذلك."<sup>(2)</sup>

ورغم الاختلاف في نسبة الصلب للمشبه بالمسيح ، أو التعمد بالكذب على وقوع الصلب على غير المسيح ودعوى اليهود بأنهم صلبوا عيسى ، فالذي يجب اعتقاده بنص القرآن ، أن المسيح لم يقتل ولم يصلب ، وأن الله رفعه إليه ونجاه.

وعلى الرغم من أن القرآن لم يفصل في ذكر الأحداث التي سبقت عملية صلب المشبه بالمسيح : فإننا نلاحظ في بعض الآثار الإسلامية أنها تستمد التفاصيل من الرواية المسيحية ، فنجد مثلا الطبري في تفسيره لسورة آل عمران يذكر أن الشبه ألقى على أحد حوارى المسيح أولا ثم صعد بالمسيح إلى السماء وبعدها نفذ حكم الصلب على المشبه به ، فيسند الرواية للسدي والتي يذكر فيها "أن بني اسرائيل حصروا عيسى وتسعة عشر رجلا من الحواريين في بيت فقال عيسى لأصحابه من يأخذ صورتي فيقتل وله الجنة ، فأخذها رجل منهم وصعد بعيسى إلى السماء... فلما خرج الحواريون أبصروهم تسعة عشر فأخبروهم أن عيسى قد صعد به إلى السماء فجعلوا يعدون القوم فيجدونهم ينقصون رجلا من العدة ويرون صورة عيسى فيهم فشكوا فيه وعلى ذلك قتلوا الرجل وهم يرون أنه عيسى وصلبوه."<sup>(3)</sup>

على أنه يفصل أكثر في ذكر القصة عند تفسيره سورة النساء وهو قوله تعالى ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ ﴾ فيسرد ما روى عن وهب بن منبه، والتي تعود جل نصوصها إلى رواية الأنجيل.<sup>(4)</sup>

وهذا يبين أن المعلومات المتوفرة عن نهاية عيسى -بتفاصيلها- في الآثار الإسلامية تتوقف على التنسيق بين رواية الأنجيل والتعقيب عليها بأن الصلب لم يقع على المسيح وإن كان قد وقع بالفعل على المشبه به إستنادا إلى خبر القرآن الكريم. ومما زاد الأمر تأكيدا الطعن في خبر الأنجيل والتفديد برأي

(1) القاضي عبد الجبار : المغني، ج5 ، ص 143-144 على أن القاضي عبد الجبار يحتمل أن يكون ألقى شبهه على المصلوب فيكون معجزة له.

(2) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج2 ، ص 286.

(3) الطبري أبي جعفر محمد بن جرير : جامع البيان في تفسير القرآن د.ط (بيروت : دار المعرفة ، 1403 هـ - 1983م) مج3، ج3 ، ص 202.

(4) المصدر نفسه : مج4 ، ج6 ، ص 10-11.

من يتأول لهم وإن سالف ذلك نصوص أناجيلهم<sup>(1)</sup> ، لذلك يعزو "ابن تيمية" إعتقاد النصارى و وقوع الصلب على ذات المسيح لسببين :

1- إدعاء النصارى أن الحواريين كانوا معصومين فيما يقولونه ويروونه ويرونه .

2- تصويبههم لعلمائهم بما يقولون من تأويل الإنجيل<sup>(2)</sup>.

والذي يمكن أن نستخلصه أن خبر الصلب لا يلزم من نقله علما ضروريا بل هو خبر أحاد لا يمتنع عنه الكذب.

### المطلب الثاني : القيامة

لم تحظ مسألة رفع المسيح باهتمام كبير من طرف الفكر الإسلامي في رده على النصارى ، إذ لم تمثل غرضا جدليا يستحق سياق الكثير من الأدلة لبطلانه، وذلك أن إبطال ألوهية المسيح كان كفيلا بالرد على مسألة ترمي إلى إبراز جانب من الألوهية فيه ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى أن المسلمين يتفقون مع النصارى في القول برفع المسيح ، وإن كان الاختلاف في جزئياته قد أحدث بعد النظريتين الإسلامية والمسيحية. وابن تيمية في تحليلاته لهذا الغرض يعرض هذا الجانب ، فالنصارى على قولهم إنه عني بموته من موت الناسوت ، والمرفوع هو اللاهوت . وهذا مخالف لنص القرآن ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾<sup>(3)</sup> كما جعلوا المرفوع غير المتوفي ، والقرآن أخبر أن المرفوع هو المتوفي<sup>(4)</sup>.

والقرآن كذب اليهود في زعمهم أنهم قتلوا المسيح ﴿إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ﴾<sup>(5)</sup> فرد عليهم ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾<sup>(6)</sup> ، فرد على اليهود الذين لا يثبتون لاهوتا في المسيح ، لذلك فلا يستقيم للنصارى استدلالهم بهذا حتى يقال : إن مقصودهم قتل الناسوت دون اللاهوت "والنصارى معترفون برفع الناسوت ، لكن يزعمون أنه صلب وأقام في القبر إما يوما وإما ثلاثة أيام ، ثم صعد إلى

(1) تثبت بعض الردود أن الأناجيل صريحة بعدم وقوع الصلب على المسيح ومن بين النصوص الدالة على ذلك : رواية يوحنا ص 7 / 32 قوله [فأرسل الفريسيون رؤساء الكهنة خداما ليمسكوه فقال لهم يسوع أنا معكم زمانا يسيرا بعد ، ثم أمضى إلى الذي أرسلني ستطلبوني ولا تجدوني وحيث أكون أنا لا تقدرون أنتم أن تأتوا] وهذا صريح على أن اليهود طلبوه ليمسكوه ولم يجده . أنظر في هذا الموضوع باجه جي زاده : الفارق بين المخلوق والخالق ، ص 241.

(2) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 1 ، ص 313.

(3) سورة آل عمران : آية 55.

(4) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 2 ، ص 285.

(5) سورة النساء : آية 157.

(6) سورة النساء : آية 157-158.

السماء ، وقعد عن يمين الأب الناسوت مع اللاهوت. (1) فالنصارى يتبعون مسألة صلب المسيح بعيدة القيامة ولم ينفكوا عن التأكيد على ذلك الإيمان. (2)

هكذا يتبين الفرق بين رفع المسيح وقيامته عند النصارى والتي يثبتون بها لاهوته ، ومعنى الرفع عند المسلمين ، إذ به نجى الله عيسى من القتل.

إلا أن ما يثير الانتباه هو اقتصار جل الردود على نفي الصليب ودحض الفداء دون التوقف عند وفاة عيسى ورفعه ، فكان ابن تيمية يحرص كل الحرص في هذا الموضوع لتقديم البديل للنظرية المسيحية ، فهو إلى جانب نقده لهذه المسألة يقدم رؤية القرآن ، فيفسر معنى رفع المسيح ، أن الله رفعه حيا وسلمه روحا وجسدا ، وهو بذلك خرج عن حال أهل الأرض الذين يحتاجون إلى الأكل والشرب ، واللباس ، وهو في السماء الثانية إلى أن ينزل إلى الأرض. (3) ويستدل على ذلك بما تواتر من الأخبار عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- والتي دلت على مجيء عيسى ثانية ومن مثل ذلك قوله : "يوشك أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا وإماما مقسطا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية". (4) وهذا رأي جمهور المفسرين . فينقل الطبري في تفسيره سورة "آل عمران" اختلاف المفسرين في أن :

- الوفاة بمعنى وفاة نوم حتى رفع إلى السماء.

- الوفاة بمعنى القبض أي قبضه من الأرض إلى السماء حيا بغير موت.

- الوفاة أي متوفيك من الدنيا وليس وفاة موت. (5)

ثم يرجح قائلا "وأولى هذه الأقوال بالصحة عندنا قول من قال معنى ذلك إني قابضك من الأرض ورافعك إلي ، لتواتر الأخبار عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أنه قال ينزل عيسى ابن مريم

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج2 ، ص 286 ، وانظر عن صعود المسيح إلى السماء وجلوسه عن يمين الأب : والفورد جون ف : يسوع المسيح ربنا ، ص 161.

(2) يقول بولس في رسالته الأولى إلى الكورنثيين : "إن كان المسيح لم يقم فكرارتنا إذن باطلة وإيمانكم أيضا باطل" رسالة بوسل الأولى إلى الكورنثيين 14/15.

(3) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج2 ، ص 285، وانظر عن بعض المذاهب التي تؤمن بعودة المسيح بعد الوفاة: Algrain, R. : Ecclisia , encyclopedie populaire des connaissances religieuse, p. 408.

(4) - أخرجه الإمام البخاري في كتاب البيوع ، باب قتل الخنزير ، عن أبي هريرة رضي الله عنه... الحديث بلفظه غير كلمتي عدلا وإماما، أنظر صحيح البخاري ، د. ط (دار الفكر ، 1401 هـ - 1981م) ج3 ، ص 40 .

- أخرجه الإمام الترمذي في كتاب القدر ، باب ما جاء في نزول عيسى ابن مريم ، عن أبي هريرة قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ... الحديث بلفظه غير كلمتي (عدلا وإماما) أنظر الترمذي محمد ابن عيسى الجامع الصحيح، ط2 (بيروت : دار الفكر 1403 هـ - 1983م) ج3 ، ص 344.

(5) الطبري أبو جعفر محمد بن جرير : جامع البيان في تفسير القرآن ، مج2 ، ج3 ، ص 203-204.

فيقتل الدجال ثم يمكث في الأرض مدة ذكرها اختلفت الرواية في مبلغها ثم يموت فيه أي يلقى به المسلمون. (1)

أما الفخر الرازي ، فيفسر قوله ﴿إِنِّي مُؤَفِّيكُ﴾ أي متمم عمرك ورافعك إلى سمائي فلا أتركهم حتى يقتلوك. (2)

وتجدر الإشارة أن ما ذهب إليه بعض المفسرين من أن قوله تعالى : ﴿إِنِّي مُؤَفِّيكُ﴾ يعني مميتك ، وفسروا الرفع بمعنى أن يكون رفيع المكانة عند الله تعالى. (3)

ويوظف ابن تيمية نصوص القرآن للرد على دعوى النصارى أن الرفع كان للآهوت والموت كان للناسوت ، وذلك في نطاق البرهان العقلي ليمتثل عن منهجه في توافق صحيح المنقول -القرآن- بصريح المعقول ، وقد عرض ذلك في وجوه ، من بينها :

1- أن المتوفي ليس شيئا غير الناسوت ، ومنطوق الآية ﴿إِنِّي مُؤَفِّيكُ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ يدل على أن المتوفي هو المرفوع إلى الله ، وقولهم أن المرفوع هو الآهوت مخالف لنص القرآن ، ولو كان هناك موت فكيف إذا لم يكن ، فإنهم جعلوا المرفوع غير المتوفي ، والقرآن أخبر أن المرفوع هو المتوفي. (4)

2- أن قول الله تعالى ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ﴾ هو تكذيب لليهود في قولهم : ﴿إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ﴾ ، واليهود لم يدعوا قتل الآهوت ولا أثبتوا لله لاهوتا في المسيح والله تعالى لم يذكر دعوى قتله عن النصارى حتى يقال : إن مقصودهم قتل الناسوت دون الآهوت ، بل من اليهود الذين لا يثبتون إلا الناسوت. (5)

3- أن زعمهم قتل المسيح قد نفاه الله في قوله ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ ﴾ فأثبت رفع الذي قالوا أنهم قتلوه ، وإنما هو الناسوت ، فعلم أنه هو الذي نفى عنه القتل ، وهو الذي رفع ، والنصارى معترفون برفع الناسوت ، لكن يزعمون أنه صلب وأقام في القبر إما يوما وإما ثلاثة أيام ، ثم صعد إلى السماء

(1) الطبري أبو جعفر محمد بن جرير : جامع البيان في تفسير القرآن ، مج2 ، ج3 ، ص 203-204.

(2) الرازي فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر بن حسين : التفسير الكبير ط3 (بيروت : دار احياء التراث العربي ) مج4 ، ج8 ، ص 67.

(3) أنظر على سبيل المثال :

- ابن عاشور محمد الطاهر : التحرير والتنوير ، ج2 ، ص 21.

- رشيد رضا محمد : تفسير المنار ط3 (القاهرة : دار المنار ، 1367هـ) ج3 ، ص 316.

(4) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج2 ، ص 285.

(5) المصدر نفسه ، ج2 ، ص 285-286.

وقد عن يمين الأب الناسوت مع اللاهوت. (1)

- 4- أن قوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنِي مَرْيَمُ اذْعَبْ وَارْفَعِ إِلَيَّ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ صِدْقًا وَمَنْ يَتَّبِعْ آلَ مَرْيَمَ لَا يَكُنْ مِنَ الْفَاعِلِينَ ﴾ (2) فلو كان المرفوع هو اللاهوت لكان رب العالمين قال لنفسه أو لكلمته ﴿ إِنِّي رَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ وكذلك قوله ﴿ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ ﴾ فالمسيح عندهم هو الله ومن المعلوم أنه يمتنع رفع نفسه إلى نفسه. وإن قالوا هو الكلمة فهم مع ذلك أنه الإله الخالق لا يجعلونه بمنزلة التوراة والقرآن ، بل عندهم هو الله الخالق الرازق رب العالمين ، ورفع رب العالمين إلى رب العالمين ممتنع. (3)
- 5- قوله : ﴿ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ﴾ ، (4) دليل على أنه بعد توفيته لم يكن الرقيب عليهم إلا الله دون المسيح ، فعلم أن المسيح بعد توفيته ليس رقيباً على أتباعه بل الله. (5)

### المطلب الثالث : عقيدة الفداء .

تدرج عقيدة الفداء ضمن مباحث المسيحولوجيا لأنها تتصل بالمسيح عليه السلام، وهي تمثل روح الديانة المسيحية إذ تعتبر كل العقائد السابق ذكرها مقدّمة لعقيدة الفداء.

وعقيدة الفداء تدرج فيها مجموعة من الفرضيات التاريخية والعقائدية لدى أصحاب الفكر الغربي (6) خلاصتها أن الله قادر على المغفرة برحمته ، لكنه لما كان قد قدر العقوبة على الخطيئة الأصلية بالموت (7) وقوانينه غير قابلة للتغيير ، فلو غفر للإنسان بدون أن يرفع عليه عقوبة الموت لكان ذلك متناقضاً مع عدله ، لذلك اختار لهذا الغرض ابنه وبعثه إلى الدنيا في الجسم الإنساني فقام بتقديم هذه التضحية ، ومات على الصليب تكفيراً عن خطايا البشر. (8)

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 2 ، ص 286.

(2) سورة آل عمران : آية 55.

(3) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 2 ، ص 286.

(4) سورة المائدة : آية 117.

(5) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 2 ، ص 287.

(6) يصعب علينا إيرادها بالتفصيل ، ولكي يتضح لك الأمر في هذا الجانب أنظر : العثماني محمد تقي : ما هي النصرانية ، ص 76-88.

(7) يقصد بذلك خطأ آدم وأكله من الشجرة التي نهى عنها فاستحق بذلك الموت كما تذكر التوراة في سفر التكوين [لأنك يوم تأكل منها موتاً تموت]

Algrain. R. : Ecclesia , p122.

(8) أنظر في ذلك :

ونفهم من هذا الطرح أن عقيدة النصارى في الفداء تتمحور حول خطيئة آدم ، فإنه لما أكل من الشجرة التي نهاه الله عنها عصى ربه ، فتبرأ الله منه وأسلمه إلى الشيطان ، فافتدى المسيح بنفسه ليخلص آدم والبشرية جمعاء . فيعرض "ابن تيمية" هذا الجانب بقوله : "وذلك أنهم يزعمون أن آدم لما أكل من الشجرة غضب الرب عليه وعاقبه وأن تلك العقوبة بقيت في ذريته إلى أن جاء المسيح وصلب ، وأنه كانت الدرية في حبس إبليس ، فمن مات منهم ذهبت روحه إلى جهنم في حبس إبليس حتى قالوا ذلك في الأنبياء ، إبراهيم ، وموسى ، وداود ، وسليمان ، وغيرهم." (1)

فكانت هذه الدعوى محلّ مؤاخذه من طرف "ابن تيمية" وغيره ، لما فيها من نسبة الظلم العظيم لله تعالى ، فيستكر عليهم قولهم في شكل سؤال : "معلوم أن إبراهيم كان أبوه كافرا ، ولم يؤاخذه الله بذنب أبيه ، فكيف يؤاخذه بذنب آدم وهو أبوه الأبعد ؟ هذا لو قدر أن آدم لم يتب، فكيف وقد أخبر الله عنه بالتوبة؟" (2) فقد قال تعالى : ﴿ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ثُمَّ اجْبَأَهُ رَبُّهُ قَاتِبًا عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴾ (3) وقال : ﴿ فَتَلَقَىٰ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ قَاتِبًا عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ (4).

"وليس عند أهل الكتاب في كتبهم ما ينفي توبته وإنما قد يقول قائلهم إننا لا نعلم أنه تاب أو ليس عندنا توبته ، وعدم العلم بشيء ليس علما بعدمه وعدم وجود الشيء في كتاب من كتب الله لا ينفي أن يكون في كتاب آخر." (5)

ويعبر "ابن تيمية" عن الخطأ المنهجي الذي سلكته النصارى في التعبير عن محتوى عقيدة الفداء في علاقتها بالصلب ، كاشفا عن تناقض جزئياتها فيقول : " ثم يزعمون أن الصلب الذي هو من أعظم الذنوب والخطايا به خلص الله آدم وذريته من عذاب الجحيم ، وبه عاقب إبليس مع أن إبليس مازال عاصيا لله مستحقا للعقاب من حين امتنع من السجود لآدم ، ووسوس لآدم إلى حين مبعث المسيح ، والرب قادر على عقوبته ، وبنو آدم لا عقوبة عليهم في ذنب أبيهم." (6)

ويمكن أن نبين من خلال عرض ابن تيمية لهذا الموضوع أن النصارى يعتبرون الصلب وسيلة لتحقيق الخلاص ، فهم يقولون : "إن المسيح الذي هو عندهم اللاهوت والناسوت جميعا إنما مكن الكفار من صلبه ليحتال بذلك على عقوبة إبليس ، قالوا : فأخفى نفسه عن إبليس لئلا يعلم ، ومكن أعداءه من أخذه وضربه ، والبصاق في وجهه ، ووضع الشوك على رأسه وصلبه ، وأظهر الجزع من الموت

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج1، ص 215 ، وانظر كذلك : باجه جي زاده : ذيل الفارق بين المخلوق والخالق ، ص 13.

(2) المصدر نفسه ، ج 1 ، ص 215.

(3) سورة طه : آية 121-122.

(4) سورة البقرة : آية 37.

(5) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج1 ، ص 364.

(6) المصدر نفسه ، ج1 ، ص 215.

ينصّار يقول : يا إلهي لم سلطت أعدائي علي ، ليخفي بذلك عن إبليس ، فلا يعرف إبليس أنه الله . ويريد إبليس أن يأخذ روحه إلى الجحيم كما أخذ أرواح نوح ، وإبراهيم ، وموسى وغيرهم من الأنبياء والمؤمنين. (1)

وكلّ ما تنسبه النصارى لله من هذه الأقوال يعتبرها "ابن تيمية" قدحا في علم الله وحكمته وعدله مثل ذلك مثل زعمهم بأن جميع بني آدم من الأنبياء والرسل وغيرهم كانوا في الجحيم في حبس الشيطان ، لأجل أن أباهم آدم أكل من الشجرة ، وأنهم إنما تخلّصوا من ذلك لما صلب المسيح. (2) فيرفض ابن تيمية القول بذلك لأنها أقوال " لا تصلح أن تضاف إلى أجهل الملوك وأظلمهم ، فكيف يدعون مع هذا أنهم يصفون الله بالعدل. " (3) فإن قيل إن عدل الله ليس كعدل المخلوقين ، بل من عدله أن لا ينقص أحدا من حسناته ولا يعاقبه إلا بذنبه ، لم يجز حينئذ أن يعاقب ذرية آدم بذنب أبيهم ، فضلا عن الأنبياء فهم معصومون ، فكيف يجوز في العدل الذي يوجب التسوية بين المتماثلين عقوبة الأنبياء ومنع عقوبة من هو دونهم. (4)

ولكي يبرر "ابن تيمية" موقفه يحتكم إلى المنقول من الأدلة ليعبر عن رفضه لما لا يجوز نسبته لله "فإن هذا الكلام لو نقله ناقل عن بعض الأنبياء لقطعنا بكذبه عليهم ، فكيف وهذا الكلام ليس منقولاً عندهم من أحد من الأنبياء ؟ وإنما ينقلونه ممن ليس قوله حجة لازمة ، فإن كثيرا من دينهم مأخوذا عن رؤسائهم الذين ليسوا بأنبياء. " (5)

وما نلاحظه أنّ مداخلات ابن تيمية في مواقفه الرديئة على عقيدتي الصّلب والفداء كانت أقل إيجازا مقارنة بالمباحث الأخرى التي مثّلت الأساس للإلهيات النّصرانية ، لذلك لم تتل حقا وافرا من المجادلات الكلامية كما رأينا من قبل بالنسبة لعقيدتي التثليث والتجسد .

على أنّ المداخلات الكلامية في هذا الموضوع (الفداء) لم تخل من الإشارة إلى فساد في المقدمات وبالتالي بطلان النتائج ، إذ القول بنزول الله لمحاربة الشيطان وإمكانه إيّاه من نفسه حتى قتل ، ثم قيامه ورجوعه إلى السماء يعني نسبة النقص والحدوث لله تعالى ، فبيّن "ابن تيمية" فساد ما تعتقده النصارى في رب العالمين فيقول : "واعلم أنّ الوجوه الدالة على فساد دين النصارى كثيرة جدا ، وكلّما تصوّر العاقل مذهبهم وتصور لوازمهم تبين له فساده ، لكن المقصود هنا بيان تناقضهم في أنهم يقيمون عذر أنفسهم في ترك الإيمان بكتابه ورسوله ودينه لكونه سبحانه عدلا لا يأمر الناس بما يعجزون عنه ، وهو

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج 1 ، ص 216.

(2) المصدر نفسه ، ج 1 ، ص 364.

(3) المصدر نفسه : ج 1 ، ص 215.

(4) المصدر نفسه ، ج 1 ، ص 220.

(5) المصدر نفسه ، ج 1 ، ص 364.

وسبانه لا يأمرهم إلا بما يقدرون عليه، وقد نسبوا إليه من الظلم ما لم ينسبه إليه أحد من بني آدم<sup>(1)</sup> ومن بين ما اعترض به ابن تيمية في هذا الموضوع :

1- إن كان إبليس أخذ الذرية بذنب أبيهم ، فلا فرق بين ناسوت المسيح وغيره ، وإن كان أخذهم بخطاياهم فهذا ينقض زعمهم الأول إنما أخذهم بذنب آدم.<sup>(2)</sup>

2- أن يقال من خلق بعد المسيح من الذرية كمن خلق قبله ، فكيف جاز أن يمكن إبليس من الذرية المتقدمين دون المتأخرين ، وكلهم بالنسبة إلى آدم سواء ، فضلا عن تمكين إبليس من عقوبة الأنبياء المتقدمين ، ولم يمكن من عقوبة الكفار والجبابرة الذين كانوا بعد المسيح.

3- أن أخذ إبليس لذرية آدم وإدخالهم جهنم إما أن يكون ظلما أو عدلا ؟ فيدرج ابن تيمية تحت هذين المقدمتين نتيجتين يلزم النصارى بأحدهما ، وكل منهما فاسدة :

فإن كان ظلما فلما لا يمنعه الرب من قبل المسيح ؟ فإن كان لم يقدر نسبه إلى العجز ، وإن قدر ولم يفعله فلا سبيل لتخصيصه بالمسيح ، وفي زمن المسيح دون زمن آخر .

وإن كان عدلا فلا لوم على إبليس ، ولا يجوز أن يحتال عليه ليمتتع من العدل الذي يستحقه ، بل يجب تمكينه من المتقدمين والمتأخرين.<sup>(3)</sup>

4- أن إبليس لا تقوم عليه الحجة بالصلب ، وقد أذن له الرب بأخذ جميع ذرية آدم إلى الجحيم ، وأنه لا يعلم أن هذا الناسوت هو ناسوت الرب على تقدير قولهم أنه احتال فأخفى نفسه عن إبليس لئلا يعلم بالإتحاد ، وحينئذ فلا حجة لله على إبليس ، وإن أمكن ذلك لم يجز في عدل الله أن تقام عليه الحجة وقد أذن له بذلك.<sup>(4)</sup>

5- أن النصارى نسبوا عقوبة بني آدم على ذنوبهم إلى إبليس، فيعترض ابن تيمية أن يكون إبليس له أن يغوي بني آدم بتزيينه لهم ، ثم له أن يعاقبهم جميعا بغير إذن من الله له في ذلك.<sup>(5)</sup>

وينسب ابن تيمية هذا القول إلى المجوس الثنوية وقد سرى إلى النصارى "ولهذا لا ينقلون هذا القول في كتاب منزل ، ولا عن أحد من الحواريين ، ويكشف ابن تيمية عن العلاقة بين المذهبين فيقرر أن المانوية دينهم مركبا من دين النصارى والمجوس ، وكان رأسهم ماني نصرانيا مجوسيا، فالنسب بين النصارى والمجوس بل وسائر المشركين نسب معروف."<sup>(6)</sup>

(1) ابن تيمية : الجواب الصحيح ، ج2 ، ص 219.

(2) المصدر نفسه ، ج1 ، ص 216.

(3) المصدر نفسه ، ج1 ، ص 217.

(4) المصدر نفسه ، ج1 ، ص 217 .

(5) المصدر نفسه ، ج1 ، ص 217.

(6) المصدر نفسه ، ج1 ، ص 217-218.



فأرى تأكيداً عن سير العقائد النصرانية ضمن سلسلة تتكوّن من حلقات تأثر وتأثير أدّت إلى ظهور مذاهب و فرق في المسيحية لا تتفق مع أصول الأنبياء . وهو يبحث عن نسبة الآراء إلى أصحابها عن طريق المقارنة بين الأفكار ، وقد ساعدته هذه العملية على التفريق بين قول الأنبياء وقول المشركين وهذا يبرّر قناعة "ابن تيمية" في بناء معرفته على الدليل النقلي والتأكيد عليه . وعلى الرغم من تأكيد النصارى على عملية الخلاص التي أنقذ بها المسيح البشرية من الخطيئة ، فإنه يوجد من النصوص الإنجيلية ما ينقض قول علمائهم ، فنجد الحسن ابن أيوب يوفد عليهم حججاً نقلية من إنجيل متى يبطل بها دعوى الخلاص ليثبت أن "من قال إن الخطيئة قد بطلت فقد بهت وخالف قول المسيح وكان هو من الكاذبين".<sup>(1)</sup> كما لا يخلو تاريخ الكنيسة ممّن أنكروا دعوى صلب المسيح للتكفير عن خطايا البشر.<sup>(2)</sup> والملاحظ من مناقشة مسألة الصلب والفداء أننا إزاء موقفين على طرفي نقيض لا سبيل إلى التوفيق بينهما ، فالفكر الإسلامي يعترض على النصارى القول بتعلّق مغفرة الله للخطيئة بحدث تاريخي معيّن هو موت المسيح على الصليب ، لأن الله قادر غفور رحيم ، وذلك كفيل بقبول توبة كلّ مذنب كما أن الإنسان لا يتحمّل وزر الآخرين ﴿أَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ ، وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى .<sup>(3)</sup>

ومن الأجوبة التقليدية التي كان النصارى يبرّرون بها مثل هذا الاعتراض القول : "بأن الشيطان كان مسيطراً بعض السيطرة على الإنسان بسبب خطيئة آدم الأصلية ، وقد هزم عندما حاول أن يمدّ سلطان الموت على البريء من كلّ خطيئة المسيح".<sup>(4)</sup> وما يثير الانتباه أنّ المبررات لهذا الاعتراض تختلف في أطوارها التاريخية إذ تحاول في كلّ مرة إيجاد منافذ تبرّر بها مواقفها حتّى تتجنّب الإنتقادات اللاذعة والموجهة لعقائدهم إثر المناقشات الدينية.<sup>(5)</sup> إلا أنّ الجدل الكلامي كان دائماً يؤكد على بطلان عقيدة الصلب والفداء لأنّ الخطأ يكمن في الأصل الذي

(1) انظر الحسن بن أيوب : رسالة إلى أخيه ، الجواب الصحيح ، ج 2 ، ص 331-332.

(2) انظر عن طائفة السوسيانين في رفضها لعقائد المسيحية :

Algrain, R. : Ecclesia encyclopedie populaire des connaissances religieuse , p121

وانظر كذلك ميشال توماس : مدخل إلى العقيدة المسيحية ، ص 77.

(3) سورة النجم : آية 38-39.

(4) ميشال توماس : مدخل إلى العقيدة المسيحية ، ص 71.

(5) يرجع المبرر الأول والذي أثبتنا نصه على المتن إلى القرن الثالث ، وفي العصر الوسيط أطلق القديس أنسلن نظرية التعويض ، وتقوم على تعويض الله الخطيئة التي أهانت البشر بموت ابنه . وكلا النظريتين ينقضها المتكلمون المسيحيون اليوم لما فيها من القدح في كمال الله ونسبة النقص والعجز فحاولوا إعطاء نظرة أخرى ترفع من شأن الإله ، أنظر في هذا الموضوع ميشال توماس : مدخل إلى العقيدة المسيحية ، ص 71-72.

بيد ان عليه اما تعرضه من أسلوب متوحش قوامه الموت بطريقة بشعة للتحويض عن ذنوب كان المراد به بريء منها. فكانت النتائج التي ترتبت عن العملية التنظيرية في هذا الجانب تسفر عن لوازم كلامية فاسدة يمتنع القول بها ، كنسبة الظلم والعجز لله تعالى الله عن ذلك. إن مثل هذه النتائج الموضوعية قد حملت أعلام الفكر المسيحي في العصر الحديث لرفض ألوهية المسيح والشك في دعوى التجسد والصلب والفداء.<sup>(1)</sup> وهذا يدعم الموقف الاسلامي عامة وموقف ابن تيمية على وجه الخصوص .

وخالصة ما نستنتجه من هذه الدراسة لمبحث المسيحولوجيا هو تأكيد ابن تيمية على بطلان نظرية الإلهيات النصرانية لعقيدة التجسد والصلب والفداء ، وقد أسس ذلك على منهجه العام في تفحص الأدلة العقلية والعقلية مستعينا بأليات استدلالية لتأكيد مواقفه النقدية ، وقد نجح إلى حد كبير في الإطاحة بنظرية الإلهيات النصرانية.

(1) أنظر والفورد جون ف : يسوع ربنا ، ص 11 ، ص 13 و ص 17 و ص 18 و ص 136-137.

# الخطبة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

لقد قادتنا هذه الدراسة إلى عدة نتائج نجملها في النقاط التالية:

1. أن ابن تيمية في صياغته لأسس الرد اعتمد المنهجية المعرفية قاعدة ومنطلقا للبناء الفكري في أصول الاعتقاد، وقد كشف من خلال توفيقه بين العقل والنقل على خصائص التطور الإسلامي القائم على التعامل السليم مع نصوص الوحي، وهو بضبطه لقواعد هذا المنهج استطاع أن يضع النموذج المعرفي الضروري لبلوغ الحقائق الموضوعية.
2. أن منهج ابن تيمية في الرد على النصارى كان سلفيا في بعض أصوله، وتلمح ذلك في مناقشته لعقيدة النصارى، مما يسمح بالقول أن الجدل الديني كان يعكس ثقافة صاحبه ويمثل اتجاهه الفكري والمذهبي.
3. استفاد ابن تيمية من علم مصطلح الحديث وعلم التفسير في تأسيس منهج النقد الموضوعي لنصوص النصارى، والذي يمكن أن يكون أصلا مشتركا في دراسة الأديان المقارنة .
4. أن ابن تيمية يطرح مسألة التعريف في الكتب المقدسة من خلال عرضه للمقومات الموضوعية.
5. توظيف ابن تيمية للعديد من المناهج النقدية المأخوذة من العلوم التاريخية والكلامية واللغوية أنتج ردا مكتمل الجوانب ومتوعا في آلياته واستدلالاته.
6. أهمية دراسة مبحث النبوة في الجدل الديني، لتعلق مسألة الكفر والإيمان بهذا الجاني، وذلك لضرورة إخضاع نصوص النصارى لأصول الأنبياء، وهذا يضع أمامنا أصل منهجي جديد لدراسة علم المقارنة بين الأديان، كما يكشف عن خصوصيات منهج ابن تيمية في البحث الديني.
7. أن الطرح المنهجي لابن تيمية في تحليلاته النقدية للنصرانية أظهر مسألة تأثر هذه الأخيرة بالمحيط والبيئة، كالأصول الوثنية الرومانية والأفكار الفلسفية الحولية الاتحادية، وهذه النتيجة التي أثبتت صحتها دراسات غربية حديثة تؤكد على أهمية توظيف المنهج التاريخي في دراسة النصرانية خاصة وأديان عامة.
8. أن ابن تيمية في طريقة عرضه وتحليله لمصادر النصرانية أثبت ملازمة العملية التأويلية للنصوص المقدسة لتبرير القول بالتثليث والتجسد، وهي العملية التي تفسر مأخذ المسلمين على النصارى في باب مناقشة الأدلة النقلية للإلهيات النصرانية.
9. وظف ابن تيمية في بحثه أكبر عدد من الأدلة الكتابية الصالحة لتدعيم موقفه إزاء إثبات البشارة بمحمد - صلى الله عليه وسلم - وإبطال عقيدتي التثليث والمسيحولوجيا، وذلك من باب محاربة الخصم بسلاحه.
10. كان مستوى التنظير عند ابن تيمية يتلاءم مع طبيعة الإلهيات النصرانية، إذ كان جل النقاش يدور حول الأدلة العقلية المنطقية، وقد نجح إلى حد كبير في إسقاط المنظومة اللاهوتية النصرانية، وهذا يبرر للشيخ اعتماده على منهج تفريع المسائل على حسب ما تحتمل من الوجوه، بقطع النظر عن أنها مما يحتج به النصارى أو مما يحتجون.

11. اختلاف الصيغ المعبر بها عن النظرية الثالوثية أفضى بالنصارى لعدد من التناقضات والاختلافات في إعطاء صورة واضحة عن الله، فكانت النتيجة المترتبة عن تنظير ابن تيمية هو رفض المقارنة بين المفهوم الإسلامي لعلاقة الذات الإلهية بالصفات و المفهوم المسيحي لعلاقة الجوهر بالأقانيم، وذلك بعد أن أخضع هذه المسألة لنقد صارم.

12. أن هذا الرد ضمن أسسه العامة يعمل على تثبيت المسلمين في عقيدتهم وتحصينهم من حملات التشكيك، كما يحرص من جهة أخرى على دعوة الطرف المسيحي للدخول في الإسلام وذلك بإثارة بعض الأغراض التمجيدية، وعلى هذا فالرد يقوم ازواجية الموقف المتمثل في الدفاع عن الإسلام وحبس النصرانية.

## فهرس الآيات القرآنية

الصفحة	رقم الآية	الآية	السورة
216	7-6	( اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم ... )	الفاحة
57	2	( ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين )	البقرة
294	37	( فتلقى آدم من ربه كلمات ... )	
89	42	( ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق ... )	
90	59	( فيبئ الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم... )	
90	75	( أفنتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريقا منهم... )	
90	79	( فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون ... )	
212.223	87	( وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه... )	
98	89	( وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما ... )	
85	128	( ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا... )	
85	132	( فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون )	
85	133	( نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم واسماعيل واسحاق... )	
86	136	( قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل... )	
89	146	( وإن فريقا منهم ليكتمون الحق ... )	
138	4-1	( الله لا إله إلا هو الحي القيوم ... )	آل عمران
57	3	( وأنزل التوراة والانجيل من قبل... )	
277.46	47-45	( يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ... )	
46	47	( قال كذلك الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمرا... )	
275	49	( فيكون طيرا بآذن الله... )	
169	50	( ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم ... )	
294.293.291	55	( اني متوفيك ورافعك إلى... )	
278.239.39	59	( إن مثل عيسى عند الله... )	
86	85	( ومن بيتغ غير الاسلام ديننا فلن يقبل منه... )	
57	101	( وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله... )	
82	144	( وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل... )	
90	178	( وإن منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب ... )	
89	46	( من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه... )	النساء
272	80	( من يطع الرسول فقد أطاع الله... )	
293.291	157	( إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم... )	

277	157	(وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم)	
290,289,46	157	(وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم ...)	
293,291,277	157	(وما قتلوه يقينا بل رفعه الله إليه...)	
221,220	164	(وكلم الله موسى تكليما)	
87,45	171	(يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا ...)	
271,222,46	171	(إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله...)	
90	14	(ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم...)	المائدة
90	15	(يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا...)	
279,240,44	17	(لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم ...)	
92	41	(يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر...)	
92	43	(وكيف يحكمونك وعندهم التوراة ...)	
88	46	(وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه...)	
87	48	(لكل جعلنا منكم شرعة ...)	
280,224,44	75-73	(لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة...)	
278,88,81	75	(ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه...)	
231	77	(قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ...)	
98,47	83-82	(وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول...)	
276	110	(وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير...)	
223	110	(يا عيسى ابن مريم أذكر نعمتي عليك...)	
236,88,45	117-116	(وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أنت قلت للناس...)	
286	117	(وكنيت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما...)	
	8	(وقالوا لولا أنزل عليه آية من ربه...)	الأأنعام
225	100	(وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات...)	
246,238	101	(أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة و...)	
83	124	(الله أعلم حيث يجعل رسالته)	
97	157	(الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه...)	الأعراف
90	162	(فبئس الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم...)	
145,96,45	30	(وقالت اليهود عزيز ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله...)	التوبة
225			
86	31	(قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم...)	
77	31	(اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله...)	
95	38	(أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله...)	يونس
85	72	(وأمرت أن أكون من المسلمين...)	

86	84	( وقال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا... )	
94	13	( أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مقتريات... )	هود
95	14	( فإلم يستجيبوا لكم فاعلموا... )	
130	17	( أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه... )	
220	3	( نحن نقص عليك أحسن القصص... )	يوسف
86	101	( توفني مسلماً وألحقني بالصالحين... )	
220.93	9	( إنا نحن نزلنا الذكر ... )	الحجر
223	2	( ينزل الملائكة بالروح من أمره... )	النحل
220	44	( وأنزلنا إليك الذكر... )	
57	9	( إن هذا القرآن يهدي... )	الإسراء
94	88	( قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن... )	
123	93	( قل سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولا )	
44	5-4	( وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا ، ما لهم به من علم... )	الكهف
216	17	( فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً ، قالت... )	مريم
88.81	30	( إني عبد الله أتاني الكتاب وجعلني نبياً )	
244	34	( ذلك عيسى ابن مريم قول الحق... )	
44	35	( ما كان لله أن يتخذ من ولد... )	
287	122-121	( وعصى آدم ربه فغوى ، ثم اجتباه ربه... )	طه
220	129	( ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما... )	
76	25	( وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه... )	الأنبياء
216.46	91	( والتي حصنت فرجها فننفخنا فيه من روحنا... )	
56	18	( ألم تر أن الله يسجد له من في السموات والأرض... )	الحج
83	75	( الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس )	
79	197-192	( وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين... )	الشعراء
58	64-60	( أمن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء... )	النمل
38	46	( ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن... )	العنكبوت
94	51-50	( وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه... )	
267	27	( وله المثل الأعلى في السموات والأرض... )	الروم
157	20	( ومن الناس من يجادل في الله بغير علم... )	لقمان
123	40	( ما كان محمد أباً أحد من رجالكم... )	الأحزاب
247.46	82	( إنما أمره إذا أراد شيئاً أن... )	يسين
222	171	( ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين )	الصافات
65	4	( ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا... )	غافر
178	11	( ليس كمثله شيء )	الشورى



76	13	( شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا... )	
223	52	( وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا... )	
76	45	( وأسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجمعنا... )	الزخرف
280	57,59	( ولما ضرب ابن مريم مثلاً لإنا قومك منه يصدون... )	
44	59,63	( إن هو إلا عبد أئمننا عليه وجعلناه مثلاً لبنى إسرائيل... )	
221	7	( والله جنود السموات والأرض... )	الفتح
272	10	( إن الذين يباعدونك إنما يباعدون الله... )	
74	9-7	( والسماء ذات الحجب إنكم لفي قول مختلف... )	الذاريات
290	23	( إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس... )	النجم
159,71	39-38	( ألا تزر وازرة وزر أخرى... )	
216	22	( لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يولون من حاد الله... )	المجادلة
97	6	( وإذا قال عيسى بن مريم يا بني إسرائيل... )	الصف
216	12	( ومريم أيننت عمران التي أحصنت... )	التحريم
276	5-1	( اقرأ باسم ربك الذي خلق... )	العلق
220	1	( إنا أنزلناه في ليلة القدر... )	القدر
67	8-1	( ألباهم للتكاثر حتى زرتم المقابر... )	التكاثر
77	1	( قل هو الله أحد... )	الإخلاص
178	4	( لم يكن له كفوا أحد )	

## فهرس الأحاديث النبوية

الصفحة	الحديث
210	- " إذا قال العبد في ركوعه وسجوده سبحان ربي العظيم..."
223،216	- " إن روح القدس معك..."
24	- " إنكم ملائقو العدو والفطر أقوى لكم"
123 ،82	- " لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى..."
208	- " لا يقولن أحدكم قبح الله وجهك..."
223،216،212	- " اللهم أيد به روح القدس"
284	- " يوشك أن ينزل فيكم ابن مريم..."

## فهرس النصوص الكتابية

نصوص العهد القديم			
الصفحة	الإصحاح/الفقرة	النص	المسفر
247	3/1	[ ليكن كذا ليكن كذا ]	سفر التكوين
202	26/1	[ وقال فلنعمل إنسانا على صورتنا... ]	
207، 126	28/1	[ فخلق الله الإنسان كصورته... ]	
272، 211، 163، 159	3/1	[ أنت ابني بكري... ]	
213	3/1	[ وكانت الظلمة على وجه الغمر وروح الله... ]	
209	16/3	[ وقال الله أيضا لموسى هكذا تقول ابني... ]	
266	29/1	[ فقلت لكم لا تخشوا ولا تفزعوا منهم... ]	سفر التثنية
215، 213، 165	6/32	[ أليس هو أباك الذي اقتنالك... ]	
266	18-17/6	[ والآن يا رب إله اسرائيل فيتحقق كلامك... ]	أخبار الأيام الثاني
165، 168، 203، 215	7/2	[ أنت ابني وأنا اليوم ولدتك ]	سفر المزمير (مزمير داود)
272، 214	7/2	[ الرب قال لي أنت ابني... ]	
266، 265	12-11/5	[ وليفرح بك جميع المتكلمين عليك... ]	
276، 214	6/33 و 5/33	[ بكلمة الرب صنعت السموات... ]	
103	5-1/44	[ لأجل هذا بارك الله عليك إلى الأبد... ]	
215، 213، 166	12/50	[ لا تطرحني من قدام وجهك وروحك القدس... ]	
270	11/90	[ لأنه يوصي ملائكته بك... ]	
215	10/143	[ علمني أن أعمل رضاك لأنك أنت إلهي... ]	
103	9-1/149	[ سبحوا لله تسبيحا جديدا... ]	
209	17/5	[ ويتعالى رب الجنود بالعدل... ]	سفر أشعيا
209	4/6	[ ويصرخان الواحد إلى الآخر ويقولان قنوس... ]	
102	7-6/9	[ عبدي الذي سرت به نفسي أنزل عليه وحيي... ]	
102	10-6/21	[ قم نظارا فانظر ماذا ترى... ]	
100	16-15/24	[ لهذا إمدحوا الرب بالتعليم... ]	
214	8/40	[ يبسس العشب ، نبل الزهر ، وأما كلمة الله... ]	
103	13-10/42	[ ستمتلى البادية والمدن من أولاد قيذار يسبحون... ]	
265	12-9/52	[ أفرحوا وسبحوا جميعا... ]	
99	14-12/63	[ أين الذي جعل في وسطهم روح قدسه... ]	
269	6-5/23	[ ها أياما تأتي يقول الرب وأقيم لداود نسلا... ]	سفر أرميا

100	14-13/7	[ كنت أرى في رأى الليل وإذا مع سحب السماء... ]	نبوة دانيال
100	3/3	[ الله يأتي من التيمن والقدوس من حبل فاران... ]	نبوة حبقون
266	4/3	[ الله يأتي من التيمن... ]	
<b>العهد الجديد</b>			
268	23/1	[ ها هو ذا العذرا تحبل وتلد ابنا... ]	انجيل متى
169	20-17/5	[ لا تظنوا اني جئت لأحل الناموس... ]	
215	10-9/6	[ فهكذا تصلون أنتم أبونا الذي في السموات... ]	
270-274-218-282	32-31/13	[ فیرسل ابن الانسان ملائكته... ]	
274-218	36/24	[ فأما ذلك اليوم والساعة لا يعرفها أحد... ]	
166-164	36/27	[ الهي الهي لماذا تركتني... ]	
207-181-213-211	19/28	[ عمدوا الناس باسم الأب... ]	
271	27/7	[ هذا هو الذي كتب من أجله... ]	انجيل لوقا
218	34/12	[ فصرخ يسوع وقال من يؤمن بي... ]	انجيل يوحنا
274-218	34/12	[ آمنوا بالله وأمنوا بي ]	
271-267-265	10/14	[ من رآني فقد رأى أيضا الأب... ]	
101	26-25/14	[ ابن المعزي روح الحق الذي يرسله أبي... ]	
101	27-26/15	[ إذا جاء الفارقليط الذي أُرسله... ]	
211-168-165	17/20	[ أني صاعد إلى أبي وأبيكم... ]	
104	رسالة يوحنا الأولى 3-1/4	[ ليها الأحياء لا تؤمنوا بكل روح... ]	
266	رسالة يوحنا الأولى 12/4	[ أما الله فلم يره أحد قط... ]	
291	32/7	[ فأرسل القريسيون وروساء الكهنة ليمسكوه... ]	
215	19/2	[ وعلى عبيدي ولماي أسكب من روحي... ]	أعمال الرسل
215	19/2	[ وعلى عبيدي ولماي أسكب من روحي... ]	رسالة بولس الأولى
			إلى الكورنثيين
	انظر رسالة بطرس الثانية	[ ليه قد حان أن يبندئ للحكم من بيت الله ابتداء ]	رسالة بطرس
287-285	21-19/1 متى 14/26		رواية الصلب
	مرقس 10/14		
	لوقا 3/22		
	يوحنا 21/13		
287-285	متى 45/27		مملكة المسيح
	مرقس 55/14		
	لوقا 2/23		
	يوحنا 17/13		

## فهرس المصطلحات

الصفحة	المصطلح
139	الأبركسيس
191	الأقنون
178	الإلهيات
75	التوحيد
109 - 124 *	الجواهر
255	طبيعة واحدة
142	المجامع
227	المسيحولوجيا
185	موضوع

## فهرس الفرق والمذاهب

الصفحة	الإسم
289،280،234	الأريوسية
254،130،16،4	الإسماعيلية
288،184،61،25	الإعتزال (المعتزلة)
235	البربرانية
183،60،5	الباطنية
236	البوليانية
246،183،25	التجهم (الجهمية)
11،5	الدروز
59،12،11	الروافض
130،25،11،7	الشيعة
246،186،149،130	الصابئة
28	الصوفية الإتحادية
297،149،131،5	المجوس
235	المرمانيية
، 82،255،252،250،249،248،237،233،232،231،205،202،180	الملكية
282	
282،263،256،255،252،250،249،248،232،231،205،202،180،17	النسطورية
9	
254 ، 130 ، 11 ، 4	النصيرية
،231،232،233،234،179،180،202،205	اليقوبية
237،249،252،257،258،259،260،261،262،263،282	

## فهرس الأعلام المترجم لهم

الصفحة	الاسم	
15	ابراهيم ابن علي بن يوسف الشيرازي	حرف الألف
32	أحمد بن ابراهيم بن عبد الغني السروجي الحنفي	
31	أحمد بن عبد الدايم ابن نعمة المقتسي	
147,189,186,178,150,149	أرسطو بن نيقوماخس الفيثاغوري	
234,181,40	أريوس (بطرك الاسكندرية)	
33	إسماعيل بن عمر بن كثير البصري ، أبو الفداء عماد الدين .	
150,149	الإسكندر بن فيليس بن مصريم	
84	الأسود العنسي	
186,150	أفلاطون (فيلسوف)	
18	بدر الدين أبو القاسم محمد بن خالد الحراني	حرف الباء
3	بطرس الراهب	
38	بولس الراهب أسقف صيدا الأنطاكي	
236,146	بولس القديس	
28,17,26	بييرس الجاشنكير الملك المظفر	
12,10,9,8	بييرس البندقاري ، الملك الظاهر	
10	جنكزخان	حرف الجيم
27	حسام الدين مهني بن عيسى	حرف الحاء
298,263,204,197,49	الحسن بن أيوب	
185,64	الحسين بن عبد الله ابن سينا ، أبو علي	
3	خليل بن منصور بن قلاوون	حرف الخاء
11	زين الدين بن عدنان	حرف الزاي
12	زين الدين بن مخلوف المالكي	
29,27,18	زين الدين عبد الرحمن بن عبد الحلیم	

51	سعید بن البطریق بطریق الاسكندرية	حرف السين
26	سیف الدین جاغان	
9،8	سیف الدین قطز بن عبد الله المعزی (الملك المظفر)	
33،31	شرف الدین أبو العباس ، أحمد بن أحمد بن نعمة المقدسی، ابن قدامة	حرف الشین
27،18	شرف الدین عبد الله بن عبد الحلیم	
33	شمس الدین أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ابن أيوب الزرعی	
14	شهاب الدین السهروردي	
18	شهاب الدین عبد الحلیم بن عبد السلام	
18،15،11،6	صلاح الدین الأیوبی ، أبو المظفر يوسف بن أيوب بن شاذي	حرف الصاد
84	طلیحة الأسدي	حرف الطاء
280،50	عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمدانی ، الأسدابادي	حرف العين
14	عز الدین أبو محمد عبد العزيز بن عبد السلام ، السلمي المشقي	
32	علي بن أحمد بن عبد الواحد السعدي ، المقدسی ، ابن البخاري	
13	علي بن اسماعيل الأسعري ، أبو الحسن	
15	علي بن حسين الطوسي	
49	علي بن ربن الطبري	
231،48	علي بن عبيد الله بن نصر بن السري ، أبو الحسن الزاغوني	
223،50	عمرو ابن بحر بن محبوب ، الجاحظ	
19،16	عمرو بن عثمان بن قنبر ، سيبويه	
12	فتح الدین أحمد بن الثقفي	حرف الفاء
293،63	فخر الدین محمد بن عمر بن الحسين ، ابن الخطيب ، الرازي	
150	فيلون اليهودي (فيلسوف)	



237,235,148	قسطنطين (ملك الروم)	حرف القاف
13	قطب الدين أبو المعالي ، مسعود بن محمد النيسبوري	
23,8	القان محمود غازان (أو قازان)	
7	مؤيد الدين محمد بن أحمد بن العلقمي	حرف الميم
29	محمد بن أبي بكر بن عيسى الإخنائي	
32	محمد بن أحمد بن عبد الهادي بن قدامة ، شمس الدين المقدسي الحنبلي	
32	محمد بن أحمد بن عثمان التركماني، الذهبي	
48	محمد بن حزم	
48	محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن القراء ، أبي يعلى	
48	محمد بن الطيب الباقلائي	
31,19	محمد بن عبد القوي بن بدران المقدسي	
19,14	محمد بن علي بن وهب تقي الدين بن دقيق العيد	
33,19	محمد بن قيم الجوزية	
64	محمد بن محمد بن طرخان ، ابن أوزلغ ، أبو نصر القرابي	
105,63,15,13	محمد بن محمد بن محمد الغزالي ، أبو حامد	
33	محمد بن مفلح بن محمد المقدسي ، الدمشقي الحنبلي	
16	محمد بن يوسف بن علي بن حيان	
18	مجد الدين عبد السلام	
253,25	محي الدين بن عربي	
14,10	محي الدين بن شرف النووي	
236	مراقيون	
96,84	مسيلمة الكذاب	
7	المستعصم بالله	
297,149,131	ماني بن فتك	
31	المنجي بن عثمان بن أسعد بن المنجي القنوي	

9	نجم الدين ابن أيوب	حرف النون
232،144	نسطورس بطرك الاسكندرية	
27	نصر ابن سليمان ، أبو الفتح المنبجي	
12	ناصر بن أبي الفضل الهيثي	
8،7	هولاكو بن جنكز خان	حرف الهاء
52	يحيى بن عدي بن حميد بن زكريا	حرف الياء
14	يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف ، أبو الحجاج المزي .	

عبد القادر للعلوم الإسلامية

## فهرس المصادر والمراجع

- 1- القرآن
- 2- الكتب المقدسة
- 3- فهرس كتب الردود وعلم الكلام
- 4- فهرس الكتب التاريخية
- 5- كتب متفرقة
- 6 - كتب أعجمية :  
أ - كتب مترجمة  
ب - كتب باللغة الفرنسية

1- أولا : القرآن الكريم . (على رواية حفص).

2- ثانيا - الكتاب المقدس (العهد القديم والعهد الجديد)

- أ - الكتاب المقدس : يسوع المسيح ، نسخة وليم واطس ، لندن 1860 .  
ب - الكتاب المقدس : نسخة جمعيات الكتاب المقدس المتحدة ، 1966 .

ثالثا - كتب علم الكلام والرد على النصارى :

ابن تيمية ، تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم :

- 3- الإستقامة ، تحقيق : محمد رشاد سالم ، ط2 (الهرم : مؤسسة قرطبة د ت).  
4- اقتضاء الصراط المستقيم ، د.ط (د ب دار الحديث بالأزهر د ت).  
5- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، دط (د ب : مطابع المجد الهداية ، 661-728).  
6- درء تعارض العقل والنقل ، تحقيق : محمد رشاد سالم ط1 (د ب : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية 1401هـ-1981م).  
7- الرد على المنطقيين ، دط (لبنان : دار المعرفة ، د ت )  
8- الرسالة القبرصية (خطاب من شيخ الإسلام إلى سرجواس ملك قبرص) تعليق : علاء دمج ط2 (بيروت : دار ابن حزم للطباعة والنشر 1410هـ-1990م).  
9- الفرقان بين الحق والباطل (ضمن مجموع الفتاوى) جمع وترتيب : عبد الرحمان بن محمد بن قاسم (الرياض : مكتبة المعارف).  
10- مجموع الفتاوى ، تحقيق : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ، دط (الرياض : مكتبة المعارف، د ت).  
11- موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول ، ط1 (بيروت : دار الكتب العلمية ، 1405هـ -1985م).  
12- نقض المنطق ، تحقيق : محمد بن عبد الرزاق حمزة ، سليمان بن عبد الرحمن الصفيح ، (د ب : مكتبة السنة المحمدية).  
ابن حزم ، أبو محمد علي :  
13- الأصول والفروع ، تحقيق : د . محمد عاطف العراقي ، وتبصير فضل الله أبو وافية ، وإبراهيم هلال ، ط1 (القاهرة : دار النهضة العربية 1978م).  
14- الفصل في الملل والأهواء والنحل ، دط (د ب، دار الفكر 1400هـ-1980م).  
ابن قيم الجوزية ، محمد :  
15- هداية الحيارى من اليهود والنصارى ، (على هامش الفارق بين المخلوق والخالق) دط (مصر : مطبعة الموسوعات ، د ت) .  
16- إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ، دط (بيروت : المكتبة الثقافية ، 1409هـ-1989م).  
الإيجي ، عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد :

- 17- المواقف في علم الكلام د ط (بيروت: عالم الكتب- القاهرة: مكتبة المتنبى دمشق: مكتبة سعد الدين دت).  
الاسكندراني، سعيد بن حسن:
- 18- مسالك النظر في نبوة سيد البشر تحقيق: محمد عبد الله الشرقاوي، دط (د ب، مكتبة الزهراء، دت).  
باجه جي زاده، عبد الرحمن:
- 19- الفارق بين المخلوق والخالق، (وعلى هامشه الأجوبة الفاخرة للقرافي، وهداية الحيارى لابن القيم)، دط  
(مصر: مطبعة الموسوعات دت).  
الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب:
- 20- تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر ط1 (بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية  
1427 هـ - 1987م).  
الترجمان، عبد الله:
- 21- تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب - نشرة د. محمود حمادة، (القاهرة - دت).  
الجاحظ، أبو عمر:
- 22- المختار في الرد على النصارى، تحقيق ودراسة: محمد عبد الله الشرقاوي، ط1 (القاهرة: دار الصحوة  
للنشر والتوزيع، 1405هـ - 1984م).  
الجويني، أبو المعالي عبد الملك:
- 23- الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، تحقيق: أسعد تميم، ط1 (بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية  
1405 هـ - 1985م).
- 24- شفاء الغليل في بيان ما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل، تحقيق: أحمد حجازي السقا، ط1 (د ب:  
دار الشباب للطباعة 1318هـ-1978م).  
شلبي، أحمد:
- 25- مقارنة الأديان المسيحية، ط2 (مصر: مكتبة النهضة، 1984م).  
الشرفي، عبد المجيد:
- 26- الفكر الإسلامي في الرد على النصارى، دط (تونس: الدار التونسية للنشر، الجزائر المؤسسة الوطنية  
للكتاب، 1986م).  
الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم:
- 27- الملل والنحل، ط2 (بيروت: دار الكتب العلمية، 1413 هـ - 1992 م).  
الطبري، علي بن ربن المطيب:
- 28- الدين والدولة في إثبات نبوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم-، تحقيق: عادل نويهض، دط (بيروت:  
مؤسسة نويهض للتأليف والترجمة والنشر 1982م).

عبد الجبار، أحمد:

- 29- تثبيت دلائل النبوة، تحقيق: د. عبد الكريم عثمان (بيروت: دار العربية، دت).

- 30- شرح الأصول الخمسة ، تحقيق : عبد الكريم عثمان (الجزائر : سلسلة أنيس للنشر والتوزيع ، 1990م).  
عبد الغفور ، عطار أحمد :
- 31- الديانات والعقائد في مختلف العصور ، ط1 (دب : مكتبة المكرمة ، 1401 هـ - 1981 م).  
الغزالي ، أبو حامد :
- 32- الرد الجميل لآلهة عيسى بصريح الإنجيل ، تحقيق : د محمد عبد الله الشرقاوي ، ط2 (دب ،  
1406هـ-1981م).  
القرافي ، شهاب الدين أحمد بن إدريس :
- 33- الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة (على هامش الفارق بين المخلوق والخالق) ، دط (مصر : مطبعة  
الموسوعات ، د.ت.).  
المتطيب ، نصر بن يحيى بن عيسى بن سعيد :
- 34- النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية ، تحقيق : محمد عبد الله الشرقاوي (القاهرة : دار الصحوة  
للنشر والتوزيع، 1406 هـ - 1986 م).  
الماتوريدي ، أبو منصور :
- 35- التوحيد ، تحقيق : فتح الله خليف ، ط2 (بيروت : دار المشرق ، د.ت.).  
الهندي رحمة الله :
- 36- إظهار الحقائق ، ط1، ( القاهرة : المركز الثقافي للطباعة والنشر هـ 1986م).

#### رابعاً : كتب تاريخية .

- ابن أبي يعلى ، أبو الحسين محمد :
- 37- طبقات الحنابلة ، دط (بيروت : دار المعرفة، د.ت).  
ابن الأثير ، زين الدين أبو الحسن علي :
- 38- تاريخ الكامل (بهامشه تاريخ مروج الذهب) د ط  
ابن خلدون :
- 39- المقدمة ، دط (مصر : المطبعة الأزهرية بجوار الأزهر 1348 هـ - 1930م).  
ابن خلكان :
- 40- وفيات الأعيان ، دط (بيروت : دار صادر ، د.ت).  
ابن رجب ، زين الدين أبو الفرج :
- 41- ذيل طبقات الحنابلة دط (بيروت : دار المعرفة ، د.ت).  
ابن عبد الهادي ، محمد بن أحمد :
- 42- العقود الذرية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق : محمد حامد الفقي ، دط (القاهرة :  
مطبعة حجازي 1356هـ - 1958 م).  
ابن العماد ، أبو الفلاح عبد الحي :

- 43- شذرات الذهب في اخبار من ذهب ، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي ، دط (بيروت : دار الآفاق الجنيذة، د.ت).
- ابن كثير ، أبو الفداء :
- 44- البداية والنهاية ، ط6 (بيروت : مكتبة المعارف 1406هـ - 1985م).
- ابن النديم :
- 45- الفهرست ، تعليق : إبراهيم رمضان ، ط1 (بيروت : دار المعرفة 1415 هـ - 1994م).
- ابن الوردي ، زين الدين عمر :
- 46- تنمة المختصر في أخبار البشر ، تحقيق : أحمد رفعت البدرائي ، ط1 (بيروت : دار المعرفة 1970م).
- أبو زهرة ، محمد :
- 47- ابن تيمية حياته وعصره ، آراؤه وفقهه ، دط (دب ، دار الفكر العربي ، دار الثقافة العربية للطباعة، د.ت).
- 48- طبقات الشافعية ، ط1 (بيروت : دار الكتب العلمية 1407 هـ - 1987م).
- الأتابكي ، جمال الدين أبو المحاسن :
- 49- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، تحقيق : د. إبراهيم علي طرخان ، (دار الكتب المصرية د.ت).
- نيوارنت ، ولد :
- 50- قصة الحضارة (الحضارة الرومانية ، الحضارة اليونانية) ، ترجمة : محمد بدران ، ط3 (القاهرة : لجنة التأليف والترجمة والنشر 1968م).
- الذهبي ، شمس الدين محمد :
- 51- تنكرة الحفاظ ، دط (بيروت : دار الكتب العلمية ، د.ت).
- 52- العبر في خبر من غبر ، تحقيق : أبو هاجر محمد السعيد بن بيوني زغلول ، ط1 (بيروت : دار الكتب العلمية 1405هـ - 1985م).
- 53- المعجم المختص بالمحدثين ، تحقيق : محمد الحبيب الهيلة ، ط1 (الطائف : مكتبة الصديق 1408هـ).
- الزركلي ، خير الدين :
- 54- الأعلام ، ط2 (الرياض : مكتبة الطارف ، د.ت).
- السبكي :
- 55- طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق : محمود الطناحي وعبد الفتاح الطلو ، ط1 (مطبعة عيسى الباجي الحلبي 1383م).
- السمعاني ، أبو سعد عبد الكريم :
- 56- الأنساب ، تقديم : عبد الله عمر البارودي ، ط1 (بيروت : دار الجنان 1408هـ - 1988م).
- 57- معجم البلدان ، ط1 (بيروت : دار الجنان 1407هـ - 1987م).
- السبوطي ، جلال الدين :

- 58- حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، د. ط ( مصر : مطبعة الموسوعات ، د.ت).  
الكتبي ، محمد بن شاكر :
- 59- فوات الوفيات ، والذيل عليها ، تحقيق د. إحسان عباس ، د.ط (بيروت : دار صادر 1973م).  
محمد يوسف موسى :
- 60- ابن تيمية ، ط2 (بيروت : العصر الحديث للنشر والتوزيع 1408 هـ - 1988م)  
المقرئزي ، تقي الدين أحمد :
- 61- السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق : محمد مصطفى زياد ، ط2 (بيروت : المكتب الاسلامي ، 1405 هـ - 1984 م).  
62- المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار (المعروف بالخطط)، ط2 (القاهرة : مكتبة الثقافة الدينية 1987م).

#### خامسا - كتب متفرقة:

- ابن الأشعث ، سليمان أبو داود :
- 63- سنن أبي داود ، ضبط وتعليق : محمد محي الدين عبد الحميد ، د ط (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع).  
ابن تيمية :
- 64- علم الحديث ، تحقيق موسى محمد علي ، ط3 (الجزائر : دار الفكر 1413 هـ - 1993م)  
65- مقنمة في أصول التفسير ط (منشورات دار مكتبة الحياة ، د ت)  
ابن حنبل ، أحمد :
- 66- المسند (بهامشه منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال) ، ط4 (بيروت : المكتب الإسلامي للطباعة والنشر 1403 هـ - 1983م).  
ابن الحجاج النيسابوري ، مسلم :
- 67- صحيح مسلم (بشرح النووي) ، دط (دب : دار الفكر للطباعة والنشر 1403 هـ - 1993 م).  
ابن عاشور ، محمد الطاهر :
- 68- التحرير والتوير ، دط (تونس : الدار التونسية للنشر ، الجزائر : المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1984).  
ابن ماجه :
- 69- سنن ابن ماجه (الألباني محمد ناصر الدين) ط3 (الرياض : مكتب التربية العربي لدول الخليج 1408 هـ - 1988 م).  
أبو زهرة ، محمد :
- 70- الديانات القديمة ، دط (القاهرة : دار الفكر العربي، د ت).  
أبو سليمان ، عبد الحميد أحمد :



- 71- أزمة العقل المسلم ، ط2 (الجزائر : دار الهدى للطباعة والنشر 1413 هـ - 1992 م).  
الأمني ، عبد الله :
- 72- الفرق والمذاهب القديمة والمعاصرة ، ط2 (بيروت : دار الحقيقة 1991م).  
البخاري ، محمد بن اسماعيل :
- 73- صحيح البخاري ، ط1 (بيروت : دار الفكر ، 1401 هـ - 1981م).  
البغدادي عبد القاهر :
- 74- الفرق بين الفرق ، تحقيق : محي الدين عبد الحميد ، ط1 (بيروت : المكتبة المصرية ، 1411 هـ - 1990م).  
الترمذي ، محمد بن عيسى :
- 75- الجامع الصحيح ، ط2 (بيروت : دار الفكر 1403 هـ - 1983م).  
الجليندي ، محمد السيّد :
- 76- ابن تيمية وقضية التأويل ، ط3 (دب : مكتبة عكاظ 1403 هـ - 1983م).  
77- تأملات حول منهج القرآن في تأسيس اليقين ، ط1 (دب : مكتبة الزهراء ، 1410 هـ - 1990م).  
الجوهري ، اسماعيل ابن عماد :
- 78- كتاب الصحاح ، تحقيق عبد الغفور عطار ، ط1 (بيروت : دار العلم للملايين 1404 هـ - 1984م).  
الجيوشي . محمد ابراهيم :
- 79- دراسات في النصرانية ، ط1 (دب : دار الهدى للطباعة 1988م).  
حلمي مصطفى :
- 80- معالم المنهج في دراسة الأديان ، ط1 (دب : دار الدعوة ، دت).  
الخطيب ، محمد حجاج :
- 81- الوجيز في علوم الحديث ، ط1 (المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، 1989م).  
دراز ، محمد عبد الله :
- 82- الدين ، ط1 (الكويت : دار القلم للنشر والتوزيع 1410 هـ - 1990م).  
السايع ، أحمد عبد الرحيم :
- 83- بحوث في مقارنة الأديان ، ط1 (الدوحة : دار الثقافة ، 1411 هـ - 1991م).  
السعدي محمد :
- 84- دراسة في الأناجيل الأربعة والتوراة ، ط1 (قطر : دار الثقافة 1985م).  
الشكعة مصطفى :
- 85- إسلام بلا مذاهب ط8 (القاهرة : الدار المصرية اللبنانية 1411 هـ - 1991م).  
طه عبد الرحمن :
- 86- تجديد المنهج في تقويم التراث ، ط1 (بيروت : المركز الثقافي العربي ، 1394).  
الطبري ، محمد بن جرير :

- 87- جامع البيان في تفسير القرآن ، دط (بيروت : دار المعرفة 1403هـ-1983م).  
عبد الغني ، عبود :
- 88- المسيح والمسيحية والإسلام ، ط1 (دار الفكر العربي 1984م).  
عتر، نور الدين :
- 89- منهج النقد في علوم الحديث، ط3 (دمشق : دار الفكر للطباعة والنشر ، 1401 هـ - 1981م).  
عطيتو ، حربي عباس :
- 90- ملامح الفكر الفلسفي والديني في مدرسة الإسكندرية ، ط1 (بيروت : دار العلوم العربية 1413هـ-1992م).  
العك ، خالد عبد الرحمن :
- 91- أصول التفسير وقواعده ، دط (بيروت : دار النفائس ، 1986م).  
العلواني ، طه جابر :
- 92- ابن تيمية وإسلامية المعرفة ، ط2 (دب : الدار العالمية للكتاب الإسلامي ، 1415هـ-1995م).  
علي عبد الواحد وافي :
- 93- الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، دط ( القاهرة : دار النهضة مصر ، د.ت).  
الفريواني ، عبد الرحمن بن عبد الجبار :
- 94- شيخ الإسلام ابن تيمية وجهوده في الحديث وعلومه ، ط1 (الرياض : دار العاصمة 1416هـ - 1996م).  
الفاوي ، عبد الفتاح أحمد :
- 95- المسيحية بين العقل والنقل ، ط1 (جامعة القاهرة : كلية دار العلوم 1992م).  
المتولي صبري :
- 96- منهج ابن تيمية في تفسير القرآن الكريم ، دط (القاهرة ، عالم الكتب 1981م).  
الماوردي ، علي بن محمد :
- 97- أعلام النبوة ، ط1 (بيروت : دار الكتاب العربي 1407هـ- 1987م).  
النسائي :
- 98- صحيح سنن النسائي (محمد ناصر الألباني) ط1 (الرياض : مكتب التربية العربي لدول الخليج 1409 هـ - 1988م)

## الموسوعات ودوائر المعارف

- بدوي ، عبد الرحمن :
- 99- موسوعة الفلسفة ، ط1 (المؤسسة العربية للدراسات والنشر 1984م).  
البيستاني ، بطرس :
- 100- دائرة المعارف ، دط (بيروت : دار المعرفة ، دت)

الثننتاوي ، أحمد :

101- دائرة المعارف الإسلامية ، ترجمة : أحمد الثننتاوي ، وإبراهيم زكي نورشير ، وعبد الحميد يونس .  
دط (لبنان : دار المعرفة ، د ت).

### الرسائل الجامعية :

فرحات عبد الحكيم :

102- منهج القاضي عبد الجبار في الرد على النصارى (رسالة أعدت لنيل درجة الماجستير في علم مقارنة الأديان، معهد أصول الدين ، جامعة الأمير عبد القادر ، قسنطينة -سنة 1995-1996م).

### الدوريات :

أشرف ، يحي عبد الحميد :

103- منهج ابن تيمية في الرد على النصارى تيسم بالسمو والإستقلالية والبعد عن التقليد (جريدة العالم الإسلامي، ليوم 1 مارس 1998م).

### سادسا - كتب أعجمية :

#### أ - كتب مترجمة

باروخ سينوزا :

104- رسالة في السياسة واللاهوت ، تعليق وترجمة : حسن حنفي (بيروت : 1981 م)

بوكاي موريس :

105- التوراة والإنجيل والقرآن والعلم ، ترجمة : نخبة من العلماء ، ط2 (بيروت : دار الكندي للطباعة والنشر والتوزيع ، دت)

بواسيه لويس اليسوعي :

106- السيندوسات في ضوء التاريخ ، ترجمة : أنطوان الغزالي ، ط1 (بيروت : دار المشرق 1994م).

جيب :

107- علم الأديان وبنية الفكر الإسلامي ، ترجمة : عادل العوا ، ط2 (بيروت : باريس ، منشورات عويدات 1989م).

جنير شارل :

108- المسيحية نشأتها وتطورها ، ترجمة د. عبد الحلیم محمود ، ط3 (دب : دار المعارف ، د ت).

ديدات أحمد :

- 109- هل الكتاب المقدس كلام الله ؟ ترجمة : نورة أحمد النرمان ، دط (الزيتونة للإعلام والنشر، دت).
- غرويه لويس و قنواني ج :
- 110- فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية ، ترجمة : صبحي الصالح وفريد جبر ، ط2 (بيروت : دار العلم للملايين ، 1979م).
- كمبي جان :
- 111- دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة ، ط1. (بيروت : دار المشرق 1994م).
- ميشال توماس اليسوعي :
- 112- مدخل إلى العقيدة المسيحية ، ترجمة : الأب كميل خشيمة اليسوعي ، دط (بيروت : دار المشرق).
- هك جون :
- 113- أسطورة تجسد الإله في السيد المسيح ، تحرير : هك جون ، ترجمة : د. نبيل صبحي ، ط1 (دب : دار العلم للطباعة والنشر والتوزيع ، 1405هـ - 1985م).

#### ب - كتب باللغة الفرنسية :

- 1- Algrain R. et autres :  
Ecclesia, Encyclopedie populaire des connaissances Religieuse, (paris : Librairie Bloud et Gay, 1941).
- 2- Bardy, G. et Tricot, R. et autres :  
Le christ, Encyclopedie populaire des connaissances christologique, (Paris : Librairie Bloud et Gay, 1947).
- 3- Baron Gabrielle :  
Introduction au style orale de l'évangile d'après les travaux de Marcel Jausse (France : imprimerie des presses universitaire de France, 1902).
- 4- Bouamama, Ali :  
La littérature polémique musulmane contre le christianisme depuis ses origines jusqu'au 8ème siècle (Alger : Entreprise nationale du livre, 1984)..
- 5- Ehlinger, Charle et Genet, Jean-philipe et autres :  
Histoire du christianisme édition du centurien (paris : Imprimé en grande Bretagne, 1982).
- 6- Grawitz madeline :  
Methode des sciences Sociales, 5 ed., (France ; Dalloz, 1981).
- 7- Lauret Bernard er Refoule François et autres :  
Initiation à la pratique de la théologie (paris : cerf, 1987).
- 8- Masson, D. et autre :  
Monothéisme Coranique et Monothéisme biblique préface de Jean Gros Jean, dasclée de Brower, 2ème ed., (1976).
- 9- Ray, Alain et autre :  
Le Robert des noms propre 3<sup>ème</sup> ed. (paris : imprimé en France, 1995).
- 10- Rivaud Albert :  
Histoire de la philosophie des origines à la scolastique, Mise à jour par Albert Rivaud. 2<sup>ème</sup> Ed, T1 (France : P.U.C. 1960).
- 11- Rowston pieke. E :  
Dictionnaire des Religions, 1<sup>er</sup> ed. (paris : press universitaires de France 1954).

## الفهرس التحليلي للمحتويات

	الإهداء
	المقدمة
2	الفصل الأول : الإمام ابن تيمية شخصيته ومصادر فكره .....
2	المبحث الأول : عصر ابن تيمية .....
2	المطلب الأول : الحياة السياسية .....
3	أولا : الغزو الصليبي .....
6	ثانيا : ظهور التتار .....
9	المطلب الثاني : الحياة الاجتماعية .....
12	المطلب الثالث : الحياة الفكرية والعلمية .....
16	المبحث الثاني : حياة ابن تيمية وشخصيته العلمية .....
17	المطلب الأول : مولده ونشأته .....
17	أولا - نسبه ومولده .....
18	ثانيا - نشأته وطلبه للعلم .....
19	المطلب الثاني : توليه التدريس .....
21	المطلب الثالث : صفاته ومقاماته الشخصية .....
21	أولا - صفته الجسمية .....
21	ثانيا - مداركه العقلية .....
23	ثالثا - شجاعته .....
25	المطلب الرابع : محنه ووفاته .....
30	المطلب الخامس : شيوخه وتلاميذه .....
30	أولا - شيوخه .....
32	ثانيا - تلاميذه .....
33	المبحث الثالث : آثاره ومصادر فكره في دراسته للنصرانية .....
33	المطلب الأول : آثاره .....
34	أولا - مؤلفات عامة .....
35	ثانيا - مؤلفاته في الرد على النصارى .....
37	المطلب الثاني : أهمية كتاب الجواب الصحيح .....
37	أولا - إسم الكتاب ونسبته إلى المؤلف .....
38	ثانيا - سبب تأليف هذا الكتاب .....

39	.....	ثالثا - محتوى الكتاب
42	.....	رابعا - منهج المؤلف في كتابه
43	.....	المطلب الثالث : مصادر فكر ابن تيمية في دراسته للنصرانية.
43	.....	أولا - المصادر الإسلامية
43	.....	1- القرآن
47	.....	2- الردود الإسلامية
51	.....	ثانيا : المصادر المسيحية
51	.....	1- الكتب المقدسة
51	.....	2- الكتابات المسيحية
53	.....	3- النصارى في دار الإسلام
54	.....	الفصل الثاني : الإطار العام لمنهج ابن تيمية في الرد على النصارى.
55	.....	المبحث الأول : التكامل المعرفي لمنهج ابن تيمية
56	.....	المطلب الأول : طبيعة المعرفة
60	.....	المطلب الثاني : وسائل المعرفة
60	.....	أولا - النقل
63	.....	ثانيا - العقل
67	.....	ثالثا - الحس
69	.....	المطلب الثالث : طرق المعرفة
69	.....	أولا - علاقة المنقول بالمعقول
72	.....	ثانيا - طرق المعرفة مشتركة
75	.....	المبحث الثاني : القواعد الأساسية لمنهج ابن تيمية
75	.....	المطلب الأول : المنطلقات المشتركة لمنهج الرد
75	.....	أولا - التوحيد
79	.....	ثانيا - الوحي
81	.....	ثالثا - النبوة
85	.....	المطلب الثاني : المفاهيم الأساسية لمنهج الرد
85	.....	أولا - وحدة الدين
87	.....	ثانيا - عيسى عبد الله ورسوله
89	.....	ثالثا - الكتب محرفة
93	.....	المطلب الثالث : البعد الدعوي لمنهج الرد
94	.....	أولا - إعجاز القرآن
96	.....	ثانيا - البشارة بمحمد -صلى الله عليه وسلم-

105	المبحث الثالث : منهج الاستدلال عند ابن تيمية.....
105	المطلب الأول : الاستدلال بالمنطق.....
109	أولا - التعريف ( الحد ) .....
110	ثانيا - القياس .....
111	1- قياس الأولى .....
112	2- قياس العكس .....
113	3- قياس الطرد .....
114	4- الاستدلال بالآيات .....
116	ثالثا - طرق أخرى للاستدلال .....
116	1- إنتاج المقدمات النتائج .....
117	2- السبر و التقسيم .....
118	3- الإلزامات .....
119	4- الدور الممتنع .....
121	المطلب الثاني : الاستدلال بالتاريخ .....
122	1- فحص الوثائق .....
127	2- دراسة الأحداث التاريخية .....
129	المطلب الثالث : الاستدلال بالمقارنة .....
132	المطلب الرابع : الاستدلال باللغة .....
136	الفصل الثالث : منهج ابن تيمية في الرد على مصادر الدين النصراني .....
137	المبحث الأول : عرض لمصادر الدين النصراني .....
137	المطلب الأول : الكتب المقدسة .....
141	المطلب الثاني : صياغة قانون الإيمان .....
145	المطلب الثالث : المصادر التاريخية .....
146	أولا - الديانات الوثنية .....
149	ثانيا - الفلسفة اليونانية .....
152	المبحث الثاني : منهج ابن تيمية في الرد على الكتب المقدسة .....
153	المطلب الأول : رده على توثيق الكتب المقدسة .....
154	أولا- نسبة الأناجيل إلى مؤلفيها.....
154	ثانيا- الجهل برواة الأناجيل .....
156	ثالثا- انقطاع سند الأناجيل .....
159	رابعا - مظاهر التحريف في الكتب المقدسة .....
162	المطلب الثاني : رده على تأويل النصارى للكتب المقدسة .....

- أولا - تأويل النصوص المتشابهة ..... 164
- ثانيا - مخالفة لغة النص ..... 167
- ثالثا - نسخ العمل بالتوراة ..... 169
- المطلب الثالث : رده على ترجمة الكتب المقسمة ..... 171
- أولا - صحة النقل ..... 172
- ثانيا - صحة الترجمة ..... 174
- الفصل الرابع : منهج ابن تيمية في الرد على عقيدة التثليث ..... 178
- المبحث الأول : عرض عقيدة النصارى في التثليث ..... 179
- المبحث الثاني : مناقشة أدلة التثليث العقلية ..... 183
- المطلب الأول : مناقشة القول بأن الله جوهر ..... 184
- المطلب الثاني : مناقشة القول بأن الله ثلاثة أقانيم ..... 190
- أولا - أسماء الأقانيم ..... 193
- ثانيا - عدد الأقانيم ..... 196
- ثالثا - أفعال الأقانيم ..... 198
- رابعا - اختصاص الأقانيم ..... 200
- المطلب الثالث : علاقة الجوهر بالأقانيم ..... 202
- المبحث الثالث : مناقشة أدلة التثليث النقلية ..... 207
- المطلب الأول : مناقشة الأدلة الكتابية ..... 207
- أولا : عرض الأدلة الكتابية في التثليث والرد عليها ..... 207
- ثانيا - إبطال تأويل النصارى للنصوص الكتابية والرد عليها ..... 210
- ثالثا - دراسة دلالات الألفاظ ..... 213
- رابعا - إثبات آيات التوحيد ..... 217
- المطلب الثاني : مناقشة الأدلة القرآنية ..... 219
- أولا - رده على تأويل النصارى للقرآن ..... 220
- ثانيا - إبطال دعوى تأييد القرآن لهم ..... 224
- الفصل الخامس : منهج ابن تيمية في الرد على المسيحولوجيا ..... 227
- المبحث الأول : عرض عقيدة المسيحولوجيا النصرانية ..... 227
- المطلب الأول : المسيحولوجيا النصرانية ..... 227
- المطلب الثاني : مسيحولوجيا الفرق النصرانية ..... 231
- أولا - المسيحولوجيا الملكية ..... 232
- ثانيا - المسيحولوجيا النسطورية ..... 232
- ثالثا - المسيحولوجيا اليعقوبية ..... 233



234	رابعاً - نظريات أخرى في المسيح
238	المبحث الثاني : منهج ابن تيمية في الرد على عقيدة التجسد
238	المطلب الأول : مناقشة الأدلة العقلية
239	أولاً - رده على النظرية العامة للتجسد
239	1- دواعي تأليه عيسى
242	2- إتحاد الكلمة بالإنسان
248	3- مكان الإتحاد وزمانه
251	4- اختصاص الابن بالإتحاد
254	ثانياً - نقد مقالات الفرق الكبرى في التجسد
255	1- نظرية النسطورية
257	2- نظرية الملكية
260	3- نظرية اليعقوبية
264	المطلب الثاني : مناقشة الأدلة النقلية
264	أولاً- مناقشة الأدلة الكتابية
264	1- إبطال دلالة الكتب على الإتحاد
271	2- إبطال الاستدلال بالمتشابه
274	3- إبطال إلهية المسيح بالأدلة الكتابية
275	ثانياً : مناقشة الأدلة القرآنية
275	1- إبطال دلالة القرآن على ألوهية المسيح
279	2- دلالة القرآن على بشرية المسيح
282	المبحث الثالث : مناقشة عقيدة الصلب والفداء
282	المطلب الأول : عقيدة الصلب
282	أولاً - الأدلة العقلية
284	ثانياً - الأدلة النقلية
285	1- خبر الصلب كما جاء في الأناجيل
287	2- الطعن في خبر الأناجيل
289	3- إنكار القرآن لصلب عيسى
291	المطلب الثاني : القيامة
294	المطلب الثالث : عقيدة الفداء
301	خاتمة
303	فهرس الآيات
307	فهرس الأحاديث